

دراسة مقارنة
أثر القيم على السلوك الإداري
بين الفكر الإسلامي
والفكر الوضعي
حناشي لعلي بن صالح
اليازوري

أثر القيم على السلوك الإداري
بين الفكر الإسلامي والفكر الوضعي
-دراسة مقارنة-

حناشي لعلى بن صالح

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

صدق الله العظيم

الرعد، الآية: 11.

ورد في الأثر عنه ﷺ

(لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)

حديث شريف

إهداء.........

إلى التي حملتني كرهاً ووضعتني كرهاً

أمي الحنون أطال الله في عمرها

إلى التي هيئت النفس وشحذت الهمة زوجتي.

إلى شموع الدرب وأمل المستقبل أبنائي:

أيمن ، أسامة ، مهدي ، رفيدة

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع.

شكر و تقدير

الشكر أولاً وأخيراً إلى واهب النعم الذي متعني بالصحة والعافية ووفقني لإنجاز هذا الجهد المتواضع.

والشكر والتقدير أولاً وأخيراً إلى صاحب الأفضال سبحانه وتعالى الذي متع أستاذنا الجليل البروفيسير: خالد سر الختم السيد بموفور الصحة والعافية حتى أكمل مهمة الإشراف على أتم وأفضل وجه.

والشكر والتقدير موصولاً إلى أستاذنا الفاضل البروفسير: خالد سر الختم السيد الذي تحمل عبء ومشقة الإشراف على هذه الرسالة، والذي فتح صدره وأبواب بيته مشرعة للباحث في كل وقت، دون حواجز خدمة للعلم، و أملاً فيما عند الله من الأجر والثواب، فله الشكر الجزيل، والتقدير والاحترام على ما قدم من نصائح وإرشادات وتوجيهات، سدد بها خطا الباحث وصولاً إلى هذه الصورة التي ظهر بها البحث.

والشكر والتقدير موصولان إلى أعضاء لجنة المناقشة، الذين ما بخلوا في إجابة وتلبية الدعوة للحضور، والمشاركة في مناقشة هذا الجهد المتواضع، فلهم جزيل الشكر والتقدير والاحترام.

والشكر موصولاً أيضاً إلى إدارة جامعة النيلين عموماً و أعضاء إدارة كلية الدراسات العليا خاصة على معاملتهم الراقية والحضارية للباحث.

كذلك لا ينسى الباحث تقديم شكره وتقديره لمؤسسة الزيتونة للإعلام على ما قدمته من جهود لإخراج هذا البحث في شكله النهائي.

كما لا يفوت الباحث تقديم شكره وامتنانه إلى كل الأصدقاء والأخوة الـذين ما بخلوا في تقديم العون، والمساعدة للباحث مـن مراجعـة للبحـث مراجعـة لغويـة، وضبط الأحاديث الواردة، والآيات، وغير ذلك.

وفي الأخير أجدد شكري وتقـديري للأسـتاذ الفاضـل البروفسـير خالـد سر الختم السيد وإلى أعضاء لجنة المناقشة.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

المحتويات

مقــدمة

تمر الأمة الإسلامية عموماً والأمة العربية خصوصاً بفترة من أحلك الفترات في تاريخها وحضارتها، حيث أن الشعوب الإسلامية والعربيـة تعـيش في عـالم متغـير، ومتجدد، ومتسارع في إنتاج وتطوير وسائل حياته، وأسـاليب معيشـته، كـما تواجهنـا العديد من العقبات والصعاب في جميع مجـالات الحيـاة المختلفـة سـواء عـلى مسـتوى الفرد، أو المجتمع، أو الأمة.

فعالمنا اليوم يموج بالعديد من الأفكار المادية، والتيارات الفكرية الوافدة إلينـا من المجتمعات الغربية، ذات الحضارة المادية الضاغطة، وهـي تيـارات وأفكـار يحمـل الكثير منها قيماً ومعتقدات تتناقض جملة مع قيمنا ومعتقداتنا، المسـتمدة والمنبثقـة مـن ديننا الإسلامي الحنيف.

ونحن في مواجهة هذه التيارات، وهذه الأفكار، ومحاولة مقاومتها، والحد من فاعليتها وانتشارها، إنما نخوض معركة وجود، معركة لا يستطيع خوضها والانتصـار فيها، إلا مؤسسات قائمة على أساس قوي متـين، عـلى أسـاس مـن التقـوى والعمـل الصالح، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَـنْ أَسَّـسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾[1]، يقود هذه المؤسسات أفراد يتمتعون بحس ديني قوي، يصدق فيهم وصف القرآن الكـريم في قولـه تعـالى: ﴿مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[2]، ويتمثلون قـيم الإسـلام ومبادئـه تمـثلاً حقيقيـاً صادقاً.

---

[1] سورة التوبة ، الآية:109.

[2] سورة الاحزاب،الآية:23.

فنحن اليوم نعيش في عالم أصبح كقرية صغيرة بفضل تطور وسائل الاتصالات، مما جعل عملية نشر الأفكار والقيم والمعتقدات من اليسر والسهولة، أصبح المرء معها يغزى في عقر داره، ويسلب أولاده وأهله من بين يديه، استلابا حضارياً وفكرياً بواسطة البث الفضائي، وعبر الانترنت وغيرها.

فأصبحت مجتمعاتنا العربية والإسلامية مفتوحة لجميع أنواع التيارات، والأفكار والقيم المادية الوافدة وفود منتجات الحضارة الغربية الضاغطة والمسيطرة، يبقى أمامها المسلم مكتوف الأيدي، مشلول الفكر، لا يستطيع أن يحرك ساكناً، ولا أن يسكن متحركاً، هذه التحديات وغيرها كثير، ألزمت أصحاب الحس المرهف، والضمير اليقظ من أبناء الأمة، بذل الجهود للبحث في الأسس التي تساعد الأمة على مواجهة هذه الهجمة الشرسة التي سلطت عليها لثنيها وأبعادها عن دينها و ما يحمله من قيم حضارية، التي لولاها ما بلغت هذه الأمة من الشأن ازدهاراً وحضارة، في أزهى عصورها، هذه القيم التي كانت وما تزال السد المنيع الذي تحطمت عليه كل محاولات سلخ الأمة وإضعاف علاقتها بقيمها، إلا أن هذه الأفكار، والقيم المادية الوافدة، والمحاولات المتكررة، أحدثت ثغرة في جسم الأمة لفتور ضعف الوازع الديني فيها، مما جعل هذا المارد الخبيث يتمكن بكل سهولة من أن ينفث سمومه في هذا الجسد، أحدثت فيه تشوهات ظاهرة للعيان، من أهم مظاهرها انفصال الشخصية المسلمة، بين الروح و متطلباتها وبين الجسد و متطلباته، بين حياة المسلم و مماته أو آخرته، بين مكان العبادة –المسجد– وبين السعي لطلب الرزق، وأصبح يتمثل في المنطق العملي المقولة الكنسية [ما لله وما لقيصر لقيصر]، وأصبح الإسلام في نظر غالبية أبناء الأمة، عبارة عن طقوس تعبدية محصورة بين أربعة جدران –المسجد– يراد

له كما أصبحت الكنيسة في نظر أبنائها عبارة عن أثر في متحف التاريخ، وأصبح المسلم يبني جميع تصرفاته على القاعدة الميكيافلية: [الغاية تبرر الوسيلة].

كذلك من العوامل التي عمقت جراح الأمة، ما قام به الاستعمار من دور كبير في ترسيخ المفاهيم والقيم المادية التي جلبتها الحملات الصليبية على العالم الإسلامي، فوجد التربة الإسلامية مهيأة لتقبل ما يبثه من أفكار وقيم، والتفاعل معها نتيجة لابتعادها عن دينها وقيمها، فعمل الاستعمار بكل ما أوتي من وسائل على ترسيخ قيمه المادية الغالبة، وبدأ في تشكيل العقل المسلم، من عقل خاو خامل، جامد، إلى عقل محشو بأفكار قاتلة مستوردة من حضارة أخرى غريبة كل الغربة عن حضارته وقيمه، ونتيجة لما تركته هذه السموم في جسم الأمة، تعطلت حركة المجتمعات الإسلامية والعربية تعطلاً شبه تام، لأنها لن تستطيع متابعة مسيرتها كما قال مالك بن نبي رحمه الله، بعقول خاوية، أو محشوة بأفكار ميتة، وضمائر حائرة، وشبكة علاقات مخربة، لا تجمع عناصرها وحدة.

لما أفاقت الأمة من سباتها بعد أن تركها التاريخ تغط في نومها و تركها تتسلى بأحلامها التي تطربها حينا و تزعجها أحياناً: تطربها إذ ترى في منامها أبطالها الخالدين وقد أدوا رسالتهم، وتزعجها حينما تدخل صاغرة في سلطة جبار عنيد.

بعد ما أفاقت وجدت نفسها تعيش دون وعي، ودون تبصر، ودون إدراك لما يدور حولها من أفكار وقيم مادية، ووجدت نفسها أيضاً تدور في فلك حضارة غالبة غريبة كل الغرابة عن حضارتها وقيمها، يتبنى أبناؤها الكثير من القيم، والأفكار المادية الهدامة، وصاروا كالغراب الذي يسعى إلى تقليد الحمام في مشيته فنسى مشيته، لا هو حافظ على أصالته، ولا هو استفاد من الوافد.

إن ما تعانيه الأمة اليوم على مستوى الأفراد والمؤسسات، من ضعف وتخلف وتردي في مهاوي الفساد، على جميع الأصعدة السياسية، والاقتصادية، والإدارية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها، راجع بالدرجة الأولى إلى تنكر الأمة لدينها الحنيف، وعقيدتها العصماء، وقيمها الأصيلة، المنبثقة من دينها القويم، ولا يقيل الأمة من عثرتها هذه إلا بالرجوع إلى دينها، والتمسك بعقيدتها، والالتزام بقيمها، والاغتراف من نبعها الصافي، وهو القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، استجابة للأثر الوارد عن النبي ﷺ الذي يقول فيه: (**لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها**).

للوقوف على درجة فاعلية القيم الإسلامية في تفعيل أداء الأمة عامة، والتنظيمات الإدارية خاصة، مقارنة بالقيم المادية في المجتمعات الغربية، وصولاً إلى الأسباب المؤدية إلى ما وصلت إليه الأمة من تخلف حضاري، ومن ثم وصولاً إلى أسباب الخروج من هذه الأزمة والتي حددتها بدقة مصادر القيم الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فقد بين الباحث هذه الحقائق بشيء من التفصيل من خلال ما رصده من الأمثلة الواقعية التي لا تدع أي مجال للشك فيما طرحه الباحث من خلال ما تناوله هذا البحث.

مشكلة البحث: المشكلة التي يتناولها الباحث في هذا البحث بالدراسة والتحليل، تتمثل في إجراء مقارنة بين مفهوم القيم بين الفكرين الإسلامي والوضعي للوصول إلى تحديد درجة الأثر الذي تتركه القيم بالمفهومين على سلوك العاملين داخل منظمات العمل.

أهداف البحث: يسعى الباحث من خلال تناوله لهذا الموضوع إلى تحقيق مجموعة من الأهداف أهمها:

1. محاولة التعرف على الأثر الذي تتركه القيم بمفهومها الإسلامي و الغربي على السلوك الإداري.

2. يمكن لهذه الدراسة أن تضع يدها على مزايا الالتزام بالقيم الإسلامية،و ما تتركه من آثار ايجابية في تفعيل السلوك، وما يمكن أن تتركه القيم المادية من آثار سلبية على سلوك العاملين في المجال الإداري إذا ما تم الالتزام بها.

فروض البحث: هناك مجموعة من الفروض يبنى عليها البحث نذكر منها:

1 - إيجابية القيم الإسلامية في تفعيل السلوك الإداري راجعة إلى مصدر هذه القيم.

2 - سلبية القيم المادية في تفعيل السلوك الإداري راجعة إلى مصدر هذه القيم.

3 - وجود الرقابة الذاتية وثق العلاقة بين القيم الإسلامية والفاعلية.

4 - انعدام مفهوم الرقابة الذاتية في الفكر المادي أثر سلبا على فاعلية هذه القيم.

أهمية البحث: تنبع أهمية البحث من الأسباب التالية:

1 - تعثر العمل الإداري على مستوى العالم الإسلامي عموماً، وعلى مستوى العالم العربي خصوصاً.

2 - انعدام روح المسئولية في العمل الإداري على مستوى العالم العربي، لانعدام الفهم الصحيح للقيم الإسلامية.

3 - افتقار العامل الإداري على مستوى العالم الإسلامي للرقابة الذاتية لابتعاده عن القيم الإسلامية، مما أثر سلباً على عملية الأداء.

4 - قلة البحوث في هذا المجال.

5 - يوفر هذا البحث للمكتبة الجامعية معلومات تفيد الباحثين و الدارسين في هذا المجال.

6 - يعد هذا البحث خطوة على طريق استنهاض همم العامل الإداري على مستوى العالم العربي و العالم الإسلامي لتجويد أدائه.

منهج البحث: يعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي المتكامل، (التحليلي المقارن، والاستنباطي، والاستقرائي، والتاريخي) معتمداً في جمع المعلومات و البيانات على المصادر الأولية و الثانوية وصولا إلى المعلومة المطلوبة.

الدراسات السابقة: إن معظم الدراسات التي تم الإطلاع عليها من طرف الباحث، جميعها تتناول موضوع القيم من وجهة نظر واحدة، ومن زاوية تربوية، دون أي ربط بينها وبين العمل الإداري، والذي يتناوله موضوع بحثنا، فمعظم هذه الدراسات تناولت درجة تأثير القيم التربوية على الناشئة خصوصاً، من مرحلة الدراسة الأساسية إلى المرحلة الجامعية، كما تناولت هذه الدراسات أيضاً المناهج التربوية على مستوى العالم العربي خصوصاً، ومدى ترسيخها للقيم الدينية في نفوس النشء، ولذلك حاول الباحث جاهداً الوصول إلى بعض الدراسات التي تخدم من قريب أو بعيد موضوع البحث، ومن جملة هذه الدراسات، تم اختيار ما يلي:

1. دراسة خديجة محسن حسين مقبل[3] 1414هـ.

---

[3] خديجة محسن حسين مقبل، القيم التربوية في الأمثال القرآنية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1414 هـ.

الهدف من هذه الدراسة إستخراج الأمثال القرآنية ودراستها وتحليلها، في محاولة لاستنباط القيم التربوية منها، وإبرازها ثم تصنيفها، و قد أكدت هذه الدراسة أن القرآن الكريم باعتباره دستور المسلمين، يجمع بين صفحاته كل ما فيه صلاح الأمة الإسلامية خاصة و الإنسانية عامة.

2. دراسة نبيل صالح سفيان(4) 1995م.

الهدف من هذه الدراسة حسب وجهة نظر صاحبها، هو محاولة التعرف على الفروق القيمية لدى طلبة فرع جامعة صنعاء بمدينة تعز وفقاً لمتغيرات الجنس، والمستوى والتخصص.

3. دراسة عبد الله عامر مصطفى البركات(5): 1996.

أجريت هذه الدراسة في المدارس الأردنية لمرحلة التعليم الأساسي، لمادة اللغة الإنجليزية، من خلال رصد وتقويم المفاهيم والقيم المبثوثة بمناهج اللغة الإنجليزية،

و الهدف من هذه الدراسة هو الوصول إلى معرفة نوعية القيم التي يتلقاها تلامذة مرحلة الأساس من خلال مناهج مادة اللغة الإنجليزية.

4. دراسة عزيزة محمود عبد الحسيب رمال(6): 1414هـ – 1991م.

---

(4) نبيل صالح سفيان، القيم السائدة لدى طلبة جامعة صنعاء(فرع تعز)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة المستنصرية، صنعاء، 1995.

(5) عبد الله عامر البركات، المفاهيم و القيم بمناهج اللغة الإنجليزية بمدارس الأردن، رسالة دكتوراه، غير منشورة، الأردن، 1996.

(6) وضاحة محمد السويدي، تنمية القيم الخاصة، رسالة دكتوراه منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، مصر، 1989.

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة دور التربية الإسلامية في تنمية القيم الإسلامية، و هي عبارة عن دراسة نظرية.

5. دراسة عبد الغفار بن محمد شريف بن عبد الله الشيزاوي: 1996م.

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مجموعة القيم التي تسعى كتب القراءة غرسها في أطفال المرحلة الابتدائية في سلطنة عمان.

6. دراسة عبد اللطيف ديوان قائد: 1998م.

الهدف من هذه الدراسة محاولة التعرف على الحالة العقدية لطلبة الجامعات اليمنية، من خلال دراسة وصفية تحليلية – دراسة ميدانية–.

7. دراسة وضاحة علي السويدي: 1989.

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة إعداد إطار قيمي مقترح لمنهج التربية الإسلامية لمرحلة الإعدادية بدولة قطر، من خلال وضع و اقتراح منهج خاص بمادة التربية الإسلامية لتلميذات مرحلة الأساس.

8. دراسة منيرة محمد ساتي: 1420هـ – 1999م.

الهدف من هذه الدراسة محاولة توضيح مدى أو درجة فاعلية القيم الإسلامية التربوية في إعداد الإداري المسلم.

* الملاحظ في هذه الدراسات جميعاً، أنها أحادية الجانب أي تنظر إلى القيم من وجهة النظر الإسلامية دون أدنى مقارنة بينها وبين القيم في المذاهب الفكرية المعاصرة، عكس ما ركز عليه الباحث في دراسته المقدمة من خلال إجراء مقارنة بين فاعلية القيم الإسلامية في تفعيل أداء العاملين داخل منظمات العمل، وبين القيم المادية أو القيم وفقاً لمفهوم الفكر الغربي عموماً.

الإطار العام للبحث:

قسم الباحث هذا الموضوع إلى ثلاثة أبواب و يشتمل كل باب على فصول والفصول على مباحث، والمباحث على مطالب.

ففي الباب الأول تناول الباحث القيم من خلال دراسة نظرية تحليلية، ويشتمل الباب الأول على فصلين:

الفصل الأول: تناول مفهوم القيم بين الفكر الإسلامي والفكر الوضعي إضافة إلى خصائص القيم وطبيعتها.

الفصل الثاني: تطرق فيه الباحث إلى كل ما يتعلق بالقيم من تصنيف وإمكانية قياس، وثبات وتغير، مصادر القيم ووسائل تنميتها، وأخيراً علاقة القيم بالثقافة والدين.

الباب الثاني: تناول هو الآخر موضوع القيم بين التصورين الإسلامي والوضعي، وقد قسم هذا الباب إلى فصلين:

الفصل الأول: تناول منهجية القيم الإسلامية في تشكيل العقل المسلم.

الفصل الثاني: تناول منهجية القيم المادية وبناء الفرد المعاصر.

أما الباب الثالث: فقد تطرق إلى أثر فاعلية القيم على السلوك الإداري بين المفهومين الإسلامي والوضعي.

وقد قسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تم فيه إعطاء نظرة موجزة عن الإدارة.

الفصل الثاني: تناول من خلاله الباحث موضوع السلوك الإداري بصورة تفصيلية مع المقارنة بين النظرة الإسلامية للسلوك الإداري والنظرة الغربية.

الفصل الثالث: تناول فيه موضوع أثر فاعلية القيم على السلوك الإداري من خلال ثلاثة مباحث رئيسية هي:

المبحث الأول:تم التطرق إلى موضوع القيم بين الفاعلية واللافاعلية من خلال إجراء عملية مقارنة بين درجة فاعلية كل من القيم الإسلامية والقيم الوضعية.

المبحث الثاني: كان بعنوان أثر القيم في بناء الشخص والمجتمع بين الفكرين الإسلامي والغربي.

وتناول المبحث الثالث: أثر القيم في تفعيل السلوك التنظيمي من خلال استعراض أهم النظريات السلوكية الحديثة، الوضعية التصور، مقارنة بنظرية السلوك التنظيمي من منظور إسلامي، ثم تناول الباحث بعد هذه الاستدلالات على فاعلية القيم الإسلامية ظاهرة التخلف الإداري التي تعاني منها الأمة منذ ردح من الزمن وما زالت، متطرقاً إلى الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي أدت إلى ظهورها، ثم موضحاً الأسباب أو العوامل المساعدة للخروج منها.

الخاتمة: وتتضمن ملخص ما ورد في هذه الدراسة المتواضعة، وما تم التوصل إليه من نتائج، والتوصيات التي طرحها الباحث و التي يرى أنها ذات أهمية.

مستخلص الدراسة:

تعاني الأمة الإسلامية و العربية من تردي و سقوط مريع على مستوى العمل الإداري، مما أثر سلبا على جميع المستويات الأخرى الاقتصادية، والاجتماعية،

والسياسية، غيرها، و السبب في ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى تنكر الأمة لدينها، و ما يحمله من قيم البناء و الإصلاح، و استعاضة ذلك بقيم وافدة لا علاقة لها بدين الأمة، و معتقدها، على اعتبار أنها قيم التقدم، و التحضر، و الفاعلية، في حين أن القيم الإسلامية، هي قيم الجمود، و التخلف، و اللافاعلية.

الإشكالية التي تناولها البحث بالدراسة و التحليل تتعلق بقدرة القيم الإسلامية على تفعيل الأداء الإداري داخل منظمات العمل عامة، و الأفراد خاصة، من خلال مقارنتها بالقيم المادية، اعتمد الباحث لإثبات هذه الحقيقة، إجراء مقارنة بين ما يطرحه الفكرين الإسلامي و الغربي من قيم و مدى تأثير كل منها على أداء المنظمات الإدارية من خلال ما تحمله من عوامل التفعيل.

هدفت هذه الدراسة للوصول إلى درجة قدرة القيم الإسلامية من حيث الفاعلية، و تحمله من عوامل التفعيل قياسا بنظيرتها المادية، و للوصول إلى هذه النتيجة تم تقسيم البحث إلى مقدمة و ثلاثة أبواب:

الباب الأول: تم فيه التطرق إلى القيم من خلال دراسة نظرية تحليلية، مع أجراء مقارنة بين وجهتي النظر الإسلامية و الغربية، وصولا إلى أسباب الفاعلية و التي ترتبط بمصدر هذه القيم.

الباب الثاني: تمت فيه المقارنة بين المنهجية التي تتبعها القيم الإسلامية في تشكيل العقل الإداري، و بين منهجية القيم المادية في تشكيل عقلية الفرد المعاصر، و تأثير ذلك على العمل الإداري.

الباب الثالث: تم فيه تناول قضية الفاعلية و اللافاعلية في القيم بين الفكرين الإسلامي، و الغربي، مع التطرق لمحددات السلوك الإداري من خلال المقارنة بين

الفكرين، مع تناول أهم النظريات التنظيمية في الفكر الغربي، و النظرية الإسلامية للسلوك الإداري، وصولا إلى ما تعانيه الأمة من تخلف إداري و غيره رغم ما تملكه من إمكانات النهوض و التقدم.

خلصت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن القيم الإسلامية من حيث الفاعلية أهم من غيرها إذا ما توفرت لها الأسباب، خاصة المناخ الثقافي المساعد، و قد تم اقتراح منهج تربوي يساعد على الخروج من أزمة التخلف و الانهيار عامة، و الإداري خاصة.



الباب الأول

القيم دراسة نظرية تحليلية

الفصل الأول

القيم مفهومها، خصائصها، طبيعتها..

من الأمور المسلم بها من قبل الباحثين أن التعريف بأية ظاهرة من الظواهر، أو أي حقل من حقول المعرفة يمثل أصعب المهام وأكثرها دقة وخطورة، ذلك لأن التعريف في حقيقته يفترض اكتشاف حقيقة الموضوع الذي يتم بحثه، وتحديد كافة أبعاده وأهدافه أو غاياته العليا النهائية التي لم يكن لهذا الموضوع أن يوجد لولاها، وهي بذلك تمثل مبرر وجوده ومبرر حركته، بالتالي فإن التعريف يفترض فيه إخضاع الموضوع المعني لعمليات معقدة من البحث والتحليل العلمي الدقيق[7].

يفترض للإلمام بمفهوم مصطلح ما من المصطلحات إرجاع هذا المصطلح إلى إطاره الحضاري الذي ينتمي إليه ويعبر عنه، أو عن العلم الذي ينبثق عنه.

فالقيم كمفهوم حضاري لا يتسنى إدراك حقيقته وتحديد معناه بدقة إلا من خلال إرجاع هذا المصطلح إلى إطاره الحضاري أو منظومته الحضارية التي ينتمي إليها أو يعبر عنها، لأن وجود المصطلح وتحديد مفهومه بدقة ضرورة للتفاهم الدقيق بين عقليات أو تيارات المنظومة الواحدة، وضرورة كذلك للتفاهم بين العقليات والتيارات التي تنتمي إلى منظومات حضارية متباينة[8].

فمفهوم القيم يجب أن يوضح وفقا للمنابع الأصلية التي صدر منها هذا المصطلح، ووفقا لمصطلح القيم هناك أساسا منظومتين حضاريتين متباينتين ينتمي إليهما هذا المفهوم:

---

(7) عبد المعطي محمد عسان، مبادئ الإدارة العامة. (الرياض، مطابع الفرزدق، 1983م)، ص:15.

(8) محسن عبد الحميد، تجديد الفكر الإسلامي. (الطبعة الأولى، فرجينيا، المعهد العالي للفكر الإسلامي، 1996م). ص:35.

1 - مفهوم فكري يبحث عن الحقيقة من منطلق ثقافة حضارية ذات جذور أخلاقية وغيبية.

2 - مفهوم فكري يبحث عن حقيقة هذا المصطلح من منطلق ثقافة حضارة سيطرة ذات جذور تقنية مادية[9].

أما المفهوم الإسلامي للقيم يعتمد على مصدرين أساسيين: هما القرآن الكريم والسنة المطهرة وما تفرع عنهما من مصادر أخرى فرعية.

أما المفهوم الغربي (الوضعي) يعتمد على آراء الفلاسفة الغربيين ونظرتهم إلى القيم من حيث مصادرها العقلية والاجتماعية.

إن الاهتمام بتعريف القيم أو أي مفهوم من المفاهيم الأخرى لا يكون بهدف تلخيص معنى هذه المفاهيم في مفردات قليلة، بحيث يسهل حفظها واسترجاعها، بل إن أهمية التعاريف عادة ما تنبع من اعتبار هام ووحيد وهو تقديم تحديد للمحور الأساسي او للفكرة الأساسية التي يدور حولها الموضوع الذي نريد التعريف به، إن فهم هذا المحور وإدراكه يمثل أولى درجات المعرفة بذلك الموضوع وبدونه لا يمكن إجراء أية تحليلات يمكن أن تتسم بالدقة أو التكامل، ومن هنا يكون البدء بالتعريف عادة أولى خطوات البحث والدراسة[10].

---

(9) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي. (الطبعة الأولى إعادة، دمشق، دار الفكر، 2000م) ص: 17.

(10) د. عبد المعطي عساف، مرجع سبق ذكره. ص:155.

المبحث الأول

تعريـــــــف القيم.

المطلب الأول: القيم لغة:

ورد في القاموس المحيط للفيروز أبـادي: أن القيمـة بالكسرـ، واحـد القـيم، وماله قيمة إذا لم يدل على الشيء، وقومت السلعة استقمته، ثمنته[11].

أما معجم الرائد في تعريفه للقيمة يعطي جملة من المرادفات للقيمة نذكر منها:

- كل ذي قيمة.
- قيم المرأة زوجها.
- أمر قيم، مستقيم.
- الثمن الذي يعادل المتاع[12].

وورد في معجم الإصحاح أن القيمة واحد القيم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء يقال قومت السلعة[13].

---

(11) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، الجزء الرابع. (الطبعة الثالثة، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1302هـ) ص: 165.

(12) جبران مسعود، الرائد معجم لغوي. (الطبعة الخامسة، المجلد الثاني، بيروت، دار العلم للملايين، 1986م)، ص:1214.

(13) إسماعيل بن حماد الجوهري، الإصحاح، المجلد الخامس. (الطبعة الثالثة، القاهرة، 1982م)، ص:2017.

اما معجم العين للفراهيدي يعرف القيمة بثمن الشيء بالتقويم، نقول تقاوموا فيما بينهم، إذا انقاد، واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه[14].

أما ابن منظور في لسان العرب فيعرف القيمة بما يلي[15]:

القيمة: واحدة القيم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، نقول: تقاوموا فيما بينهم إذا إنقاذ الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه، والملة القيمة: المعتدلة، والأمة القيمة كذلك.

وفي التنزيل: (ذلك دين القيمة)، أي الأمة القيمة وكذلك في قوله تعالى: ﴿دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾، قال اللحياني قد قرئ "دينا قيما أي مستقيما، قال أبو اسحاق: القيِّمٌ هو المستقيم، و القيم مصدر ونشد ابن بري لكعب بن زهير.

فهم ضربوكم حين جرتم عن الهدى   بأسيافهم حتى استقمتم على القيم

إلا أن القيم كما ورد سابقا مصدر بمعنى الاستقامة والاعتدال، يقال: استقام له الأمر، وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾، أي في التوجه إليه دون الآلهة، وقام الشيء واستقام، اعتدل واستوى، وقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[16] معنى قوله استقاموا عملوا بطاعته ولزموا سنة نبيه ﷺ، وقال الأسود بن مالك، ثم استقاموا لم يشركوا به شيئا، وقال قتادة: استقاموا على طاعة الله[17].

---

(14) الخليل ابن أحمد الفراهيدي، معجم العين. (الجزء الخامس، القاهرة، دار مكتبة الهلال). ص:233 .

(15)ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني عشر.(الطبعة السادسة، بيروت، دار الفكر، 1997). ص:500-503.

(16) سورة الأحقاف، الآية.12.

(17) ابن منظور، مرجع سبق ذكره، ص: 498.

وتحمل كتب تفسير القرآن الكريم نفس المعنى الذي ورد في معاجم اللغة العربية لمصطلح القيمة ففي الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي تفسيرا لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾[18]، يرى الإمام القرطبي أن المقصود بالدين القيم هو دين الإسلام، وإقامة الوجه هو تقويم القصد و القوة على الجد من أعمال الدين، وخص الوجه بالذكر لأنه جامع لحواس الإنسان[19].

وورد في تفسير ابن عطية الأندلسي أن القيمة تعني ثبات في صلاح الحال ودوا ما في ذلك[20].

أما الإمام الطبري فيورد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الدينِ الْقَيِّمِ﴾، لطاعة ربك، والملة المستقيمة التي لأعوجاج فيها عن الحق[21].

و ورد في تاج العروس: ان القيمة بالكسر واحد القيم، وهو ثمن بالتقويم وأصله الواو لانه يقوم مقام الشيء ويقال: "ماله قيمة إذا لم يدم على الشيء ويثبت وهومجاز، وقومت السلعة تقويما، وأهل مكة يقولون استقمته أي ثمنته...، ومنه حديث ابن عباس إذا استقمت بنقد فبعت بنقد فلا بأس به وقال أبو عبيد استقمت بمعنى قومت، واستقام الأمر اعتدل... وقومته أي أعدلته فهو قويم ومستقيم[22]".

---

(18) سورة الروم، الآية: 42.

(19) الإمام االقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء الثالث. (الطبعة الثانية، القاهرة، دار الشعب 1372). ص: 34.

(20) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، الجزء الثالث. (الطبعة الأولى، الدوحة، 1982). ص:498.

(21) الإمام الطبري، جامع البيان، الجزء الواحد والعشرون. (بيروت، دار الفكر، 1405هـ). ص: 51.

(22) الإمام الزبيدي، تاج العروس، المجلد التاسع. (الطبعة الأولى، القاهرة، المطبعة الخيرية، 1306). ص: 36.

المطلب الثاني: القيم إصطلاحا:

لم يأخذ مصطلح "القيم" من وجهة نظر واحدة لتحديد مفهومه و معناه، فقد كثرت واختلفت تعريفاته نظرا لاختلاف وجهات النظر التي تناولت هذا المفهوم ولتعدد المدارس التي استهدفت تحديد مفهوم مصطلح القيم من جهة، والمصادر التي اعتمدت عليها هذه المدارس في تحديد أصل وأساس هذه القيم من جهة أخرى، وتوضيحا لذلك يمكننا استعراض بعض أهم التعاريف التي وردت في كتابات الأساتذة والعلماء المتخصصين في مجال علم النفس الاجتماعي والتربوي، حيث نجد على سبيل المثال:

1- القيم حسب مفهوم مدارس علم النفس الاجتماعي هي اتجاهات مركزية نحو ماهو مرغوب أو غير مرغوب، أو نحو ما يصلح وما لا يصلح، وهذه الاتجاهات قد تكون حبا أو كراهية أو ميلا أو نفورا من مواقف وموضوعات وأشخاص أو أي جوانب أخرى مثل الأفكار المجردة والسياسات الاجتماعية.

2- يعرف الأستاذ "دومنيك بارودي" القيمة بأنها: ناتج حكم تقديري، إنها تؤكد القابل للرغبة في مقابل ما يرغب، فهي إذن أكثر من ذلك البريق الذي يصحب العقل و يوجهه أثناء الوقت الذي يتم فيه[23]، إنها فكرة بالمعنى الحقيقي، فكرة عملية من غير شك، أي تشير إلى فعل مقبل ولكن متميز من تحقيقه.

---

(23) عبد الرحمان بدوي، الأخلاق النظرية. (الكويت، وكالة المطبوعات، 1975). ص:30-31.

3- والقيم كما يراها أحد الأساتذة[24] هي:" المثاليات، والاعتقادات، والاتجاهات التي يتبناها الأفراد، والتي تحكم العلاقات الشخصية، والاجتماعية، والسياسية على مستوى الفرد والجماعة الصغيرة والمجتمع، وتنعكس القيم من خلال الممارسات والسلوك ونظم الحكم والقوانين و التشريعات الأخرى".

4- ويمكن القول أيضا أن القيم احكام يصدرها الإنسان على الأشياء من موقع تأثرنا بهذه الأشياء وتأثيرنا فيها أو من واقع خبراتنا بها في مواقف معينة، فالقيمة مسألة إنسانية وشخصية وليست شيئا مجردا مستقلا في ذاته عن سلوك الشخص بل هي متغلغلة فيها لأنها تنبع من نفسه ورغباته[25].

5- كما تعرف القيم من الناحية الاجتماعية على أنها[26]:" تلك الأحكام المعيارية التي توجه السلوك الانتقائي، و التي تحسم للاختيار الإنساني في مواقف بعينها، فالقيم بهذا المعنى قد تنطوي على المصالح والمنافع والالتزامات والواجبات الأخلاقية وغير ذلك من أنماط التوجيه الانتقائي".

والجدير بالذكر أن أكثر التعريفات قبولا وانتشارا في التراث الاجتماعي الغربي هو ذلك الذي يفهم القيم بوصفها تصورات للمرغوب وتؤثر في السلوك الانتقائي للإنسان.

---

(24) خالد سر الختم السيد، الإدارة في الإسلام منهج سلوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية الجزء الثاني، 1997. ص:559.

(25) عبد الجواد السيد بكر، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف. (القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ). ص: 83.

(26) لويس كامل مليكة، قراءات في علم النفس الاجتماعي في الوطن العربي. (القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 1979م). ص: 57-58.

6- أما الدكتور سعد عبد الرحمن في كتابه[27]: "السلوك الإنساني تحليل وقياس المتغيرات"، يعرف القيم بأنها: مجموعة من الديناميات التي توجه سلوك الفرد في حياته اليومية، وهي تمثل الوحدات المعيارية في الضمير الإجتماعي للفرد الذي يستخدمه في الحكم على الأحداث والأشياء مادية كانت أم معنوية، وهي تمثل دائما نوعا ثابتا من الضغوط الاجتماعية التي تؤثر على سلوك الإنسان تأثيرا مباشرا، وتعليل ذلك أن معظم القيم في جميع المجتمعات الإنسانية مشتقة من المواقف أو المصادر ذات القدسية الخاصة مثل الأديان والعقائد وتراث الآباء والأجداد.

والقيم ليست أشياء مجردة مستقلة عن الأشياء التي ترتبط بها مفاهيم الأفراد، وإنما هي موجهات للسلوك الإنساني وضوابطه التي تضبط هذا السلوك[28]، وهي تعتبر الإطار المحدد له، فهي التي تشكل السلوك الفردي والاجتماعي (الجماعي)، وفهم قيم الفرد فهما حقيقيا وسيلة من وسائل فهم الشخصية، وتغيير القيم لا بد أن يؤدي إلى تغيير السلوك، فهي ذات تأثير واضح في توجيه سلوك الفرد، وهي أعمق في تركيب الشخصية، وأقل قابلية للتغيير[29].

7- يعرف قاموس الاجتماع (فيرتشايلد) القيم الاجتماعية بأنها مواضيع تتعلق بها النفس، وتشعر بالحاجة إليها أو باستحسانها أو بضرورتها...، وقد تكون هذه المواضيع حية أو غير حية، مصنوعة أو غير مصنوعة، والمهم أنه يوجد اتفاق عام

(27) سعد عبد الرحمن، السلوك الإنساني. (الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، 1971). ص: 510.

(28) فاروق الدسوقي، مقومات المجتمع الإسلامي. (الطبعة الثالثة، بيروت، المكتب الإسلامي، 1986). ص: 62.

(29) عباس محمود عوض، القيادة والشخصية. (بيروت، دار النهضة العربية، 1986). ص: 171.

على أهميتها في المجتمع، والقيمة كقاعدة سلوكية مشتركة أو معيار اجتماعي يقول "جلين فرنون Glenn Vernon": "أن الحكم القيمي يتضمن أن هناك ما يجب على الناس (جماعات كانوا أو أفرادا) أن يفعلوه لأنه حسن، أو واجب، أو جميل، أو ضروري...، ومن ثم كانت القيمة تتصف بالمعيارية"[30].

ويرى بعضهم بأن القيم يراد بها المبادئ السليمة ومجموعات الفضائل التي هي وليدة الدين الصحيح لتوجيه سلوك الإنسان[31].

كما يرى البعض أن القيم جمع قيمة وهي القدر والوزن، ومدى النفاسة وسمو المرتبة ورجحانها إذا تجاوزت المستوى المادي الصرف وقد تستعمل بمعنى الفضيلة أو المكرمة أو المثال السامي المنصب ليحتذى ويهتدى به استنتاجا من حديث الرسول ﷺ **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)** وهي بهذه المثالية تشكل قوانين ومبادئ عامة في ضوئها توزن الأفكار والأعمال والإنجازات والمشروعات وكذلك النيات والخواطر والمشاعر[32].

ويعرف الأستاذ صابر سليمان القيم الإسلامية بأنها: نسق من المعايير الثابتة للسلوك الإنساني التفضيلي تتجسد في ممارسات سلوكية لفظية أو حركية مباشرة أو غير مباشرة صريحة أو ضمنية، تهدف إلى تحقيق أمر مرغوب فيه، وهي تكون جزءا

---

(30) محمد محمد الزلباني، القيم الاجتماعية، الكتاب الأول. (القاهرة، مطبعة الاستقلال الكبرى، 1972-1973). ص: 8-9.

(31) علي الجمبلاطي وأبو الفتوح التوانسي، الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية و التربية الإسلامية. (القاهرة، دار النهضة، 1971). ص:583.

(32) محمد كمال إبراهيم جعفر، في الفلسفة الإسلامية. (الطبعة الأولى، الكويت، مكتبة الفلاح، 1406هـ 1986م). ص: 314.

أساسيا من الثقافة الإسلامية، وتنتقل عبر الأجيال عن طريق أجهزة التنشئة الاجتماعية، وتفاعلات الأفراد بعضهم مع بعض وتنبع القيم الإسلامية من العقيدة الصحيحة وترتبط بها ارتباطا وثيقا، وهي مقبولة ومنبثقة من الفطرة البشرية عند سلامتها من المؤثرات الخارجية، وتهدف إلى تغيير سلوك الفرد والجماعة نحو الأفضل.

أما كامل المغربي فيعرف القيم على أنها تدل على أنواع المعتقدات التي يحملها شخص أو مجموعة أو مجتمع بأسره ويعتبرها مهمة، وملزم بها، وتحدد له عادة الصواب من الخطإ، الصالح من الطالح، الجيد من السيئ، والمقبول من المرفوض في السلوك الإنساني[33].

أما الدكتور قميحة يعرف من جهته القيم الإسلامية على أنها، مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه، وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة[34].

من خلال هذه التعاريف المختلفة اختلاف وتنوع الاتجاهات والمدارس الفكرية التي حاولت تحديد مفهوم القيم من حيث الاصطلاح توصل الباحث إلى تعريف حاول من خلاله التوفيق بين مختلف التعاريف السابقة مراعيا في ذلك قناعته الفكرية والعقدية،

---

(33) أحمد إسماعيل مقبل ناجي، مدى توفر القيم الخلقية في منهج التربية الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، رجب 142هـ— 1999م. ص: 15-16.

(34) جمال محمود الشاعر، القيم والاتجاهات كأساس للمنهج، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، 1997م. ص: 168.

فالقيم من وجهة نظر الباحث هي:" أحكام معيارية لتحديد المرغوب من الأهداف والوسائل والمرغوب عنها، وهي مثاليات واعتقادات إنسانية شخصية ليست مجردة تشكل في أساسها قوانين ومبادئ من خلالها تقيم الأفكار والأعمال والإنجازات وكذلك النيات والمشاعر والخواطر، كما تحكم العلاقات فردية كانت أم جماعية في جميع مناحي الحياة، وتتجسد من خلال الممارسات السلوكية لفظية كانت أم حركية، مباشرة أم غير مباشرة، صريحة أم ضمنية، وهي جزء أساسي من الثقافة السائدة ".

المبحث الثاني

خصائص القـــــيم.

من خلال التعاريف السابقة التي وردت بشأن القيم، والمختلفة اختلاف المدارس الفكرية التي تناولت هذا المفهوم بالدراسة والتحليل يمكن توضيح بعض هذه الخصائص مجملة فيما يلي:

1 - أن القيم عموما تتغلغل في نفوس الأفراد أو الجماعات وتترجم سلوكيا إما صراحة يشار إليها بشكل مباشر، أو ضمنا من خلال الاستدلال عليها من نتائج السلوك، شعوريا أو لا شعوريا، مما يجعلها تعمل كدوافع ذاتية للسلوك الفردي أو الجماعي، لتحقيق أهداف معينة.

2 - المناخ الثقافي يلعب دورا هاما أو أساسيا في تكوين قيم الفرد والجماعة، فثقافة الغرب ثقافة السيطرة ذات الجذور التقنية رسخت في الفرد والمجتمع القيم المادية، أما ثقافة الشرق ثقافة حضارة ذات جذور أخلاقية وغيبية[35] رسخت في الفرد والمجتمع قيم روحية مرتبطة بالسماء، فهي إذن علاقة بين الفرد وبيئته الثقافية، والاجتماعية وغيرها، و لكي نفهم هذه العلاقة يمكننا تصور فردين مختلفين في الوظيفة وفي الظروف الاجتماعية، ولكنهما ينتميان لمجتمع واحد، كطبيب انجليزي، وراعي إنجليزي مثلا، ومن ناحية أخرى نتصور فردين متحدين في العمل والوظيفة ولكنهما ينتميان إلى مجتمعين مختلفين في درجة

---

(35) مالك بن نبي، مرجع سبق ذكره. ص:17.

تقدمهما وتطورهما، فالأوليان يتميز سلوكهما بتماثل معين في الرأي يتجلى فيه ما يسمى بالثقافة الإنجليزية، بينما يختلف سلوك الآخرين اختلافا عجيبا، يدل على طابع الثقافة الذي يميز أحد الرجلين على صاحبه[36].

3 - تعدد معايير وأهداف توجد لدى جميع المجتمعات باختلاف مستوياتها من حيث القدم والحداثة، فقيم الصدق، والأمانة، المحبة، الرحمة، والعدل وغيرها مازالت تحتفظ بمكانتها في نفوس الناس منذ أقدم العصور من عصرنا هذا رغم الاختلاف والتغير الذي طرأ على الحياة الإنسانية بين الأمس البعيد واليوم اختلافا وتغيرا لا مجال للمقارنة بينهما، وكذلك محافظة القيم على مكانتها أيضا في نفوس الناس وبين مختلف المجتمعات رغم تفاوتها في درجة التخلف والتقدم أو التحضر.

4 - إنها مكتسبة شانها شأن الميول والاتجاهات وهي مسألة اعتقادية تتضمن نداء موجها إلى ضمائرنا مما يجعلها طاقة دافعة لإصدار أحكام على موضوعات أو أفكار أو مواهب.

5 - القيم من حيث عموم معناها منها الصالح الإيجابي الذي يسهم في الرقي الحضاري لأمة كقيم الصدق والأمانة، العفة، والعدل، المساواة وغيرها، و منها ما هو سلبي يعيق مسيرة الأمة ويعرقل حركتها نحو الرقي الحضاري كالكذب، والخيانة، والظلم والجور وغيرها.

---

(36) مالك بن نبي، شروط النهضة. (الطبعة الرابعة – إعادة – دمشق، دار الفكر، 0 142هـ – 2000). ص: 89.

6 - أن لها وجودا مستقلا قائما بذاته، وجودا مثاليا لا يخضع لأية حدود زمانية كانت أم مكانية، كما أنها مطلقة وغير مشروطة بأي شرط.

إضافة إلى هذه الخصائص والمميزات التي تشترك فيها جميع القيم، نرى أن القيم الإسلامية تمتاز على غيرها بمميزات تفرقها على غيرها، من أهم هذه الميزات نذكر ما يلي:

1- **الربانية:** تمتاز القيم الإسلامية على غيرها من القيم بما لها من صفة الربانية وصبغة دينية تفرغ عليها قدسية لا نظير لها، وتغرس في معتنقيها حبها واحترامها، هذا الاحترام النابع من الإيمان وبكمالها وسموها وخلودها ولأن ميزة الربانية تقتضي أمران:

- ربانية الغاية والوجهة.
- ربانية المصدر: أي أنها من عند الله سبحانه وتعالى خالق الخلق أجمعين[37].

2- **الشمول:** تمتاز القيم الإسلامية على غيرها من القيم بخاصية الشمول هذا الشمول المستمد من شمول الاسلام عقيدة وشريعة، شمولا يتجاوز حدود الزمان والمكان ويستوعب الحياة كلها، يستوعب كيان "الإنسان كله، إنها قيم الماضي والحاضر والمستقبل، شمول لم يدع أو يغفل جانبا من جوانب الحياة الإنسانية الروحية منها والجسدية، الدينية والدنيوية، العقلية والعاطفية، فردية أو جماعية إلا ورسمت له منهجا أمثلا للسلوك.

3- **الوسطية:** وخاصية الوسطية من أهم الخصائص التي تميز القيم الإسلامية لأن تحقيق الوسطية والاعتدال أكبر من أن يقدر على تحقيقه الإنسان بعقله المحدود،

---

(37) يوسف القرضاوي، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. (القاهرة، مكتبة وهبة، 1990).ص:89.

وعلمه القاصر، فضلا عن تأثير ميوله ونزعاته الشخصية والأسرية، والحزبية، والإقليمية، والعنصرية وغلبتها عليه، شعر أم لم يشعر، ولهذا لا يخلو نظام أو منهج قيمي يضعه الإنسان فردا أو جماعة – كما يزعم فلاسفة الأخلاق الغربيون- من الإفراط أو التفريط، فالقادر على تحقيق الوسطية والاعتدال بكل ما تحمله هذه الخاصية من معنى هو الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا، وأحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، ووسع كل شيء رحمة وعلما، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[38]، ورد في الأثر عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال:(**خير الأمور أوساطها و شرها أطرافها**)[39].

4- **الواقعية**: اعتبرت القيم الإسلامية خاصية الواقعية مراعاة لطبيعة البشر، فاعترفت بما يعتري الانسان من ضعف، وبواقعه وحاجاته المادية والنفسية، فلم توجب عليه ما ينافي إنسانيته، فلم تحرمه مثلا من التملك والتمتع بطيبات الحياة الدنيا كما فعلت المسيحية، أن المسيح عليه السلام قال لمن أراد إتباعه: "بع مالك واتبعني"، ولا قال القرآن ما قال الانجيل "إن الغني لا يدخل ملكوت السماوات حتى يدخل الجمل في سم الخياط".

بل راعى الإسلام من خلال ما يحمله من قيم حاجة الفرد إلى المال والمجتمع أيضا واعتبره قوام الحياة، وأمر بتنميته والمحافظة عليه، حتى أن القرآن امتن بنعمة المال والغني في قوله تعالى مخاطبا رسوله ﷺ: (**ووجدك عائلا فأغنى**)[40]، وقال ﷺ": (**ما**

---

[38] سورة الرحمن، الآيات: 5-6-7.

[39] أبو حيان التوحيدي، المقابسات. (الطبعة الأولى، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، 1347هـ، 1929).ص:94.

[40] سورة الضحى، الآية: 8.

نفعني مال كمال أبي بكر)[41]، وقال لعمرو بن العاص: (**نعم المال الصالح للرجل الصالح)**[42].

5-**خاصية الوضوح:** من الأصول الإسلامية الواضحة ما يتعلق بالجانب الأخلاقي، فأمهات الفضائل التي أمر بها الشرع وحث عليها معروفة غير منكورة، وأمهات الرذائل التي حذر الشرع منها ونهى عنها معلومة غير منكورة، فلا يجهل مسلم أن الإسلام بارك فضائل الصدق، الأمانة، والوفاء، والصبر، العفاف، والحياء، والسخاء والشجاعة وغيرها، ولا يجهل مسلم أن الله ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، ولا يحب الفساد في الأرض، ولا يحب الخائنين [43]، كما أن الرسول ﷺ حدد معالم النفاق والمنافق بما يتصف به من رذائل كالكذب في الحديث، وخيانة الأمانة، والفجور في الخصام، وإخلاف الوعد، حيث قال ﷺ: (**آية المنافق ثلاث:إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف و إذا اؤتمن خان)**[44].

ولا يتوقف دور هذه الخصائص عند التفريق بين القيم الإسلامية وغيرها من القيم، بل حددت للقيم الإسلامية وظائف تقوم بها، من جملة هذه الوظائف:

أ. التوحد: باعتبارها تشكل قاسما مشتركا بين جميع أفراد المجتمع المسلم فتتوحد المجتمعات والشعوب والأمم نتيجة لتوحد المنظومة القيمية التي تؤمن بها وتعتنقها، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ

---

[41] الإمام الطبري، مرجع سبق ذكره، الجزء الثالث. ص: 418.

[42] نفس المرجع. ص : 418.

[43] يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام.(الطبعة السادسة، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1409هـ- 1988م) . ص: 192 – 193.

[44] مسلم، صحيح مسلم، الجزء الأول، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ). ص:78.

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[45]، و قوله صلى الله عليه و سلم (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**)[46].

ب. تزكية النفس وتحليتها بالقيم والأخلاق الفاضلة والرقي بها في مدارج الإيمان الذي يرتفع بها إلى مرتبة الصالحين والوصول بها إلى درجة التمييز بين الخير والشر، والبعد بها عن التد سية، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[47].

ح- وظيفة الخلافة في الأرض: وهي من مظاهر التكريم الإلهي للإنسان على غيره من المخلوقات حتى الملائكة المقربين لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾[48]، وهذه الوظيفة وهذا التكريم مشروط بثلاثة شروط فبدونها لا تتحقق وظيفة الاستخلاف، هذه الشروط ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[49]، فالآية الكريمة تحمل مجموعة من القيم: قيم تنظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وقيم تنظم علاقة الإنسان بنفسه التي بين جنبيه، وأخيرا قيم تنظم علاقة الإنسان بخالقه، وبالكون المسخر لخدمته.

---

[45] الحجرات، الآية: 13.

[46] الإمام النووي، رياض الصالحين. (بيروت، دار الكتاب العربي، 1973م) ص: 118-119.

[47] سورة الشمس، الآيات: 7-8-9-10.

[48] سورة البقرة، الآية: 29.

[49] سورة، ص، الآية: 25.

المبحث الثالث

طبيعة القـــــيم.

اختلفت آراء الباحثين حول طبيعة القيم، هل هـي مسـتقلة في وجودهـا عـن العقل المدرك لها، أم أنها من صنع العقل ذاته؟ وهل هذه القيم مطلقة لا تقيدها حـدود زمانية أم مكانية، أم نسبية، نسبية مدركات العقل البشري أم مطلقة؟، كذلك هل هـي ثابتة لا تتأثر بتغير الزمان والمكان وأحوال الناس أم متغيرة بتغير الحياة البشرية؟.

ذهب علماء وفلاسفة الأخلاق الغربيون في تحديد طبيعة القيم مذاهب شـتى، فالمثاليون العقليون بصفة عامة يرون أن القيم صفات عينيـة كامنـة في طبيعـة الأقـوال وذلك في مجال المعرفة، أو في طبيعـة الأفعـال وذلـك في مجـال الأخـلاق، أو في طبيعـة الأشياء وذلك في مجال الفنون[50]، وما دامت هذه الصفات كامنة في طبيعة الأقـوال، أو الأفعـال، أو الأشـياء فهـي ثابتـة لا يطـرأ عليهـا أي تغيـيرمهما تغـيرت الظـروف أو الملابسات أو الزمان، وفي مقابل هذا الرأي يرى الفلاسفة الطبيعيون مـن الحسـيين، و الوضعيين، والبراجماتيين، والوضعيين المنطقيين أن القيم أمور نسبية غـير ثابتـة مردهـا إلى الإنسان، فهي صفات يخلعها العقل فردي كـان أم جمعـي عـلى الأقـوال والأفعـال والأشـياء ولـذلك يعتريهـا التغيـير والتبـديل وتختلـف بـاختلاف الأزمنـة والأمكنـة والظروف والأحوال.

---

(50) محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق. (الطبعة الرابعة، القاهرة، دار الفكر العربي، 1993). ص: 139.

أما نظرة الإسلام للقيم من حيث طبيعتها، تتسم بالكمال لأنها تنبع من المذهبية الإسلامية الكاملة، ولأن مصدرها هو الله تعالى، الذي يعلم خبايا النفس البشرية، وكذلك علمه المطلق بالكون وسننه، لأنه الخالق لكل شيء، والعالم بكل شيء، الذي جعل السنن والقوانين التي تحكم الحياة والأحياء مطردة لا تتبدل ولا تتغير، شأنها في ذلك شأن القوانين التي تحكم الوجود الكوني المادي، وإن دقت وخفيت وصعب على العقل البشري أو تأخر في اكتشافها، قال تعالى: ﴿ ...وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً * ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾[51].

إن الإسلام هو الذي حرر الإنسان من عبودية نفسه وأهوائه، ورسم له طريق الهداية من الضلال، وأمده بالأسباب الهادية إلى التصور الصحيح للحياة والأحياء، وأنقذه من الانشطار الثقافي بين الوحي والعقل، وخلص العقل من أن يكون مملا للصراع والتبعثر والتفتت، ولعل قضية الإيمان بالله الواحد الأحد، واهب القدرات، وخالق المؤهلات، والهادي إلى طريق الصواب، هي التي تضفي صبغة الكمال على طبيعة القيم الإسلامية،﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[52]

والإشكالية التي وقع فيها الفكر الغربي في تحديد طبيعة القيم بشكل عام، هي في الخلط بين القيم والمبادئ كأطر، ومرجعيات، وضوابط، وموجهات، ومعايير متأتية من معرفة الوحي المعصوم الخالد المجرد عن حدود الزمان والمكان، وبين ما توصل إليه العقل البشري مع ما يعتريه من نقص وضعف في إدراك كنه وحقيقة الأشياء.

---

[51] سورة فاطرالآيتين: 43-44.

[52] سورة البقرة، الآية: 137.

فالقيم لا بد لها من جذور ومصادر تستمد منها قوتها وطبيعتها وقوام حياتها وبقائها، فعلى قدر قوة المصدر تكون قوة القيمة، وعلى قدر ضعفه يكون ضعف القيمة أيضا، كما أن القيم بطبيعة تكوينها يتحدد مقدار ما تحمله من شحنات تعمل كدوافع ديناميكية تحرك مكامن قوة "الإنسان"، وتطبع سلوكه وتصرفاته بطابع يتناسب مع تلك الشحنات التي تحملها، ودرجتها من القوة والضعف، أو من السلامة أو الشذوذ، أو من الخير أو الشر وغيرها، وكم كان دقيقا ذلك الوصف الذي وصف به الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله الثقافة باعتبارها وعاء للقيم وناقل لها من جيل إلى جيل حين شبه الثقافة بالدم المغذي لجسم الإنسان كما أن القيم مغذية لجسم المجتمعات والأمم فقال: "إذا أردنا إيضاحا أوسع لوظيفة الثقافة فلنمثل لها بوظيفة الدم، فهو يتركب من الكريات الحمراء والبيضاء، وكلاهما يسبح في سائل واحد من (البلازما) ليغذي الجسد، فالثقافة هي ذلك الدم في جسم المجتمع، يغذي حضارته ويحمل أفكار النخبة كما يحمل أفكار العامة، وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة، والأدوات المتناسبة[53].

إذا كانت الثقافة من الناحية الفكرية بمثابة الدم من الناحية الفيسيولوجية الذي يغذي الجسم ويسري في أوصال المجتمع، فإن حال هذا المجتمع مرهون بطبيعة ذلك الدم، فإن كان الدم نقيا خاليا من الجراثيم ومشبعا بعناصر القوة والعافية، كان ذلك من أسباب صحة المجتمع ونمائه، وإن كان الدم محملا بالجراثيم الناقلة للمرض آلت حالة المجتمع إلى الضعف والانهيار، فحال الدم كحال الثقافة وما تحمله من عناصر القوة، و الوحدة، و الانسجام، و التوافق بين جميع عناصر المجتمع، مما يعطي

(53) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره. ص:93.

الحماية والمنعة لأفراده، ومدار الأمر كله راجع إلى طبيعة القيم التي يتحلى بها المجتمع عموما وأفراده خصوصا.

الفصل الثاني

القيم دراسة تحليلية.

المبحـــث الاول

تصنيف القــــــيم.

المطلب الأول: تصنيف القيم من منظور وضعي.

يمكن تصنيف القيم وتقسيمها إلى أنواع[54]:

1 - على أساس المحتوى: القيمة الدينية، القيمة النظرية، القيمة الاقتصادية، القيمـة الجمالية، القيمة الاجتماعية.

2 - على أساس المقصد: قيم وسائلية، وقيم غائية.

3 - على أساس الشدة: قيم ملزمة (آمرة وناهية)، قيم تفضيلية، و قيم مثالية.

4 - على أساس العمومية: قيم عامة، وقيم خاصة.

5 - على أساس الوضوح: قيم ظاهرة (صريحة)، قيم ضمنية.

6 - على أساس الدوام: قيم دائمة (نسبية)، قيم عابرة.

أما شيلر فقد قدم ثبتا بمراتب القيم مصنفا على النحو التالي:

---

[54] د. عبد الجواد السيد بكر، مرجع سبق ذكره. ص:86.

أ.قيم الشخصية وقيم الأشياء.يقصد بقيم الشخصية، كل القيم التي تتعلق مباشرة بالشخصية نفسها مثل قيم الفضيلة،ويقصد بقيم الأشياء، كل القيم المتعلقة بالأشياء ذات القيمة مثل الخبرات، وبهذا المعنى فإن القيم الشخصية هي في جوهرها قيم أسمى من قيم الأشياء.

ب-قيم الذات، وقيم الغير.

ج- قيم الفعل وقيم الوظيفة، أو قيم رد الفعل.

- إن قيم الفعل أو الأفعال مثل: أفعال الحرية، وأفعال الحب والكراهية، الأفعال الإرادية.
- والوظائف مثلا، (السمع، البصر، الإدراك الوجداني...إلخ) و رد الفعل أوالإستجابة، مثلا (الاغتباط بشيء، التعاطف، الانتقام... إلخ).

د- قيم حال النفس، وقيم السلوك، وقيم النجاح. قيم الحال النفسي وقيم السلوك هي مجملها قيم أخلاقية بخلاف قيم النجاح.

هـ- قيم القصد، أو قيم الحال.إن قيم القصد أسمى من الحالات البحتة، مثل الأحوال الانفعالية الحسية والجسمية.

و- قيم الأساس، وقيم الشكل، وقيم العلاقة.إن عوالم القيم إما أن تكون الأشخاص نفسها، أو الشكل الذي عليه يرتبطون، أو العلاقة المعطاة على أنها تجربة حية في داخل هذا الشكل، فمثلا في الصداقة: الزواج يؤلف الأشخاص "الأساس"

للمجموع، ولدينا بعد ذلك "شكل" الارتباط، ولدينا ثالثا "العلاقة" (المعايشة تجربة حية)[55].

ز- القيم الفردية: والقيم الجماعية.

ي- القيم بذاتها، والقيم التبعية. من القيم قيم تحتفظ بطابعها التقويمي مستقلة عن سائر القيم، وقيم تتضمن إشارة ظاهرية إلى ظواهر أخرى بدونها تتوقف عن أن تكون قيما[56].

أما الأستاذ لافل فيميز بين ثلاثة أصناف من القيم هي:

أ- قيم الإنسان والعالم وهي القيم الاقتصادية وهي شروط لقيم من نوع أعلى، وقيم العاطفية (Affectives) وهي ترتبط بقيم من أنواع مختلفة.

ب- قيم الإنسان تجاه العالم: وهنا يميز بين نوعين من القيم: قيم عقلية: وهي المتعلقة بمعرفة الأشياء وتفسير الظواهر ومعناها بالنسبة إلينا.

وقيم جمالية: "تكون في اللذة النزيهة يزودنا بها المنظر المحض للأشياء".

ج- قيم الإنسان فوق العالم وتشمل القيم الأخلاقية التي تتضمن الفعل في الواقع الموضوعي وتحويل العالم المادي، ثم القيم الروحية أو الدينية ويبدو هذا -يقول لافل- أنها لا غاية لها سوى التقدم الخالص للشعور في علاقته بالله.

أما الدكتور عبد الستار نصار يقسم القيم أولياً إلى قسمين:

---

(55) عبد الرحمن بدوي، مرجع سبق ذكره. ص: 106-107.

(56) نفس المرجع. ص: 108.

القيم المادية، والقيم المعنوية.

الأولى: القيم المادية: وتعني تقدير الأشياء المادية ويظهر هذا في الجانب الاقتصادي بشكل واضح.

الثانية: القيم المعنوية: وتعني تقدير الأشياء المعنوية، وهذه بدورها تنقسم إلى ثلاثة أقسام.

1 - قيم عقلية: وهي التي تتعلق بالحق كتقويم البرهان في دلالته على المطلوب. وبيان قيمة نظرية من النظريات العلمية، والحاكم فيها هو العقل.

2 - قيم جمالية: وهي التي تتعلق ببيان ما في الأشياء من درجة الجمال، كتقويم لوحة فنية أو قصيدة شعرية، أو قطعة موسيقية، والحاكم فيها هو الذوق.

3 - قيم أخلاقية: وهي التي تتعلق بالحكم على الأفعال من حيث خيريتها، والقيمة بالمعنى الأخلاقي تعني ما هو جدير بأن يطلب[57].

أما عالم النفس الأمريكي "روكيش" يميز بين نوعين من القيم:

1 - القيم النهائية: وهي التي يراها الغاية النهائية للوجود والتي تستحق الكفاح من أجلها شخصياً واجتماعيا مثل قيم الحرية، والأمان، والعدالة الاجتماعية، والسعادة....الخ.

2 - القيم الأدائية: مثل الحب، والتسامح، والنظافة، والشجاعة.....الخ، وهو يراها أقل أهمية من الأولى ويمكن اكتسابها بالتعلم والتوجيه.

---

(57)عبد الستار نصار، دراسات في فلسفة الأخلاق. (الطبعة الأولى، الكويت، دار العلم، 1982). ص:227-228.

أما سبر ينجر فيرى أن الناس يوزعون بين ستة أنماط للشخصية:

1 - النمط النظري، وتتحكم فيه القيم النظرية بمعنى أنه تسيطر عليه الرغبة في اكتشاف الحق.

2 - النمط الاقتصادي: وتتحكم فيه القيم النفعية.

3 - النمط الجمالي: وتتحكم فيه قيم التناسق والتماثل وما إليها من قيم الشكل.

4 - النمط الاجتماعي: وتتحكم فيه حبه للناس، الناس عنده غايات لا وسائل إلى ما هو أبعد منهم.

5 - النمط السياسي: تهمه أولا وقبل كل شيء العلاقات الاجتماعية لا لأنه يحب الناس، لكن يحب أن يسيطر عليهم.

6 - النمط الديني: وتتحكم فيه القيم الدينية[58].

أما الدكتور محمد إبراهيم كاظم فيقسم القيم إلى أحد عشرة مجموعة بناء على دراسة ميدانية قام بها وسط الطلبة المصريين، ويرى أن هذه المجموعة القيمية هي التي من شأنها التأثير على سلوك الطلبة، وكانت المجموعات مرتبة وفق التقسيم التالي[59]:

1 - المجموعة القيمية الأخلاقية: وتشمل الأخلاق، الصدق، العدل، التقاليد، الطاعة، النقاء، الطهر، اللاطاعة، اللاتقاليد، الدين، اللادين.

---

(58) مصطفي سويف، مقدمة لعلم النفس الاجتماعي.(الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1966). ص:336.

(59) محمد إبراهيم كاظم، تطورات في قيم الطلبة.(القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1962). ص:19-20.

2 - المجموعة القيمية الاجتماعية(1): الظرف(الشخص اللطيف)، قواعد السلوك، الصبر، التواضع، التماثل المكرم، التسامح، الكتمان، اللاإندماج في الجماعة، العطف.

3 - المجموعة القيمية الاجتماعية(2): حب الوطن، حب الجنس، حب الأسرة، الصداقة، اللاحب للأسرة، اللاحب للجنس.

4 - المجموعة القيمية الذاتية(1): القوة، الذكاء والحكمة، التصميم، المظهر، الشجاعة، اللاتصميم.

5 - المجموعة القيمية الذاتية(2): اعتبار الذات، الاستقلال، النجاح والوصول، التقدير، التسلط، العدوان، اللاستقلال، (الاعتماد على الغير)، اللاعدوان.

6 - مجموعة قيم الأمن.

7 - مجمعة القيم الجسمانية: الصحة، النشاط، الراحة.

8 - مجموعة القيم الترويحية: الخبرات الجديدة، الإثارة، الجمال، المرح، التعبير عن النفس.

9 - مجموعة القيم العملية: القيمة العملية، القيمة الاقتصادية، التملك، العمل، القيمة اللااقتصادية.

10 - مجموعة القيم المعرفية.

11 - مجموعة القيم المتنوعة: الحرص، النظافة، التثقف، التكيف، السعادة[60].

المطلب الثاني: تصنيف القيم من منظور الإسلامي.

---

(60) نفس المرجع السابق.ص:21.

كما رأينا سابقاً قضية اختلاف تصنيفات القيم في الفكر الوضعي وهذا راجع إلى موقع أصحابها ووجهة نظرهم من مسألة الاعتقاد، أو المنظار الذي من خلاله ينظرون إلى العالم من حولهم رغم وجود قواسم مشتركة، لكن عندما يتعلق الأمر بالرؤية الإسلامية لتقسيم وتصنيف القيم، فإن الباحثين يتفقون في جوهر التصنيف مهما كان اختلافهم في الملامح والأشكال، وكمثال على ذلك ما أورده الأستاذان: عبد الحميد الهاشمي، و فاروق سيد عبد السلام في بحث لهما بعنوان "البناء القيمي للشخصية كما ورد في القرآن الكريم" باعتباره أساساً لتصنيف القيم الموجودة، ولقد تم تصنيف القيم على مستويين:

1 - **تصنيف ثلاثي:** يمثل الأبعاد الثلاثة الرئيسية للقيم وهي القيم المتصلة بعلاقة الإنسان بربه، وتلك التي تتصل بعلاقة الإنسان بنفسه، والتي تنظم علاقة الإنسان بالآخر[61].

2 - **تصنيف سداسي:** يصنف القيم تبعاً للأبعاد الست التي ينقسم إليها أي من الأبعاد الثلاثة السابقة وهي:

أ- البعد الروحي.

ب- البعد البيولوجي.

ج- البعد العقلي المعرفي.

د- البعد الانفعالي العاطفي.

ي- البعد السلوكي والأخلاقي.

---

(61) عبد الحميد الهاشمي، و فاروق عبد السلام، البناء القيمي للشخصية كما ورد في القرآن الكريم، ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية مكة المكرمة.11-6\6\1400هـ.ص:12.

هـ- البعد الاجتماعي الخاص والعام[62].

كما يقسم بعض المهتمين بهذا المجال القيم من وجهة نظر إسلامية إلى قسمين[63]:

- قيم سلبية: وتتجلى في هجرة ما نهى الله عنه من شرور وموبقات، كشرب الخمر، الزنى، والكذب، والسرقة وغيرها.
- قيم إيجابية: وهي التي كلف المسلم بالتحلي بها، وأخذ نفسه بمقتضاها، مثل الصدق، والأمانة، والرحمة، وصلة الرحم، والكرم، وحسن الجوار وغيرها، ويرى صاحب هذا التصنيف أن المسلم مطالب بالنوعين معاً، مطالب بترك ما نهى الله عنه، ومطالب بفعل ما أمره الله به مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ﴾[64].

آما الرفاعي بكرة فقد أدرج القيم ضمن تصنيفه لها في مستويين:

قيم المستوى الأول: وهي القيم المحورية، أو القيم الأم، وعرفها بأنها تلك القيم الحاكمة أو الملزمة التي ترتبط بالعقيدة وبالشريعة إرتباطاً مباشراً، وتستمد قوتها وأهميتها منهما، ومن ثم فهي المعايير والمحددات الأساسية التي توجه السلوك الإنساني في المجتمع، وتقننه حسب الوسع، والطاقة، والقدرة، والمسألة كما أنها المرجع لجميع أحكامه، وتنقسم هذه القيم إلى قسمين:

---

(62) نفس المرجع. ص: 93.

(63) وضاحة السويدي، تنمية القيم الخاصة.(الطبعة الأولى، الدوحة، دار الثقافة، 1409هـ - 1989). ص: 77-78.

(64) سورة الحشر، الآية: 7.

- القيم العقيدية: وهي القيم التي ترتبط بالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والإيمان بالغيب، والإيمان بالقضاء والقدر.

- القيم التعبدية: ويقصد بها القيم التي تحدد الكيفية التي يسلكها المؤمن في القيام بفرائض الدين المختلفة، ومصدر هذين القسمين من القيم جميعاً هو الوحي السماوي بالكيفية التي حددها، ومن هنا كانت قيماً ملزمة لكل مؤمن بها، حاكمة لجميع سلوكه وتصرفاته بعد أن اعتقدها وصدق بها.

قيم المستوى الثاني: فهي قيم العبادة اليومية، أي القيم التكليفية والتي تدخل في جميع مجالات النشاط، والعمل، والعلاقات الاجتماعية المختلفة، والقيم إجمالا على محاور ثلاث:

- قيم تنظم علاقة الإنسان بخالقه.
- قيم تنظم علاقة الإنسان مع نفسه.
- قيم تنظم علاقة الإنسان بغيره.

وهذه المحاور الثلاث هي التي أشارت إليها الآية الكريمة في صورة "ص" في قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[65]، فهذه الآية الكريمة حددت علاقات ثلاث، علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في قوله تعالى: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾، علاقة الإنسان بنفسه في قوله تعالى: ﴿وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، النهي عن اتباع هوى النفس المؤدي إلى الضلال والخسران المبين في الدنيا والآخرة، علاقة الإنسان بخالقه من خلال القيام

([65]) سورة ص، الآية: 25.

بما كلف به، وهو حمل رسالة الله في الأرض، والقيام بمهمة" الاستخلاف" التي من أجلها كرم الإنسان على سائر المخلوقات حتى الملائكة، في قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾.

ويصنف الدكتور منصور عبد الله عبد الغفور القيم من وجهة نظر إسلامية إلى صنفين:

-**الصنف الأول**: يختص بالجانب العقائدي، ويتمثل في الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره حلوه ومره[66]، وهذا الصنف من القيم ما تضمنه حديث الرسول ﷺ الذي بين فيه أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وأركان الإحسان، والذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه حيث قال: (**كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل فقال يا رسول الله: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر. قال يا رسول الله: ما الإسلام؟ قال: أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان. قال يا رسول الله: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لم تراه فإنه يراك....**)[67].

-**الصنف الثاني**: يختص بالجانب الخلقي، ويتمثل في الصدق، والأمانة، والتسامح، والعفو، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها.

---

[66] وضاحة السويدي، مرجع سبق ذكره. ص: 78-79.

[67] الإمام مسلم، صحيح مسلم، الجزء الأول.(بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ).ص:39.

أما الشيخ عبد الوهاب خلاف يصنف القيم باعتبارها أحكام شرعت لضبط السلوك الإنساني نصت عليها نصوص الكتاب الكريم والسنة الشريفة إلى ثلاثة أصناف[68]:

-**الصنف الأول**: قيم أو أحكام إعتقادية تتعلق بما يجب على المكلف اعتقاده في الله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

-**الصنف الثاني**: قيم أو أحكام خلقية تتعلق بها يجب على المكلف أن يتحلى به من الفضائل، أو أن يتخلى عنه من الرذائل.

-**الصنف الثالث**: قيم أو أحكام عملية تتعلق بها يصدر عن المكلف من أقوال، وأفعال، وعقود، وتصرفات.

والأحكام العملية في القرآن الكريم تنتظم نوعين:

1- **أحكام العبادات**: من صلاة، وصوم، وحج، وزكاة، ونذر، والتي يقصد بها تنظيم علاقة الإنسان بربه.

2- **أحكام المعاملات**: من عقود، وتصرفات، وعقوبات، وجنايات وغيرها مما يقصد بها تنظيم علاقة المكلفين بعضهم ببعض، سواء كانوا أفراداً أو أمماً أو جماعات، وهي ما يقصد بها القيم التي تنظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان.

وأحكام المعاملات هي الأخرى تشمل:

1- **قيم الأحوال الشخصية**: وهي القيم التي تتعلق بالأسرة من بدء تكوينها، ويقصد بها تنظيم علاقة الزوجين والأقارب، بعضهم ببعض.

---

[68] عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه. (الطبعة الثامنة، بدون معلومات أخرى). ص: 32-33.

2- **الأحكام المدنية**: يقصد بها تنظيم علاقة الناس أو الأفراد المالية، وحفظ حق كل ذي حق، وهي ما يصطلح عليها بالقيم المالية.

3- **الأحكام الجنائية**: ويقصد بها حفظ حياة الناس وأموالهم وأعراضهم وحقوقهم.

4- **أحكام المرافعات**: ويقصد بها تنظيم الإجراءات لتحقيق العدل بين الناس.

5- **الأحكام الدستورية**: وهي القيم التي تتعلق بنظام الحكم وأصوله ويقصد بها تحديد علاقة الحاكم بالمحكوم، وتقرير ما للأفراد والجماعات من حقوق.

6- **الأحكام الدولية**: وهي القيم التي من خلالها يتم تحديد علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول في السلم وفي الحرب، وتحديد علاقة المسلمين بغيرهم في البلاد الإسلامية.

7- **الأحكام الاقتصادية والمالية**: و يقصد بها القيم التي تنظم العلاقات المالية بين الأغنياء والفقراء، وبين الدولة والأفراد، أي قيم التكافل الاجتماعي في المجتمع المسلم.

إن المتأمل في جميع التصنيفات للقيم من وجهة النظر الإسلامية يجد أن جميعها تدور حول قيمة محورية هامة وهي القيمة الإيمانية، هذه القيمة التي تنبثق من العقيدة الإسلامية المتكاملة، والتي يتحرك بها المسلم في جميع مجالات الحياة، عابداً لربه مجاهداً في سبيله، وساعياً في الخيرات بإذنه، كما أن هذه القيمة هي إيمان وثيق بالله لا يتزعزع، وثقة تامة في عدله وقضائه، وتصديق شامل بكتبه، ومعرفة يقينية باليوم الآخر على نحو ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة [69].

---

[69] توفيق السبع، قيم حضارية في القرآن الكريم، الجزء الثاني.(الطبعة الثانية، القاهرة، دار المنار للنشر والتوزيع 1404هـ - 1984م). ص: 151.

فالإيمان في حقيقته هو عملية اتصال هـذا الكـائن الإنسـاني الفـاني المحـدود، بالأصل المطلق الأزلي، ثم اتصال بالكون الصادر عن ذات المصدر، وبـالنواميس التـي تحكم هذا الكون، وبـالقوى والطاقـات المـذخورة فيـه....ومـن حـدود قـوة الكـائن الانساني الهزيلة، إلى عظمة الطاقات الكونية المجهولة، و من حدود عمره القصـير، إلى امتداد الآباد التي لا يعلمها إلا الله[70]، فالإيمان بالله تعالى لا يكفي فيه الجانب النظـري، بل لابد من سلوكات و تصرفات، تسند هذا التصور و تدلل عـلى صـحته، و هـذا مـا أشار اليه رسول الله ﷺ في قوله:(**ليس الإيمان بالتمني و التحلي و لكن ما وقر في القلب و صدقه العمل**)[71]، و هذا الفهم العميق لمفهـوم الإيـمان و مقتضـياته جعـل الرعيـل الأول من الصحابة يحققون ما عجز عن تحقيقه الاولون و الآخرون، لأن الإيـمان هـو الإذعان إلى الحق تصديقا و يقينا، و قد ورد في الأثر عـن الإمـام عـلي رضي الله عنـه و كرم الله وجهه لما سئل عن حقيقة الإيـمان قـال: قـال رسـول الله ﷺ: (**الإيـمان معرفـة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان**)[72].

إن عقيدة الإيمان بالله وحده، بنيت على حشد من القيم التصورية، " كالربانية، والشمولية، والتوازن، والثبات، والتوحيد، والحركية، والإيجابية، والواقعية...." تلتئم

---

[70] سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد السادس. (الطبعة الخامسة عشرة، بيروت، دار الشروق، 1408هـ-1988).ص:3964-3965.

[71] محمد بن أبي بكر الزرعي، الصلاة و حكم تاركها، (الطبعة الأولى، بيروت، دار ابن حزم، 1416هـ-1996). ص: 129.

[72] الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة. (الطبعة الأولي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1400هـ- 1980م). ص: 129.

جميعها وتتكامل لكي تشكل نسقاً عقيدياً يمثل تطابقاً باهراً مع معطيات الفطرة البشرية في أصولها النقية الحرة[73].

كما أن القرآن وهو مصدر هذه القيمة العظيمة- قيمة الإيمان- من خلال نسيجه المحكم ومعطياته المعجزة من بدئها إلى منتهاها في مجال العقيدة، والتشريع، والسلوك، والحقائق العلمية، تمثل نسقاً من المعطيات المعرفية، كانت كفيلة بمجرد التعامل المخلص الذكي المتبصر معها، أن تهز عقل الإنسان، وأن تفجر ينابيعه وطاقاته، وأن تخلق في تركيبه خاصية التشوق إلى المعرفة لكل ما يحيط به من مظاهر ووقائع وأشياء[74]، ولم تكن هذه العقيدة الإيمانية لتبقى حبيسة قاصرة كليلة، محجرة جامدة، لا تحرك ساكناً ولا تسكن متحركاً، دون أن تكون لها نتائج وثمرات يذاق طعمها، بل على عكس ذلك كانت قوة قاهرة غلابة، أقوى من الغرائز والشهوات، وأقوى من سلطان العادات، وأقوى من كل المؤثرات، ومن ثمارها أن حملت المؤمن على أن يكظم غيظه، وأن يعفو عمن ظلمه، ويحلم على من جهل عليه، ويحسن إلى من أساء إليه، وتجعله يحس في مرارة جرعة الغيظ، حلاوة يجدها في صدره[75]، ولم تقتصر ثمار العقيدة الإيمانية بتقويم بعض السلوكيات الاستثنائية، بل تعدت ذلك إلى صياغة الروح المنهجية في الإنسان، والتي حدد معالمها أحد العلماء المهتمين في إشارته إلى مفهوم النقلة المنهجية التي أتيح من خلالها للعقل المسلم أن يتحقق، وأن يتشكل وفق مقولاتها وامتدت هذه النقلة باتجاهات ثلاثة:

---

[73] عماد الدين خليل، حول تشكيل العقل المسلم. (الطبعة الخامسة، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1992). ص:53.

[74] نفس المرجع. ص:59.

[75] يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة. (الطبعة الثامنة، القاهرة، مكتبة وهبة، 1407 هـ - 1987م). ص: 197 وما بعدها.

1 - **السببية:**

من خلال عملية التدبر وإمعان النظر في آيات القرآن الكريم نجد كيف فتحت هذه الآيات البينات العقل المسلم وأعطته رؤية تركيبية للكون والحياة والوجود...، وهي تتأمل وتبحث وتعاين وتتفكر، تربط بين الأسباب والمسببات...، تسعى إلى أن تضع على الخيط الذي يربط بين الظواهر والأشياء في هذا الحقل أو ذاك، وفي هذه المساحة أو تلك، لقد أراد القرآن الكريم أن يجتاز بالعقل العربي(بداية الدعوة) مرحلة النظرة التبسيطية، السطحية، المفككة، التي تعاين الأشياء والظواهر كما لو كانت منقطعة معزولة منفصلة بعضها عن بعض[76].

فالنظرة السببية التي تشكل وفقها العقل المسلم، والتي تربط الأسباب بالمسببات وصولاً إلى مسبب الأسباب كلها وهي التي جعلت هذا العقل لا يؤمن بالمصادفة، ولا بالعشوائية، ولا بالخوارق، ولا مجال عنده لانتفاء الأسباب، وفقدان الأهداف والغايات، فكانت الملاحظة والتدبر والتأمل في نفسه وفي الكون من حوله، ومحاولة التعرف على حقيقة وكنه الأشياء، واكتشاف القوانين التي تحكمها، هو تكليف شرعي، وهو السبيل إلي النمو والارتقاء الإنساني، وزيادة الوعي بالحياة، والشعور بالحاجة الماسة إلى معرفة مسبب هذه الأسباب، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[77].

2 - **القانونية التاريخية:**

---

[76] عماد الدين خليل، مرجع سبق ذكره. ص: 64.

[77] فصلت، الآية: 53.

يرى الدكتور عماد الدين خليل موضحاً الاتجاه الثاني من اتجاهات النقلة المنهجية التي تحقق العقل العربي من خلالها، والمتمثل في القانونية التاريخية، أنه لأول مرة منذ بداية الخليقة يكشف الغطاء أمام العقل البشري عن حقيقة منهجية على درجة كبيرة من الخطورة، أن التاريخ لا يتحرك فوضى وعلى غير هدف، وإنما تحكمه سنن ونواميس كتلك التي تحكم الكون والعالم والحياة والأشياء سواء بسواء، وأن الوقائع والأحداث التاريخية لا تخلق أو تحدث بالصدق وإنما من خلال شروط خاصة تمنحها هذه الصفة أو تلك، وتصوبها صوب هذا المصير أو ذاك[78].

والقرآن الكريم لا يؤكد ثبات هذه السنن وديمومتها فحسب، ولكنه يحولها في الوقت نفسه إلى دافع حركي يفرض على الجماعة المؤمنة أن تتجاوز مواقع الخطأ التي قادت الجماعات البشرية السابقة إلى الدمار، وأن تحسن التعامل مع قوى الكون والطبيعة، مستمدة التعاليم والقيم من حركة التاريخ نفسه[79]، ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[80].

3- منهج البحث الحسي التجريبي[81]:

يواصل الدكتور عماد الدين خليل في توضيحه للعنصر الأخير من عناصر النقلة المنهجية التي أقرها الإسلام وحث عليها من خلال ما حشده من آيات بينات في

---

[78] عماد الدين خليل، مرجع سبق ذكره. ص: 66.

[79] نفس المرجع: ص. 71.

[80] سورة آل عمران، الآيات: 137-138-139.

[81] عماد الدين خليل، مرجع سبق ذكره. ص:45. وما بعدها.

القرآن الكريم، ويرى أن لا السببية التـي تشـكل وفقهـا العقـل المسـلم ولا القانونيـة التاريخية التي وجهت العقل البشري إلى جعل التاريخ ميدان للدراسة والاختبار حتـى يكتسب أهميته الإيجابيـة تعـدل الكسـب المعـرفي القـيم الـذي أحـرزه العقـل المسـلم خصوصاً، والعقل البشري عموماً، والذي تمثل بمنهج البحث الحسي التجريبي الـذي كشف النقاب عنه، ونظمه، وأكده كتاب الله.

لقد دعى القرآن الناس إلى التبصر بحقيقة وجودهم، وارتباطاتهم الكونية عن طريق النظر الحسي إلى ما حولهم ابتـداء مـن مواقـع أقـدامهم، وانتهـاء بآفـاق الـنفس والكون، وأعطى للحواس مسئوليتها الكبرى عن كل خطوة يخطوها الإنسـان المسـلم في مجال البحث والنظر والمعرفة والتجريب، حيث قال تعـالى في سـورة الإسراء: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْـهُ مَسْـؤُولاً﴾[82]، وقد تأكد من خلال تفسير هذه الآية جسامة المسئولية الملقاة على هـذه الحـواس، فقـد ورد في تفسير القرطبي في قوله تعالى: ولا تقف ما لـيس أي ولا تتبـع مـا لا تعلـم ولا يعنيك، قال قتادة: لا تقل رأيت وأنت لم تر وسمعت وأنت لم تسمع وعلمت وأنـت لم تعلم...، وقال مجاهد: لا تذم أحداً بما ليس لك به علم...، وقال محمد بن الحنيفية هـي شهادة الزور[83]،

أما الشيخ الشوكاني يرى أن معنى الآية هو النهي عن أن يقول الإنسـان مـا لا يعلم، أو يعمل بما لا علم له به، وهذه قضية كلية، كما يرى الشيخ الشوكاني - أما جماعة من المفسرين فجعلوا هذه الآية خاصة بأمور فقيل لا تذم أحدًا بما ليس لـك بـه علـم، وقيل هي في شهادة الزور، وقيل هي في القذف، وقـال القتيبـي معنـى الآيـة: لا تتبـع

[82] سورة الإسراء، الآية:36.

[83] الإمام القرطبي، مرجع سبق ذكره، الجزء العاشر. ص:257.

الحدس والظنون وهذا صواب فإن ماعدا ذلك هـو العلـم...، وقـال أبـو السـعود في تفسيره: إن هذه الآية قد دلت على عدم جـواز العمـل بـما لـيس بعلـم[84]، إضـافة إلى مسئولية الحواس، لفت القرآن الإنسان بما حواه مـن آيـات تتعلـق بـالنظر والتفكـر في ملكوت السماوات والأرض، إلى ما حوله من مخلوقات حتى ما يقتات به، إلى التـاريخ وحركة الإنسان على الأرض، إلى آياته المبثوثة في كل مكان، إلى النـواميس التـي تحكـم الحياة الاجتماعية وغيرها الكثـير، كـما بـين للبشرـية حقيقـة وحدانيـة الله مـن خـلال المسئولية المشتركة لحواس الإنسـان، وأن هـذه المسـئولية هـي بمثابـة اختبـار وابـتلاء للإنسان لتمييزه على غيره، هذا التمييز الـذي جعلـه يحـوز التكـريم الإلهـي، كـما أكـد القرآن على الأسلوب الذي يعتمد "البرهان"، "والحجة" "والجدال الحسن" للوصول إلى النتائج الصحيحة القائمة على الاستقراء، والمقارنة، والموازنة، والتمحيص، استنادا إلى المعطيات، وهكذا يبدو العلم بمفهومه الواضح الشامل، فاعلية في غاية الأهميـة في المجتمعات التي ترتضي الدين أو المنهج الإلهي طريقاً لها في الحياة[85].

---

[84] الإمام الشوكاني، فتح القدير، الجزء الثلاث.(بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ). ص:227.

[85] عماد الدين خليل، مرجع سبق ذكره. ص:49.

المبحث الثاني

القيم: إمكانية قياسها، ثباتها، وتغيرها.

المطلب الأول: إمكانية قياس القيم:

على الرغم من نظرة معظم فلاسفة الأخلاق إلى القيم من حيث بعدها المطلق، فقد ظهر في العصر الحديث من ينزع إلى إمكانية وضع مقاييس على قدر كبير من الدقة والضبط لقياس القيم بطريقة إجرائية، وأبرز من حاولوا في هذا المجال عالم النفس الأمريكي البورت(Allport) بالتعاون مع مجموعة من العلماء واستند في ذلك إلى الإطار النظري الذي وصفه سبرا نجر والذي يقيس فيه ستة أنماط من القيم وهي: النمط النظري أو الفكري، والنمط الاقتصادي، والنمط الجمالي، والنمط الاجتماعي، والنمط السياسي وأخيراً النمط الديني.

كما وضع برنس(R_Prince) مقياس أسماه مقياس القيم الفارق، ويتكون المقياس من 64 زوجاً من العبارات تدور حول أشياء قد يرى الفرد أن من الواجب عملها أو الشعور بها، أو من غير الواجب عملها أو الشعور بها[86]، ولقد استخدم هذين المقياسين في العديد من الدراسات الميدانية، وتم التوصل إلى نتائج معتبرة ضمن نطاق القيم التي درست وحسب الترتيبات التي رتبت بها مجموعة القيم ميدان الدراسة، ومن نتائج هذه الدراسات أن القيم الست موجودة لدى كل فرد ولكن بترتيب مختلف، كذلك أثبتت هذه المقاييس أهميتها في إجراء دراسات مقارنة فيما يتعلق

[86] جابر عبد الحميد جابر، مدخل لدراسة السلوك الإنساني.(الطبعة الرابعة، القاهرة، دار النهضة العربية، 1986م). ص:251.

بهيكل هذه القيم - التي سميت بهيكل القيم الشخصية - ومعرفة مدى اختلاف هيكل القيم من مجتمع إلى آخر بناء على الثقافة السائدة في كل مجتمع.

واعتباراً لهذا الاختلاف في هيكلة القيم، واختلاف وجهات النظر التي تمت من خلالها عملية القياس، يمكن أن نميز بين أربعة اتجاهات فكرية، كل فئة لها نظرتها للقيم تخالف نظرة الآخرين.

الاتجاه الأول: ينظر إلى القيم بوصفها اهتمامات أو اتجاهات تجاه أشياء أو مواقف أو أشخاص، لذا فإنه يمكن قياس القيم من خلال تصميم مقاييس معينة، تعرض فيها مواقف معينة، ويطلب من المرء أن يستجيب باختيار بديلين أو أكثر، وتضم هذه المواقف اهتمامات الأشخاص بالأنشطة والأشياء المختلفة بمعاييرهم ومثلهم العليا[87].

الاتجاه الثاني: يقوم هذا الاتجاه على أن المؤشر الرئيسي للقيم هو السلوك، وهذا يعني أن القيم تدفع أصحابها إلى أنماط معينة من السلوك، لذا يرى "بارسونز" أن القيم التزام عميق من شأنه أن يؤثر على الاختيارات بين بدائل الفعل"السلوك" ومن خلال طرح تلك البدائل على الشخص يمكنه تحديد ما يعرف بهيكل القيم الشخصية التي يتبناه ويعتنقه.

الاتجاه الثالث: هو الذي يجمع في قياسه للقيم بين مؤثري السلوك والاتجاه على اعتبار إن السلوك هو سلسلة من الاختبارات يقوم بها الفرد بناء على استجابات يتعرض لها عند تنقله من موقف إلى آخر.

---

[87] عبد المجيد بن مسعود، القيم الإسلامية التربوية و المجتمع المعاصر.(الطبعة الأولى، الدوحة، 1419 هـ- 1999). ص:66.

أما الاتجاه فهو عبارة عن حالة من الاستعداد والتهيؤ العقلي والعصبي المنظم عن طريق الخبرات والتجارب الفردية التي يمر بها الإنسان وتؤثر عليه في الاستجابة للمواقف المحيطة به[88].

الاتجاه الرابع: الذي يقيس القيم من خلال التصريح المباشر بهذه القيم[89].أما إذا نظرنا إلى هذه الاتجاهات من وجهة نظر المذهبية الإسلامية كما سبق أن شار الباحث إلى ذلك في المبحث الذي تناول فيه تصنيف القيم الإسلامية، أن هناك اتجاه واحد ينظر إلى القيم من منظار العقيدة الإيمانية، التي تعد الإطار العام الذي تنبثق منه جميع تصرفات وسلوكيات الشخص المسلم، وأن هذه العقيدة ليست مجرد تعاليم يؤمن بها المسلم داخل دور العبادة، فإذا خرج منها تمثل مقولة"ما لله وما لقيصر لقيصر"، مما قد يحدث شرخاً وانفصاماً في شخصية المسلم التي تكون الخطوة الأولى في الطريق إلى درجة النفاق - أي إظهار الخير وإبطان الشر - فكان الجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا﴾[90]، ولذلك يرشدنا القرآن الكريم إلى الأصل الذي تصدر منه جميع القيم التي تقوم السلوك الإسلامي من خلال آيات سورة العصر:﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[91]، فمقياس الإيمان الصادق هو حصول العمل الصالح، والعمل الصالح كما يعرفه أحد المختصين في مجال التربية هو:" الترجمة العملية، والتطبيق الأكمل للعلاقات التي حددتها فلسفة التربية الإسلامية بين الإنسان

---

[88] سعود بن محمد النمر، السلوك الإداري.(الطبعة الأولى، الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، 1410هـ – 1990). ص:123.

[89] عبد المجيد بن مسعود، مرجع سبق ذكره. ص:67.

[90] النساء، الآية:145.

[91] سورة العصر كاملة.

والخالق، والكون والحياة والآخرة"[92]، هذا العمل الصالح الذي هو دليل على الإيمان الصادق يهدف إلى جلب الخير ودفع الضرر، فكل قيمة يتشبع بها المسلم صادرة عن الإيمان الصادق لابد أن تظهر أثارها على السلوك الصادر عنه، إلا أن القيمة الإيمانية لا تغفل التفاوت البشري في القدرات، فراعت ذلك حيث قال سبحانه حاثاً المؤمنين عليالتنافس في تحصيل الأجر فقال: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[93]، وقال كذلك في سورة البقرة: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ...﴾[94]، وخلاصة القول أن نتائج القيم التي تظهر على سلوك الفرد والجماعة أو الحضارة، هي التي يمكن من خلالها تحديد مقياس هذه القيم إن كانت إيجابية أو سلبية.

المطلب الثاني: القيم بين الثبات والتغير.

قد تكون أول مشكلة تواجه فيلسوف الأخلاق هي مشكلة "المبادئ الأخلاقية" نفسها، خصوصاً وأن كلمة "المبادئ" تشير في العادة إلى معاني[95]: الضرورة، والكلية، والثبات، والإطلاق...، والواقع أنه كثيراً ما يقال أن العصر الذي نعيش فيه ليس عصر مبادئ أخلاقية مطلقة، وقيم أزلية ثابتة، بل هو عصر مرونة وتساهل ونسبية، ولا شك إذا ربطنا الظاهرة الأخلاقية بعجلة التغيير الاجتماعي، إذا سلمنا مع بعض رجالات الأخلاق والقانون بضرورة اصطناع ضرباً من المرونة في الحكم على شتى أنماط السلوك الفردي، فإننا قد نجد أنفسنا مدفوعين إلى دفع كل القيم الأخلاقية، وطبعها بطابع النسبية، ولكن المشكلة ليست بهذا القدر من السهولة،

---

[92] ماجد عرسان الكيلاني، مقومات الشخصية المسلمة.(الطبعة الأولى، الدوحة، 1411هـ).ص:42.

[93] سورة المطففين، الآية:26.

[94] سورة البقرة، الآية: 285.

[95] زكريا إبراهيم، المشكلة الأخلاقية. (عمان، دار مصر للطباعة، 1966).ص:60.

فإن الدفع بالقيم الأخلاقية جميعاً إلى دوامة التغيير والنسبية، لن يلبث أن يصيب الحقيقة الخلقية في الصميم.

ويأتي فلاسفة الوضعية من أمثال"كارانب" caranp و"آير" "Ayer" لا لينكروا الطابع النسبي للأحكام الأخلاقية، بل ليقرروا أنه ليس ثمة "قضايا أخلاقية" أصلاً، والحق أن الفلسفة الأخلاقية التقليدية - فيما يقول كارانب - لا تنطوي في أي بحث على الواقع، بل هي بحث مزعوم فيما هو خير وما هو شر، أعني فيما يصح عمله وما لا يصح عمله، ولو أننا نظرنا إلى العبارات الأخلاقية على أنها"قضايا" لكان علينا أن نقول إننا هنا إزاء "قضايا زائفة" لا تعبر إلا عن بعض الرغبات أو الأوامر أو القضايا، فالعبارة الأخلاقية التي تقول مثلاً: "إن القتل جريمة" لا تزيد عن كونها مجرد "وصية" أو "أمر" يشبه قولنا "لا تقتل"، صحيح أننا هنا بصدد أوامر مستترة ولكننا لا نستطيع أن نقول - بأي حال - أننا هنا بصدد قضية منطقية تقبل الصدق أو الكذب، وعلى حين أن الأوامر لا يمكن أن تعد صادقة أو كاذبة، وبالتالي فإنها لا تمثل "قضايا" أصلاً[96]، ويواصل "كارانب" كلامه مبرهناً على صدق رأيه فيما يتعلق بحقيقة القضايا الأخلاقية قائلاً: نجد أن فلاسفة الأخلاق قد توهموا أن أحكام القيمة هي قضايا حقيقية فراحوا يرهقون أنفسهم بالبرهنة على صدقها أو كذبها، وفات هؤلاء أن أي "حكم قيمة" لا يزيد عن كونه"وصية" أو"أمراً" مستتراً خلف صيغة لعقوبة خداعة.

ويمضي فلاسفة الوضعية إلى أبعد من ذلك فيقولون: إن "الأحكام الأخلاقية" هي مجرد تعبيرات عن بعض العواطف والانفعالات فليس للأخلاق أي

---

[96] نفس المرجع: ص.67ـ68.

معنى نظري أو عرفاني، بل هي أوامر أو وصايا عابرة بالشحنات الوجدانية أو العاطفية، ويضرب لنا آير مثلاً فيقول: "إنني حينما أقول لأحدهم: إنك قد أخطأت حين سرقت هذا المال، فإنني لا أقرر شيئاً أكثر مما لو أنني قلت له: إنك قد سرقت هذا المال، وحين أضفت أن هذا الفعل خاطئ فإنني لم أخبر بشيء جديد عن ذلك الفعل، بل كل ما هنالك أنني قد أظهرت بوضوح استهجانا له، وهذا ما كان في وسعي أن أفعله، لو أنني اقتصرت على مجابهته بقولي: إنك قد سرقت هذا المال، مستخدماً في قولي لهجة الاستهجان أو الاستنكار، أو لو أنني اقتصرت على كتابة هذه الحجة مع إضافة علامات تعجب إليها".

وذهب "نيتشه" إلى أن القيم مبدعات بشرية عملت على خلقها بعض الاعتبارات الأخلاقية الخاصة، وكأن القيم "أوهام" أو "أصنام" ابتدعتها الذات البشرية من العدم، دون أن يكون لها أصول أو جذور في صميم الحقيقة الموضوعية[97].

إن مرد هذه النظرة النسبية للقيم من جانب العقلانيين والوضعيين وإنكارهم للأخلاق عموماً والأخلاق المعيارية خصوصاً، يرجع في الأصل إلى نظرتهم للقيم الخلقية، فالفلاسفة العقلانيون والوضعيون وخاصة التجريبيون الإنجليز يرون أن خالق القيمة هو مصدر التقويم، واختلافه من عصر إلى عصر، ومن مجتمع إلى مجتمع، هو الذي جعل القيم نسبية ومتغيرة، فالقيم عندهم ليست إلا ما يترتب من التقييمات، فالناس يتعودون على اتباع قيم معينة لا لأنها في الغالب تكون نافعة وذات فائدة في وضع معين، فإذا حدث وأن تغير الوضع وأصبح إتباع هذه القيم غير نافع وغير مفيد، فإن القيم حينئذ تتغير، ومن الطبيعي أن يذهب الوضعيون إلى الزعم بأن القيم أمور

---

[97] نفس المرجع. ص: 76.

واقعية أي مواقف معينة للإنسان، وسبق الوضعيين إلى نظرتهم هذه حول نسبية القيم السفسطائيون قديماً، الذين يعدون الرواد الأوائل الذين وضعوا الأساس للنسبية الأخلاقية التي تنكر وجود معايير أخلاقية مطلقة[98].

وفي مقابل هذا الرأي تمثل الأخلاق المعيارية موقف الفلسفة المثالية، تعترف المثالية بان التقييم متغير ويمكن أن يكون مختلفاً، ونظرية القيم المثالية غير المتغيرة ترجع في أصلها إلى أفلاطون، ثم تطورت هذه النظرية في القرن الحالي على يد العالم الألماني ماكس شير، مما تقدم يتضح لنا أن رأي الوضعيين يقوم على الخلط بين التقييم والقيم، أي الخلط بين نظرتنا العقلية للقيم وانفعالاتنا بها وبين القيم ذاتها، والتقييم والقيم مختلفان تماماً، كما أنه ليس لديالنظرية الوضعية أية أدلة حقيقية ضد القول بإمكان بناء أخلاق معيارية، ومما يؤخذ أيضاً على هذه النزعة النسبية في مجال الأخلاق أنه يترتب عليها ما يلي:

1- استحالة وجود معيار للحكم على قانون أخلاقي معين بأنه أفضل أو أسوأ من قانون أخلاقي آخر، فلن تكون هناك أسس سليمة لتقويم السلوك في ما عدا اتفاقه مع العرف المحلي أو القومي، والعرف في حد ذاته لا يصلح أن يكون معياراً أخلاقياً حقيقياً.

2- يستحيل وجود تقدم أخلاقي في ظل معيار نسبي، فكيف نقول أن إلغاء الرق أو إبطال وأد البنات كان خيراً، أو إنهاء الحروب سيكون خيراً.

3- لن يكون هناك مبرر لقيام أي شخص بمحاولة أن يحيا حياة "أفضل" فالسؤال عن هذه الأفضلية "أفضل" من ماذا؟ لن يكون له معنى ولن يكون هناك أيضاً أي

[98] محمود حمدي زقزوق، مرجع سبق ذكره. ص:24.

معنى لمفاهيم الأفضل والأسوأ، والأعلى والأدنى، والصواب والخطأ، إذا لم يكن هناك معيار ثابت وشامل تقاس عليه كل هذه المفاهيم[99].

وحسماً لقضية نسبية القيم وثباتها يقول الدكتور محمد منير مرسي موضحا رأي النظرية التواترية فيما يتعلق بهذه الإشكالية: إن المبادئ الأساسية للتربية تتواتر ولا تتغير[100]، وأنهم يهتمون - التواتريون - بالحقائق التي تتصف بالديمومة "القيم الثابتة" التي يمكن التوصل إليها فقط عن طريق "المنطق المجرد"، كما يرون أن الطبيعة الإنسانية طبيعة شاملة، وأن جوهر الإنسان يتمثل في الغاية التي يحيى من أجلها، والتي يجب أن تكون غاية دينية وعقلية وفكرية، لذا فإن جميع أشكال التربية في ظل جميع الظروف لها مثل أعلى ثابت[101].

إذا كانت الإنسانية في أصلها متوحدة من أب واحد وهو آدم، وأم واحدة وهي حواء كما بين ذلك القرآن الكريم في سورة النساء:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[102]، فما هذه الألوان المتباينة من حيث القيم، والاتجاهات، والأفكار حتى لتصل إلى حد التناقض والتنافر فيما بينها، والإجابة على ذلك يرجع بالدرجة الأولى للطبيعة البشرية ومدى قابليتها للتشكل وفق ما تحمله البيئة التي ينشأ فيها هذا الإنسان، من عادات وتقاليد وعقائد، وبعبارة أشمل

---

[99] نفس المرجع. ص:25ـ26.

[100] محمد منير مرسي، أصول التربية الثقافية والفلسفية. (القاهرة، عالم الكتب، 1979). ص:274.

[101] نفس المرجع. ص:280.

[102] سورة النساء، الآية:1.

ما تحمله من مؤثرات الثقافة السائدة في المجتمع، تلك البيئة التي تكتنفه في مراحله الأولى وهي مراحل الطواعية المفتوحة لكل شيء، مما يؤدي إلى تشكيل عقلية الطفل ونظرته للحياة وفقاً لأنماط تلك البيئة التي نشأ فيها، فضلاً عن مرونة الطبع الإنساني وطواعية تشكله، رغبة الآباء على أن تشكل عقلية أبنائهم على غرار النماذج التي يرضونها لأبنائهم والمألوفة لديهم، وتشكل الأسرة الجماعة المرجعية الأولى التي يرجع الطفل إلى قيمها ومعاييرها ليحكم على سلوكه وتصرفاته، وهي التي ترسي أسس التربية الأخلاقية، والوجدانية، والدينية لديه، هذه الحقيقة الكبرى هي التي أكدها الحديث النبوي الشريف في نصه: (**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)**[103]، وفي الصحيحين عن عياض بن حمار عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أنه قال:

(**إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم)**[104]، والحديث القدسي يؤكد أن الله قد خلق الخلق على الحنيفية السمحة، والحنيفية من الحنيف والحنف هو الميل عن العوج إلى الاستقامة، وعن الضلالة إلى الهدى، وعن الباطل إلى الحق، ويقابله الزيغ وهو الميل عن الحق إلى الضلال...، وفطرة الله التي فطر عليها الخلق هي الجبلة الإنسانية الجامعة بين الحياتين الجسمانية والحيوانية والروحانية الملكية[105]، هذه الأحاديث تقرر قضية في غاية الأهمية وهي أن الإنسان مفطور على الخير حتى الذين لا يدينون دين الحق، وهذا ما أكده الحديث الشريف الذي يرويه سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(كل**

---

[103] ابن كثير، تفسير ابن كثير، الجزء الأول. (بيروت، دار الفكر، 1401هـ). ص:557.

[104] نفس المرجع. ص:557.

[105] محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي. (الطبعة الثانية، القاهرة، مطبعة المنار، 1352 هـ). ص:192.

مولود يولد على الفطرة، فناداه الناس يا رسول الله وأولاد المشركين؟ قال: و أولاد المشركين)[106]، على عكس ما يعتقده الفلاسفة الغربيون الذين يرون أن المزاج والطبع ثابت لا يتغير ويولد مع الإنسان ولا يمكن تبديله، فكما أننا لا نستطيع تغيير الصورة الجسمية من القبح إلى الجمال، أو العكس فكذلك لا نستطيع تغيير الصورة الخلقية التي فطر عليها الإنسان، يقول الفيلسوف الألماني"شوبنهاور" في هذا المعنى: "يولد الناس أخيارا أو أشرارا، كما يولد الحمل وديعاً والنمر مفترساً، وليس لعلم الأخلاق إلا أن يصف سيرة الناس وعاداتهم، كما يصف التاريخ الطبيعي الحيوان"، ويتفق مع شوبنهاور في الحتمية الأخلاقية الفيلسوف الفرنسي"ليفي برول" الذي يقول في هذا المعنى: "إن ميولنا الحسنة والسيئة التي نجيء بها إلى هذا العالم عند ولادتنا هي طبيعتنا، فكيف نكون مسؤولين عن طبيعة ليست من عملنا، أو على الأقل ليست من عملنا الشعوري الاختياري"[107].

من خلال هذه الحقائق الجليلة حول الطبيعة البشرية يتضح لنا عمق الأخلاق وسعة الهوة بين النظرة الإسلامية للطبيعة البشرية من جهة، والنظرة الغربية، هذا الاختلاف راجع في حقيقته إلى قضية في غاية الأهمية تطرق إليها الباحث في مبحث القيم، وهي القيمة الإيمانية، فالمسلم مقتنع قناعة تامة بأن المظاهر التي تتجلى فيها الطبيعة الإنسانية لا تمثل تمثيلاً صادقاً حقيقة الجوهر الإنساني، وأن هذا الجوهر لا كما تدل عليه الإردية الفكرية وما ترسخه البيئة من قيم ومبادئ تخالف فطرة الإنسان ولا تعبر عن أصالته ووجوده، فحتى نعرف الإنسان حق المعرفة لا بد أن نخاطب فيه فطرته الصافية النقية التي تعرف الخير وتأتيه، وتكره الشر وتتجنبه، قال تعالى:﴿فَأَقِمْ

---

[106] ابن كثير، مرجع سبق ذكره. ص:557.

[107] محمد منير مرسي، فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها. (القاهرة، عالم الكتب، 1992). ص: 75-76.

وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[108]، وقوله تعالى: ﴿اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [109].

إن سمة ثبات القيم وخلودها وعدم نسبيتها، والمجردة عن حدود الزمان والمكان، أكدت حقيقة هذه السمة، ومما يدعم ذلك ويشهد على هذا الثبات، أن الإنسان المعاصر رغم كل التطورات التي تعرضت وما زالت تتعرض لها حياته، ما زال يؤمن بنفس القيم والمفاهيم والمبادئ التي كان الإنسان يؤمن بها قبل عصور عديدة من العصر الحالي، فقيم المحبة، والصدق، والوفاء، والرحمة، والعدل، وغيرها كثير التي كانت تحتل مكانا مرموقاً في النفس البشرية، منذ أقدم العصور لا تزال تحتفظ بمكانتها في النفس الإنسانية في ظروف مادية ومعنوية مختلفة اختلافاً تاماً عن الظروف السابقة لحياة الإنسان.

إن القيم المنبثقة عن الرؤية الإيمانية والحس الديني، تكتسب موضوعيتها في ميدان العلاقات، وعمقها في ميدان الذات لا نجد عشر معشارها في الأخلاقيات الوضعية المبنية على الموقف المصلحي والتبرير البرغماتي (الذرائعي)، إنها آنذاك سوف تفقد موضوعيتها وشموليتها، وتقع في أسر التحيز والنسبية، فتحور وتزيف حيناً من أجل أن تلائم مصلحة ما، أو منفعة معينة، أو تلغى أو تستبعد حيناً آخر لأنها لا تنسجم أساسا ومتطلبات الموقف النسبي، هذا إلى أن هذه القيم ستفقد بعدها العمقي، وتغدوا أكثر قلقاً واهتزازا، الأمر الذي يفقدها قوتها الإلزامية، وثباتها، وديمومتها، إننا

[108] سورة الروم، الآية:29.

[109] سورة فاطر، الآيتان: 43 – 44.

بمجرد إلقاء نظرة عجلى على التاريخ البشري سنتبين بوضوح هذا الفرق الحاسم بين قيم أخلاقية دينية موضوعية شاملة، عميقة، متأصلة، وبين قيم أخلاقية وضعية، نسبية، محدودة، سطحية، قلقة، ولشد ما لعب هذا التقابل الأخلاقي دوره في التاريخ، وغطى مساحات واسعة لا تبررها بأية حال النظرة المادية الضيقة أو المثالية الفضفاضة[110].

[110] عماد الدين خليل، رؤية إسلامية في قضايا معاصرة. (الطبعة الأولى، الدوحة، 1995). ص:113.

المبحث الثالث

مصادر القيم ووسائل تنميتها.

المطلب الأول: مصادر القيم.

لتحديد مصادر القيم الدينية و المادية يجدر بنا طرح مجموعة من التساؤلات التي من خلالها يمكن الوصول إلى إجابة ولو تقريبية حول هذا الموضوع، من هذه الأسئلة: هل عقل الإنسان من حيث كونه سبب التكليف هو الذي يضع القيم؟ بمعنى هل العقل هو المعول عليه وحده في وضع معايير يتحكم من خلالها على تصرفات الآخرين على أنها خير أم شر؟ أم أن هناك قوة خارجية عن العقل هي التي تتولى ذلك؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هي هذه السلطة؟ هل هي الأفراد أم المجتمع كما يرى البعض؟ أم شيء آخر و هو "الله"؟.

المذاهب ثلاثة لتحديد مصادر القيم وفق المفهوم الوضعي:

المذهب الأول: مذهب أصحاب الاتجاه العقلي ويمثله المعتزلة من متكلمي الإسلام، والقديس "توماس الأكويني" و"دونس سكوت" من لاهوتي الديانة النصرانية، ويقرر هؤلاء أن إدراك ما في الأشياء والأفعال من حسن و قبح، أو خير أو شر، إنما يرجع إلى العقل، و حجتهم في ذلك أن الأشياء، و الأفعال تحمل في ذاتها معنى قيمتها، ومتى كان الأمر كذلك فإن العقل يمكن إدراك هذه القيم دون توقف على موجه خارجي ويقررون أن الله لا يمكن أن يريد شيئاً ليس متفقاً مع الطبائع التي خلقها، و

على هذا فإن الخير والشر الذي قرره الله هما أيضاً يرجعان إلى الخير والشر في الأشياء المخلوقة[111].

وقد أخطأ العلماء النفسانيين الإنجليز حين استعملوا المنهج البيولوجي في تنسيب الأخلاق، والأفضل هو استعمال المنهج الفيلولوجي (اللغوي)، ولو أننا بحثنا في المدلول الاشتقاقي لكلمة "خير" بناء على المنهج الفيلولوجي (اللغوي) لوجدنا أن الخير مستمد دائماً من تطور واحد للأفكار حصيلته أن فكرة"الامتياز" "والنبالة" بالمعنى الاجتماعي، هي الفكرة الأم التي تولدت منها فكرة "الخير" بمعنى "متميز" أو ممتاز من حيث النفس،

و في مقابل ذلك نجد أن الأفكار"عامي"، "سافل"، "منحط"، تتحول وتعطي فكرة "الشرير"ومن هنا يتبين أن خالق القيمة هو مصدر التقويم وهذا المصدر هو الفاعل.

المذهب الثاني: الذين يقولون أن واضع القيم ومبدعها هو المجتمع ويمثلون علماء الاجتماع وعلى رأسهم العالم الفرنسي"دوركايم" [1856ـ1917]، يرى أصحاب هذا المذهب أن الأمور الأخلاقية لها قيمة لا تقاس بسائر القيم الإنسانية، وآية ذلك أننا نضحي بنفوسنا من أجلها مما يدل على أنها لا نضير لها، ولكي تكون الأمور الأخلاقية منقطعة النظير هكذا فلا بد أن تكون العواطف التي تعين قيمها لها نفس الطابع، أي يجب أن تكون هي الأخرى منقطعة النظير بين سائر الرغبات الإنسانية، ولا بد أن

[111] محمد عبد الستار نصار، مرجع سبق ذكره. ص: 228ـ229.

تكون لها مكانة وطاقة تجعلانها ذات مكانة بين حركاتنا، والعواطف الجماعية هي التي يتوفر فيها هذا الشرط[112].

المذهب الثالث: هو مذهب رجال الدين عامة الذين يذكرون أن المصدر الوحيد للقيم والتقويم هو الله، فهو الذي يقرر ما هو حلال وما هو حرام، وما هو خير وما هو شر، وليس في الأفعال ولا في الأشياء في ذاتها صفة تقويمية، وإنما الذي يعطيها هذه الصفة هو الشرع الإلهي، فالتحسين والتقبيح هما من الله أي نقليين وليسا عقليين.

وفي الإسلام قال بهذا المذهب أهل السنة والأشاعرة حيث ذكر ذلك الإمام الغزالي في معرض الحديث عن قضيتي التحسين والتقبيح في قوله: يرى الأشاعرة في قضية التحسين والتقبيح ما يلي:

إن القضايا: الظلم قبيح والعدل حسن، لا يهتدي إليهما العقل وحده، لو تخلى عما تواضع عليه من عرف وعادة، وعما تتابع وروده عن لسان الرسل والأنبياء فليس هذان الحكمان مثلاً: الاثنان أكثر من الواحد والسلب والإيجاب لا يصدقان في واحدة، و إذن فمناط التحسين والتقبيح وراء العقل لذلك قيل: أن الحسن والقبح شرعيان لا عقليان[113].

و في نفس السياق يرى الإمام الشاطبي وجوب تقديم النص على العقل مطلقاً فيقول: "يتقدم النقل متبوعاً، ويتأخر العقل فيكون تابعاً فلا يسرح للعقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرحه النقل"، و يقول أيضاً: فالعقل يجب أن يكون تابعاً للوحي في كل ما يتصل بالدين عقيدة وشريعة وسلوكاً، والقول بجواز استقلاله في ذلك عن

---

[112] عبد الرحمن بدوي، مرجع سبق ذكره. 97-98.

[113] الإمام الغزالي، معيار العلم. (القاهرة، دار المعارف، 1961). ص:50.

الوحي ابتداع وقع فيه الفلاسفة[114]، ثم يستند في فساد المذاهب التي تعتمد العقل دون الوحي إلى الواقع والتجربة فيقر أنه قد علم بالتجارب والخبرة السارية في العالم من أول الدنيا إلي اليوم أن العقول غير مستقلة بمصالحها استجلاباً لها، أو مفاسدها استدفاعاً لها[115]، ويعلل ذلك بعجز العقل عن إدراك المصلحة دون الوحي.

المطلب الثاني: وسائل تنمية القيم:

يساهم الوسط التربوي الذي ينشأ فيه الطفل مساهمة فعالة في نقل التراث الإنساني والاجتماعي عبر الأجيال، و هذا التراث يتضمن كل ما هو معروف في المجتمع من علم وصناعة ولغة وعادات وتقاليد وقيم ودين، أي كل ما وصل إليه هذا الإنسان من علم وثقافة عبر العصور المختلفة التي مر بها، و لقد تعددت هذه الأوساط التربوية التي يمكن عدها من وسائل تنمية القيم لدى الطفل نظراً لقوة تأثيرها فيه وتشكيل عقليته، ولتعدد هذه الأوساط يمكن التطرق إلى أهمها:

1- البيت أو الأسرة:

يعتبر البيت المؤسسة الأولى للتربية ففيه يولد الطفل، وفيه يتلقى دراسته الأولى في مجال التنشئة الاجتماعية لكي يتحول من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، وتتولى الأسرة مهمة رعاية الطفل وتهذيبه خلال مراحل حياته كلها، وتبدأ الأسرة في مرحلة الطفولة المبكرة بتعليم الطفل اللغة بمفرداتها وقواعدها وأخلاقياتها، كما ترسي أسس التربية الأخلاقية والوجدانية والدينية، وتشكل الأسرة الجماعة المرجعية الأولى

---

[114] حمادي العبيدى، الشاطبي ومقاصد الشريعة. (الطبعة الأولى، طرابلس، منشورات كلية الدعوة، 1992).ص: 166.

[115] نفس المرجع. ص:167.

التي يرجع الطفل إلى قيمها ومعاييرها ليحكم على سلوكه وتصرفاته، وتحتل أساليب الوالدين في التعامل مع الطفل مكانة هامة في تكوين شخصيته، و تبقى آثار هذه الأساليب في شخصية الأبناء طوال حياتهم، كما تظهر مجدداً في كيفية معاملتهم لأولادهم فيما بعد(116).

و دور البيت أو الأسرة في شحذ الفعالية الروحية هو أول الطريق، حيث يبدأ في رحابه الإعداد والتهيئة، ثم المتابعة المباشرة لعملية التلقي التربوي في الأوساط الأخرى كالشارع، والمدرسة، والجامعة وغيرها، و إذا لم يمارس البيت دوره فإن جهود هذه المؤسسات يظل ناقصاً مهما تعاظم، والفاعلية تبقى قاصرة مهما ارتفعت(117)، ويعتبر البيت هو المؤثر الأول وهو أقوى الأوساط التربوية الأخرى بحكم التصاق الطفل به، وقضائه أطول فترة من طفولته بداخله، وبحكم أنه أول من يستلم خامة الطفل ويؤثر في تشكيلها(118).

وقد عنى الإسلام بالبيت عناية واضحة باعتبارها المحضن الأول للطفولة موطن التأثير المباشر في مجال التربية، من خلال ما سنه من تشريعات وتوجيهات، كفلت هذه التشريعات قيام الأسرة على رباط شرعي معلن، قائم باسم الله لما في ذلك من حفظ للأنساب واطمئنان الأب لأبنائه، واطمئنان الأبناء إلى أبيهم، وذلك عنصرمن عناصر الإستقرارالنفسي للأطفال، و هذا عكس ما نلحظه في بناء الأسرة في المجتمعات الغربية عموما، كما كفلت التشريعات والتنظيمات الإسلامية قيام الزوج

---

(116) سعيد التل، المرجع في مبادئ التربية. (الطبعة الأولى، عمان، دار الشروق، 1993). ص:284.

(117) محمود محمد سفر، دراسات في البناء الحضاري. (الطبعة الأولى، الدوحة، 1408هـ).ص:107.

(118) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، الجزء الثاني. (الطبعة الرابعة، بيروت، دار الشروق، 1983). ص:94ـ96.

بكفالة الزوجة لكي تتفرغ لمهمتها العظمى في تنشئة الأجيال، ومن توجيهات الإسلام، الدعوة إلى توفير أكبر قدر من الاستقرار لهذا البيت، باعتباره المحضن الذي تنشأ فيه الأجيال، ولتكون تنشئتهم في أفضل وضع لهم، وفي أنسب الظروف ملائمة لنموهم السوي على الفطرة السليمة، فالإسلام لا يستثير وجدان المودة والرحمة بين الزوجين ليكون هذا هو الرباط الأقوى الذي يربط قلبي الأبوين فيربط معهما كيان البيت كله لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[119]، ولكن يهدف إلى ما وراء ذلك...، يهدف بتوفير الاستقرار النفسي، والعصبي، والاجتماعي، والاقتصادي، للرجل والمرأة، إلى تهيئة الجو الصالح للأمومة والأبوة لتنشئة الأجيال المقبلة في أنسب وأفضل وضع، فلا شيء ييسر التربية السليمة ويجعلها أقرب إلى إيتاء الثمرة المرجوة من الجو المستقر للطفل، ولا شيء يفسد التربية ويجعلها أبعد عن إيتاء ثمرتها من الجو المقلق العصبي، النفسي، الفكري، الروحي، والجو المشحون بالبغضاء[120].

2- **المدرسة:**

إذا كانت الأسرة هي المحضن الأول التي يعايش فيها الطفل القيم وقواعد الأخلاق والسلوك، فإن المدرسة هي المزرعة الأولى والأساسية التي يتعلم فيها الطفل هذه القواعد ويدركها، ويتفهم معانيها وأهميتها في بناء المجتمع، لما يقضيه من وقت كبير من الساعات فيها، أو في الأنشطة ذات الصلة بها، فقد يتأثر بمن يخالطهم في المدرسة تأثراً هاماً مما يؤثر على سلوكه ومواقفه إزاء مختلف المقاييس الاجتماعية نتيجة لنوع التربية التي يتلقاها في المدرسة، فبانتشار الحضارة الغربية وما تمخض عنها من

[119] سورة الروم، الآية: 21.

[120] محمد قطب، مرجع سبق ذكره. ص:98-99.

أساليب التربية الحديثة التي حصرت مفهوم "العمل الصالح" في الإنتاج المادي، وإيجاد الفرد المنتج -المستهلك- لذلك يلاحظ أن المؤسسات التربوية الحديثة كالمدرسة والمعهد والجامعة تركز على إعداد الفرد ليكون "منتجاً" بينما تركز المؤسسات الموازية كالإعلام والصحافة والتلفزيون، على إعداد الفرد ليكون "مستهلكاً"، إن المدرسة المعاصرة تهيئ الناشئة - بالدرجة الأولى - لحياة العمل الإنتاجي، وذلك بوسيلتين:

الأولى: أنها تعلم مهارات محددة ذات علاقة بالعمل.

الثانية: أنها تنمي فيهم الاتجاهات والعادات الضرورية للأداء الوظيفي الفعال.

من أبعاد منهاج المدرسة الحديثة في الغرب كما يصفه(جون جارولك) (John Jarolwek)، تدريب الناشئ على التعامل مع الآخرين، والعمل كفريق من ناحية، وتدريبهم على التنافس الذي يحتاجه عالم العمل من ناحية أخرى، وهذا من شأنه أن يخلق نوعاً من التناقض في شخصية الفرد ويهيئ لأسباب الصراع الذي يدور في العادة في أماكن العمل[121]، ومن أبعاده كذلك أن المدرسة تركز على المهارات الأساسية اللازمة لدنيا العمل، كالقراءة، والكتابة، والحساب، وحسن الحديث، كذلك يجري التركيز على المقدرات العلمية والمهنية وإعطاء المكانة الأولى لها، بينما يقلل من الدراسات المتعلقة بإنسانية الإنسان ورفعته وأخلاقه، وتهمل الدراسات الدينية إهمالاً يكاد يكون تاماً، (انتهى كلام جون جارولك).

أما عن الصفة الثانية وهي إعداد الفرد ليكون مستهلكاً، فهذا واضح في الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام والصحافة والسينما، والتلفزيون...، ففي حين تسهم التربية الإسلامية في إفراز ما يمكن أن نسميه "ثقافة القيم" حيث تقاس

---

[121] ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سبق ذكره.ص: 131-132.

الأنشطة والظواهر الاجتماعية بمقاييس القيم والمثل الأخلاقية التي جاء بها الإسلام فإن التربية الحديثة تسهم في إفراز ما يمكن أن نسميه بـ: "ثقافة العمل والاستهلاك"[122].

3- جماعة الرفاق:

تعد جماعة الرفاق أحد الأوساط الاجتماعية الرئيسية التي تؤثر في الفرد على مختلف المستويات: الشخصية، والاجتماعية، والعقلية، والأكاديمية، وتمثل دراستها محوراً لاهتمام عالم النفس والمربي وعالم الاجتماع، حيث تلتقي أهدافهم حول الكيفية التي تعمل بها جماعة الرفاق كوسيط من وسطاء التربية والتنشئة الاجتماعية، أو كعامل من عوامل تنمية القيم والتأثير في شخصية الناشئ من جهة، وكناقل لثقافة المجتمع وعامل من عوامل التغيير فيها من جهة أخرى، فجماعات الرفاق وحدات اجتماعية تمثل ثقافة المجتمع الذي تعيش فيه وتكون مهيأة بفعل دينامية النمو البشري، وبحكم تعرضها لمؤثرات حضارية خارجية يتحتم عليها التفاعل بحكم معاصرتها لها - تكون مهيأة لإنتاج ثقافة جديدة، و بطبيعة الحال، فإن حجم التغيير يعتمد على حجم الضغوط التي يمارسها القائمون على تربية النشء، وطبيعة منظومة القيم التي توجه عمليات التنشئة الاجتماعية[123]، ومن حيث التنشئة الاجتماعية تهدف إلى تشكيل المضمون الاجتماعي النفسي للفرد، ليتلاءم مع المضمون القيمي والسلوكي للمجتمع الذي يعيش فيه، فإن التوجيه المتصل والمنظم من قبل المربي، يتطلب التوائم والتكيف من قبل الفرد النامي.

---

[122] نفس المرجع. ص:133.

[123] سعيد التل، مرجع سبق ذكره. ص:308.

4- **القدوة الصالحة:**

التي تمارس دورها في شحذ الفعالية الروحية للأمة، فإنما نعني بها تلكم النماذج القيمة الرائدة التي تقع على كواهلها مهمة التغيير الديناميكي، عن طريق القيادة العملية، غير المنظورة وغير المباشرة والتي تتولى في نفسها وسلوكها تجسيد وترجمة القيم والتعبير المثالي عن واقعيتها دون جبلة أو ضجيج، ولكن بلغة واقعية ومأنوسة اللهجة، إنها باختصار شديد، لغة العمل، ولهجة الواقع، تلكم التي تفوق أبلغ المواعظ والدروس، وتختصر الطريق في مقام التربية والتوجيه، والتغيير، والإصلاح، والحضارة، والتقدم[124].

5- **الإعلام:**

تعتبر وسائل الإعلام أدوات هامة في تحقيق أهداف متنوعة من بينها الأهداف التربوية، فالتربية بمفهومها الواسع لا تقتصر على فترة زمنية من عمر الإنسان، وإنما تمتد عبر مراحل عمره المختلفة منذ الطفولة إلى الكبر، و يقوم الإعلام على عملية الاتصال والتي تعرف على أنها العملية التي يتم من خلالها نقل الأفكار، والمعلومات، والمعتقدات، والآراء، والمواقف، والاتجاهات من وإلى الآخرين.

لقد أثبتت البحوث الحديثة أن الأفراد سواء كانوا صغاراً أو كباراً ليسوا سلبيين في تلقيهم وسائل الاتصال الجماهيري، فالرسالة التي تصل إلينا عبر وسائل الإعلام سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مرئية، يخضعها العقل البشري للتفكير

---

[124] محمود محمد سفر، مرجع سبق ذكره. ص:108.

المتسلسل حتى يصل بها إلى الفهم والاستيعاب، مروراً بمرحلة الإدراك والتحليل والمعرفة، لذلك فإن المخزون المعرفي المتراكم لدى الفرد بما فيه من اتجاهات وآراء ومعارف ومعتقدات وقيم، يتفاعل مع المعلومات التي توفرها وسائل الإعلام مما يؤدي في النهاية إلى تكوين صورة عقلية جديدة توجه سلوك الإنسان، لذلك فإن التأثر بهذه الوسائل يعتبر عاملاً من جملة عوامل ساهمت جميعها في إعادة تشكيل الصورة العقلية لدى الفرد، وأدت به إلى اتخاذ موقف معين[125].

6- **المناخ العام:**

يقصد بالمناخ العام المحصلة الانعكاسية لعطاء سائر المؤسسات، والهيئات التربوية، والتوجيهية، والإصلاحية ذات التأثير المباشر وغير المباشر في تأصيل الانتماء، وتأكيد الولاء للدين، والأمة، والوطن، وزرع ركائزه في النفس المسلمة...، هذا المناخ العام إنما يسوق المجتمع كله في مسار جمعي، ويتوجه به توجهاً جمعياً نحو الخريطة الحضارية المرسومة له، وهو وثيق الأواصر بربه، ودينه، وقيمه، ومثله، ووطنه، ومجتمعه[126].

فالمجتمع المسلم هو مجتمع أخلاقي منضبط، يلزم أفراده ومؤسساته بحشد من القيم والمعايير والضوابط، من أجل ألا يجنح به ميل أو هوى، وألا تنحرف نزوة أو شهوة...، إننا نستطيع أن نعاين الصورة المضيئة لأخلاقيات المجتمع المسلم بمجرد القيام بعرض مقارنة بينه وبين سائر المجتمعات، تلك التي لا تهمها المسألة الأخلاقية إلا بمقدار، أو التي لا تهمها على الإطلاق[127].

---

[125] سعيد التل، مرجع سبق ذكره. ص: 857-867.

[126] محمود محمد سفر، مرجع سبق ذكره. ص:108.

[127] عماد الدين خليل، رؤية إسلامية في قضايا معاصرة، مرجع سبق ذكره. ص: 112.

المبحث الرابع

ارتباط القيم بالثقافة والدين:

المطلب الأول: ارتباط القيم بالثقافة.

1/1 تعريف الثقافة:

لتوضيح العلاقة بين القيم والثقافة لابد من التعرض لمعنى ومفهوم مصطلح "ثقافة"، ولقد تعددت مفاهيم الثقافة من فكر إلى آخر، نتيجة لا لتغير مفهوم هذا المصطلح ولكن لتغير إدراكنا أو نفاد بصيرتنا إلى فهم معنى الثقافة، وإلى تغير الزاوية التي نوجه منها أبصارنا إلى تلك الثقافة، وكذلك البيئة التي نشأت ضمن إطارها هذه الثقافة، ويمكن استجلاء ذلك من خلال التعرض لبعض التعاريف التي نورد منها:

- يعرف مالينوفسكي الثقافة بأنها: "سيطرة الوسط على أعضاء المجتمع".
- أما نيتشه رآها:"وحدة الأسلوب في سائر المظاهر لشعب "IN" تحديدات في غير زمانها".
- أما ما ينشئ ثقافة""Kulture عند "جوت" إنما هي: "تلك العادات المشتركة في الذوق والأفكار بين الفرد والوسط الذي يعيش فيه، هذه هي طرق العيش بالتفكير الجماعي التي يتشكل منها شعب طول إحتكاكه المديد بالطبيعة"[128].

[128] مالك بن نبي، القضايا الكبرى. (الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، 1991). ص:80.

وعموما ففي الغرب يعرفون الثقافة على أنها تراث(الإنسانيات الإغريقية اللاتينية) بمعنى أن مشكلتها ذات علاقة وظيفية بالإنسان، فالثقافة على رأيهم هي فلسفة الإنسان".

- وفي البلاد الاشتراكية حيث يطبع تفكير ماركس كل القيم عرف"بادانوف" الثقافة في تقريره المشهور الذي قدمه لأحد مؤتمرات الحزب الشيوعي في موسكو على أنها ذات علاقة وظيفية بالجماعة، فالثقافة عنده هي" فلسفة المجتمع"، فالثقافة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة[129]، والثقافة تعرف بصورة عملية على أنها:" مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد من ولادته، كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه"، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته، وهكذا نرى أن هذا التعريف يقيم بين دفتيه فلسفة الإنسان وفلسفة الجماعة.
- كما تعرف الثقافة بأنها: "وسائل الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر التاريخ الظاهر منها والمتضمن، العقلي واللاعقلي، التي توجد في وقت معين وترشد وتوجه سلوك الأفراد في المجتمع"[130].
- وتعرف الثقافة من الناحية التاريخية، هي تلك الكتلة نفسها، بما تتضمنه من عادات متجانسة وعبقريات متقاربة، وتقاليد متكاملة، وأذواق متناسبة، وعواطف متشابهة.

---

[129] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره.ص: 88.

[130] حسن الفقي، الثقافة والتربية.(الطبعة الأولى، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1970).ص:7.

- أما من الناحية التربوية تعرف الثقافة على أنها:" ذلك الدم في جسم المجتمع يغذي حضارته ويحمل أفكار(النخبة) كما يحمل أفكار(العامة) وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة والأذواق المتناسبة"[131].

2/1 العلاقة بين القيم والثقافة:

إن طبيعة الثقافة من كونها ربانية أو بشرية، لها أثر فاعل وحاسم في نوعية القيم والمعايير التي تتشكل منها تلك الثقافة، وهي بالنتيجة ذات أثر حاسم في أنماط السلوك التي درج عليها الأفراد، فالثقافة كما يرى مالك بن نبي رحمه الله هي:" التعبير الحسي عن علاقة الفرد بهذا العالم أي بالمجال الروحي""Noosp Here" الذي ينمي فيه وجوده النفسي(أي أنها) نتيجة الاتصال المباشر بذلك المناخ"[132]، وعلى هذا الأساس فإن الثقافة الشخصية نقطة بين علم النفس وعلم الإنسان، فهذا العلم يذكرنا بأننا لا نستطيع أن نفهم الفرد فهماً جيداً بغير أن نأخذ في إعتبارنا الوضع الثقافي ومقومات الثقافة، ولا أن نفهم مؤسسات الثقافة بغير معرفة بالأفراد الذين يشاركون فيها...، وكثير من جوانب سلوك الإنسان ينبغي أن تفسر لا في ضوء الفرد نفسه، بل وأيضاً في ضوء الثقافة، سواء كانت خارجية أو داخلية...، ونستطيع أن نلاحظ الثقافة في سلوك الأفراد[133].

إن اختلاف الأفراد من حيث أنماط سلوكهم عائد إلى اختلاف الثقافات التي يتحركون في مناخها، وهي تختلف باختلاف القيم التي تشكل نسيجها ونسقها، وإذا كان الأمر كذلك فلابد من وضعه في الحسبان، كلما تعلقت الهمم بإصلاح الخلل في

---

[131] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره.ص: 92، 93.

[132] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة. (الطبعة الرابعة، دمشق، دار الفكر، 1404هـ-1984).ص:50.

[133] محمد منير مرسي، أصول التربية، مرجع سبق ذكره.ص:141.

البناء الاجتماعي والحضاري، لأن المفروض في الفعل الثقافي أن ينمي في الإنسان أساساً دوافع البناء وإذا شئت فقل أن الفعل الثقافي ككل فعل تغييري، أن يشتمل على عنصري الهدم والبناء، هدم العناصر المظلمة التي تشد الإنسان إلى الحضيض وتعوقه عن الانطلاق، وبناء العناصر المشرفة التي تدفع بالإنسان إلى الحركة من أجل أن يسمو إلى مكانة التكريم الإلهي[134].

ومما يجدر ذكره أن من حقائق النفس البشرية أن العناصر المشرقة التي تدفع بالإنسان إلى الحركة وتسمو به إلى درجة التكريم الإلهي، لن تتحول إلى فعل تغييري إلا إذا تمثلتها النفوس، وخلقت نوع من التجانس بينها في الاتجاه والسلوك، ويرى مالك بن نبي رحمه الله أن ميلاد المجتمع الإسلامي مثلاً كانت ثقافة هذا المجتمع جد متجانسة متحدة الطابع عند الخليفة والبدوي البسيط، وذلك يتجلى في موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما خطب في المسلمين غداة توليه الخلافة فقال قولته المشهورة:"أيها الناس من رأى منكم فيِّ اعوجاجاً فليقومه" وكان الرد على هذه المقولة ما نطق به أحد أولئك البدو البسطاء، "والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا"، هذا الحوار الفريد كان يطبع بطريقة رائعة أسلوب الحياة في مجتمع، اتحدت فيه حركات الفكر والعواطف ودوافع العمل، وفي كلمة واحدة اتحد فيها شكل السلوك لدى الخليفة والبدوي البسيط، والواقع أن عمر في مقولته تلك كان متجهاً صوب المجتمع الإسلامي، وأن الذي أجابه إنما هو ذلك المجتمع على لسان البدوي[135].

إن طبيعة البناء الثقافي وبالتالي النسق القيمي، هي التي تحدد حجم المسافة من نفس الإنسان التي يستجيب لها ذلك الإطار الثقافي، فإن كان ذلك الإطار فقيراً أو

---

[134] عبد المجيد بن مسعود، مرجع سبق ذكره.ص:54.

[135] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سبق ذكره.ص:51.

ناقصاً بحيث يركز على أبعاد بعينها من الكيان البشـري، فـإن ذلـك الـنقص لاحـق لا محالة بتلك النفس ومنعكس عليها بأكملها والعكس صحيحاً، أي أنه بقدر مـا يكـون الإطار الثقافي متكاملاً بفضل مضمونه ومحتواه الغني مـن القـيم التـي تمـس جوانـب الكيان الإنساني بأكملها، بقدر ما ينعكس ذلك على الإنسان، كمالاً وتوازنـاً وتماسـكاً، بحيث يشد من أزر الإنسان ويساعده في القيام برسالته الحضارية، وهي التي خلق من أجلها وهي وظيفة الاستخلاف في الأرض.

3/1 دور الثقافة في ترسيخ القيم:

تلعب الثقافة دوراً هاماً وبارزاً في ترسيخ وتثبيت القيم، فالثقافة باعتبارها هي البيئة التي تمارس مفعولها على الراعي والعالم على سواء[136]، وهي الوسط الذي يشكل داخله الكيان النفسي للفرد بالصورة نفسها التي يتكون أو يتم بها تشكل كيانه العضوي داخل المجال الحيوي الذي يتضمنه، مما يجعلنا نلحظ مدى تأثيرها على الفرد والجماعة من خلال ترسيخ القيم التي تحملها هذه الثقافة، فمثلاً نجد في المجتمع الإسلامي أن الثقافة السائدة فيه نابعة من تشريعات الله عز وجل المنزلة على رسوله ﷺوسنته العطرة، مما يجعل الثقافة تكون وترسخ مفاهيم خاصة من حيث مصدرها، في عقول المسلمين تنعكس في نظرتهم العامة للأمور مادية كانت أم معنوية، بحيث تجعل أحكامهم على مدى أفضلية سلوكياتهم وعدم أفضليتها وفقاً لما جاء في أحكام الشريعة الإسلامية، وهذا ما جعل الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله يؤكد على هذه القضية من خلال عملية النقد والتصحيح والتقويم، التي تظهر في سلوكيات أفراد المجتمع المتحضر، حيث يقول: ففي المجتمع المتحضر يقع كل خطأ في الأسلوب تحت طائلة النقد، ويقع كل خطأ في السلوك تحت إرغام المجتمع، وبواسطة هذه الوظيفة الثنائية الجانب يحافظ المجتمع على نقاوة أسلوبه، وعلى الصفات المميزة لفعاليته، وهذه الوظيفة إنما هي على وجه الدقة وظيفة الثقافة بالذات، كما أن كل ثقافة تحدد في أصلها على هذه القاعدة من الضمانات المتبادلة بين الجسم الاجتماعي والفرد، ومبدأ التبادل هذا هو الذي وضعه القرآن الكريم بصورة مجملة عند تعريفه للمسلمين على الوجه

[136] مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مرجع سبق ذكره.ص:80.

التالي[137]:﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[138].

وعلى نقيض من ذلك نجد أن الثقافة السائدة في المجتمعات الرأسمالية والشيوعية(الغربية عموماً)، نابعة من قوانين وضعية، وفلسفات فردية، وآراء شخصية كونت مفاهيم خاصة في عقول أفرادها، انعكست في نظرتهم العامة للأمور التي تحيط بهم، مما جعل أحكامهم على مدى أفضلية سلوكيات معنية دون غيرها، مبنية على متضمنات هذه الثقافة الأرضية التي ترضي أهواءهم ونزعاتهم دون أدنى اعتبار للخالق...، ويتأثر كل مجتمع بمظاهر الثقافة السائدة فيه حيث تنبثق منها مجموعة القيم الممثلة لها، والمعبرة عنها والتي تنتظم مع بعضها وتترابط في نسق خاص بها مكونة ما يسمى بنظام القيم في المجتمع، ويختلف نظام القيم السائد في مجتمع ما عن نظم القيم السائدة في المجتمعات الأخرى حتى وإن اشترك معها في بعض ما تتضمنه من قيم مماثلة وذلك تبعاً للثقافة العامة التي اشتقت منها، ويمثل نظام القيم السائد في أي مجتمع ضبطاً اجتماعياً لسلوكيات أفراده[139].

المطلب الثاني :ارتباط القيم بالدين :

كانت القيم هي السائدة في عصر الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين، ولم تزل تلك القيم تنشر ظلالها الوارفة على أفراد المجتمع الإسلامي بقدر استمدادهم وتمثلهم لها وربط نفوسهم بها، ويكمن السر من وراء تجانس الحياة بين

---

[137] نفس المرجع.ص:84.

[138] سورة آل عمران، الآية:110.

[139] ماهر محمود عمر، سيكولوجية العلاقات الاجتماعية. (القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 2001). ص:128-129.

أفراد المجتمع في ظل القيم الإسلامية، في ثبات وديمومة المصدر الذي كان يستقي أفراد المجتمع الإسلامي منه قيمهم، ولإلقاء بعض الضوء على قضية القيم أو الأخلاق الإسلامية التي خلقت نوعاً من التناسق بين أفراد المجتمع الإسلامي، وجب معرفة مصدر القيم، على أي أساس تقوم، هل المعول في القيم على العقل كما يقول علماء الأخلاق الغربيون؟، أم على الدين، كما يقرر ويرى علماء الإسلام عامة وعلماء أهل السنة والجماعة خاصة؟ وهل يعتمد في بناء منظومة قيمية متناسقة مما يؤدي إلى تناسق أفراد المجتمع على العقل الفردي أم العقل الجماعي؟.

فالمتمعن في قضية العقل البشري وتحليلها من جميع جوانبها يتوصل بكل وضوح وجلاء إلى الاقتناع بنقص الفكرة العقلية، وعجزها عن إرساء قواعد سليمة للقيم وذلك للأسباب التالية:

1 - لأن العقول –مصدر هذه الفكرة- متفاوتة في إدراكها وفي حكمها على الأشياء، وفي مقاييس الخير والشر، فيستحسن بعضها مالا يستحسنه الآخر، ويستقبح بعضها مالا يستقبحه الآخر، وهذا ما نراه في عصرنا الحاضر، ألوانا للفكرة العقلية أوقعت الشعوب في الحيرة والاضطراب، رأينا شيوعية، ورأسمالية، وديمقراطية، وديكتاتورية....

2 - ولأن العقول عرضة لأن تطغى عليها في تفكيرها وتقديرها الشهوات والأهواء، والتأثر بالشخصيات، والعنصريات، والأقليات وسائر الأغراض الكامنة في النفس...، وكم طلع المفكرون على الناس بقوانين زعموا لها من الأهداف السامية، والنوايا الطيبة ما كذبته الشواهد وأثبتت عكسه تماماً، أي أن نزعات منفعية كانت وراء صياغة تلك القوانين.

3 - لأن العقول محدودة الإدراك ليس في استطلاعها استطلاع كل مقتضيات الغد، وحوادث المستقبل على حسب ما دبر العليم الخبير في خلقه.

4 - لأن العقول إن اتفقت على ما وضعت وآمنت به حقاً، وكان بمحض إرادة الخير للإنسانية، غير متأثرة بنوازع خاصة، فإنه لا يمس إلا قلوب أصحابها التي نبع منها[140].

في ضوء هذه الحقائق والمعطيات عن طبيعة وحدود العقل البشري، يمكن الوقوف ملياً أمام وجهات نظر الاتجاهات الفكرية الإسلامية وموقفها من حقيقة القيم، وإذا كان العقل باستطاعته التمييز بين الخير والشر، أو كما يقال بين الحسن والقبح، وما إذا كان هذان الأخيران صفتان ذاتيتان في الأشياء أم أنهما مرهونتان بالشرع، وقد سبق وأن رأينا موقف المعتزلة من هذه القضية أثناء تناول الباحث لمصادر القيم، فالمعتزلة يمجدون العقل ويرون أن العقل بما يملك من طاقات بمقدوره التمييز بين الخير والشر، أو الحسن والقبح في الأشياء، ولا يرون ضرورة تدخل قوة خارجية إلى جانب العقل، فالحسن والقبح عندهم عقليين وليسا شرعيين، أما جمهور العلماء فقد رأوا أن العقل أضعف من أن يميز بين التحسين والتقبيح في الأشياء، لمحدودية إدراكه لكنهها، وما منح من قدرة على إدراك البراهين الدالة على وجود الخالق وصدق النبوة، لا يعني قدرته على إدراك حقيقة وكنه الله، وصفاته، ولذلك أمرنا الشرع بالإيمان بما جاء به الأنبياء والرسل ولكن وقافين عند حدود ما قالوه أمراً أو نهياً.

إن الأصل في الأخلاق الإسلامية عند أهل السنة والجماعة أي جمهور العلماء، يرجع إلى سلطة خارجية قاهرة هي سلطة الدين، وأساس هذا الدين هو القرآن الكريم

---

[140] محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام.(الطبعة الثالثة، القاهرة، دار القلم، 1966). ص: 14- .15

والسنة النبوية الشريفة، والصلة بين الدين الإسلامي والأخلاق عظيمة تبلغ حد التوحيد بينهما[141].

فالدين[142] هو المصدر الفذ المعصوم الذي يعرف منه حسن الأخلاق من قبيحها، والدين هو الذي يربط الإنسان بمثل أعلى يرنو إليه، ويعمل له، والدين هو الذي يحد من أنانية الفرد ويكفكف من طغيان الغريزة أو سيطرة العادات ويخضعها لأهدافه ومثله، ويربي فيه الضمير الحي الذي على أساسه يرتفع صرح الأخلاق، والأخلاق في نظر الإسلام هي الدين، كما قال ابن القيم رحمه الله:" فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين"[143]، وارتباط الدين بالأخلاق قائم على أساسين: أحدهما يتعلق بصحة وثبات واستمرارية الأخلاق الصادرة عن الدين وملاءمتها للفطرة التي فطر عليها الإنسان،

وثانيهما: يتعلق بالشحنة القوية التي تتحرك بها الأخلاق عبر النفوس، والتي تستمد قوامها من مباديء الدين، كما أن الدين لا يقف عند حد الدعوة إلى مكارم الأخلاق وتمجيدها، إنه هو الذي يرسي قواعدها، ويحدد معالمها، ويضبط مقاييسها الكلية، ويضع الأمثلة لكثير من جزئيات السلوك، ثم يغري بالاستقامة مثوبة و عقوبة على كلي السلوكين نصب العين.

أما الأخلاق النظرية التي يضعها الفلاسفة، فهي تولد باردة لا تجدي فتيلاً في تحريك النفوس، وبعث الحرارة فيها بل أنها تزيدها صقيعاً على صقيع لأنها تقوم على

---

[141] أحمد فؤاد الاهواني، التربية في الإسلام. (القاهرة، دار المعارف، 1980). ص:117.

[142] يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مرجع سبق ذكره.ص:190.

[143] ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين. (الجزء الثاني، القاهرة، دار الرشاد الحديثة، بدون تاريخ). ص:307.

أساس واهٍ لا يكاد يثبت أمام عوادي الزمن وصروف الحياة، قال الفيلسوف الألماني "فيخته": الأخلاق من غير دين عبث...، وقال الزعيم الهندي"غاندي": إن الدين ومكارم الأخلاق هما شيء واحد لا يقبلان الانفصال، ولا يفترقان عن بعضهما البعض، فهما وحدة لا تتجزأ، و إن الدين كالروح للأخلاق، والأخلاق كالجوارح للروح، وبعبارة أخرى إن الدين يغذي الأخلاق وينميها، وينعشها كما أن الماء يغذي الزرع وينميه.

إن حقيقة ارتباط الأخلاق بالدين قد أصبحت حاضرة ويزداد الوثوق واليقين بها يوماً بعد يوم في أذهان العقلاء من الغربيين الذين توصلوا إلى أنه بدون الدين لا يمكن أن تكون هناك أخلاق، وبدون أخلاق لا يمكن أن يكون هناك قانون[144].

وهذه النتيجة تثبت تهافت فكرة طالما روج لها أصحاب الفكر العلماني اللاديني، وهي فكرة الضمير، ونشأة هذا الضمير في معزل عن أجواء الدين التربوية، وبعبارة أخرى فإن الأبحاث والتجارب التي يزخر بها الواقع نفسه تعطي البرهان الساطع على خرافة الضمير بلا دين، ذلك أن الإنسان يكاد لا يعطي شيئاً إلا ليأخذ في مقابله شيئاً نقداً أو نسيئة، فنفسه تتطلع إلى الجزاء العادل على ما قدم...، وقد حاول الفلاسفة الماديون أن يشبعوا هذا الجانب بالأجزية الأخلاقية المجردة عن الدين، وعن طريق ما أسموه "الضمير" الذي يجزي فاعل الخير ومؤدي الواجب بالسرور والرضا والارتياح، الذي يحسه الإنسان بين جنبيه، ولكنهم حاروا كيف يجزى من يضحي بنفسه، ويبذل روحه، ويموت شهيداً في سبيل الحق؟ إنه لا مجال لرضى النفس

[144] يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مرجع سبق ذكره. ص:208-209.

وراحتها بعد الموت عند هؤلاء الماديين، والموت عندهم فناء محض، إن الإيمان بالله وبجزاء الآخرة هو الذي يحل هذه العقدة[145].

مما تقدم تبين بما لا يدع مجالاً للشك والمزايدة ضرورة ارتباط الأخلاق بالدين، فالدين هو مصدر جميع القيم والأخلاق، فلا يمكن أن نتصور أخلاقاً بمعزل عن الدين، لذلك فالإنسان مطلق الإنسان محكوم عليه بالخسران المبين، ولا يمكنه الخروج والنجاة من هذا الخسران إلا بإتباع هذا الدين، إتباع أوامره، واجتناب نواهيه، من خلال إيمانه بالله تعالى، وصدق النبوة وصدق الرسالة، وكذلك تحليه بمكارم الأخلاق التي نصت عليها نصوص الشرع، مما يؤثر إيجاباً على علاقته بربه وخالقه صلة وتوثيقاً، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بأخيه الإنسان وكذلك علاقته بالكون وما يحيط به من مخلوقات، سخرت لخدمة هذا الإنسان تحقيقاً لمبدأ الاستخلاف، والإنسان كائن اجتماعي يشعر بكينونته الفردية المتأصلة فيه، يتطلع إلى حب البقاء والاستمرارية، ويدافع على ذلك بما أوتي من إمكانيات ووسائل زود بها، وأهم مقومات هذا الإنسان ما ميزه به الله من عقل على سائر المخلوقات، فالعقل هو أداة التفكير، وهو مناط التكليف لحمل رسالة السماء التي يمارس من خلالها أمانة الاستخلاف عن طريق التدبر في ملكوت السماوات والأرض، بحثاً عن الطاقات المبثوثة في هذا الكون، والمسخرة لخدمة الإنسان لإنجاز مشروعه الحضاري حماية لوجوده، أي حماية للنفس البشرية حتى لا ينعدم النوع الإنساني(تكثير النسل)، وفي هذه الحالة يتطلب للقيام بهذا العمل تحصيل المال والسعي لكسبه بالوسائل والطرق المشروعة، والمحافظة عليه من الضياع والاندثار، إلا أن هذه العناصر التي سبق ذكرها لتحقيق رسالة الاستخلاف من: نفس، وعقل، ونسل، ومال، لا تكتمل ولا تؤدي دورها إلا بوجود عنصر رابط وديناميكي يؤلف بين العناصر الأربعة السابقة، ليتحقق من خلالها المفهوم الشامل

---

[145] نفس المرجع. ص: 261.

لمعنى الاستخلاف، الذي يمنح النفس مبدأ الشعور، كما يقول كسرـ لانـج[1]، هـذا عنصر هو الـدين، الـذي يعـد حسـب العبـارة الشـائعة "مـؤثر صـالح في كـل زمـان ومكان"(146)، فالدين هو الذي يمنح الإنسان قوة المغالبة لأداء الرسـالة(الأمانـة) التـي كلف بها، وهذه العناصر الخمسة التي سبق ذكرها من: دين، ونفس، وعقـل، ونسـل، ومال هي ما أصطلح على تسميتها بكليات الشرع الخمسة، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: "إن تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعـدوا ثلاثة أقسام:أحدها أن تكون ضرورية، والثاني: أن تكون حاجية، والثالـث: أن تكـون تحسينية.

فأما الضرورية فمعناها أنها لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيـث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بـل عـلى فسـاد وتهـارج وفـوت حيـاة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبـين والحفـظ لهـا يكـون بـأمرين: أحدهما ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجـود، والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقـع فيهـا، وذلـك مراعاتهـا مـن جانـب العدم(147)، ويقول في موضع آخر من الموافقات: ونظام الشريعة في نفسه عجيـب، فـإن تلك الأحكام الشاملة هي نفسها مشمولة بالمقاصد الأصـلية التـي هـي الضرـوريات الخمس، لأن كل حكم هادف إلى جلب مصلحة، أو دفع مفسدة لغايـة المحافظـة عـلى الدين، أو النفس، أو العقل، أو النسل أو المال، وهذه الضروريات الخمس هي دعـائم وجود عالمنا الدنيوي وصلاحه، ولو إنخرمت لم يبق للجنس البشري وجود، وهي فيما بينها مترابطة ترابطاً محكماً بحيث يتوقف وجود بعضها على وجـود الـبعض الآخـر، " فلو عدم الدين لعدم ترتب الجزاء المرتجى، ولو عدم المكلف (النفس) لعدم من يتدين،

(146) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره. ص:65.

(147) الإمام الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة. (بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ). ص:8.

ولو عدم العقل لأرتفع التدين، ولو عدم النسل لم يكن في العادة، بقاء، ولو عدم المال لم يبق عيش"[148].

من خلال كلام الإمام الشاطبي رحمه الله يتضح أن الشريعة تهدف من تكاليفها إلى حماية وحفظ مجموعة من المقاصد أو ما تسمى بمصالح العباد في المعاش والمعاد، أي الدنيا والآخرة منها ما هو ضروري كما رأينا، وأن فقدانها يؤدي إلى فقدان الحياة معناها الحقيقي مما يترتب عليه فقدان مصلحة الدنيا والآخرة.

إن حفظ هذه المصالح والمقاصد الشرعية لا يتم إلا من خلال تشبع أفراد المجتمع بنظام قيمي يتصف بالكمال، هذا النظام الذي يكون بمثابة موجه للأمة إلى تحقيق أهدافها، مما يجعل من أفراد المجتمع "قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف"[149]، ولا يشكل هذا النسق القيمي إلا إذا اعتمد أساس راسخ هو الإيمان بوحدانية الله، والإقرار بعبوديته الخالصة، لأنه كما يقول الشهيد سيد قطب في كتابه المستقبل لهذا الدين: " هناك ارتباط بين النظام الاجتماعي وطبيعة التصور الإعتقادي، بل هناك ما هو أكبر من الارتباط الوثيق، هناك الانبثاق الحيوي، انبثاق النظام الاجتماعي من التصور الإعتقادي، هذا الانبثاق، وهذا التكيف، وجه من وجوه الارتباط بين التصور الإعتقادي والنظام الاجتماعي، بل منهج الحياة كله بما فيه مشاعر الناس وأخلاقهم وعباداتهم وشعائرهم وتقاليدهم، وكل نشاط إنساني في هذه الأرض جميعاً"[150].

---

[148] حمادي العبيدي، مرجع سبق ذكره. ص:190.

[149] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره. ص:84.

[150] سيد قطب، المستقبل لهذا الدين. (القاهرة، دار الشروق، 1415هـ-1995). ص:12-13.

ونخلص على ضوء المعطيات التي مرت بنا إلى أن القيم الإسلامية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدين، فلا يمكن أن تنفك عنه قيد أنملة، وأن قيمتها مستمدة من قيمة الدين، واستمراره ودوامه، كما أن القيم تتمحور حول كليات الشرع الخمس، وما يتعلق بها من حاجيات وتحسينات، وأنها تتحرك جميعاً في إطار التصور الشمولي الذي يمنحه الإسلام للأسنان، مما يزيدها تحفيزاً ويمنحها قوة الدفع كما يقول مالك بن نبي:" ذلك الشعور القوي في الإنسان، الذي تصدر عنه مخترعاته وتصوراته وتبليغه لرسالته، وقدرته الخفية على إدراك الأشياء"[151]، وبهذه القوة وحدها يشعر المسلم على الرغم من فاقته وعريه الآن بثروته الخالدة التي لا يدري من أمر إستخدامها شيء.[152]

[151] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره. ص:63.

[152] نفس المرجع. ص:66.



الباب الثاني

القيم بين التصور الإسلامي والتصور الوضعي

ويعتبر الإسلام من أكثر العقائد الدينية، فضلا عن الفلسفات الوضعية، تأثيراً في ذات الإنسان، لأنه يمثل العقيدة التي تجمع بين الجانب الروحي والمادي، والعقلي والوجداني، فالإسلام في تعاليمه لا يدعو إلى الالتزام بالجانب الروحي، أو الأخلاقي والوجداني فقط، وإنما نجده يوازن بين هذه الجوانب لكي يكون أثره أكثر إيجابية، وأكثر شمولاً لحاجات الإنسان[153].

[153] أثر تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي في المجتمع، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي.(الرياض، إدارة الثقافة والنشر، 1404هـ، 1984).ص: 270.

الفصل الأول

منهجية القيم الإسلامية في تشكيل العقل المسلم.

المنهجية الإسلامية هي القواعد المقررة للتنظيم و الوسائل و البحوث التي يتوصل بها لمعرفة الأحكام الشرعية العملية التي تتعلق بسلوك الإنسان و انفعاله في مجتمعه البشري[154].

المبحث الأول

مكانة الإنسان وتكريمه في الإسلام.

المطلب الأول: مكانة الإنسان في الإسلام.

ليس من المبالغة في شيء أن نقول إن الإنسان يحتل في عقيدة الإسلام منزلة لا تعلو عليها سوى منزلة الله تعالى، وقصة خلق الإنسان ذاتها تدل على هذه المنزلة[155]، فالقرآن الكريم وهو يسرد لنا أحداث قصة خلق الإنسان، يبين لنا هذه المكانة التي خص الله بها هذا الكائن على سائر المخلوقات، مما جعل عناية العقيدة الإسلامية بالإنسان، و إعطائه المكانة اللائقة به خلاف المعتقدات الأخرى وكذلك الاتجاهات الفكرية الإنسانية الأخرى، قال تعالى في شأن قصة خلق الإنسان هذه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

---

[154] محمود أبو السعود، المنهجية للعلوم السلوكية، بحث في ندوة المنهجية الإسلامية و العلوم السلوكية و التربوية.ص:390.

[155] عبد الغني عبود، في التربية الإسلامية. (الطبعة الثالثة، القاهرة، دار الفكر العربي، 1414هـ، 1994). ص: 27.

لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾[156]، قال ابن جرير:فكان تأويل الآية على هذا "إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بالعدل بين خلقي، و أن ذلك الخليفة هو آدم و من قام مقامه في طاعة الله، و الحكم بالعدل بين خلقه[157]"، و قال أحد العلماء في تأويل الآية:"خليفة عن الله تعالى في إقامة شرعه و دلائل توحيده و الحكم في خلقه و هذا قول ابن مسعود ومجاهد"[158]، و جميع ماروي من هذه المعاني يحتمله هذا اللفظ، و جائز أن يكون جميعه مراد الله تعالى، وهو محمول على ذلك عندنا

والقول للجصاص- فلا يجوز أن يكون الظالم نبيا ولا خليفة لنبي، ولا قاضيا، ولا من يلزم الناس قبول قوله في الدين من مفت أو مشاهد أو مخبر عن النبي ﷺ خبرا فقد أفادت الآية أن شرط جميع من كان محل الإئتمام به في أمر الدين: العدالة و الصلاح"[159]، و عن أنس عن النبي ﷺ قال: **(يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو إستشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول: لست هنآكم و يذكر ذنبه فيستحي إئتوا نوحا...)[160]"**

---

(156) سورة البقرة، الآية: 30.

(157)ابن كثير، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول.ص:71.

(158)ابن الجوزي، زاد المسير، الجزء الأول.(الطبعة الثانية، بيروت، المكتب الإسلامي، 1404هـ). ص:60.

(159)أبو بكر الجصاص، أحكام القرآن، الجزء الأول.(بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1405هـ). ص:85.

إن القيمة الكبرى التي يعطيها التصور الإسلامي للإنسان و دوره في الأرض، و لمكانته في نظام الوجود، و للقيم التي يوزن بها، هي ما يمكن استنتاجه من قصة خلق آدم في القرآن الكريم، ثم لحقيقة ارتباطه بعهد الله، و لحقيقة هذا العهد الذي قامت خلافته على أساسه، و تتبدى هذه القيمة الكبرى التي يعطيها التصور الإسلامي للإنسان، أنه مخلوق ليكون خليفة في الأرض، مما يؤدي إلى انبثاق اعتبارات ذات قيمة كبيرة في عالم التصور و في الواقع على السواء.

وأول اعتبار هو: أن الإنسان سيد هذه الأرض ومن أجله خلق كل شئ فيها، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ* وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ* وَ آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[161]، و قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[162]، فهو إذن أعز وأكرم وأغلى من كل شئ مادي، ومن كل قيمة مادية في هذه الأرض جميعاً، ولا يجوز إذن أن يستعبد ويستذل لقاء توفير قيمة مادية أو شئ مادي....

---

[2] ابن كثير، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص:74.

[3] سورة إبراهيم، الآيات: 32-33-34.

[4] سورة النحل، الآيات: من 5 حتى 8.

فهذه الماديات كلها مخلوقة أو مصنوعة من أجل تحقيق إنسانيته، ومن أجل تقرير وجوده الإنساني، فلا يجوز إذن أن يكون ثمنها هو سلب قيمة من قيمه الإنسانية، أو نقص مقوم من مقومات كرامته.

والاعتبار الثاني: هو أن دور الإنسان في الأرض هو الدور الأول، و ليست وسائل الإنتاج، ولا توزيع الإنتاج، هي التي يقوم الإنسان وراءها ذليلاًسلبياً كما تصوره المذاهب المادية التي تحقر من دور الإنسان وتصغر، بقدر ما تعظم في دور الآلة وتكبر.

وما من شك أن كلا من نظرة الإسلام هذه والنظرة المادية للإنسان، تؤثر في طبيعة النظام الذي تقيمه هذه وتلك للإنسان، وطبيعة احترام المقومات الإنسانية وإهدارها، وطبيعة تكريم هذا الإنسان وتحقيره، وليس ما نراه في العالم المادي من إهدار كل حريات الإنسان و حرماته ومقوماته في سبيل توفير الإنتاج المادي وتكثيره، إلا أثراً من أثار تلك النظرة إلى حقيقة دوره في هذه الأرض، كذلك ينشأ عن نظرة الإسلام الرفيعة إلى حقيقة الإنسان ووظيفته، و إعلاء القيم الأدبية في وزنه وتقديره، وإعلاء قيمة الفضائل الخلقية، وتكبير قيم الإيمان والصلاح، والإخلاص في حياته، فهذه هي القيم التي يقوم عليها عهد استخلافه[163].

المطلب الثاني : تكريم الإسلام للإنسان.

من أولى وأهم القيم التي حرص الإسلام على غرسها ورعايتها في النفس البشرية، اعتبار الإنسان كائن مكرم على سائر الخلق، مكرم بالعقل الذي ميزه الله به على سائر المخلوقات، مميز بحمل رسالة الاستخلاف، مكرم من خلقه في أحسن

---

(163) سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الأول، مرجع سبق ذكره. ص:60.

صورة إلى تسخير كل موجودات الكون لخدمته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[164].

يقول سيد قطب رحمه الله: " ومن التكريم أن يكون الإنسان قيما على نفسه، متحملاًتبعة اتجاهه وعمله ، فهذه هي الصفة الأولى التي بها كان الإنسان إنسانا، حرية الاتجاه و فردية التبعة، وبها استخلاف في دار العمل، فمن العدل أن يلقى جزاء اتجاهه وثمرة عمله في دار الحساب"[165]، هذا التكريم وهذا التفضيل على سائر المخلوقات جميعاً، تفضيلاًليس منبعه ومرده الآدمية والإنسانية فحسب ، ولكن لما يترتب على هذا التفضيل من تكليف، وحمل لرسالة السماء التي أبت جميع المخلوقات أن تحملنها وأشفقت على نفسها من أعبائها وتبعاتها لتمضي جميعاً لشأنها بإذن ربها...، وتخضع لمشيئته، فلا جهد منها ولا كد، قال تعالى:﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[166]، لقد أشفقت من أمانة التبعة، وأمانة الإرادة، أمانة المعرفة الذاتية، أمانة المحاولة الخاصة، وحملها الإنسان، الإنسان الذي يعرف الله بإدراكه وشعوره، ويهتدي إلى ناموسه بتدبره وبصرته، ويعمل وفق هذا الناموس بمحاولته وجهده...، إنها الإرادة، والإدراك، والمحاولة، وحمل التبعة...، هي هي ميزة هذا الإنسان على كثير من خلق الله، وهي مناط التكريم الذي أعلنه الله في الملأ الأعلى[167].

---

(164) سورة الإسراء، الآية: 70.

(165) سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الرابع، مرجع سبق ذكره. ص: 2241.

(166) سورة الأحزاب، الآية: 72.

(167) سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الخامس، مرجع سبق ذكره. ص:2885.

أما العلامة الألوسي فيورد فيما يتعلق بتفسير الآية: ﴿ولقد كرمنا بني آدم...﴾ تفسيراً يستند فيه على رأي الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما يرى فيه أن التكريم عام لجميع البشر، برهم و فاجرهم، فهم ذوو كرم، أي شرف ومحاسن جمة لا يحيط بها نطاق الحصر وعلى رأس هذه المكارم والمحاسن العقل[168].

أما الإمام الرازي في تفسيره حين يتناول قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾، فيقول(169):" أعلم أن المقصود من هذه الآية ذكر نعمة أخرى جليلة رفيعة من نعم الله تعالى على الإنسان وهي الأشياء التي بها فضل الإنسان على غيره وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية أربعة أنواع:

النوع الأول: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾، أعلم أن الإنسان جوهر مركب من النفس والبدن، فالنفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة في العالم السفلي، وبدنه أشرف الأجسام، الموجودة في العالم السفلي.

النوع الثاني: من المدائح المذكورة في هذه الآية: ﴿وحملناهم في البر والبحر﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما في البر على الخيل والبغال و الحمير والإبل، وفي البحر على السفن وهذه أيضاً من مؤكدات التكريم المذكور أولاً.

النوع الثالث: من المدائح قوله تعالى: ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾، و ذلك لأن الأغذية إما حيوانية وإما نباتية، وكلا القسمين إنما يتغذى الإنسان منه بألطف أنواعها، وأشرف أقسامها بعد التنقية التامة.

(168) العلامة الألوسي البغدادي، روح المعاني.(القاهرة، مكتبة دار التراث، بدون تاريخ). ص:117.
(169) الإمام محمد الرازي، من تفسير الفخر الرازي. (بيروت، دار الفكر، 1414هـ. 1994). ص:13.

النوع الرابع: ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ منهم من قال: (أي العلماء) بتفضيل المؤمنين على الملائكة واحتجوا عليه بما روي عن زيد بن أسلم أنه قال:" قالت الملائكة ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتنعمون ولم تعطنا ذلك فأعطنا ذاك في الآخرة، فقال: وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له "كن" فكان"، و قال أبو هريرة رضي الله عنه:" المؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده"[170].

كما أن هذا التكريم الذي دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ليس خاصاً بعنصر دون عنصر، ولا جنس دون جنس، بل الجميع فيه سواء...، وأعتبر الإسلام الناس جميعاً أمة واحدة، الإنسانية تجمعها، وإذا فرقت الأهواء فالأصل واحد، ولقد صرح القرآن بهذه الوحدة في آيات كثيرة، وما دام الأصل واحد فالوحدة شاملة[171]،

قال تعالى في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[172]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[173]، يقول الشيخ أبو بكر الجزائري تفسيراً لهذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

---

[170] نفس المرجع. ص: 16-17.

[171] محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام. (القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ). ص:20.

[172] سورة النساء، الآية:1.

[173] سورة الحجرات، الآية:13.

مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾، من آدم وحواء باعتبار الأصل كما أن كل آدمي مخلوق من أبوين أحدهما ذكر والآخر أنثى، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، وبطون وأفخاذ وفصائل، كل هذا لحكمة التعارف فلم يجعلكم كجنس الحيوان لا يعرف الحيوان الآخر، ولكن جعلهم شعوباً وعائلات وأسر، لحكمة التعارف المقتضي للتعاون، إذ التعاون بين الأفراد ضروري لقيام مجتمع صالح سعيد، فتعارفوا، وتعاونوا، ولا تتفرقوا لأجل التفاخر بالأنساب، فإنه لا قيمة للحسب ولا للنسب إذا كان المرء هابطاً في نفسه وخلقه، وفاسداً في سلوكه، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ إن الشرف والكمال فيما عليه الإنسان من زكاة روحه، وسلامة خلقه، وإصابة رأيه، وكثرة معارفه[174].

أما الإمام الطبرسي فيرى في تفسيره للآية السابقة في سورة الحجرات: أي أن الله خلقكم من آدم وحواء، والمعنى أنكم متساوون في النسب لأن كلكم يرجع نسبه إلى آدم وحواء، روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **(إنما أنتم من رجل وامرأة كجمام الصاع ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى)**[175].

والإسلام جاء ليقرر وحدة الجنس البشري في النشأة والمصير، في المحيا والممات، في الحقوق والواجبات، أمام القانون وأمام الله في الدنيا وفي الآخرة، لا فضل إلا بالعمل الصالح، ولا كرامة إلا للأتقى[176].

---

[174] أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المجلد الرابع. (الطبعة الثانية، جدة، دار راسم للدعاية والإعلان، 1407 – 1987). ص: 295.

[175] الإمام الطبرسي، مجمع البيان، الجزء السادس عشر. (بيروت، دار مكتبة الحياة، بدون تاريخ). ص: 96.

[176] سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام.(الطبعة السابعة، القاهرة، مطبعة دار الكتاب العربي، 1386هـ، 1967). ص: 52.

إن التكريم الذي خص الله به الإنسان لم يأخذ صورة واحدة أو هيئة واحدة أو جانب من جوانب الإنسان بل أخذ صور متعددة وهيئات مختلفة في أشكاله، فكرمه بخلقه على تلك الهيئة، بهذه الفطرة التي تجمع بين الطين ونفخة الروح، فتجمع بين الأرض والسماء في ذلك الكيان، كرمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته، والتي استأهل بها الخلافة في الأرض يغير فيها، ويبدل، وينتج فيها وينشئ، يركب فيها ويحلل، يبلغ فيها الكمال المقدر للحياة، كرمه بتسخير القوى الكونية في الكواكب والأفلاك، وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذي استقبله به الوجود، وبذلك الموكب الذي تسجد فيه الملائكة، ويعلن فيه الخالق جل شأنه تكريم هذا الإنسان، كرمه بإعلان هذا التكريم كله في كتابه المنزل من الملأ الأعلى الباقي في الأرض...، القرآن[177]، من خلال النصوص السابقة وغيرها، وما أورده العلماء الأجلاء توضيحاً لصور التكريم الإلهي الذي خص به الإنسان على سائر المخلوقات يمكن إجمال هذه الصور فيما يلي:

1 - أول تكريم حظي به الإنسان من قبل خالقه أنه ذكره في الملأ الأعلى قبل خلقه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[178]، يقول المفسرون "الجعل" بمعنى الخلق.

2 - أنه خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته أجمعون، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا

---

[177] سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الرابع، مرجع سبق ذكره. ص:224.

[178] سورة البقرة، الآية: 30.

سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[179]، وقوله في صورة (ص): ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[180].

3 - كرمه بأن خلقه في أحسن صورة، في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[181]،

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[182].

4 - تكريمه بأن أنعم عليه بنعمة العقل، والتمييز والتعلم، في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[183]، و قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[184]، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ...﴾[185].

5 - تكريمه بما أغدق عليه وأصبغ عليه من النعم الظاهرة والباطنة والتي لا تعد ولا تحصى وأهمها نعمة العقل ونعم الحواس وغيرها، وقد ذكر الله تعالى ذلك في الكثير من آي القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[186].

---

(179) سورة الحجر، الآيتان: 28-29.

(180) سورة ص، الآية: 72.

(181) سورة التغابن، الآية: 3.

(182) سورة التين، الآية: 4.

(183) سورة الرحمن، الآيتان: 3-4.

(184) سورة العلق ، الآيات من:1-5.

(185) سورة البقرة، الآية: 3.

(186) سورة إبراهيم، الآية: 34.

6 - تفضيله على كثير من خلقه، في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[187].

7 - كرمه بأن سخر كل المخلوقات لخدمته، في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[188]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[189]، وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ*وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[190].

8 - كرمه بأن حمله أمانة السماوات والأرض وأعطاه الحرية الكاملة في ذلك دون إجبار، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[191]، وقوله تعالى:﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى*وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى*وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾[192]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[193].

---

[187] سورة الإسراء: الآية 70.

[188] سورة النحل، الآية: 12.

[189] سورة النحل، الآية:14.

[190] سورة الجاثية، الآيتان: 12-13.

[191] سورة الأحزاب، الآية: 72.

[192] سورة النجم، الآيات: 38-39-40.

[193] سورة الطور، الآية: 21.

9 - إرسال الرسل لهداية الخلق رحمة بهم ويعد هذا التكريم من أعظم النعم التي أنعم بها الله على الإنسان، قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[194]، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[195]، وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ*يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[196].

10- استحقاق لمحبة الله تعالى له ورضاه عنه: كما أرشد إلى الوسائل التي بها يستحق هذا الحب، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[197]، ومن المظاهر التي نال بها الأفراد والمجتمع رضا الله ومحبته، ما نصت عليه الآيات القرآنية الكريمة والتي جاءت في صيغ متعددة، كل صيغة تدل على مرتبة إيمانية بلغها المجتمع أو فئة منه:

---

[194] سورة الأنفال، الآية: 24.

[195] سورة الأعراف، الآية: 43.

[196] سورة المائدة، الآيتان: 15-16.

[197] سورة النحل، الآية: 97.

أ- الإحسان: لقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[198]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[199]، وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[200].

ب- التقوى: صفة التقوى وردت في قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[201]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[202].

ج-المقسطين: وردت هذه الصفة في العديد من الآيات، لقوله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ[203]﴾، و قوله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[204].

---

[198] سورة البقرة، الآية: 195.

[199] سورة آل عمران، الآية :134.

[200] سورة المائدة، الآية:13.

[201] سورة آل عمران، الآية: 76.

[202] سورة التوبة، الآية: 4.

[203] سورة المائدة، الآية: 42.

[204] سورة الممتحنة، الآية: 8.

د- **المتطهرين:** لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[205]، وقوله في سورة التوبة: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[206].

ه- **الصابرين:** أوضحت ذلك الكثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[207].

و- **المتوكلين:** أوضحت ذلك الآية من سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[208].

ز- **التوابين:** جاء ذلك في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[209].

---

[205] سورة البقرة، الآية: 222.

[206] سورة التوبة، الآية: 108.

[207] سورة آل عمران، الآية: 146.

[208] سورة آل عمران، الآية: 159.

[209] سورة البقرة، الآية: 222.

ح- **المجاهدين في سبيل الله والموحدي صفوفهم**، ذلك ما نصت عليه الآية الكريمة في سورة الصف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[210].

ط- **من صور التكريم الإلهي للإنسان تقريبه منه ومعيته له**، يتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[211]، أما مظاهر المعية الإلهية للإنسان فهي متعددة نذكر منها ثلاثة صور متباينة للتوضيح وتقريب الصورة:

ي- **معينة تتعلق بالمراقبة**: جاء ذلك في سورة الحديد، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[212]، وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[213].

ك- **معية تتصل بالتأييد والنصرة**، وكان ذلك على لسان موسى عليه السلام لما قال له أصحابه إناَ لمدركون من قبل فرعون وجنوده، فرد رد الواثق من نصرة الله له: ﴿قَالَ

---

[210] سورة الصف، الآية: 4.

[211] سورة البقرة، الآية: 186.

[212] سورة الحديد، الآية:4.

[213] سورة المائدة، الآية: 12.

كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[214]، وقوله تعالى على لسان سيدنا محمد ﷺ مطمئناً الصديق رضي الله عنه بعدم إكتشافهما من قبل كفار قريش وهما في غار حراء، فكان رده كذلك رد الواثق بنصر الله تعالى له ولصاحبه: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[215].

ل- **معية تتصل بالتوفيق والمحبة**، في قوله تعالى: ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[216]، وقوله تعالى مبيناً معيته للتثبيت على الصبر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[217]، و قوله تعالى:﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[218]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ

(214) سورة الشعراء، الآية: 62.

(215) سورة التوبة، الآية: 40.

(216) سورة البقرة، الآية: 194.

(217) سورة البقرة، الآية: 153.

(218) سورة التوبة، الآية: 36.

الْمُتَّقِينَ﴾[219]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[220].

11- **إحاطته بالرعاية الإلهية لحفظه من أي سوء:** قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[221]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾[222]، وكذلك سورتي الفلق والناس.

12- **حرمة ماله ودمه وعرضه:** من مظاهر التكريم الإلهي للإنسان أن حرم قتله وتوعد من تسبب في ذلك بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة، كذلك حرم الاعتداء على أمواله وممتلكاته، وانتهاك عرضه، فقال تعالى في سورة المائدة: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[223]، وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[224].

13- **تكريمه بالمساواة بين جميع بني البشر،** دون فوارق اجتماعية أو شخصية، دون فوارق اللون، أو الجنس، لأنهم من أصل واحد فلا تفاضل إلا بتقوى الله، قال

[219] سورة التوبة، الآية:123.

[220] سورة العنكبوت، الآية: 69.

[221] سورة الطارق، الآية: 4.

[222] سورة الانفطار، الآية: 10.

[223] سورة المائدة، الآية: 32.

[224] سورة البقرة، الآية: 179.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[225].

14- **التكريم الأعظم يوم القيامة بما أعده الله للطائعين**، من النعم حيث يدخلون الجنة خالدين مخلدين فيها، متمتعين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويحظون برضوان الله والنظر إلى وجهه الكريم، ذلك هو الفوز العظيم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[226]، وقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[227].

[225] سورة الحجرات، الآية: 13.

[226] سورة التوبة، الآية: 72.

[227] سورة ق، الآيتان: 34-35.

المبحث الثاني

منهجية القيم الإسلامية والفرد المسلم.

المطلب الأول: قيمة الحرية:

الحرية حق للبشر على الجملة أي الجميع، لأن الله تعالى لما خلق للإنسان العقل والإرادة وأودع فيه القدرة على العمل أكن فيه حقيقة الحرية وخوله استخدامها بالإذن التكويني المستقر في الخلقة[228]، وهي مادة الحياة التي تصنعها أولاً بطلاقة النظر والشعور الباطن، رأياً يطرأ ظناً وميلاًأو يرسخ فيبلغ اليقين والطمأنينة[229].

ولذلك بدأ الإسلام بتحرير الوجدان البشري من عبادة أحد غير الله، ومن الخضوع لأحد غير الله، فما لأحد غير الله عليه من سلطان، وما من أحد يمينه ويحييه غير الله، وما من أحد يملك له ضراً ولا نفعاً، وما من أحد يرزقه في الأرض ولا في السماء وليس بينه وبين الله وسيط ولا شفيع، والله وحده هو الذي يستطيع والكل سواء عبيد لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً[230]، فإذا تحرر الوجدان من شعور العبادة والقداسة لعبد من عباد الله، أو امتلأ بالشعور بأنه على اتصال كامل بالله، لم يتأثر بشعور الخوف على الحياة، أو الخوف على الرزق، أو الخوف على المكانة، وهو شعور خبيث يغض من إحساس الفرد بنفسه، وقد يدعوه إلى قبول الذل، أو إلى التنازل عن كثير من كرامته وكثير من حقوقه، ولكن الإسلام لشدة حرصه على أن

---

(228) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.(تونس، الشركة القومية للنشر، 1964).ص: 169.

(229) حسن عبد الله الترابي، النظم السلطانية بين الأصول وسنن الواقع. (الطبعة الأولى، بيروت، دار الساقي، 2003م). ص:139.

(230) سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، مرجع سبق ذكره. ص:36.

يحقق للناس العزة والكرامة، وأن يبث في نفوسهم الإعزاز بالحق والمحافظة على العدل، وأن يضمن بذلك كله ـ علاوة على التشريع ـ عدالة اجتماعية مطلقة لا يفرط فيها الإنسان...، لهذا كله يعنى عناية خاصة بأن يقاوم الشعور بالخوف على الحياة وعلى الرزق وعلى المكانة[231].

والحرية بمفهومها الحقيقي الذي دلت عليه آيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى ﷺ حرية شاملة لجميع نواحي الحياة فمنها:

1- حرية الرأي: أي أن يكون الإنسان حراً في التعبير عن رأيه المنفتح والفعل الظاهر قولاً باللسان والقلم تعبيراً عن نفسه وآماله وتطلعاته **"أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"**[232].

أخرج الطبراني عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أنه صعد المنبر يوم الجمعة فقال عند خطبته: إن المال مالنا والفيء فيئنا فمن شئنا أعطيناه ومن شئنا منعناه، فلم يجبه أحد، فلما كان في الجمعة الثانية قال مثل ذلك، فلم يجبه أحد، فلما كان في الجمعة الثالثة قال مثل مقالته، فقام إليه رجل ممن حضر المسجد فقال: كلا إنما المال مالنا والفيء فيئنا، فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله بسيوفنا، فنزل معاوية رضي الله عنه، فأرسل إلى الرجل فأدخله، فقال القوم: هلك الرجل ثم دخل الناس فوجدوا الرجل معه على السرير فقال معاوية للناس: إن هذا أحياني أحياه الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(سيكون بعدي أمراء يقولون ولا يرد عليهم يتقاحمون في النار كما تتقاحم القردة)**، وإني تكلمت أول جمعة فلم يرد علي أحد فخشيت أن أكون منهم، ثم تكلمت

---

(231) نفس المرجع. ص:39.

(232) الإمام الشوكاني، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص:263.

في الجمعة الثانية فلم يرد علي أحد فقلت في نفسي إني من القوم، ثم تكلمت في الجمعة الثالثة فقام هذا الرجل فرد علي، فأحياني أحياه الله[233].

يقول الفيلسوف الفرنسي جوستاف لبون: "إن العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين، وجعل الخليفة الثاني بلاد الأندلس فردوساً، وكان اليهود والنصارى يتلاقون (يتنقلون) في تلك البلاد تحت ظلال الأمن والحرية، وقال بطرس المحترم المشهور أنه رأى كثيراً من العلماء يأتون إلى تلك البلاد – الأندلس– لتلقي العلوم الفلكية حتى من بلاد إنجلترا وأولئك الذين يسعون إلى طلب العلوم من أي بلاد جاءوا، كانوا يجدون فيها رحباً وسعة[234].

ومن مظاهر حرية الرأي ما يرويه خلف بن المثنى حيث قال: "لقد شهدنا عشرة في البصرة يجتمعون في مجلس لا يعرف مثلهم في الدنيا علماً ونباهة وما كان أحد منهم يصادر حرية أحد وهم: الخليل بن أحمد وهو سني، والحميري الشاعر وهو شيعي، وصالح بن القدوى وهو زنديق ثنوي، وسفيان بن مجاشع وهو خارجي صفري وبشار بن برد وهو شعوبي خليع ماجن، وحماد عجرد وهو زنديق شعوبي منحل، وابن رأي الجالوث الشاعر وهو يهودي، وابن نظير المتكلم وهو نصراني وعمر بن المؤيد وهو مجوسي، وابن سنان الحوراني الشاعر وهو صابئ"[235].

---

[233] علي بن الهيثمي، مجمع الزوائد و منبع الفوائد، المجلد الخامس. (الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتاب العربي، 1403هـ – 1982). ص: 236.

[234] عبد المنعم أحمد بركة، الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين. (الطبعة الأولى، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1410هـ، 1990 م). ص:214.

[235] توفيق محمد السبع، مرجع سبق ذكره. ص: 236.

2- حرية الاعتقاد: حرية ممارسة الشعائر فلا يقبل الإسلام بحال أن يكره على ترك دين رضيه واعتنقه، أو يجبر على اعتناق دين لا يرضاه، ونصوص القرآن الكريم صريحة في ذلك كل الصراحة، ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[236]، يقول الإمام الرازي في تفسيره، (التفسير الكبير) أنه تعالى ما بنى أمر الإيمان على الإجبار والقسر وإنما بناه على التمكين والاختيار[237]، فاعتناق أي دين في حقيقته يتعلق بالقلب وأعماق الضمير فلا بد أن يبنى على اقتناع ذاتي دون ضغط خارجي، لأن العبادة فيه موجهة إلى الله تعالى، وأهم مظهره الإخلاص والحب والطاعة ومن هنا فإن الإسلام ترك حرية الدين للضمائر ولم يأمر بإجبار الناس على الدخول في الإسلام.

يقول الشيخ عبد الوهاب خلاف موضحاً مدلول الآيتين: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ﴾[238]، وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ﴾[239]، أنه لا يجب أن يفهم من هاتين الآيتين أن الإسلام يضطر الناس اضطرارا إلى اعتناقه، ذلك أن الإسلام يدع للآخرين أقصى الحرية والحماية في مزاولة شعائرهم الدينية[240].

---

(236) سورة البقرة، الآية: 256.

(237) الإمام الرازي، مرجع سبق ذكره، المجلد الرابع.ص: 13.

(238) سورة آل عمران، الآية: 19.

(239) سورة المائدة، الآية:5.

(240) عبد الرازق السنهوري، مصادر الحق في الفقه الإسلامي.(القاهرة، دار الهنا للطباعة والنشر، 1954).

ص: 69.

3- الحرية المدنية: يقصد بالحرية المدنية الحالة التي تجعل الشخص أهلاًلإجراء العقوبة وتحمل الالتزامات وتملك العقار والمنقول والتصرف فيها يملك واستثنى الإسلام من ذلك الطفل والمجنون والسفيه وساوى في ذلك بين المسلمين جميعاً، رجالاً ونساء وبينهم وبين غير المسلمين ووضع القواعد الأساس في التصرفات المدنية:"لهم مالنا وعليهم ما علينا"[241].

4- **حرية التفكير**: إن كون الإنسان مكلفاً مسئولا لابد أن تتبعه حرية الفكر حتى يثبت ذاته ويعبر عنها، كي تتحول طاقاته إلى واقع ملموس والتأمل في خلق الله وتدبر آياته المبثوثة في الكون الدالة على وجوده وعلى قدرته، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ*الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[242].

5- الحرية السياسية: نلحظ ذلك فيما ورد في خطبة الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين توليته الخلافة حيث قال:"أيها الناس وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم"[243]، وأخرج ابن سعيد وابن عساكر عن مكحول، أن سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي من أصحاب رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: (**إني أريد أن أوصيك يا عمر! قال: أجل**

---

(241) محسن عبد الحميد، الإسلام والتنمية الاجتماعية.(الطبعة الثالثة، الرياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي. 1416هـ-1995).ص:50.

(242) سورة آل عمران، الآيتان:190-191.

(243) سيد سابق، عناصر القوة في الإسلام. (الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة وهبة. 1382هـ-1963). ص: 146.

فأوصيني! قال:"أوصيك أن تخشى الله في الناس، ولا تخشى النـاس في الله، ولا يختلف قولك وفعلك فإن خير القول ما صدقه الفعل، ولا تقـض في أمـر واحـد بقضاءين فيختلف عليك أمرك وتزيغ عن الحق، وخذ بالأمر ذي الحجة وتأخـذ بالفلج ويعينك الله ويصلح رعيتك على يدك، وأقم وجهك وقضاءك لمن ولاك الله أمره من بعيد المسلمين وقريبهم، وأحب لهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك وأكـره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك، وخض الغمرات إلى الحق ولا تخف في الله لومة لائم)[244].

6- حرية الحركة والسير في الأرض والانتفاع بخيراتها: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً...﴾[245]، يقـول الـدكتور حسـن عبـد الله الـترابي في كتابه النظم السلطانية: " إن أدنى حريات الإنسـان إليـه حبـاً بـل مـن تكاليفـه أن يتحرك بمشيئته فاعلا غير عاطل، متحركاً غير سـاكن، لـه أن يضر-ب في الأرض، ويسعى ليكسب رزقاً، أو يصل أحداً، أو يحصل علماً وفقهاً بآيات الله في الكون، أو يلقى روجا من مشاهدات تجذبه، والسير في الأرض وصية من القرآن: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[246]﴾، وابتغاء العلم كله حرية ووصية من القرآن:﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[247]،

---

(244) يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة، المجلد الثاني، (بيروت، دار الفكر، 1992). ص:156.

(245) سورة النساء، الآية: 100.

(246) سورة العنكبوت، الآية: 20.

(247) سورة التوبة، الآية: 122.

وينبغي ألا يكره الإنسان مصدوداً دون ذلك إلا بالحق ما دام يوفي مؤمناً تكاليف الدين في إعمار الحياة، ويمضي في سبيله عابداً لله لا يؤذي أحداً ولا يدخل حرماً بغير إذن، ولا يبسط أسباباً للمكر والحرام[248].

7- **حرية العمل**: للإنسان أن يمارس أي نشاط، وأن يعمل في أي مجال، وأن يتصرف أي تصرف، وأن يضرب في الأرض، ويمشي في مناكبها ما دام ذلك كله في ما أحل الله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[249]، وقوله تعالى: ﴿ قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾[250]، وعموماً فالإسلام جاء لتحرير الإنسان من عبودية الإنسان إلى عبودية الله وهي أسمى درجات الحرية لأن العبودية لله تحمي الإنسان من كافة أشكال العبودية الأخرى وهذا نجده واضحاً في خطبة الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضي الله عنه: (الضعيف قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إنشاء الله)[251].

ويتطرق الشيخ محمد الغزالي رحمه الله إلى قضية الحرية وكيف أولاها الإسلام عناية هامة ومن بعده المسلمون، وهذا ما يشهد عليه السلف الصالح من تراث غني بقيم الحرية فقال: "وعندما كانت الحروب الدينية تفتك بأرجاء العالم وتعتبر إرادات

---

(248) حسن عبد الله الترابي، مرجع سبق ذكره. ص:162-163.

(249) سورة الحج، الآية: 46.

(250) سورة الإسراء، الآية: 84.

(251) محمد يوسف موسى، الإسلام وحاجة الإنسانية إليه. (القاهرة، 1416هـ. 1995). ص: 32-33.

الناس صفراً ويعتبر إدخال الناس في دين ما بالعنف كسباً في هـذه الأوقـات العصـيبة كان الناس يقرءون من آيات الحرية في كتب الفقـه الإسـلامي مـا يثـير الدهشـة، قـال الدكتور محمد يوسف موسى: "وكذلك نـرى عنايـة الإسـلام بالحريـة وقـدرها حـق قدرها أن الفقهاء يقولون: إذا وجد صبي غير معروف نسبه مـع مسـلم وكـافر، فقـال الكافر هو ابني، وقال المسلم هو عبدي، يحكم بحريته وبنوته للكافر، وذلك لأنه بهـذا الحكم ينال الحرية حالاً، وسوف ينال الإسلام فيما بعد حين يكبر ويفهم الـدلائل عـلى وجود الله وعلى بعثة نبيه محمد ﷺ، بخـير الأديـان وأكملهـا"[252]، وممـا يـروى في هـذا الصدد أن أمير المؤمنين عمر بن العزيز ورد عليه قوم من سمرقند فشـكو إليـه أن ابـن قتيبة وكان قائد جيوش المسلمين في أسيا الوسطى في ذلك الزمن،أنـه دخـل مـدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر، فحكم عمر قاضـياً، فحكـم القـاضي بـإخراج المسـلمين منها، ومازالت مقولـة الخليفـة عمـر بـن الخطـاب يـتردد صـداها حتـى اليـوم"متـى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"[253].

المطلب الثاني :قيمة العدل

العدل من القيم الإنسانية الأساسـية التـي جـاء بهـا الإسـلام، وجعلهـا مـن مقومات الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسـية، حتـى جعـل القـرآن إقامـة "القسط" أي العدل بين الناس، هو هدف الرسالات السـماوية كلهـا، يقـول تعـالى في سورة الحديد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ

[252] محمد الغزالي، هذا ديننا. (الدوحة، دار إحياء التراث الإسلامي، 1403هـ).ص: 61.

[253] أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم. (القاهرة، مكتبة أسامة الإسلامية، بدون تاريخ). ص:121.

بِالْقِسْطِ...﴾.[254] وليس ثمة تنويه بقيمة القسط أو العدل أعظم من أن يكون هو المقصود الأول من إرسال الله تعالى رسله وإنزاله كتبه.

فبالعدل أنزلت الكتب وبعثت الرسل، وبالعدل قامت السماوات والأرض، والمراد بالعدل عموماً أن نعطي كل ذي حق حقه، سواء كان ذو الحق فرداً أم جماعة أم شيئاً من الأشياء، أم معنى من المعاني، بلا طغيان ولا إخسار، فلا يبخس حقه ولا يجور على حق غيره[255]، والعدل مطلب شرعي دلت عليه كثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، ولم تأت هذه النصوص بصيغة واحدة بل بصيغ متعددة لشموله جميع نواحي الحياة.

فوردت نصوص بصيغة الأمر القاطع تتعلق بالمعاملات العامة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[256].

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت للعباس بن عبد المطلب دار إلى جنب المسجد بالمدينة فقال عمر: هبها لي أو بعنيها حتى أدخلها في المسجد، فأبى، قال: قال: اجعل بيني وبينك رجلاًمن أصحاب رسول الله ﷺ، فجعلا أبي بن كعب بينهما، قال: فقضى أبي على عمر، قال: فقال عمر: ما في أصحاب رسول الله ﷺ أحداً أجرأ علي من أبي، قال:أ وأنصحك يا أمير المؤمنين؟ أما علمت قصة المرأة، إن داوود لما بنى بيت المقدس أدخل فيه بيت امرأة بغير إذنها فلما بلغ حجر الرجال منع بناؤه فقال:

---

(254) سورة الحديد، الآية: 25.

(255) يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده. (الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة وهبة، 1993). ص: 133.

(256) سورة النحل، الآية: 90.

أي رب إذ منعتني ففي عقبي من بعدي، فلما كان بعد، قال له العباس: أليس قد قضيت لي؟ قال: بلى. قال: فهي لك قد جعلتها لله[257].

ومنها ما كان بصيغة الأمر بالعدل في الحكم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[258]، قال الرازي: قال الشافعي رضي الله عنه، ينبغي للقاضي أن يسوي بين الخصمين في خمسة أشياء: في الدخول عليه، والجلوس بين يديه، والإقبال عليهما، والاستماع إليهما، والحكم عليهما، قال: المأخوذ عليه التسوية بينهما في الأفعال دون القلب، فإن كان يميل قلبه إلى أحدهما ويحب أن يغلب بحجته على الآخر فلا شيء[259]، ففي الصحيح عن حماد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(أهل الجنة ثلاثة، ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى مسلم، وعفيف متعفف ذو عيال)**[260].

ومنها ما كان بصيغة التحذير من عواقب الظلم وعدم العدل، في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[261]، فعن وهب بن منبه قال: إذا هم الوالي

---

(257) ابن سعد، الطبقات الكبرى، الجزء الرابع. (الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990). ص:16.

(258) سورة النساء، الآية: 58.

(259) الإمام رشيد رضا، تفسير المنار، المجلد الثاني. (الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر، 1393هـ-1973). ص: 175.

(260) ابن الأزرق الأندلسي، بدائع السلك في طبائع الملك. (الجزء الأول، طرابلس، الدار العربية للكتاب). ص:233-234.

(261) سورة الشعراء، الآية: 227.

بالعدل أدخل الله البركة في أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق، وإذا هم بالجوار أدخل الله النقص في مملكته حتى في الأسواق والأرزاق[262]، ويروى أن طاووس بن كيسان قال لسليمان بن عبد الملك:" هل تدري من أشد الناس عذاباً يوم القيامة؟ من أشركه الله في ملكه فجار في حكمه"، فاستلقى الخليفة سليمان على سريره، فما زال باكياً حتى قام عليه جلساؤه[263].

كما دعى الإسلام إلى قتال الظالمين والمعتدين في سبيل إحقاقه الحق وإظهار العدل، في قوله تعالى:﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾[264].

ويعد العدل بين الناس من أشد القربات إلى الله تعالى وهو مطلب شرعي وجب التزامه حتى مع أقرب الناس كالوالدين، ويحرم الإسلام مقابلة السيئة بالسيئة و الحث على العدل حتى مع الأعداء، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[265].

ومن الآثار الواردة في التاريخ الإسلامي، عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه، أن مسلماً ويهودياً اختصما إلى عمر رضي الله عنه، فرأى الحق لليهودي فقضى له عمر به، فقال له اليهودي: والله لقد قضيت بالحق، قال: وما يدريك؟ قال اليهودي: إنا نجد في

---

(262) ابن الأزرق الأندلسي، مرجع سبق ذكره. ص: 230.

(263) نفس المرجع. ص: 235.

(264) سورة النساء، الآية: 75.

(265) سورة المائدة، الآية: 8.

التوراة: "ليس قاضياً يقضي بالحق إلا كان عن يمينه ملك وعن شماله ملك يسددانه ويوفقانه للحق ما دام مع الحق فإذا ترك الحق عرجا وتركاه"[266]، ومن الآثار الواردة عن العدل أيضا، ما يروى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان جالساً إذ جاءه رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك، فقال عمر: لقد عذت بمجير، فما شأنك؟ قال: سابقت على فرس ابنا لعمرو بن العاص فسبقته، فجعل يقمعني بسوطه، ويقول: أنا ابن الأكرمين، وبلغ ذلك عمراً أباه فخشي أن آتيك فحبسني في السجن فانطلقت منه فهذا الحين جئتك، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص وهو أميراً على مصر، (إذا أتاك كتابي هذا فأشهد الموسم أنت وأبنك فلان) وقال للمصري أقم حتى يجيء، فقدم عمرو فشهد الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه إلى جانبه، قام المصري فرمى إليه عمر بالدورة وضربه فلم ينزع حتى أحب الحاضرون أن ينزع من كثرة ما ضربه، وعمر يقول اضرب ابن الأكرمين، فقال: يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت، قال، ضعها على صلعة عمرو، قال: يا أمير المؤمنين قد ضربت الذي ضربني، قال: أما والله لو فعلت، ما منعك أحد حتى تكون أنت الذي ينزع ثم قال لعمرو، (يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)[267]، ورد في الأثر عن النبي ﷺ أنه قال: **(إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن- وكلتا يديه يمين- الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا)**[268]، و مما يروى من علامات صلاح الولاة و عدلهم ما

---

(266) زكي الدين المنذري، الترغيب والترهيب. (الطبعة الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1388-1968). ص: 172.

(267) أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، مرجع سبق ذكره. ص: 121.

(268) زكي الدين شعبان، الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية. (الطبعة السادسة، بنغازي، جامعة قار يونس، 1993). ص: 345.

رواه مالك بن دينار قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، قالت رعاة الشاء في ذروة الجبال: من هذا الخليفة الصالح الذي قد قام على الناس؟ فقيل لهم: وما علمكم بذلك؟ قالوا: إنا إذا قام على الناس خليفة صالح كفت الذئاب و الأسد عن شأننا، فقلت: سبحان الله ذب في غنم لا يظرها؟ فقال أحدهم:يا بني! إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس[269]، لأن السائس يجري من المسوس مجرى ذي الظل من الظل، و محال أن يعوج ذو الظل و يستقيم ظله، ولاستحالة أن يهتدي المسوس و السائس ضال.

ذكر المؤرخون أن أول ملك وضع في الأرض (كيومرت) بن آدم عليه السلام فساروا إليه وعرفوه حاجتهم إلى ملك قيم وقالوا له: أنت أكبرنا، وأشرفنا، وبقية أبينا، وليس في العصر من يوازيك، فأضمم أمرنا إليك، وكن القائم فينا، فإننا سمعك وطاعتك، والقائلون بما تراه، فأجابهم إلى ما دعوه إليه، واستوثق منهم توكيد العهود والمواثيق على السمع والطاعة وترك الخلاف عليه، فلما وضع التاج على رأسه قال: إن النعمة لا تدوم إلا بالشكر وإنا نحمد الله على أياديه، ونشكره على نعمه، ونرغب إليه في مزيدها، ونسأله المعونة على ما رفعنا إليه، وحسن الهداية إلى العقل الذي يجمع الشمل، ويصفي العيش، فثقوا بالعدل منا، وأنصفونا من أنفسكم نوردكم فضل ما في هممكم والسلام)[270].

والعدل بين الناس يعد من أعظم القربات إلى الله تعالى كما سبق الإشارة إلى ذلك، فإنه يترتب على القيام به تحقيق مصالح العباد في المعاد والمعاش، أي في الدنيا والآخرة.

---

[269] عبد الرحمن الجوزي، مسيرة و مناقب عمر بن عبد العزيز. (الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1414هـ، 1984). ص:87.

[270] ابن الأزرق الأندلسي، مرجع سبق ذكره. ص: 131.

ومن جملة المصالح التي وعد الله بها المقسطون يوم القيامة[271]:

1 - المسابقة به من المحبة إلى الله تعالى يوم القيامة، ففي الحديث روى الترمذي عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر)**.

2 - استحقاق التقدم على من يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)**[272].

3 - إستحقاق العلوية على منابر من نور عن يمين الرحمن ـ وكلتا يديه يمين ـ ففي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ **(إن المقسطين يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن ـ وكلتا يديه يمين ـ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولو)**[273].

4 - إجابة الدعاء: ففي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم**

[271] نفس المرجع. ص: 232 حتى 234.

[272] ابن كثير، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص: 323.

[273] الإمام القرطبي، مرجع سبق ذكره، الجزء الخامس. ص: 258.

يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب عز وجل: وعـزتي لأنصرنك ولو بعد حين)[274].

5 - ضمان الجنة به: ففي الصحيح عن حماد رضي الله عنه قال سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: (**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيـق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف)**[275].

أما المصالح المتحققة من إقامة العدل في الدنيا فهي جملة يمكن ذكرها فيما يلي:

1 - ظهور رجحان العقل به: قيل لبعضهم مـن أرجـح الملـوك عقـلاًوأكملهـم أدبـاً وفضلاً؟ قال : من صحب أيامه بالعدل، وتحرز جهده مـن الجـور، ولقـي النـاس بالمجاملة وعاملهم بالمسالمة، ولم يفارق السياسـة مـع لـين في الحكـم وصـلابة في الحق، فلا يأمن الجريء بطشه، ولا يخاف البريء سطوته.

2 - كمال النعمة الطائلة به: قالوا: إذا رأيـت الحكـام يتنافسـون في العدالـة ويجتنبـون الفسوق والجهالة، فتلك نعمة طائلة، وإذا رأيت الجـور فاشـياً والعـدل مطـروداً منكراً، فتلك نعمة زائلة.

3 - دوام الملك به: ففي بعض الحكم: أحق الناس بدوام الملك والسـلطان وباتصـال الولاية أقسطهم بالعدل في الرعية، وأخفهم عنها كلا ومئونة ومـن أمثـالهم: مـن جعل العدل عدة طالت به المدة.

---

[274] الإمام الترمذي، سنن الترمذي، الجزء الرابع. (بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ). ص: 672.

[275] الإمام النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، الجزء السابع عشر. (الطبعة الثانية، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1392هـ).ص: 198.

4 - ملك سرائر الرعية به: فعن أفلاطون: من قام من الملوك بالعدل و الحق ملك سرائر رعاياه، ومن قام فيهم بالجور والقهر لم يملك إلا الأجساد، ولم ير إلا المتصنع، والقلوب عليه مختلفة، فإن السرائر تطلب من يملكها بالإحسان.

5 - قيامه في الأرض مكان المطر الوابل بل هو أنفع، فمن كلامهم: سلطان عادل خير من مطر وابل، وقالوا: عدل السلطان خير من خصب الزمان.

أما الظلم وهو نقيض العدل وهو رديف الجور فقيامه ترتب عنه مفاسد في الآجل والعاجل.

فأما ما كان جزاء عليه يوم القيامة[276]:

1 - شدة العذاب عليه يوم القيامة: ففي رواية عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: (**أشد الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر**)[277].

2 - رجفة الصراط بأصحابه: فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: ما أنا بمثن على وال خيراً، جائرهم، وعادلهم، فقيل: لم؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**يؤتى بالولاة يوم القيامة جائرهم وعادلهم، فيوقفون على الصراط فيوحي الله تعالى إلى الصراط فيرجف بهم رجفة لا يبقى منهم جائر في حكمه، ولا مرتش في قضائه، ولا ممكن سمعه لأحد ما لم يكن للآخر إلا زلت قدماه سبعين عام في جهنم**)[278].

---

[276] نفس المرجع. ص: 235 –237.

[277] الإمام ابن الهيثمي، مرجع سبق ذكره، الجزء الخامس. ص: 236.

[278] ابن الأزرق الأندلسي، مرجع سبق ذكره. ص: 235-237.

3 - مجيء مقترن الإثم به ويده مغلولة إلى عنقه: فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (**ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله يوم القيامة يده إلى عنقه فكه بره أو أوثقه إثمه، أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها خزي يوم القيامة**)[279].

4 - التعرض به للعنة الله وسد باب القبول دونه: فعن ابن مالك قال كنا في بيت فيه نفر من المهاجرين والأنصار فأقبل علينا رسول الله ﷺ فجعل كل رجل منا يوسع رجاء أن يجلس إلى جنبه ثم قام إلى الباب فأخذ بعضاديته فقال: (**الأئمة في قريش ولي عليكم حق عظيم ولهم ذلك ما فعلوا ثلاثاً: إذا استرحموا رحموا وإذا حكموا عدلوا وإذا عاهدوا أوفوا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**[280].

5 - حرمانه شفاعة النبي ﷺ بشؤمه: فعن معقل بن يسار أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**رجلان من أمتي لا تنالهما شفاعتي، سلطان ظلوم غشوم، وغال في الدين مارق منه**)[281].

أما مفاسد الظلم والجور في الدنيا فهي في الجملة:

1 - فوات الطاعة والمحبة: فعن (ازدشير) أحد ملوك الفرس: إذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة، وفي العهود اليونانية: واعلم أن الطاعة تنقاد

---

[279] الإمام ابن الهيثمي، مرجع سبق ذكره، الجزء الخامس. ص: 204.

[280] نفس المرجع. ص: 194.

[281] نفس المرجع. ص: 235.

للقهر، وأن المحبة لا تنقاد إلا للعدل، فغلب العدل على رعيتك تظفر منهم بالمحبة الباقية بعد ذلك.

2 - فناء الكرامة بسببه ودثورها: ففي (العهود)" واعلم أن كرامة الخوف دائرة، وكرامة العدل باقية، فأختر لنفسك فضيلة العدل وبقاء الكرامة".

3 - تقصير مدة السلطان والملك: ففي (الأفلاطونيات): زمان الجائر في الملوك أقصر من زمان العادل، لأن الجائر مفسد، والعادل مصلح، وإفساد الشيء أسرع من إصلاحه"، ومن كلامهم: "ستة أشياء لا ثبات لها: ظل الغمام، وخلة الأشرار، وعشق النساء، والثناء الكاذب، والسلطان الجائر، والمال الكثير".

4 - شدة الخوف بسببه: وبالعكس في العدل، كما يروى عن يزدجر آخر ملوك فارس، أنه بعث رسولاً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأمره أن ينظر في شمائله، فلما دخل المدينة قال: أين ملككم؟ قالوا: ليس لنا ملك، لنا أمير خرج، فخرج الرجل في أثره فوجده نائماً في الشمس ودرته تحت رأسه، وقد عرق جبينه حتى ابتلت منه الأرض، فلما رآه على حالته هذه، قال: عدلت فأمنت، فنمت، وصاحبنا جار، فخاف، فسهر، أشهد أن الدين دينكم، ولولا أني رسول لأسلمت وسأعود إنشاء الله، يقول الراغب الأصفهاني: (الناس متى تركوا تعاطي الإحسان والأفضال وتحري العدالة فيما بينهم فلا يأتوا بها لا خلقاً ولا تخلقاً، ولا رياء، ولا سمعة ولا رهبة ولا رغبة، فصاروا في تعاطي الشر سواء بسواء ثنيات كأسنان الحمار، عدم فيهم الفضيلة، كما قال رسول الله ﷺ: **(لا يزال الناس بخير ما تباينوا فإذا تساووا هلكوا)**[282].

[282] الراغب الأصفهاني، مرجع سبق ذكره. ص: 87.

المطلب الثالث:- قيمة المساواة.

هي من القيم الهامة في المجتمع الإسلامي وهي ليست وليدة اجتهاد فردي أو نتاج فكري وفلسفي، وإنما هي مبدأ أصيل قرره الذي خلق الخلق والكون والحياة، إنها المساواة المنبثقة عن وحدة المنشأ، والناس بالطبيعة كلهم مهما تباينت عروق نسبهم سواسية بشراً من بني آدم عباداً لله لا يتفاضلون أصلاًليستبيح بعضهم قتل بعض[283]، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيباً﴾[284]، هذه النفس الواحدة مصدرها هو آدم وحواء، اللذان تكاثرت منهم البشرية وانتشرت في الكرة الأرضية للقيام بدور الاستخلاف، بإعمارها وإنشاء الحياة الربانية الفاضلة عليها،قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا عن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير﴾[285]، ومن منطلق هذه المساواة فلا يسخر إنسان من أخيه الإنسان، ولا يظلمه، ولا يحقره ولا يتسبب في سلب حقوقه باعتباره إنسان مكرم ومفضل على كثير من الخلق، يقول عليه الصلاة والسلام: (**إن الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالأباء الناس بنو آدم وآدم من تراب مؤمن تقي وفاجر شقي لينتهين أقوام يفخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها**)[286]، وتخاصم مرة أبو ذر الغفاري وعبد زنجي في حضرة النبي ﷺ فاحتد أبو ذر على العبد وقال له: "يا

---

[283] حسن عبد الله الترابي، مرجع سبق ذكره. ص: 155.

[284] سورة النساء، الآية: 1.

[285] سورة الحجرات، الآية: 13.

[286] زكي الدين المنذري، مرجع سبق ذكره. ص: 614.

ابن السوداء"، فغضب النبي ﷺ وقال: (**طف الصاع، طف الصاع! ليس لابن البيضاء فضل على ابن السوداء إلا بالتقوى أو بعمل صالح**)، فوضع أبو ذر خده على الأرض وقال للأسود: "قم فطأ على خدي"، تكفيراً له على قوله[287].

ولتأكيد حقيقة المساواة في الإسلام يقرر النبي ﷺ في الكثير من الأحاديث هذه الحقيقة كقوله: (**الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إنما الفضل بالتقوى**)[288]، وجاء هذا الحديث تأكيداً لقوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[289]، وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا، فعم وخص فقال: (**يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار،يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله إني لكم رحماً سأبلها ببلالها**)[290]، وقال في حديث آخر: (**يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم فأقول لا أغني عنكم من الله شيئاً**)، وقال أيضاً: (**من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**)[291]، ومن صور المساواة التي رسخها الإسلام في نفوس أتباعه، قصة الصحابي الجليل عبادة بن الصامت حيث كان رضي الله عنه شديد السواد بائن الطول،

---

[287] عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي.(الطبعة التاسعة، بيروت. دار العلم للملايين 1392هـ. 1972). ص: 289.

[288] أبو بكر السرخسي، المبسوط، الجزء الخامس.(بيروت، دار المعرفة، 1406هـ). ص: 23.

[289] سورة الحجرات، الآية: 13.

[290] القرطبي. مرجع سبق ذكره، الجزء الثالث عشر. ص: 143.

[291] أبو بكر الجصاص، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص: 104.

لما جاء المسلمون لفتح مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه، ولما عسكرت جيوش المسلمين أمام حصن بابليون، رغب المقوقس حاكم مصر بالتفاوض مع قيادة المسلمين، فتكون وفد المسلمين المفاوض من عشرة أشخاص فيهم عبادة بن الصامت وقد جعله عمرو بن العاص رئيساً للوفد، فلما دخلوا على المقوقس تقدم عبادة بن الصامت فهابه المقوقس لسواده وطول قامته فقال: نحو عني هذا الأسود وقدموا غيره يكلمني، فقال وفد المفاوضة: إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً وهو خيرنا وسيدنا والمقدم علينا، ونحن جميع نرجع إليه، وقد أمره الأمير علينا وأمرنا ألا نخالف له رأياً، فقال: وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم، إنه لا ينبغي أن يكون إلا أقلكم ودونكم؟ فقالوا جميعاً: إنه من أفضلنا موضعاً، وسابقة، وعقلاً، وليس يعيبه سواده أو يؤخره، هذه هي حقيقة المساواة في الإسلام باعتباره دين الفطرة يستوي فيه جميع بني البشر، تطالب به جميع الأجناس لأنهم من أصل واحد، دون تفريق أو تمييز أو تفاضل ودون اعتبار للفوارق الخلقية أو الاجتماعية أو الشخصية، كالذكورة والأنوثة، والبياض والسواد، ورئاسية أو مرؤسية، أو حاكمية أو محكومية، وغنى أو فقر، ودرجات القرب من الله تعالى والتفضيل، تقاس بدرجة قوة أو ضعف الإيمان، والاستقامة على شريعته، والاستجابة لأوامره والابتعاد عن نواهيه، ولذلك نجد أن الإسلام يسوي بين الخاضعين لأحكامه في الحقوق والواجبات المدنية وتأدية ذلك بالعدل المطلق بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والملك و السوقة، والغني والفقير، والضعيف والقوي[292]، يقول الإمام الشافعي رحمه الله: (إذا قدم الحربي دار الإسلام بأمان فمات فالأمان لنفسه وماله ولا يجوز أن يؤخذ من ماله شيء وعلى الحاكم أن يرده إلى ورثته حيث كانوا، ولا يقبل أن لم تعرف ورثته شهادة المسلمين، ولا يجوز في هذه

---

[292] محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، مرجع سبق ذكره. ص: 215-211.

الحال ولا في غيرها، شهادة أحد خالف دين الإسلام لقوله تعالى: ﴿ذوي عدل منكم﴾)[293].

والمساواة بناء على نظرة الإسلام التي تراعي تفاوت قدرات الناس وطاقاتهم اتساقاً مع قوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾[294]، وقوله ﷺ: **(خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا)**[295]، فالله سبحانه وتعالى قيد الأمور بالقدرة والاستقامة والوسع والطاقة[296] فقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[297]، وقال: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا﴾[298]، فالمساواة بناء على ما سبق ليست بإطلاق فكل ما شهدت الفطرة بالتساوي فيه بين الناس، فالإسلام يرمي فيه إلى المساواة وكل ما شهدت الفطرة بتفاوت المواهب البشرية فيه فالإسلام يعطب ذلك التفاوت حقه بمقدار ما يستحق.

فالمساواة التي سعت إليها الشريعة الإسلامية مساواة مقيدة بالأحوال يجري فيها التساوي وليست مطلقة في جميع الأحوال لأن خلقة البشر جاءت على التفاوت في المواهب والأخلاق[299]، ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾[300]، وقال تعالى:

---

[293] الإمام الشافعي، الأم، الجزء الرابع. (الطبعة الثانية بيروت، دار المعرفة، 1393ه-1973). ص: 278.

[294] سورة البقرة، الآية: 285.

[295] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، الجزء الثالث. (بيروت، دار المعرفة، 1379هـ). ص: 15.

[296] ابن تيمية، الفتاوي، المجلد العشرون، تصوير الطبعة الأولى، 1398هـ.ص:62.

[297] سورة التغابن، الآية: 16.

[298] سورة الطلاق، الآية: 7.

[299] الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سبق ذكره. ص: 144.

[300] سورة السجدة، الآية: 18.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[301]، وقوله تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾[302]، روى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ خطب بمكة فقال: (**يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان رجل بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب**)، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[303].

المطلب الرابع: قيمة الشورى.

ومن القيم الإنسانية والاجتماعية التي جاء بها الإسلام الشورى، ومعنى الشورى أن لا ينفرد الإنسان بالرأي وحده في الأمور التي تحتاج إلى مشاركة عقل آخر أو أكثر، فرأي الاثنين أو الجماعة أدنى إلى إدراك الصواب من رأي الواحد، كما أن التشاور في الأمر يفتح مغاليقه ويتيح النظر إليه من مختلف زواياه[304].

---

[301] سورة الحديد، الآية: 10.

[302] سورة النساء، الآية: 95.

[303] القرطبي، مرجع سبق ذكره، الجزء السادس عشر.ص :341.

[304] يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مرجع سبق ذكره. ص: 122.

يقول ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب وهذا ما لا خلاف فيه[305]، وقد تقررت الشورى بنصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة والتزمها الخلفاء الراشدون بعد وفاة النبي ﷺ وهي فضيلة تطابق العقل والنقل على حمدها وصدقت الأيام عظم جدواها وحسن عقباها قال بشار:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن — برأي نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة — فإن الخوافي قوة للقوادم[306]

قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[307]، ثم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[308]، روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله الأمر ينزل بنا بعدك لم ينزل فيه قرآن ولم نسمع منك فيه شيء، قال: ﴿اجمعوا له العابد من أمتي واجعلوه بينكم شورى ولا تقضوا فيه برأي واحد﴾[309]،ومن المعروف في السيرة أن النبي ﷺ التزم برأي أصحابه في غزوتي بدر وأحد، ومما يروى في سيرة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا الباب، أنه

---

[305] القرطبي، مرجع سبق ذكره. ص: 249.

[306] محمد الغزالي، الإسلام والاستبداد السياسي. (الطبعة الثالثة، القاهرة، نهضة مصر للطباعة. 2000).ص:57.

(307) سورة آل عمران، الآية: 159.

[308] سورة الشورى، الآية: 35.

[309] توفيق الشاوي، فقه الشورى والاستشارة. (المنصورة، دار الوفاء، 1992).ص: 75.

كتب إلى واليه في البصرة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، (**أما بعد: فإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته، وإن أشقى الرعاة عند الله من شقيت به رعيته، وإياك أن ترتع فيرتع عمالك فيكون مثلك عند الله عز وجل مثل البهيمة نظرت إلى خضرة في الأرض، فرعت فيها تبغي بذلك السمن، وإنما حتفها في سمنها، والسلام عليك**)[310]، ومن الأمثلة التي تبين حقيقة التزام المسلمين بمبدأ الشورى في حالة الإقدام على أمر من أمور المسلمين، ما ورد في كتاب طاهر بن الحسين لأبنه عبد الله بن طاهر، لما ولاه الخليفة المأمون الرقة من مصر وما بينهما، فكتب إليه كتابه المشهور عهد إليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاجه إليه في دولته، وحثه على مكارم الأخلاق ومحاسن القيم، بما لا يستغنى عنه ملك ولا سوقة فقال: (...وأكثر من مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحكم وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة)[311].

إن الأصول والمبادئ التي بنيت عليها قاعدة الشورى في الإسلام والمستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تؤكد لنا أن الشورى في الإسلام ليست نظرية تطبيق في مجال السياسة، أو قاعدة دستورية لنظام الحكم، بل إنها الأساس الشرعي لنظام اجتماعي يلتزم بحقوق الإنسان وسلطان الأمة و التضامن الاجتماعي، إن الشورى تقدم الفقه الإسلامي للعالم على انه فقه المستقبل الذي يصلح الشعوب بمباديء إلهية تبدأ باستقلال الشريعة عن الحكام، و سيادتها في المجتمع، و ترجع الدور الأول في استنباط الأحكام و تجديدها و نموها للمفكرين و العلماء و الجماهير و الأفراد و لا دخل فيه لأصحاب السلطان من الحكام و ليس حكرا عليهم بأي حال

---

[310] محمود شيت خطاب، قادة فتح بلاد فارس. (الطبعة الثالثة، بيروت، دار الفكر، 1974). ص:238.

[311] عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة تاريخ ابن خلدون. (الطبعة الثالثة، بيروت، دار الفكر. 1988). ص: 382.

من الأحوال، إن الشورى مبدأ شرعي يستمد قوتـه ووجـوده مـن القـرآن الكـريم، و يكتسب قوته من الصفة الإلهية للشريعة، إنه منهج مـرتبط بالعقيـدة و الشرـيعة، فهـو عميق الجذور، واسع النطاق في نفوس الأفراد و في كيـان المجتمـع، إنـه يوجـد حيـث توجد الشريعة و الجماعة و لو لم توجد الدولة.[312]

أما إذا قيست الشورى بمبدأ الديموقراطيـة في الفكـر الغـربي نجـد أن هنـاك اختلاف واضح وبين بينهما، وهذا راجـع بالدرجـة الأولى إلى مكانـة الإنسـان المسـلم ونظر الإسلام إليه باعتباره خليفة الله في أرضه الذي يشارك في صـنع القـرار وإنضـاج الـرأي، وكـذلك تحـدد مكانـة الإنسـان المسـلم في نظـر الإسـلام و دوره في الخلافـة والاستخلاف في ميادين سلطته وحاكميته.

إن التوجيهات القرآنية أسست مبدأ الشورى كقاعـدة للعمـل السـياسي دون تحديد طريقة أو حدود استخدام هذا المبدأ.

لقد علق القرآن الكريم مسئولية العمل بمبدأ الشورى بالقيادة المتمثلة برسول الله ﷺ ولم يقتصر هذا المبدأ على القيادة، بل علق الأمر أيضاً على الأمـة بالسـواء، فقـال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[313]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[314]، إلا أن المسئولية الشورية للأمة لا تتساوى مـن حيـث القيمة والاعتبار، والمسئولية الشورية للقيـادة، ذلـك أن الشـورى حـق أصـيل للأمـة

---

[312] توفيق الشاوي، مرجع سبق ذكره. ص:31.

[313] سورة آل عمران، الآية: 159.

[314] سورة الشورى، الآية: 35.

باعتبارها محل الخطاب التكليفي القرآني، وباعتبارها محل الشهود التي تشكل الإرث النبوي للجماعة الإسلامية برمتها، في حين تأخذ مسئولية القيادة الرسمية الشورية موقعاً ثانوياً نظراً لاستناد الشرعية السياسية للقيادة وبالتالي حقها في ممارسة الشورى إلى اختيار الأمة وإرادتها، فالمسئولية الشورية للقيادة متولدة عن مسئولية الأمة باختيار قيادتها وهي تهدف بذلك إلى ربط القرارات السياسية للقيادة بالإرادة العامة للأمة، وبعبارة أخرى نقول: أن ممارسة القيادة للشورى واجب يقتضيه حق الأمة بالمشاركة في القرار السياسي"[315]، وهذا ما كان ملاحظ من خلال سيرة النبي ﷺ فيما يتعلق بمصير الأمة خاصة، كقراره في غزوتي بدر وأحد، وممارسة الخلفاء الراشدين من بعده، أخرج البغوي في مصابيح السنة عن ميمون بن مهران قال: كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله تعالى فإن وجد فيه ما يقضي به قضى به وإن لم يجد في كتاب الله، نظر في سنة رسوله ﷺ، فإن وجد فيها ما يقضي به قضى به فإن أعياه ذلك خرج فسأل المسلمين وقال: أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى فيه بقضاء فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله ﷺ فيه قضاء فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا، فإن أعياه أن يجد سنة عن رسول الله ﷺ جمع رؤوسهم وأخيارهم فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به"[316]، وقال ابن القيم: (وكانت النازلة إذا نزلت بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس عنده فيها نص عن الله ولا عن رسول الله ﷺ جمع لها أصحاب رسول الله ﷺ وجعلها شورى بينهم)[317].

---

[315] لؤي صافي، العقيدة والسياسة.(الطبعة الثانية، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1419 هـ – 1998م). ص: 185.

[316] زكي الدين شعبان، مرجع سبق ذكره. ص: 13

[317] ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين، الجزء الأول.(بيروت، دار الجيل، 1973). ص:84.

المطلب الخامس: قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قيمة من قيم الإسلام الجليلة التي أكد عليها من خلال ما ورد من نصوص سواء في القرآن الكريم أو السنة الشريفة، وما ورد من أمثلة مجسدة لها في سيرة الصحابة عموماً والخلفاء الراشدين خصوصا، ومن جاء بعدهم من التابعين على مر الأجيال، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[318]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[319]، ففي هذه السورة جعل الله الحكم بالخسار عاماً يشمل جميع الناس، ثم استثنى المؤمنين المتواصين بالحق و المتواصين بالصبر...، والتواصي بالحق هو الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقرآن يقص علينا أمر بني إسرائيل لما انعدم فيهم هذا الأصل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[320]، واللعن عقوبة شديدة وفظيعة، وهي الطرد والإبعاد عن رحمة الله والحرمان من توفيقه ورعايته، ولا شك أن أمة تصاب بذلك هي أمة هالكة[321]، وقال ﷺ: **(إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة: قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، وكتابه، ورسوله، وأئمة المؤمنين وعامتهم، وأئمة المسلمين وعامتهم)**[322].

---

(318) سورة التوبة، الآية: 71.

(319) سورة العصر، كاملة.

(320) سورة المائدة، الآيتين: 78-79.

(321) عفيف عبد الفتاح طبارة، مرجع سبق ذكره. ص:295.

(322) أبو داود، سنن أبي داود. (بيروت، دار الفكر العربي، بدون تاريخ). ص: 286.

وعن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم[323]، وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (**لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم و واكلوهم و شاربوهم فضرب الله على قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم عليهما السلام، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**)، قال: **فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئاً فقال: (كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر وتأخذن على يد الظالم و لتأطرنه على الحق أطرا و لتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله على قلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم)**[324]، و المعروف: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس وكل ما ندب إليه الشرع، ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، أما المنكر: فهو كل ما قبحه الشرع وحرمه ونهى عنه، قال الجرجاني: الأمر بالمعروف هو الإرشاد إلى المراشد المنجية، والنهي عن المنكر الزجر عما لا يلائم في الشريعة[325].

قال الإمام النووي مبيناً قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعموم الخير في القيام بها وما يترتب من الشر والمفاسد في تضيعها: وأعلم أن هذا الباب وأعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر

---

(323) ابن كثير، السيرة النبوية، الجزء الثاني.(بيروت، دار المعرفة، 1402هـ-1982). ص: 204.

(324) الإمام البغوي، مصابيح السنة، المجلد الثاني. (بيروت، دار القلم، بدون تاريخ).ص: 346.

(325) الجرجاني، التعريفات، الجزء الأول. (الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي، 1405هـ). ص: 54.

الخبث عم العقاب الصالح والطالح وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم، فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم لا سيما وقد ذهب معظمه ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾[326]، وقال: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[327]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[328]، وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[329]، وأعلم أن الأجر على قد النصب ولا يتاركه أيضاً لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقاً من حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمار آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من سعى في ذهاب أو نقص آخرته وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، وينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يرفق ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب فقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشأنه[330].

---

[326] سورة الحج، الآية: 40.

[327] سورة آل عمران، الآية: 101.

[328] سورة العنكبوت، الآية: 69.

[329] سورة العنكبوت، الآية: 3.

[330] الإمام النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، الجزء الثاني، مرجع سبق ذكره. ص:24.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله مبيناً قيمة ومرتبة فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في صلاح الأمة أو فسادها، قياما بها أو تفريطاً فيها فقال: (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه، وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، وقد كان الذي خفنا أن يكون فإنا لله وإنا إليه راجعون- والكلام للإمام الغزالي ـ إذ قد أندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق، وانمحت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في إتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم، فمن سعى في تلافي هذه الفكرة، وسد هذه الثلمة، إما منكفلاًبعملها ، ومتقلداً لتنفيذها، مجدداً لهذه السنة الدائرة، ناهضاً بأعبائها، ومستشمراً في أحيائها، كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها، ومستبداً بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذورتها)[331]، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[332] ففي هذه الآية بيان الإيجاب فإن قوله تعالى: ﴿ولتكن﴾، أمر وظاهر الأمر الإيجاب وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ خص وقال: ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وفيه بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا قام به أمة سقط الفرض على الآخرين، إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين

[331] الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الثاني. (القاهرة، دار الحديث، 1414هـ 1994م). ص: 477 – 478.

[332] سورة آل عمران، الآية: 104.

بالمعروف بل قال: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ إذا مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين، واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين، وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة، قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ* يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[333]، فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[334]، فقد نعت المؤمنون بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- كما يقول الغزالي – خارج عن هؤلاء المؤمنين، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ*) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[335]،

وهذه غاية التشديد إذ علل الحق تبارك وتعالى استحقاقاتهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[336]، إن حصول الأمة الإسلامية على هذه الخيرية لم يكن محاباتا لها من قبل

---

[333] سورة آل عمران، الآيتان: 113-114.

[334] سورة التوبة، الآية: 71.

[335] سورة المائدة، الآيتان: 78-79.

[336] سورة آل عمران، الآية: 110.

الخالق عز وجل ولكن لقيامها بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا ما عدلت على هذه الوظيفة التي أنيطت بها سلبت منها هذه الخيرية كما حدث مع بني إسرائيل.

ومن الآثار الواردة في القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يروى أن معاوية بن أبي سفيان دخل يوماً مسجد دمشق وجلس على المنبر، فناداه أبو مسلم الخولاني قائلًا: يا معاوية إنما أنت قبر من القبور، إن جئت بشيء كان لك شيء، وإن لم تجيء بشيء فلا شيء لك، يا معاوية لا تحسبن الخلافة جمع مال وتفرقته، ولكن الخلافة العمل بالحق، والقول بالمعدلة، وأخذ الناس في ذات الله –عز وجل- يا معاوية إننا لا نبالي بكدر الأنهار وما صفا لنا رأس عيننا، وأنت رأس عيننا، يا معاوية إياك أن تحيف على قبيلة من قبائل العرب فيذهب حيفك بعدلك)[337]، وعن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ قال:(**الإسلام سهم والصلاة سهم والزكاة سهم وحج البيت سهم والصيام سهم والأمر بالمعروف سهم والنهي عن المنكر سهم والجهاد في سبيل الله سهم وقد خاب من لا سهم له**)[338].

قال سفيان الثوري رحمه الله: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر عدل بما ينهى، عالم بما يأمر عالم بما ينهى، وقال أيضاً: (دخلت على أبي جعفر المنصور بمنى، فقال: ارفع إلينا حاجتك، فقلت له: اتق الله قد ملأت الأرض ظلماً وجوراً، قال: فطأطأ رأسه ثم رفعه وقال: ارفع إلينا حاجتك، فقلت: إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار،

---

[337] صالح بن عبد الله بن حميد و عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، موسوعة نظرة التقييم، المجلد الثالث. (الطبعة الأولى، جدة، دار الوسيلة، 1418هـ 1998). ص: 537.

[338] الإمام ابن الهيثمي، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص: 38.

وأبناؤهم يموتون جوعاً فاتق الله، وأوصل إليهم حقوقهم، قال: فطأطأ رأسه ثم رفعه وقال: ارفع إلينا حاجتك، فقلت: حج عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر درهماً، وأرى هاهنا أموالاً لا تطيقها الجبال)[339].

فوائد القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فوائد جمة تنجم عن القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمكن إجمالها فيما يلي[340]:

1 - دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.

2 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام أمن الحياة وضمان سعادة الفرد والمجتمع.

3 - يثبت معاني الخير والصلاح في الأمة.

4 - يزيل عوامل الشر والفساد في حياتها حتى تسلم الأمة وتسعد.

5 - يهيئ الجو الصالح الذي تنمو فيه الآداب والفضائل وتختفي فيه المنكرات والرذائل يتربى في ظله الضمير العفيف والوجدان اليقظ.

6 - يكون الرأي العام المسلم الحر الذي يحرس آداب الأمة، وفضائلها، وأخلاقها، وحقوقها، ويجعل لها شخصية وسلطان هو أقوى من القوة وأنفذ من القانون.

7 - يبعث الإحساس بمعنى الأخوة والتكافل والتعاون على البر والتقوى واهتمام المسلمين بعضهم ببعض.

---

[339] صالح بن عبد الله بن حميد و عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، مرجع سبق ذكره، المجلد الثالث. ص: 538.

[340] نفس المرجع. ص: 539.

8 - هو سبب النجاة في الدنيا والآخرة.

9 - هو سر أفضلية هذه الأمة و لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[341].

المطلب السادس: قيمة المروءة والعفو.

قيمتان من قيم الإسلام العظيمة التي لاغنا للحكام ولا المحكومين لهم عنها، والعفو كما يبينه العلماء هو أن تستحق حقاً فتسقطه، وتؤدي عنه من قصاص أو غرامة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾"[342]، فبهذه الصفة نالوا محبة الله تعالى، ووصفوا بصفة الإحسان، و في الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: (**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحداً لله إلا رفعه الله**)[343]، ويقول تعالى: ﴿أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [344]، ويقول في سورة الأعراف أيضا: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[345]، جاء في البخاري من حديث بن عباس رضي الله عنهما أن رجلًااستأذن على عمر رضي الله عنه فأذن له، فقال له: يا ابن الخطاب، وأنه ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر

---

[341] سورة آل عمران، الآية: 110.

[342] سورة آل عمران، الآية: 134.

[343] ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين. (القاهرة، مكتبة الهدى الإسلامي، بدون تاريخ). ص: 177.

[344] سورة البقرة، الآية: 237.

[345] سورة الأعراف، الآية: 199.

رضي الله عنه حتى هم أن يوقع به، فقال الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر رضي الله عنه حتى تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل[346].

ولا يقصر الإسلام قيمه على المسلمين بعضهم مع بعض، بل اعتبرها قيما إنسانية حتى تشمل ظلالها الوارفة غير المسلمين من جانب العدل والقسط بين الخلق جميعاً، فقال تعالى في سورة الممتحنة: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[347]، والعفو: ما جاء بغير تكلف ولا إكراه، ذكره الحرالي، وقال غيره: القصد لتناول الشيء والتجاوز عن الذنب[348]، والتحلي بفضيلة العفو يكسب صاحبها جملة من الخصال، عددها صاحب كتاب بدائع السلك في طبائع الملك على النحو التالي:

1 - تحقق المدح له من الله مقروناً بالإعلام بمحبته من اتصف به لأجل الإحسان الذي أثنى به، ثانياً، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[349]، قال الطرطوشي: فأوجب -تعالى- محبته للعافين وأثنى عليهم بالإحسان.

---

[346] ابن قدامة المقدسي، مرجع سبق ذكره. ص:174.

[347] سورة الممتحنة، الآية: 8.

[348] المناوي، التعاريف، الجزء الأول. (الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1410هـ). ص: 518.

[349] سورة آل عمران، الآية: 134.

2 - استعطاف الخلق في طلب التخلق به إلى مثل ما يحبون من خالقهم معهم، قال تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[350].

3 - عز الله تعالى وذلك من أعظم مطالب الملك، ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال: **(ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه)**[351].

4 - استخلاص قلوب ذوي الجناية له وإيناس نفوسهم من وحشة العصيان، ولا يخفى ما في ذلك من السياسة العائدة على الدولة بالنفع العظيم، قال المأمون في العفو: ليس علي في الحلم مؤونة، وددت أن أهل الجرائم علموا مذهبي في العفو، فيذهب الخوف عنهم فتخلص لي قلوبهم.

5 - رفع الهمة به وتعاظم الذنوب، في ذلك من تبجيل الملك وجلاله، ما لا يسع عدم الانبعاث إليه، قال معاوية رضي الله عنه: إني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أعظم من عفوي، وجهل أكثر من حلمي، وعورة لا يواريها مئزري[352].

أما المروءة فهي كما أوردها الشيخ المناوي: قوة للنفس مبدأ لصدور الأفعال الجميلة منها المستتبعة للمدح شرعاً وعقلاً وعرفاً[353]، وقال الماوردي: المروءة مراعاة الأحوال إلى أن تكون على أفضلها، حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد ولا يتوجه إليها

---

[350] سورة النور، الآية: 22.

[351] ابن كثير، تفسير ابن كثير، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره. ص: 572.

[352] ابن الأزرق الأندلسي، مرجع سبق ذكره. ص: 442-445.

[353] المناوي، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص: 650.

ذم باستحقاقه[354]، أما ابن القيم فيرى أن المروءة هي إتصاف النفس بصفات الإنسانية التي فارق بها الحيوان البهيم، والشيطان الرجيم، فإن في النفس ثلاث دواع متجاذبة:

1- داع يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشيطان من الكبر، والحسد، والعلو، والبغي، والشر، والأذى والفساد والغش.

2- داع يدعوها إلى أخلاق الحيوان وهو داعي الشهوة.

3- وداعي يدعوها إلى أخلاق الملك، من الإحسان، والنصح، والبر، والعلم والطاعة، فالمروءة اجتناب ذينك الداعين وإجابة الداعي الثالث[355].

وللمروءة ثلاث مراتب أو درجات:

الدرجة الأولى: مروءة المرء مع نفسه: وهي أن يحملها قسراً على ما يجمل ويزين، وترك ما يدنس ويشين، ليصير لها ملكة في العلانية، ولا يفعل خالياً ما يستحي من فعله في الملأ إلا ما لا يحضره الشرع والعقل.

الدرجة الثانية: المروءة مع الخلق: بأن يستعمل معهم شروط الأدب والحياء والخلق الجميل، ولا يظهر لهم ما يكرهه هو من غيره لنفسه، وليتخذ الناس مرآة لنفسه، فكل ما كرهه ونفر عنه من قول أو فعل أو خلق فليتجنبه، وما أحبه من ذلك واستحسنه فليفعله.

الدرجة الثالثة: المروءة مع الحق سبحانه بالاستحياء من نظره إليك، وإطلاعه عليك في كل لحظة ونفس، وإصلاح عيوب نفسك جهد الإمكان، فإنه قد اشتراها

---

[354] الماوردي، أدب الدنيا والدين. (الطبعة الثانية، بيروت، المكتبة الثقافية، 1375هـ- 1955). ص:307.

[355] ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، الجزء الثاني، مرجع سبق ذكره. ص: 365-366.

منك، وأنت ساع في تسليم المبيع، وتقاضي الثمن، وليس من المروءة تسليمه على ما فيه من العيوب وتقاضي الثمن كاملاً"[356]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**كرم المؤمن دينه، ومروءته عقله، وحسبه خلقه**)[357].

للمروءة فوائد جمة يرجع نفعها على المتحلي بها، وعلى المجتمع عموماً:

1 - تعلم الإنصاف والصدق والاحتمال والصبر.

2 - تبعد المسلم عما يكره الله والمسلمون.

3 - رفع الهمم للملمات والترفع عن المحتقرات.

4 - شكر المنعم على ما أنعم.

5 - التحلي بالحزم عند العزم والعفو عند المقدرة.

6 - تكسب الإنسان مكارم الأخلاق.

7 - تبتعد بالإنسان عن كل ما يؤذي صفة الكمال فيه.

8 - مساعدة الأهل والإخوان والجيران.

9 - تعلي شرف النفس وقدرها.

10 - تخلص الإنسان من غرور الهوى ونوازع الشهوة.

11 - تدعو الإنسان إلى الأنفة من الخمول والكسل.

---

[356] نفس المصدر. ص: 367-368.

[357] الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، الجزء الأول. (بيروت، دار الكتب العلمية، 1411هـ، 1990). ص: 212.

12 - تدعو الإنسان إلى استنكار مهانة النقص.

13 - دعوة للإنسان إلى تجنب الأماني بلا عمل، لأن التمني استصغار لنعم الله تعالى.

14 - تضفي على الإنسان عزاً، وعلى المجتمع ترابطاً[358].

[358] صالح بن عبد الله بن حميد و عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، مرجع سبق ذكره المجلد الثامن. ص: 3386.

المبحث الثالث

القيم المنهجية الإسلامية والعمل الإداري.

المطلب الأول: نظرة الإسلام للمال.

الإسلام ينظر للمال على أنه عصب الحياة وقوتها وقوامها وضرورة من ضروراتها لا تستغني عنه الأفراد ولا الجماعات، وأن المال هو مال الله وإنما الإنسان مستخلف فيه ومفوض للتصرف فيه، هذا التصرف كما يقول الدكتور محمد البهي: يقوم على الاختيار دون الإكراه[359]، وهذا لقوله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[360]، وأقر الإسلام نظام الملكية لقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[361]، هذا النص يؤكد أن مالك الملك الحقيقي هو الله تعالى، وهو الذي يملك حق إيتاء الملك من يشاء من عباده، فلا ينزعه منه إلا الله ولهذا فملكية الناس هي من ملكية الله، فهي مقدسة وقدسيتها نابعة من قدسية المالك الحقيقي[362]، وينظر الإسلام إلى المال نظرة تخالف نظرة الأديان والمذاهب الوضعية الأخرى منها:

---

[359] محمد البهي، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر. (الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة وهبة، 1402هـ- 1982). ص: 89.

[360] سورة الحديد، الآية: 7.

[361] سورة آل عمران، الآية: 26.

[362] طاهر حيدر حردان، الاقتصاد الإسلامي. (الطبعة الأولى، عمان، دار وائل للنشر، 1999). ص:27.

1 - اعتبار المال قوام المعيشة وعصب الحياة، لقوله تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾[363].

2 - سمى القرآن المال خيراً لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[364].

3 - اعتبر الغنى نعمة لقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾[365].

4 - واعتبر الفقر بلاء وعقوبة يصيب به من ينحرف عنه ويكفر بنعمته، لقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[366].

5 - وحدد النبي ﷺ نظرته إلى المال في قوله: **(نعم المال الصالح للرجل الصالح)**[367].

شروط الكسب:

أولاً: أن لا يلهي عن حق الله وأن لا يصرف عن القيم الخلقية الصالحة، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[368].

---

(363) سورة النساء، الآية: 5.

(364) سورة البقرة، الآية: 215.

(365) سورة الضحى، الآية: 8.

(366) سورة النحل، الآية: 112.

(367) الإمام القرطبي، مرجع سبق ذكره، الجزء الثالث. ص: 418.

(368) سورة المنافقون، الآية: 9.

ثانيـاً: أن يكـون الكسـب عـن طريـق مشـروع كـي لا يضـار الأفـراد ولا الجماعات، ولا يخل بالقانون العام، ولذلك حرم الإسلام كـل مـا فيـه ضرر بـالفرد أو بالمجموع[369].

الملكية الفردية:

أقام الإسلام نظامه الاقتصادي على إقرار الملكية الفردية لمـا فيهـا مـن إشـباع الدافع الفطري في نفس الإنسان، ولما تمثره من الشعور بالسـيادة والقـدرة، فمـن شـأن السيد أن يملك ويتصرف أما العبد فلا يملـك ولا يتصرـف، ولكـن وضـع للملكيـة أسباباً لاكتسابها وقيوداً لتنميتها، وحقوقاً دورية وغير دورية عليها منها:

1 - إتاحة العمل لكل مواطن قادر باعتبار العمل حقاً له وواجب عليه.

2 - إعطاء الأجر العادل لكل بما يكافئ عمله، ويغطي حاجته بالمعروف.

3 - جباية الزكاة من كل الأموال ظاهرة وباطنة.

4 - كفالة المعيشة الكريمة، التـي تتـوافر فيهـا "الحاجـات الأصـلية"حسـب تعبير الفقهاء.

5 - تقريب الفوارق الاقتصادية بين الأفراد والفئـات، بالعمـل الـدائب للحـد مـن طغيان الأغنياء، والرفع من مستوى الفقراء[370].

قيام الملكية العامة:

(369) سيد سابق، مرجع سبق ذكره.ص:108.

(370) يوسف القرضاوي، الحل الإسلامي فريضة وضرورة. (الطبعة الثانية عشر، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1409هـ-1988).ص:68-71.

لما أقر الإسلام الملكية الفردية لم يترك هذه الملكية مطلقة من كل قيد، بل على العكس نظر إليها نظرة اجتماعية، وقد استعملها بحقوق المجتمع العليا فعلة الحقوق جميعاً هي مصلحة العباد، وفلاحهم في الدنيا والآخرة، ولا تتحقق هذه العلة الحكيمة إلا بالنظر إلى مصلحة المجموع العامة[371]، تطبيقا للقاعدة الفقهية "المصلحة العامة أولى من المصلحة الخاصة"، إلا أن الملكية العامة التي هي حق من حقوق الدولة، ليست من باب مصادرة أو معارضة أو لمنافسة حرية الأفراد أو حقهم في القيام بمختلف أوجه النشاط الاقتصادي، وإنما هو للتكامل والتعاون من أجل تحقيق المصلحة العليا للأمة، ولذلك وجب على الدولة ضمان حد الكفاية لا الكفاف لكل فرد من أفراد المجتمع باعتباره حقاً إلهياً مقدساً[372].

ولحماية المال من الإتلاف والضياع، حرم الإسلام جميع المعاملات غير الشرعية والضرب والأخذ على أيدي من يتخذونها سبيلاًووسيلة للكسب ، لما يترتب عليها من ضرر يصيب الأفراد والجماعات، ولذلك يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه، "الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية": "فإن هؤلاء يفسدون مصالح الأمة، والضرر بهم عام لا يمكن الإحتراز منه، فعليه ألا يهمل أمرهم، وأن ينكل بهم، وبأمثالهم، ولا يرفع عنهم عقوبته، فإن البلية بهم عظيمة...، ويدخل في المنكرات ما

---

(371) صبحي المحمصاني، في دروب العدالة. (الطبعة الأولى، بيروت، دار العلم للملايين، 1982). ص:125.

(372) محمد شوقي الفنجري، الإسلام والمشكلة الاقتصادية. (الطبعة الثالثة، الرياض، دار الوطن علام، 1408هـ–1987). ص: 113.

نهى الله عنه ورسوله من العقود المحرمة، مثل عقود الربا صريحاً واحتيالاً وعقود الميسر كبيوع الضرر..."[373].

حرم الإسلام عمليات الربا تحريماً مطلقاً وجعلها من كبريات الكبائر وتوعد مرتكبيها بحرب من الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾[374].

حرم استغلال النفوذ والسلطان للحصول على المال، وحرم كل ما يأتي عن هذا الطريق.

حرم الرشوة الظاهرة التي تقدم للحكام لتحقيق نفع مادي أو أدبي، ولتيسير الاستيلاء على أموال الناس بالباطل، لقوله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[375].

حث الإسلام على التكافل الاجتماعي من خلال تنازل الأغنياء أو تيسير أداء الدين على المديونين من خلال تمديد أجل الاستحقاق دون مقابل، كذلك أداء حق الفقراء، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[376].

---

[373] ابن قيم الجوزية، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية.(القاهرة، مطبعة مدني، 1381هـ-1961). ص:260.

[374] سورة البقرة، الآيتان: 278-279.

[375] سورة البقرة، الآية: 188.

[376] سورة البقرة، الآية: 280.

كما حرم الإسلام التطفيف في الكيل والميزان في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ *وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[377].

والحجر على السفيه لقوله تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾[378].

وحث الإسلام على العمل والتحذير من البطالة قال ﷺ: (**إذا قصر العبد في العمل ابتلاه الله بالهم**)، وقال: (**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المكفي الفارغ**)[379].

حرم الإسلام الرشوة المستترة والتي تتمثل في هدايا تقدم إلى الحكام والموظفين لتحقيق غرض غير مشروع، يروى أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قدمت له هدية فرفضها، فقيل له: يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ كان يقبل الهدية فلما رفضتها ؟ قال: كان ذلك له هدية و هو لنا رشوة[380]، أي كان يتقرب إليه لنبوته لا لولايته، و نحن إنما نعطى للولاية.

حرم الإسلام غش المبيعات وإخفاء عيوبها، قال ﷺ :(**البيعان بالخيار ما لم يفترقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما**)[381]، و عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بطعام بسوق المدينة فأعجبه حسنه

---

(377) سورة المطففين، الآيات: 1-2-3.

(378) سورة النساء، الآية: 5.

(379) محمد أحمد جاد المولى، الخلق الكامل، الجزء الثاني.(الطبعة الأولى،القاهرة،مطبعة حجازي،1351هـ-1932). ص:172-173.

(380) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الثاني، مرجع سبق ذكره. ص:242.

(381) ابن دقيق العيد، عمدة الأحكام، الجزء الثالث. (بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ). ص:103.

فأدخل رسول الله ﷺ يده في جوفه فأخرج شيئا ليس بالظاهر فأفف لصاحب الطعام ثم قال:(**لا غش بين المسلين من غشنا فليس منا**)[382].

حرم احتكار الضروريات للتحكم في أسعارها، قال ﷺ :(**من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد برئ من الله وبرئ الله منه أيما أهل عرصة ظل فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله**)[383]، ويقاس على ذلك احتكار أي صنف من أصناف التجارة أو الصناعة للتحكم في السوق متى ما كان في ذلكم أضراراً بالمستهلكين، عملاًبالقاعدة الإسلامية التي تخضع لها جميع المعاملات وهي قوله ﷺ : (**لا ضرر ولا ضرار**)[384]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:(**الجالب مرزوق والمحتكر ملعون**)[385].

وعن النبي ﷺ قال: (**من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة**)[386].

المطلب الثاني :الإسلام والتكافل الاجتماعي.

التكافل الاجتماعي قيمة من القيم التي حرص الإسلام على ترسيخها في الضمير المسلم، و التكافل بمعناه اللغوي أو اللفظي هو أن يكون الفرد في كفالة و

---

(382) أبو محمد الدارمي، سنن الدارمي، الجزء الثاني. (الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407).ص:323.

(383) ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، الجزء الرابع. (الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة الرشد، 1409). ص:302.

(384) الإمام البغوي، مرجع سبق ذكره. ص:28.

(385) علي المتقي، كنز العمال، الجزء الأول. (الطبعة الخامسة، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1401هـ-1981). ص:98.

(386) عبد النعيم حسنين، الإنسان والمال في الإسلام. (الطبعة الأولى، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، 1986م). ص:157.

حماية المجتمع، و أن يكون كل من له القدرة أو السلطان كفيلا لأفراد مجتمعه، يمدهم و يدعمهم بكل أسباب الخير و الراحة، و أن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متعاونة و متظافرة في جهودها للمحافظة على مصلحة الأمة، و على مصلحة الفرد داخل المجتمع، و دفع الأخطار و الضرر عليه، حتى لا يتأثر البناء الإجتماعي، و لعل أبلغ تعبير جامع لمعنى التكافل الاجتماع، قوله ﷺ:**(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)**[387]، و قوله ﷺ :**(مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم و تراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى)**[388]، و التكافل الاجتماعي في مغزاه هو إحساس كل فرد في المجتمع بأن عليه واجبات لهذا المجتمع يجب عليه أداؤها، و إنه إن تقاعس و قصر في أدائها فقد يؤدي ذلك إلى انهيار البناء عليه و على غيره، و أن للفرد حقوق في هذا المجتمع يجب على القائمين على أمر المجتمع أن يعطوا لكل ذي حق حقه من غير تقصير، و لا إهمال وأن يدفع الضرر على الضعفاء، و يسد خلل العاجزين، و إنه إن لم يكن ذلك تآكلت لبنات البناء مما قد يؤدي بالبناء إلى الانهيار و السقوط، و لو بعد حين.

إن معنى التكافل الإجتماعي يوجب على القائمين على أمر المجتمع توزيع الأعمال على قدر طاقات الناس، و قدراتهم، و مواهبهم، امتثالا لقوله تعالى:﴿لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾[389]، ورد في الأثر عن رسول الله ﷺ أنه قال:**(كل ميسر لما خلق له)**[390]، و عنه أيضا ﷺ : **(أنزلوا الناس منازلهم)**[391]، قال عامل من عمال الخليفة عمر

---

(387) الأمام النووي، رياض الصالحين. مرجع سبق ذكره. ص:119.

(388) نفس المرجع. ص:118.

(389) سورة الطلاق، الآية:7.

(390) الإمام مسلم، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص:2041.

(391) أبو داود، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص:261.

بن الخطاب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين عظني، قال:" أوصيك بتقوى الله، و دعوتين، ترجوا إحدهما، وتخاف الأخرى، دعوة لهفان تعينه بشئ فيدعوا لك، ودعوة مظلوم و هي أوشك صعودا إلى الله "[392].

إن تكليف الناس على قدر طاقتهم، و على قدر مواهبهم، و قدراتهم الذهنية و الجسمية، يجعل جميع أفراد المجتمع و هم يؤدون ما كلفوا به في اتساق، و يقوم الجميع على ميزان واحد ثابت يمكن من خلاله قياس قدرة الأداء للتفريق بين العامل و غير العامل.

إن التكافل الاجتماعي بمعناه الواسع، يوجب أن يكون كل الناس متساوون في الكفالة، أي في أصل الحقوق و الواجبات، و أن تكون نتائج الأعمال بمقدارها، و التكافل الاجتماعي يوجب سد حاجة المحتاجين، لقولهﷺ :**(من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له و من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له)** [393]، كما أن التكافل الإجتماعي يوجب تهيئة العمل للقادرين، و يربي النشء تربية صالحة لتظهر القوى و المواهب، و رعاية ألالأيتام و المحتاجين، لأن التكافل يوجب تعهدهم بالرعاية والتربية، ليكونوا لبنات قوية في بناء الجماعة و المجتمع[394]، كما يوجب العمل على سلامة كل قوى الآحاد ليسير في قافلة المجتمع العاملة.

و لأهمية التكافل بين أفراد المجتمع الواحد، لابد من تقوية شبكة العلاقات الاجتماعية بين أفراده باعتبارهم جسدا واحدا، فقد حث الرسول ﷺ على قضاء حوائج الناس و اعتبر السعي في ذلك أفضل من العبادة النافلة، عن ابن عباس رضي

---

[392] أبو الحسن الماوردي، نصيحة الملوك. (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1988). ص:385.

[393] الإمام النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سبق ذكره.ص:33.

[394] محمد أبو زهرة، التكافل الإجتماعي في الإسلام. (بيروت، دار الفكر العربي، بدون تاريخ). ص:6.

الله عنهما أنه رأى أحد المسلمين و هو معتكف في المسجد النبوي الشريف، تظهر عليه علامات الحزن و الكآبة، فذهب إليه ابن عباس و سأله: يافلان أراك متكئا حزينا، قال:نعم يابن عم رسول الله، لفلان علي حق ولاء، و حرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، فقال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ قال: إن أحببت، قال: فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد، فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا، ولكني سمعت صاحب هذا القبر ﷺ و العهد به قريب-وقد دمعت عيناه- و هو يقول: (**من مشى في حاجة أخيه و بلغ منها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه و بين النار ثلاث خنادق**)[395].

المطلب الثالث: - الإسلام وقيمة العمل.

الإسلام يحث على العمل ويدعو إليه حتى عده عبادة يؤجر عليها الإنسان إذا كان هذا الجهد الواعي المبذول لتحقيق مقاصد الشارع من الإنسان، هذه المقاصد التي يحددها الإمام الراغب الأصفهاني في كتابه " الذريعة إلى مكارم الشريعة " في ثلاث، العبادة، الخلافة والعمارة[396]:

1-عمارة الأرض: المذكورة في قوله تعالى:﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[397]، و ذلك تحصيل ما به تزجية المعاش لنفسه و غيره.

---

(395) السيد محمد نوح، من أخلاق النصر في جيل الصحابة، (الطبعة الأولى، طنطا، دار البشير للثقافة، 1995). ص:122.

(396) الراغب الأصفهاني، مرجع سبق ذكره.ص:31-32.

(397) سورة هود، الآية:61.

2 **عبادته:** المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[398].

3 **خلافته:** المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[399]، ومن أروع التوجيهات النبوية في بيان قيمة العمل وأهميتها عند الله تعالى، قوله ﷺ: (**إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها**)[400]، وقد بين النبي ﷺ حقيقة وجوب العمل في الإسلام في رده على من سأله أن يعطيه من الزكاة حيث قال له: (**لا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب**)[401]، والقوي المكتسب هو القادر على العمل والاكتساب، وقوله ﷺ: (**لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي**)[402]، ومن الآيات الواردة في العمل والحث عليه قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[403]، و قال ﷺ: في وجوب إتقان العمل: (**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**)[404]، وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[405]، وأثنى الصحابة على رجل فقالوا: يا

---

(398) سورة الذاريات، الآية:56.

(399) سورة الذاريات، الآية:55.

(400) العلامة علاء الدين علي المتقي، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص:892.

(401) يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، الجزء الثاني، (الطبعة السادسة، القاهرة، مؤسسة الرسالة، 1981).

ص: 700.

(402) ابن حجر العسقلاني، المطالب العالية، الجزء الأول.(بيروت، دار المعرفة، 1414هـ- 1993).

ص: 249.

(403) سورة الجمعة، الآية:10.

(404) الإمام ابن الهيثمي، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص:98.

(405) سورة البقرة، الآية:192.

رسول الله، إن فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر، فقال: (**أيكم يكفيه طعامه وشرابه**) فقالوا: كلنا يا رسول الله، فقال: (**كلكم خير منه**)[406].

وهذا يدل على أن الانقطاع للعبادة إذا كان يشوبه شئ من الضيق والحاجة إلى الناس لا يكون فضيلة دينية، ما لم يعضدها فضيلة كسب المال والاستغناء به عما بأيدي الناس[407]، والإسلام في دعوته للعمل والحث عليه، يضع سياقاً من المبادئ والقيم والأخلاق كضابط للعمل حتى يكون لصلاح الإنسانية جمعاء ومن هذه القيم:

مبدأ الولاء في العمل لله تعالى:

يقول "جورباتشوف" في كتابه "البروستوريكا" عن أثر الولاء للدين على العمل يقول: "اقترب مسافر من بعض الذين يقيمون بناء وسألهم واحداً واحداً: ما الذي تفعله؟ أجاب أحدهم مستفزاً: "انظر إننا منذ الصباح حتى الليل نحمل هذه الأحجار اللعينة"، ونهض آخر على ركبتيه وشد كتفيه وقال بفخار: "إننا نبني معبداً كما ترى"، ويعلق جورباتشوف على هذه القصة فيقول: "وهكذا إذا كان أمامك هذا الهدف النبيل معبد يبنى فوق ربوة خضراء، فستكون أثقل الأحجار خفيفة، وأشق الأعمال ممتعة"[408].

يتناول مالك بن نبي في كتابه"شروط النهضة" في معرض الحديث على أن أصل الحضارة هي الفكرة الروحية حتى فيما يسمى بالحضارة الشيوعية، إن صح هذا التشبيه، لأن الشيوعية هي ظاهرة لا يمكن فصلها عن دورة الحضارة المسيحية

---

(406) معمر بن راشد الأزدي، الجامع، الجزء الحادي عشر، (الطبعة الثانية، بيروت، المكتب الإسلامي، 1403). ص: 244.

(407) محمد أحمد جاد المولى، مرجع سبق ذكره. ص: 175.

(408) سمير فرج، الولاء بين علم النفس والقرآن. (القاهرة، المتحدة للطباعة والنشر، 1989). ص: 90.

(الغربية)، فيقول:" فنحن لا يمكن أن نفكر في المثل الذي ضربه (استخانوف) للطبقة العامة في روسيا إبان تنفيذ المشروع الأول للسنوات الخمس، حين رفع مستوى الإنتاج اليومي إلى الضعف في مناجم الفحم، دون أن نفكر في المثل الذي ضربه سلمان الفارسي، الذي كان يقوم بأضعاف العمل الذي يؤديه الصحابي الواحد، في حفر الخندق حول المدينة في غزوة الأحزاب، أو الذي ضربه عمار بن ياسر حين كان يحمل حجرين على كاهله في بناء مسجد المدينة، حيث كان الفرد يحمل حجراً واحدا، ففي كلتي الحالتين نجد أن الإيمان هو الذي مهد الطريق للحضارة[409].

من الآثار الواردة عن الصحابة رضوان الله عليهم فيما يتعلق بالبحث على العمل، و الترغيب فيه، قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لايغرنكم من قرأ القرآن إنما هو كلام نتكلم به و لكن انظروا من يعمل به"[410]، وقول الإمام علي رضي الله عنه، يعطي صورة بليغة عن عدم التواكل و تأجيل الأعمال لفوت وقتها، لأن الزمن لا يمهل الإنسان لحظة لتدارك ما فات، قال: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، و لكل واحد منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا نجاسة، وغدا نجاسة ولا عمل"[411].

المطلب الرابع: الإسلام ومشروعية وسائل الكسب:

---

(409) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره. ص: 60-61.

(410) سعيد بن منصور، سنن سعيد بن منصور، الجزء الثاني، (الطبعة الأولى، الرياض، دار العصيمي، 1414هـ).ص:393.

(411) الإمام البخاري، صحيح البخاري، الجزء الخامس، (الطبعة الثالثة، اليمامة، دار ابن كثير، 1407هـ1987). ص:2358.

إذا كان الإسلام قد دعا إلى العمل و حث على زيادة الإنتاج، اشترط أن تكون وسائل الكسب وسائل مشروعة، لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[412]، فالكسب الذي يرحب به الإسلام ويعترف بآثاره، هو الكسب الطيب المشروع، ويشمل مشروعية الكسب مشروعية الوسائل التي يحقق بواسطتها هذا الكسب سد للذريعة التي تمثلها المذهب الميكيافلي النفعي الذي تبرره القاعدة "الغاية تبرر الوسيلة" فالإسلام يعتبر الغاية السليمة هي التي تبرر الوسيلة السليمة المشروعة، ولذلك حرمت كل الوسائل غير الشرعية لكسب المال، وزيادة الإنتاج، ومن ثم فلا استغلال لإمكانيات الأمة وإهدارها في ما لا يخدم المصلحة العامة، ومبدأ مشروعية الوسائل يحدد مشروعية المجال أي ما يمكن إنتاجه وما لا يمكن إنتاجه، وما يمكن إشباعه من حاجات الأمة، وما لا يمكن إشباعه، فلا فائدة من إنتاج يضر بالمصلحة العامة للأمة ولو كان يحقق عائداً اقتصادياً كبيراً كصناعة الخمور مثلاً.

المطلب الخامس: الابتكار ونظرة الإسلام إليه.

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، أي على أحسن هيئة وصورة، لا كما يدعي فلاسفة الغرب بأن أصل الإنسان قرد ثم تطور حتى صار كما هو عليه الآن، و زوده بفضيلة العقل وهي المقصودة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾ [413]، كما ورد في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما، مما جعله قادراً على عمارة الأرض والانطلاق

---

(412) سورة المائدة، الآية: 2.

(413) سورة الإسراء، الآية: 70.

نحو التقدم، من خلال مواهبه وقدراته، إبداعا و ابتكارا لتحقيق معنى الاستخلاف، وبناء على هذا التكريم المتمثل في طاقات العمل، دعا الإسلام الإنسان إلى السير في الأرض والمشي في مناكبها لاكتشاف مكنوناتها والأسرار المودعة فيها، ولقد لفت القرآن الكريم طاقات الإنسان وقدراته المودعة فيه من خلال الحث على التفكر في ملكوت الله، وفي النفس البشرية ذاتها، لفسح المجال أمام إبداعه وابتكاره، فقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[414].

ولقد فتح الإسلام الميدان فسيحاً أمام الإنسان للعمل والانطلاق بحرية للوصول إلى أسمى الغايات، ولاكتشاف مكنونات هذا الكون خدمة لمصلحة الإنسان، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[415]، والإسلام بهذه النظرة للإنسان ودوره في هذه الحياة من تعمير، و استخلاف، واكتشاف، وتطوير، وابتكار، يرى أن كل جديد في هذه الدنيا هو من باب الاجتهاد يقبل الصواب ويقبل الخطأ، فما كان موافقاً لنصوص الشرع وروح الإسلام، وجب الأخذ به لتحقيق المصلحة العامة للأفراد والأمة، تحقيقاً للقاعدة الفقهية القائلة"ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب مطلقا "[416]، كما يرى الإسلام أن كل شئ جديد ومبتكر قد يتضمن جوانب الخير وجوانب الشر، وجوانب الفساد وجوانب الصلاح، بناء على القاعدة

---

(414) سورة فصلت، الآية: 53.

(415) سورة الحديد، الآية: 25.

(416) علي بن عباس ألبعلي الحنبلي، القواعد و الفوائد الأصولية، الجزء الأول، (القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، بدون تاريخ). ص:94.

الفقهية الجليلة، "الأصل في الأشياء الإباحة لا الحرمة "[417]، فكل ابتكار في حقيقته مباح أصلا إلا ما خالف روح الشريعة، لكن الحرمة طارئة عليه، كما أن الإسلام يعتمد في عملية الابتكار والاكتشاف على العقل مسنوداً بالشرع حتى يستطيع الإنسان تحديد الصلاح والفساد، لأن الأصل في الصلاح والفساد (التحسين والتقبيح) هو النقل، لا العقل من وجهة النظر الشرعية.

عموماً فالإسلام يحث على الابتكار والاختراع لما يفيد الإنسانية جمعاء وليس لترويع الآمنين، أو زرع الخوف في نفوس الناس، لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[418]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[419].

المطلب السادس: - الإسلام تنمية القدرات العقلية الإدارية.

اهتم الإسلام بتنمية القدرات العقلية للإنسان حتى يصبح إنساناً صالحاً نافعاً لأمته وللإنسانية جمعاء، هذه التنمية لا تكون إلا من خلال الحث على التفكر في ملكوت السماوات والأرض، وما بث فيهما من آيات لتشكيل الإرادة والطاقة القادرة على التعرف على الميول، وتنمية المهارات التي تجعل الإنسان المسلم قادراً على التعامل مع الواقع والنهوض به إلى مستوى المثل الأعلى، وتحقيق الأهداف الممكنة، وهذا من خلال تدريب الفرد المسلم على التفكير السليم، وفق الخطوات التالية:

1 - **النقد الذاتي بدل التفكير التبريري:**

---

(417) محمد بن بها رد الزركشي، المنثور في القواعد، الجزء الأول، (الطبعة الثانية، الكويت، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، 1405هـ). ص:334.

(418) سورة المائدة، الآية: 2.

(419) سورة البقرة، الآية:208.

يقصد بالنقد الذاتي، ذلك الأسلوب من التفكير الذي يحمل صاحبه المسئولية في جميع ما يصيبه من مشكلات ونوازل، أو ما ينتهي إليه من فشل، أما التفكير التبريري، ذلك التفكير الذي يفترض الكمال لصاحبه وإذا أخطأ برأه من المسئولية وراح يبحث عن مبررات خارجية، إن النقد الذاتي يتخذ من القرآن الكريم والسنة الشريفة شكل المبادئ الثابتة والموازين الدائمة، التي توجه الإنسان لأن يتحرى دوره هو بنفسه في كل ما يصيبه في أي زمان أو مكان، ولا يبحث عن مبررات خارجية[420]، ويعضد ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [421]، وقول النبي ﷺ في حادثة تلقيح النخل لما أشار النبي ﷺ على أهل المدينة بعدم تلقيح النخل فلما أدى ذلك إلى عدم إثمارها قال ﷺ: **(إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي، فإنما أنا بشر)**[422]، وأرسل سيدنا عمر بن الخطاب إلى واليه في العراق أبا موسى الأشعري رضي الله عنه رسالة يبين له فيها أسس القضاء، ومن بين ما جاء في هذه الرسالة: "، لا يمنعك قضاء قضية اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل"[423].

2 - التفكير الشامل بدل التفكير الجزئي:

المقصود بالتفكير الشامل هو ذلك الأسلوب من التفكير الذي يتناول الظاهرة من جميع جوانبها، ويتحرى جميع أجزائها وما يتعلق بها، وخير دليل على التفكير

---

(420) ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سبق ذكره. ص:57-58.

(421) سورة الأعراف، الآية: 22.

(422) نادية شريف العمري، اجتهاد الرسول. (الطبعة الرابعة، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1408هـ – 1987). ص: 125.

(423) سيد سابق، فقه السنة، (القاهرة، دار الفتح للإعلام، 1990). ص: 368.

الشامل ما ورد في سورة الكهف وتناولته قصة سيدنا الخضر عليه السلام مع سيدنا موسى عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار، فكلها أمثلة على التفكير الشامل الذي كان يتمتع به سيدنا الخضر ونظرة سيدنا موسى عليه السلام الجزئية للأحداث، أما التفكير الجزئي: فهو يركز على جزء من الظاهرة ثم يعمم أحكامه على بقية الأجزاء، ويرتبط التفكير الجزئي غالباً بأوقات الجمود والتقليد وضعف القوى العقلية والميل مع الهوى، وخطورة التفكير الجزئي أنه تفكير انتقائي ينتهي إلى أحكام خاطئة مضللة.

3 - التفكير التجديدي بدل التفكير التقليدي:

والتجديد الذي عناه القرآن الكريم هو الذي يتحرر من عوامل الألفة والإبائية والتقليد، وينظر في الأفكار الجديدة نظرة أخرى، ثم يقارن الفكر بالواقع، ويتحرى الملاءمة والصواب، أما التفكير التقليدي: فهو عدم استعمال القدرات العقلية، واللجوء إلى المحاكاة أو الإبائية والاكتفاء بالمألوف القائم، ولا فرق أن يدور التقليد حول نماذج قديمة جدا و أخرى حديثة جدا فكلا النوعين تعطيل للقوى العقلية و إن اختلفت ميادينهما و أدواتهما.

4 - التفكير العلمي بدل الظن والهوى:

في القرآن توجيهات متكررة للحث على التفكير العلمي والتدريب عليه، فهو يدعو إلى عدم التسرع في إصدار الأحكام، قبل استكمال المعلومات اللازمة، والتعرف على الحقيقة كاملة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[424]، وهو يحث على طلب الدليل

---

(424) سورة الحجرات، الآية: 6.

في كل اعتقاد، قال تعالى: ﴿ لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾[425]، كذلك يدعو إلى التثبت في كل أمر قبل الحكم عليه بـالقبول أو الـرفض، وينهى عن تبديد الطاقات السـمعية والبصرـية والعقليـة في أمـور لم تتـوفر لهـا الأدلـة العلمية الكافية في قوله تعالى:﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[426]، كما ينهى عن إتباع الظن والهوى وينـدد بـه، في قوله تعالى:﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾[427].

5 - التفكير الجماعي بدل التفكير الفردي:

وهذا يعني عدم التفرد بالرأي واستشارة المتخصصين من ذوي الرأي السديد من الفقهاء والخبراء وأهل الاختصاص، كـما ورد في تفسـير معنـى أولي الأمـر وهـم: "جماعة أهل الحل والعقد من المسلمين، وهم الأمـراء، والحكـام، والعلـماء، ورؤسـاء الجند، وسائر الرؤساء، والزعماء الـذين يرجـع إلـيهم النـاس في الحاجـات والمصـالح العامة "[428]، وقد تطرق الباحث إلى تفاصيل موضوع أولي الأمر عنـد تنـاول موضـوع الشورى.

6 - التفكير السنني بدل التفكير الخرافي أو الخوارقي:

التفكير الذي يشدد القرآن في التحذير منـه و يكـرر لفـت الانتبـاه إليـه، هـو التفكير التقليدي، الذي يدور حول نماذج قديمـة جـداً وأخـرى جديـدة جـداً، فكـلا

---

[425] سورة الكهف، الآية: 15.

[426]سورة الإسراء، الآية: 36.

[427]سورة النجم، الآية: 28.

[428] الشيخ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، المجلد الثاني، مرجع سبق ذكره. ص:181.

النوعين تعطيل للقوى العقلية وإن اختلفت ميادينها وأدواتها[429]، يقول ﷺ فيما يروى عن حذيفة رضي الله عنه: (**لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا**)[430]، ويقول الإمام عبد الحميد بن بأديس حاثاً طلبته على العمل و على تنمية قدراتهم العقلية: "حافظ على عقلك فهو النور الإلهي الذي منحته لتهتدي به في طريق السعادة في حياتك"، ويقول أيضاً: "التفكير التفكير يا طلبة العلم، فإن القراءة بلا تفكير لا توصل إلى شيء من العلم، وإنما تربط صاحبها في صخرة الجمود والتقليد، وخير منها الجاهل البسيط"[431].

---

[429] ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سبق ذكره.ص: 59-61.

[430] الإمام الترمذي، الجامع الصحيح، الجزء الرابع.(الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي، 1382هـ-1962).ص: 364.

[431] مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية.(الطبعة الأولى، الدوحة، 1418هـ-1997). ص:183.

الفصل الثاني

منهجية القيم المادية وبناء الفرد المعاصر

المبحث الأول

أسس القيم المادية

لقد تشكل الفكر الغربي ونظرته للكون والإنسان والحياة في معترك مؤثرات تاريخية تمتد بجذورها إلى حقب زمنية بعيدة، وقد عرفت هذه النظرة تطورات عدة انتهت إلى صورته الحالية، يقول الأستاذ الندوي في كتابه"ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" ملقياً الضوء على أصول الفكر الغربي الذي بنيت على أسسه الحضارة الغربية فيقول: "ليست الحضارة الغربية في القرن العشرين المسيحي وليدة هذه القرون المتأخرة التي تلت القرون المظلمة في أوربا أو الحديثة كما يتوهم كثير من الناس، بل يرجع تاريخها إلى آلاف السنين، فهي سليلة الحضارة اليونانية والحضارة الرومية (الرومانية)، فقد خلفتهما في تراثيهما السياسي والعقلي والمدني، وورثت عنهما كل ما خلفتا من ممتلكات نظام سياسي، وفلسفة اجتماعية وتراث عقلي وعلمي، وانطبعت فيها ميولهما ونزعاتهما وخصائصهما...، وظلت الشعوب الأوربية طيلة قرون محتفظة بخصائصها وطبيعتها وارثة لفلسفتها وعلومها وآدابها وأفكارها، حتى برزت بها في القرن التاسع عشر في ثوب براق يوهمك -بطلاوته و زهاوة لونه- إنه جديد النسج ولكن لحمته وسداه من نسج اليونان والرومان"[432].

---

[432] أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. (الطبعة السادسة، بيروت، دار الكتاب العربي. 1965). ص: 176.

كما يوضح الأستاذ الندوي حالة المجتمع الأوربي الذي ظهرت فيه الحضارة من ضياع وتيه نتيجة لابتعاده عن مبادئ الهداية الإلهية فيقول: " ظهرت الحضارة الغربية في أمة لم يكن عندها معين صاف، ولا نبع عذب للحكمة الإلهية، لقد كان فيها قادة الدين لكن لم يكونوا أصحاب حكمة ولا علم، ولا شريعة إلهية، ولم يكن عندهم إلا شبح ديني لو حاول إن يسير بالنوع الإنساني على صراط مستقيم في طرق الفكر والعمل لما استطاع، ولم يكن له إلا أن يكون حجر عثرة وسداً في سبيل ارتقاء العلم والحكمة، وهكذا كان عاقبة ذلك أن الذين كانوا يريدون الرقي نبذوا الدين بالعراء، واختاروا طريقاً لم يكن دليلهم فيها إلا المشاهدة والاختيار والقياس والاستقراء، و وثقوا بهذه الدلائل التي هي في حاجة بنفسها إلى الهداية والنور، واجتهدوا باحتذائها في طرق التفكير والنظر والتحقيق والاكتشاف والبناء والتنظيم، ولكن ضلت خطواتهم الأولى في كل جهة وفي كل مجال، وانصرفت فتوحهم في ميادين العلم والتحقيق، ومحاولاتهم في سبل الفكر والنظر إلى غاية لم تكن صحيحة، إنهم بدءوا وساروا من نقطة الإلحاد والمادية، نظروا في الآفاق والأنفس على أنه لا حقيقة فيها إلا المشاهد والمحسوس، وليس وراء هذا الستار الظاهر شيء، إنهم أدركوا نواميس الفطرة بالاختبار والقياس ولكنهم لم يتوصلوا إلى فاطرها، إنهم وجدوا الموجودات مسخرة واستخدموها لأغراضهم ولكنهم جهلوا أنهم ليسوا سادتها ومديريها بل هم خلفاء سيدها الحق فلم يروا أنفسهم مسئولين عنها، ولم يروا على أنفسهم عهدة وتبعية فاختل أساس مدنيتهم وتهذيبهم، انصرفوا عن عبادة الله إلى عبادة النفس، واتخذوا إلههم هواهم، وفتنتهم عبادة هذا الإله، وسارت بهم هذه العبادة في كل ميدان من ميادين الهلاك[433].

---

(433) نفس المرجع. ص: 226.

ويقول الأستاذ محمد أسد في كتابه"الإسلام على مفترق الطرق" موضحاً كذلك الأ سس التي بنيت عليها الحضارة الغربية قائلاً:" إن المدنية الأوربية قائمة في أساسها على المدنية الرومانية الوثنية وهي لم تأخذ من النصرانية –التي اعتنقتها لأسباب سياسية قاهرة- سوى الطلاء الخارجي فحسب"[434].

كما أن الفكر الغربي استبعد من منظومته القيمية فكرة الخالق ويرى أن لا فائدة في اعتبار ذلك فيقول الأستاذ محمد أسد:" إن المدنية الغربية لا تجحد الله البتة ولكنها لا ترى مجالاً ولا فائدة لله في نظامها الفكري الحالي"[435]، يتبين مما سبق أن الحضارة الغربية ومن ورائها الفكر الغربي تنكر وجود الله وترى أنه لا مجال ولا فائدة لوجود الله في منظومتها الفكرية، وتنصرف عن عبادة الله إلى عبادة النفس، وهذا راجع في أساسه إلى سببين:

أولهما: قديم قدم الإنسان الأوربي حيث يعتمد الفكر الغربي و من ورائه الحضارة الغربية على المدنية الرومانية الوثنية.

ثانيهما: هو الانفصام النكد الذي حصل إبان فترة القرون الوسطى أو ما يسمى بقرون الظلام الغربي، و اضطهاد الكنيسة للعلم و العلماء الذي تسبب في خروج العلماء على تعاليم الكنيسة، و عبرت تلك النظرة المادية الإلحادية عن نفسها من خلال ما ظهر من نظريات فلسفية تلتقي جميعا عند قاسم مشترك.

---

(434) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق. (الطبعة السادسة، بيروت. دار العلم للملايين، 1965).
ص: 41.

(435) نفس المرجع. ص: 39

فالوضعية التي نادى بها "أوجست كونت" الفرنسي، عدت الإنسان كائناً يستطيع أن يشكل قيمه بنفسه، ويحولها إلى دين يضبط حركته الاجتماعية، ولا حاجة بعد إلى الأديان والقيم القديمة في زعمه[436].

والشيوعية جردت الإنسان من شموليته وجعلته سلوكاً متغيراً في ضوء تغير أدوات الإنتاج، مجرداً عن ذلك السلوك، مسلوب الإرادة، فحصرت شموليته الإنسانية في العامل الاقتصادي.

أما الدارونية نظرت إلى الإنسان من زاوية حيوانية انطلاقاً من التشابه الظاهري في القانون الواحد الذي خلق الله تعالى به الإنسان وسائر المخلوقات، ناسية مساحة الاختلاف والتنافر التي تجسدها شمولية شخصية الإنسان لجانبه الحيواني البحت، وجانبه الإنساني الفكري والشعوري، فأثرت وجهة نظرها الاجتماعية تأثيرات كبيراً في إنكار ثبات الصفات الخلقية والإنسانية والقيمية، وانتهت إلى اعتبار الإنسان حيواناً اجتماعياً متطوراً لا ضوابط لتغييره إلا في إطار تكوينه الحيواني.

أما الفرويدية فقد نظرت للإنسان في ضوء حيوانية الإنسان الداروينية انتهت إلى أن الجنس هو أساس حركة الإنسان وسلوكه، فلا بد أن يطلق منهج التغيير في زعمه، هو الدافع حتى يأخذ مجراه الطبيعي[437].

---

(436) محسن عبد الحميد، المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري.(الطبعة الثانية،الدوحة، 1404).ص: 72.

(437) نفس المرجع.ص: 73.

أما المذهب النفعي فقد شارك المذاهب الأخرى في التغيير الأحادي ونظـر إلى الإنسان من خلال غريزته الذاتية المصلحية التي تحقق له أكبر نفع ممكن، وكانت خاتمة المطاف في سلسـلة النظريـات الأحاديـة الجزئيـة لكيـان الإنسـان، النظـرة الوجوديـة "السارترية" التي أنكرت كسابقاتها وجود الإله، لينصب الإنسان نفسه مكانه بـدعوى إثبات وجوده، وتحقيق حريته بعيداً عن أوامر الدين ونواهيه [438].

(438) نفس المرجع. ص:74.

المبحث الثاني

مفهوم القيم المادية

يقصد بالقيم المادية تلك القيم المنبثقة من التصور المادي للحياة، والقيم التي تأخذ في حسبانها حاجات ورغبات وتطلعات الإنسان المادية، وهي كما يعرفها الأستاذ أحمد عبد الحميد الشاعر من خلال تعريفه للفكر المادي بأنه:" الإيمان المطلق بالمادة وعالم الحس والمشاهدة، والإنكار المطلق لما وراء المادة من غيبيات وروحانيات، فالمادة هي كل شيء، ومنها كل شيء، وإليها كل شيء، وهي الفاعلة و الخالقة، وهي مصدر الوجود والحياة، وهي المدبرة والمهيمنة"[439]، أما الجانب الروحي العقيدي فيبقى عرضة للإهمال لأنه ليس معترف به وحتى الذين مازالوا يتشبثون به فهم قلة من أفراد المجتمع في محاولة للتوفيق بين روح حضارتهم وما تدعوا إليه معتقداتهم، محاولة القانط الذي لا يملك الحيلة و لا الوسيلة لأنه كما تقول القاعدة الفقهية، "ما بني على باطل فهو باطل" وفي هذا الصدد يقول الأستاذ محمد أسد: "ولا ريب في أنه لا يزال في الغرب أفراد عديدون يشعرون ويفكرون على أسلوب ديني ويبذلون جهود القانط حتى يوفقوا بين معتقداتهم وبين روح حضارتهم، ولكن هؤلاء شواذ فقط، إن الأوربي العادي سواء عليه أكان ديموقراطياً أم فاشياً، رأسمالياً أم بلشفياً، صانعاً أم مفكراً، يعرف ديناً واحداً إيجابيا هو التعبد للرقي المادي، أي الاعتقاد بأن ليس في الحياة هدف

---

(439) أحمد عبد الحميد الشاعر، الإسلام والفكر المادي. (الطبعة الثانية، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، 1406هـ-1986). ص: 13.

آخر سوى جعل هذه الحياة نفسها أيسر فأيسر، أو كما يقول التعبير:"طليقة من ظلم الطبيعة"[440].

المبحث الثالث

القيم المنهجية المادية والفرد المعاصر.

المطلب الأول :القيم العقدية ونظرة الغرب :

إن العقيدة في ظل النظريات الفلسفية الغربية التي سبق ذكرها تدل بها لا يدع مجالاً للشك أنها تتشكل طبقاً لما يراد تحقيقه مادياً، فلا حاجة لإنسان الغرب عموماً للجانب الروحي، فالحاجة التي تولد في العقل سواء كان فردياً أم جماعياً حوافز الاعتقاد بالكون أو الوجود حسب مقتضيات الحاجة أو الرغبة، وخير مثال على ذلك ما رد به عالم الفلك الفرنسي "لابلاس" حين سأله "نابليون بونابرت" عن عمل القدرة الإلهية في تنظيم الأفلاك السماوية قال:" إنني لم أجد في نظام السماء ضرورة بتدبير إله"[441]، كما كتب السير" جيمس فتز جيمس ستيفن" سنة 1884 فصلاًيعتبر مثالاً للآراء العلمية في تلك الفترة فقال: "إذا كانت الحياة الإنسانية في نشأتها قد استوفى العلم وصفها، فلست أرى بعد ذلك مادة باقية للدين، إذ ما هي فائدته؟ وما هي الحاجة إليه؟ إننا نستطيع أن نسلك سبيلنا بغيره، وأن تكن وجهة النظر التي يفتحها العلم لنا لا تعطينا ما نعبده فهي كفيلة أن تعطينا كثيراً مما نستمتع به"[442].

---

(440) محمد أسد، مرجع سبق ذكره. ص: 47.

(441) محمود عباس العقاد، عقائد المفكرين في القرن العشرين. (القاهرة، مكتبة غريب، بدون تاريخ). ص: 25.

(442) نفس المرجع.ص:25.

من خلال نظرة الغرب إلى مفهوم العقيدة ومضامينها، نجد أنها قد استحالت إلى مسألة حياة فردية أو شخصية ذات علاقة بسيطة، أو لا علاقة لها بالشئون الاجتماعية والأمور العامة...، إنها لا تزيد عن كونها نظرية فلسفية عن طبيعة النهاية وخلق العالم، وإذا قبلنا هذا التفسير لمعنى مفهوم العقيدة فإن الإيمان بالله، وبالحياة الآخرة، لا يمكن أن يكون جزءًا من العقيدة، لأن الشخص الذي يؤمن بالله يجب أن يؤمن بالضرورة بقيم أخلاقية، ومثل أدبية غير منفصلة عن الإيمان بالوجود الإلهي[443]، يتبين مما سبق أن الإنسان الغربي بقي عرضة لتضارب العقائد، ونهباً للتيارات الفكرية التي شتت قواه العقلية وتركته في دوامة عاصفة لا قرار لها، قال تعالى مبينا حالة هؤلاء و أمثالهم:﴿فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾[444].

المطلب الثاني :القيم المادية وتوجيه الفكر الغربي.

لقد تطرق الباحث عند تناوله لموضوع القيم المنهجية الموجهة للعقل الإسلامي، أن تلك القيم مصدرها الهدي الإلهي من توجيهات القرآن الكريم والسنة الشريفة، التي تحرك العقل السليم ليتدبر آيات الله في الآفاق، آفاق السماوات والأرض، ويتأمل في حقيقة النفس البشرية لينتهي به هذا التأمل وذلك الجهد الفكري إلى وضع يده على دلائل النظام الإلهي التي تقوده إلى اليقين بوجود الله، تلك القوة الخفية المدبرة لهذا الكون.

لقد بنيت عقيدة الإسلام على حشد من القيم التصورية كالربانية، والشمولية، والتوازن والثبات، والتوحيد، والحركية، والإيجابية، والواقعية، تلتئم وتتداخل

---

(443) زيدان عبد الباقي، علم الاجتماع الديني. (القاهرة، دار غريب،1981). ص:273 -274.

(444) سورة الحج، الآية: 31.

وتكامل لكي تشكل نسقاً عقيدياً ما بلغت عشر معشاره أية عقيدة أخرى في العالم وضعية كانت أم دينية...، كما أن هذا "النسق" المحكم يمثل تطابقاً باهراً مع معطيات الفطرة البشرية في أصولها النقية الحرة، إنه يمثل في الوقت نفسه تطابقاً مذهلاً مع معطيات العقل المحضة وتطلعاته وآفاقه[445]، فالروح المنهجية التي تشبع بها الفكر الإسلامي والتي استمدت لحمتها من مصادر الشريعة الإسلامية، القرآن الكريم والسنة الشريفة، لم تعرف على مدار التاريخ الإسلامي أي انفصام أو انفصال عنها، على العكس تماماً في الفكر الغربي فإن القيم المنهجية التي صبغت الفطرة بالشهوات"[446]، ومن مظاهر هذه النظرة المحددة للحياة أيضاً ما ذكرته مجلة منار الإسلام في عددها الرابع في سنة 1994، أن مليونيرة روسية تدعى "ساندیس برنار دس" تبلغ من العمر ثلاثة وأربعون سنة أحدثت دوياً كبيراً في الأوساط الاجتماعية بإقدامها على الزواج من ابنها"إميليو" البالغ من العمر السابعة عشرة وبعد الانتهاء من إجراءات هذا الزواج الفاحش، قالت العروس المليونيرة أنها تملك من الثروة ما يجعلها غير آبهة بالقواعد الأخلاقية التافهة على حسب قولها الشاذ[447].

حقيقة إنه عالم تنتهك فيه الأعراض، وتقدم فيه القيم قرابين للحياة المادية، فلا مكان إذن للعفة والغيرة في خضم الغرائز البهيمية، والأهواء الحيوانية الشهوانية، والأطماع التي لا تردعها قيم، ولا توقفها أخلاق وتتوقف عند حد، ولو جئنا إلى أي قيمة من القيم الأخلاقية كقيمة الصدق مثلا فلا نجد أي أثر لها في منظومتهم الفكرية،

---

(445) عماد الدين خليل، حول تشكيل العقل المسلم، مرجع سبق ذكره. ص: 53.

(446) يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مرجع سبق ذكره. ص: 377-378.

(447) حسن سعيد، الإسلام والغرب. (الطبعة الأولى، عمان، التوحيد للنشر، 1417هـ-1997). ص: 49.

كما لا نجد أي أثر لقيمة العفاف هي الأخرى على سبيل المثال فإذا كان العفاف هو في نظر الغرب و من واقعهم المعاش انتهاك للقيم والأعراض فإن المجتمع الغربي قد دب فيه داء الأمم البائدة، و فقد جهاز المناعة الذي يقيه من شرور الجراثيم الفتاكة التي تنخر أوصاله عموماً، "ولقد أصبح النفاق والغش والكذب والتذبذب وكلها صفات حذرت منها الأديان السماوية إلى جانب تنافيها مع المثل الإنسانية التقدمية والمعنوية والفلسفية والأخلاقية، أصبحت هذه الصفات ضرباً من التكتيك المشروع في الأيديولوجيات المعاصرة للدول الكبرى، وليس فقط على مستوى الفرد، وإنما على مستوى الجماعات بل والمجتمع بأكمله"[448].

1/2- الفكر الغربي وقيمة العلم والمعرفة:

من المعلوم أن العلم قد أصبح من مميزات الحضارة الغربية المعاصرة، وحتى نكون واقعيين في نظرتنا لا بد من أن نبين طبيعة هذا العلم الذي بنيت على أسسه الحضارة الغربية وأصبح عنواناً دالاً عليها.

إن الحضارة الغربية قد عرفت انفصالاً عن الدين، ونمت وتطورت في معزل عنه، فإذا تعلق الأمر مثلاًبالمنهج التجريبي، فإن عالم الطبيعة الغربي يقف عند حدود القوانين المادية التي تكشف أبحاثه عنها، ولا يتجاوز إلى ما ورائها، أي إلى علة العلل ومسبب الأسباب وهو الله عز وجل، أما إذا كان المجال هو مجال علم الاجتماع، فإننا نجد أن عالم الاجتماع الغربي أبعد ما يكون عن التوجه بأشعة النقد إلى الأهداف والغايات النهائية للمجتمع، وقصارى جهده إنما يرتكز على الوسائل المؤدية إلى

---

(448) عبد المجيد بن مسعود، مرجع سبق ذكره. ص: 115.

تحقيقها، فهو إذن يقف عند وصف تلك الأهداف ليس إلا ...، وهذا على عكس عالم الاجتماع المسلم الذي يظل حريصاً على القيم الإسلامية، بحيث يبادر إلى نقد كل الأوضاع والتغييرات الاجتماعية التي تتعارض مع طبيعة الإنسان وفطرته.

إن إفراغ العلوم من شحنتها الدينية، أصابها بالعقم والانحطاط، وأوصلها إلى الطريق المسدود، فعلى الصعيد الفردي، دعت العلوم الاجتماعية إلى الاعتماد على الذات، وتقويتها لأنها منبع القيم المستقل والمرجع الخير لوجود الإنسان ووعيه بوجوده، وأصبحت الحرية في نظر الغرب كافة متساوية مع الممارسة، التي لا تخضع لمبدأ أو قانون، بل تصدر عن الإرادة الشخصية مجردة[449].

2/2- الفكر الغربي وقيمة الحرية:

لقد كانت الحرية دوماً ضرورة من الضرورات في نفسية الإنسان، ظلت كذلك عبر التاريخ الإنساني، وفي جميع المجتمعات دون استثناء، فالحرية مسألة جوهرية أصيلة في الكيان البشري، نصت عليها جميع الأديان سماوية كانت أم وضعية.

إن واقع الفكر والحياة في مجتمع الغرب ينبئ أن الحرية هناك تنفصل عن الإحساس بالمسئولية، وتتم في غياب أدنى شعور بالخضوع للمحاسبة، أي في غياب الاعتقاد بوجود الله عز وجل، بل إن الحرية هناك في تلك المجتمعات لا تكاد تجد لها أثرا في النفوس، في مفهومها السليم وعمقها الأصيل، حتى إننا لا نجانب الصواب إذا حكمنا على الفرد في ظل مجتمع الغرب بأنه محروم من نعمة الحرية محكوم عليه بسجن قاتم، فإذا نحن استنطقنا مضامين وأشخاص ركام المسرحيات التي ألفها كتاب

---

(449) إسماعيل راجي الفاروقي، التحرك الفلسفي الإسلامي الحديث. المسلم المعاصر، بيروت، عدد 39. ص:14-15.

غربيون وجدناها صادقة، تعكس لنا مدى ثقل الحياة والواقع على كاهل الإنسان الغربي، بحيث أن شعوراً بالاختناق والتمزق لا ينفك يلاحقه في كل لحظة من لحظات حياته[450].

المطلب الثالث: الفكر الغربي وقيمتي الصدق والعفاف:

يفسر علماء الأخلاق العفة على أنها، ضبط النفس واعتدال ميلها إلى اللذة، سواء في ذلك اللذات الجسمية من المآكل وغيرها، واللذائذ النفسية من الانفعالات والعواطف، إذا انطلقنا من ذلك التعريف ونظرنا في ضوئه إلى واقع المجتمع المعاصر، فإننا نراه بعيد كل البعد عن معاني العفة، متهالكاً على الملذات، يعب منها بنهم لا ينتهي، وظمأ لا يرتوي، وليس ذلك بالغريب، إذ إننا لا يمكن أن ننتظر سلوك العفة أو خلق الاعتدال من أناس يعتقدون أن الحياة الدنيا هي نهاية الوجود البشري، وأن الموت هو الفناء، وأن الروح البشرية انتهت رحلتها، عكس التصور الإسلامي التي تغرسه عقيدة الإسلام في أتباعها ومعتنقيها، من أن الحياة الدنيا ليست نهاية الوجود البشري، وأن الموت لا يعني الفناء، وأن الروح البشرية تواصل رحلتها بعد الموت نحو الله، وهي الغاية النهائية للحياة والكائنات[451].

إذا كانت الحياة الآخرة ليست هي الغاية النهائية للإنسان كما تؤكد الحضارة الغربية بشقيها الرأسمالي والاشتراكي، فلماذا يهتم الإنسان بالأهداف الاجتماعية؟ ولماذا نكد ونكدح في سبيل إسعاد غيرنا، ونضحي بما يمكن تحقيقه من لذة وسرور الذي يتيحه لنا وجودنا الدنيوي القصيرو الذي ينتهي بانتهاء الحياة الدنيا من أجل أناس

---

(450) عبد المجيد بن مسعود، مرجع سبق ذكره. ص: 112.

(451) زيدان عبد الباقي، مرجع سبق ذكره.ص: 273.

آخرين محكوم عليهم هم أيضاً بالفناء، هذا التصور للحياة هو الذي جعل أزمة المجتمع الغربي تتعمق وتحفر أخاديدها، فلم تقف تداعياتها عند حد أو مظهر محدد بل تعددت المظاهر السلبية كالانتحار، والحياة العبثية، والمجون والإمعان في الجريمة، ففي تصريح لأحد رؤساء الولايات الأمريكية تناقلته الصحف ووكالات الأنباء قال فيه: "إن الشباب الأمريكي مائع مترف منحل غارق في الشهوات، وإن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين بسبب انهماكهم في الشهوات، وتقول آخر إحصائيات صادرة عن دوائر رسمية أمريكية، أن أكثر من ثلث مواليد نيويورك غير شرعيين، وأكثرهم ولدوا لفتيات في التاسعة عشر و ما دونها، أي بنسبة تقارب 37٪ من مجموع مواليد نيويورك وحدها، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى دور القيم المادية التي تسعى إلى تيسير سبل قضاء الشهوة لدى شباب المجتمعات الغربية دون تحمل لأي تبعات تفرضها الحياة الزوجية القائمة على الأخلاق الإنسانية، مما جعل الكثير من الشباب على مستوى المجتمعات الغربية يختارون طريق تنويع اللذة، هروبا من الحياة الزوجية النمطية المتكررة، و دون تحمل تكاليف الأسرة و الأبوة الراعية و المسئولة.

إذا كان العلم من بين القيم العليا التي جاء بها الإسلام، وأقام عليها حياة الإنسان المعنوية والمادية والدنيوية والأخروية، وجعله طريق الإيمان، وداعي العمل، وهو المرشح الأول للخلافة في الأرض، وبه فضل الله آدم على الملائكة، على عكس نظرة الغرب للعلم الذي لم يتناول إلا عالم الشهادة، إذا قيست بآفاق عالم الغيب لا تعد إلا مساحة ضيقة، والمشكلة لم تتوقف على حدود عالم الطبيعة بل تعدته إلى الأساس

المادي الذي اعتمده العلم الغربي والنظرة المادية النفعية التي ينظر من خلالها إلى نتائجه وثمراته، هذه النظرة التـي مسـخت العلـوم الطبيعيـة فصـارت آلـة لهـلاك الإنسـان، وصاغت الأخلاق في قالب الشهوات، والرياء، والخلاعة، والإباحية، وسـلطت عـلى المعيشة سلطان الأثرة والشح[452].

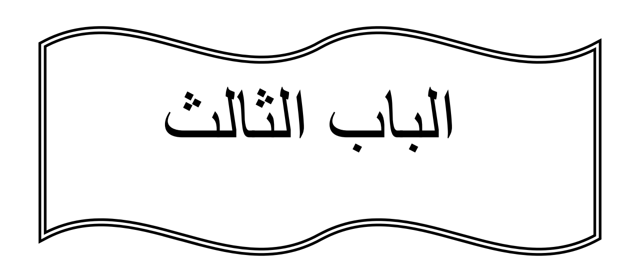
بهذه النظرة الضيقة لمفهوم العلم باقتصـاره عـلى عـالم الطبيعـة المحـدود، ثـم نظرتهم المادية النفعية، جعلت الغرب يقع في خطـأ بـين هـو اعتبـارهم أن نشر العلـم والثقافـة وحـدها ضـماناً للسـلام والرخـاء وعوضـاً عـن التربيـة والتهـذيب الـديني والخلقي، ذلك لأن العلم سلاح ذو حدين يصلح للهدم والتـدمير كـما يصـلح للبنـاء والتعمير، ولا بد من حسن استخدامه من رقيب أخلاقي يوجهه لخير الإنسانية وعمارة الأرض لا إلى الشر والفساد، ذلكم الرقيب هو العقيدة والإيمان[453].

وخلاصة القول أن الحضارة الغربية هـي نتيجـة للبـذرة الخبيثـة التـي ألقتهـا الحضارة الهيلينية في التربة الأوربية ولم يأت عليها حين من الدهر حتـى أنبتـت شـجرة خبيثة مالها من قرار ثمارها حلوة الطعم لكنها تنفث في جسم الإنسـانية سـموماً قاتلـة أزهارها جميلة لكنها محفوفة بالمخاطر كثيرة الفروع وارفة الضلال لكنهـا سـممت ولا زالت تسمم دم النوع البشري بما تحمله من أفكار ومعتقدات منافية للفطرة البشرية.

---

(452) أبو الحسن الندوي، مرجع سبق ذكره. ص:227.

(453) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مرجع سبق ذكره. ص: 187.



أثر القيم على السلوك الإداري

الفصل الأول

الإدارة دراسة نظرية.

المبحث الأول

الإدارة مفهومها وخصائصها.

إن الاهتمام بتعريف مصطلح الإدارة أو بغيره من المصطلحات الأخرى لا يكون بهدف تلخيص معاني هذه المصطلحات في مفردات قليلة، بحيث يسهل حفظها واسترجاعها في مناسبات مختلفة، بل تنبع أهمية التعريف في العادة من اعتبار هام وهو تقديم تحديد للمحور الأساسي أو الفكرة الأساسية التي يدور حولها الموضوع المراد معرفته، ولذلك فإن تحديد مفهوم هذا المحور، وإدراك معناه، يعد بداية وأولى درجات المعرفة العلمية بذلك الموضوع، و دونه لا يمكن إجراء أي تحليلات دقيقة وعلمية متكاملة، ومن هنا يعتمد على التعريف كخطوة أولى من خطوات البحث والدراسة.

المطلب الأول: مفهوم الإدارة:

1\1=: الإدارة لغة:

ورد في قاموس المورد عربي إنجليزي.

أدار: تولى الإدارة، دبر، قام على.[454].

إدارة: تدبير، حكم، توجيه.

([454]) روحي البعلبكي، قاموس المورد. (بيروت، دار العلم للملايين، 1992). ص:631.

أما قاموس المغني الكبير فيورد معنى الإدارة على النحو التالي:

ADMINISTRATION: إجراء، إدارة، تصريف، تدبير، أداء.

MANAGEMENT: سياسة، تصريف الأمور، تدبير، إدارة[455].

1\2=: الإدارة اصطلاحاً:

فيما يتعلق بهذا المفهوم فإن الفقه الإداري قد يتضمن عدداً كبيراً من التعريفات نتيجة لتعدد الدراسات والمدارس التي استهدفت تحديد هذا المفهوم، ومن غير استعراض لمختلف التعريفات التي تعرضت لهذا المفهوم، نتناول بعضاً منها على سبيل المثال.

يقول الدكتور أحمد رشيد في كتابة "نظرية الإدارة": إن كلمة إدارة في آداب اللغة العربية تستخدم ترجمة لكلمة "MANAGEMENT" وأحياناً أخرى ترجمة لكلمة "ADMINISTRATION" أي إن كلمتي "MANAG" و "ADMIN" تستخدمان للإشارة إلى الإدارة[456].

ويعرف "رالين جونسون" الإدارة بأنها:" عملية وأسلوب عمل يستهدفان تحقيق برنامج معين بواسطة جهاز إداري ذا تنظيم معين ممكن عن طريق خلق جو من التوافق القائم على التعاون وتنسيق الجهود لتسيير المؤسسة نحو أهدافها الموضوعة[457].

(455) حسن سعيد الكرمي، قاموس المغني الكبير.(بيروت، مكتبة لبنان، 1987). ص:17_759.

(456) أحمد رشيد، نظرية الإدارة العامة.(القاهرة، دار المعارف، 1981). ص:23.

(457) سامية فهمي، الإدارة في المؤسسات الاجتماعية. (الإسكندرية، المكتب الجامعي، 1985). ص:3.

أما السيد محمد عبد الغفار فيورد في كتابه"تنظيم إدارة الأعمال" مجموعة من التعريفات التي يعتقد أنها الشائعة للإدارة والتي أوردها رجال الفكر الإداري حسب قوله[458] نتناول منها مايلي:

عرف تايلور"TAYIOR" الإدارة بأنها:" المعرفة الصحيحة لما ينبغي أن يقوم به الأفراد ثم التأكد من قيامهم بأداء ما هو مطلوب، منهم بأفضل الطرق وأقل التكاليف".

أما هنري فايول"H FAYOL" فقد عرف الإدارة بأنها:"التنبؤ، والتنظيم وإصدار الأوامر والتنسيق والرقابة".

أما هوايت "WHITE" فيعرف الإدارة على أنها"العملية التي بواسطتها يمكن تنفيذ عمل معين والإشراف عليه".

أما جلوفر "GLOVER" فيرى أن الإدارة هي: "الملكة الفكرية في الإنسان التي تحلل، وتصنف، وتحدد، وتخطط، وتحفز، وتقيم، وتراقب الاستخدام الأمثل للموارد البشرية والمالية اللازمة لتحقيق هدف معين".

كما يعرف الأستاذ عبد اللطيف القصير في كتابه"الإدارة العامة. المنظور السياسي" الإدارة بأنها:" نوع من أنواع الجهود البشرية التي تتسم بدرجة عالية من الرشد لإنجاز الأهداف التي جاء من أجلها ذلك العمل التعاوني"[459].

---

[458] سيد عبد الغفار، تنظيم وإدارة الأعمال. (بيروت، دار النهضة، 1988). ص:15 وما بعدها.

[459] عبد اللطيف القصير، الإدارة العامة المنظور السياسي. (بغداد، جامعة بغداد، 1980). ص:8.

أما الدكتوران علي السلمي" و ل. بهرت فيقولان في كتابهما: "سياسات واستراتيجيات الإدارة في الدول النامية:" ليس يعنينا استعراض الآراء المختلفة التي ذكرت في هذا الصدد، أو عرض الخلافات الفكرية التي تسود هذا المجال، ولكن نكتفي بصدد تعريف عام وشامل للإدارة يحتوي على أكثر نقاط الاتفاق بين المفكرين والممارسين، وينص هذا التعريف على أن الإدارة:" هي عملية مستمرة تهدف إلى تحقيق نتائج محدودة باستخدام الموارد المتاحة بأعلى درجة من الكفاءة، وذلك في ظل ظروف موضوعية قائمة أو محتملة"[460].

أما الدكتور محمد كمال لاشين فيعرف الإدارة في كتابه"أصول الإدارة السليمة" بأنها:"فن الاستفادة من خدمات وخبرات الآخرين وتوجيه وتنسيق جهودهم للوصول إلى هدف عام"[461].

وبالنظر إلى التعاريف السابقة التي أوردها علماء الإدارة، نجد أن مفهوم الإدارة وفقاً لهذه التعاريف، ينقسم إلى أربعة مجموعات رئيسية هي:

المجموعة الأولى: ترى الإدارة في الأساس على أنها نسيج متمايز من المهارات والقدرات الشخصية في تحليل المشكلات وابتكار الحلول لها، والتي تتوفر في فئة من الأفراد الموهوبين المؤهلين طبيعياً لممارسة الأعمال الإدارية، والنجاح فيها، وتعكس هذه الآراء مفهوم الإدارة باعتبارها فن"ART"، ومن ثم تتبلور العملية الإدارية في

---

(460) علي السلمي. و.ل. بهرت، سياسات وإستراتيجيات الإدارة في الدول النامية. (القاهرة، مكتبة غريب، بدون تاريخ). ص.13.

(461) محمد كمال لاشين، أصول الإدارة السليمة. بدون معلومات أخرى. ص: 1.

عـدد مـن الخصـائص والسـمات الشخصـية لجماعـة القـادة الإداريـين الـذين يطلـق عليهم"DATE" وصف "كبار الموظفين".

المجموعة الثانية: وثمة مجموعة ثانية من التعريفات تعتبر الإدارة سلسلة مـن الإجراءات أو الأنشطة المنطقية المتتابعة، والمتكاملة، والتي تبـدأ عـادة بتحديـد هـدف معين، ومحاولة رسم طريق للوصول إليه من خلال إعادة الخطط، وإقامـة التنظـيمات، وتوفير الرقابة اللازمة، ومحل التركيز في هذه المجموعة مـن التعريفـات هـو مـا يطلـق عليه: "العملية الإدارية" التي تتصف بدرجة عالية من التوحـد والقابليـة للتطبيـق في مختلف التنظيمات، وعلى كل المستويات.

المجموعة الثالثة: وقد قام فريق ثالث من العلماء والمفكرين الإداريين للترويج لمفهوم آخر للإدارة، يركز على عنصر معين فيها وهو"اتخاذ القـرارات" ففـي رأي هـذا الفريق إن الإدارة هي في الأساس اتخاذ القـرارات وفقـاً لمـنهج معـين مـن أجـل حـل المشكلات التي تعترض المنظمة، من أجل تحقيق الأهداف التي تسعى إليها.

المجموعة الرابعة: ترى أن الإدارة هـي عبـارة عـن عمليـة إنسـانية سـلوكية بالدرجة الأولى، وتعتبر هذه المجموعـة أن السـلوك الإنسـاني هـو العنصرـ الأسـاسي المحرك والموجه للعمل الإداري، ومن ثم فإن الإدارة هي في حقيقة الأمر فـن أو علـم التعامل مع البشر، أو استقطاب تعاونهم، وتنسيق جهودهم من أجـل تحقيـق أهـداف منظمة معينة.

وقد تأثر هذا الاتجاه بنتائج البحوث، والدراسات المتوالية خلال السنوات الأخيرة فيما يسمى "بالعلوم السلوكية"[462].

و خلاصة القول: أن تعريف الإدارة وما فيه من اختلافات راجع إلى عدة أسباب يجملها الدكتور محمد عبد الله عبد الرحيم في كتابه: "أساسيات الإدارة والتنظيم" فيما يلي[463]:

1 - جدة علم الإدارة بالمقارنة بالعلوم الاجتماعية الأخرى ناهيك عن العلوم التطبيقية.

2 - تعدد مدارس الفكر الإداري، (كلاسيكية ـ سلوكية)، لكل منها منهجها، وتركيزها في تعريف الإدارة.

3 - اتساع نطاق العمل الإداري، وتشابك العمليات الإدارية المختلفة من حيث الأهمية ودرجة التعقد.

4 - علاقة علم الإدارة بالعلوم الأخرى خاصة العلوم الاجتماعية.

ولذلك نجد هناك تعريفات كثيرة تختلف في درجة دقتها وشمولها وكذلك في قيمتها.

المطلب الثاني: خصائص الإدارة.

من خلال التعريفات السابقة يمكن القول أن الإدارة هي:

1 - وسيلة، أو نشاط، أو عملية، أو جهد، أو نظام.

---

(462) علي السلمي و ل. بهرت، مرجع سبق ذكره. ص:19-20.

(463) محمد عبد الله عبد الرحيم، أساسيات الإدارة و التنظيم. (القاهرة، دار التأليف، 1977). ص:13.

2 - أنها تعبر عن عمل جماعي يقوم على أساس تجميع الجهود الأساسية للأفراد والجماعات.

3 - أنها تهدف إلى تنفيذ ما تقوم به الجهة صاحبة السلطة بوضعه، من خطط وسياسات وبرامج[464].

4 - أنها لا تعمل في فراغ بل أن علم الإدارة هو"علم الوسائل"، بمعنى أن الإدارة تقوم على تحقيق أهداف، لها الأبعاد الكمية والزمنية التي تحدد المسار والإطار اللازمين للإدارة.

5 - لا بد أن يكون للهدف غاية، أو وظيفة اجتماعية، وهي إما تحقيق الأرباح، أو تقديم الخدمات العامة، أو كلاهما معاً[465].

بالإضافة إلى هذه العناصر التي تعتبر خصائص الإدارة، إلا أن هناك عنصرين يرى الدكتور عبد المعطي عساف ضرورة إضافتها للتعريف، و إلا كان التعريف ناقصاً وهذين العنصرين هما.

الوعي و العقلانية: حيث لا بد أن تكون الإدارة سواء ظهرت في صورة نظام، أو عملية، أو وسيلة، أو غيرها، واعية ومعبره عن سلوك عقلاني، وذلك باعتبارها ظاهرة إنسانية مميزها الأساسي أن تكون متسمة بهذه الخصائص.

الفاعلية: وهي تمثل الغاية العليا والنهائية التي تسعى الإدارة إلى الوصول إليها، وهي بذ لك تمثل مبرر وجود الإدارة أصلاً، فالإدارة لا توجد لتنفيذ السياسات

---

(464) عبد المعطي عساف، مرجع سبق ذكره. ص: 14-15.

(465) أحمد رشيد، مرجع سبق ذكره، ص:15.

لتحقيق الأهداف فحسب، بل لتنفيذها بفاعلية، ومصطلح الفاعلية ينصب على القدرة على إشباع الغايات التي تصبو إليها الإدارة.

كما يضيف إلى هذه العناصر أو الخصائص السابقة الأستاذ" و. جاك دنكان" في كتابه: "أفكار عظيمة في الإدارة"، "عنصر الكفاءة" التي نقلها بدوره من كتاب: "المبادئ الإثني عشر للكفاءة" يقول دنكان في هذا الصدد:" هذه المبادئ بسيطة وواضحة وأولية حيث يقول إيمرسون: الكفاءة تأتي بنتائج أكبر وبمجهود أقل، أما الجهد الشاق فيأتي بنتائج أكبر ومجهود يفوق الحدود الطبيعية في ضخامته، وبعبارة أخرى الكفاءة تأتي بالخير لأن الناس يعملون بمزيد من الذكاء، والحذق، وليس بمزيد من العناء والمشقة[466].

---

(466) و. جاك دنكان، أفكار عظيمة في الإدارة، ترجمة محمد الحديدي. (القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، 1991). ص: 59.

المبحث الثاني

نشأة مفاهيم الإدارة وتطورها.

المطلب الأول: نشأة مفاهيم الإدارة.

إن الدلائل تشير إلى وجود الإدارة الفعالة في المجتمعات منذ آلاف السنين، فالحضارات القديمة كالحضارة المصرية، والحضارة اليونانية، والرومانية، والصينية، وحضارة ما بين النهرين، وغيرها ما كان لها أن تستمر لعدة قرون بدون تنظيمات وإجراءات إدارية فعالة. وحتى قبل ظهور هذه الحضارات كانت هناك بعض الأسباب التي بررت التفكير والجهود المبذولة لتنمية الإدارة.

وقد ظهرت بعض القوائم التحليلية لمشكلة الإدارة منذ قديم الزمان، فمن دراسة الكتاب المقدس "Bibl"، وسفر الخروج، يتبين كيف لاحظ سيدنا هارون عليه السلام أن موسى عليه السلام ينفق كثيرا من الجهد والوقت يومياً للاتصال بأتباعه، وحل مشكلاتهم، وقد رأى هارون أن ما يقوم به موسى يومياً يفوق قدرات وإمكانيات فرد واحد، ومن ثم فقد اقترح عليه بعض التوصيات لتخفيف بعض الأعباء عن كاهله، وأول هذه التوصيات ما يتعلق بضرورة تعريف الأفراد بالأوامر والقوانين، وهذا ما يطلق عليه الآن "سياسات التنظيم".

أما التوصية الثانية فتتعلق بضرورة اختيار وتعيين القادة، حيث يكون كل واحد منهم مسئول عن عدد من المرؤوسين، وهو ما يعرف الآن "بتفويض السلطة".

أما التوصية الثالثة: فتتعلق بضرورة قيام هؤلاء القادة بتولي كل الأعمال الروتينية، ويرجعون إلى موسى عليه السلام فقط بخصوص المشاكل الهامة التي تواجههم، وهذه العملية هي أساس الإجراء الرقابي الفعال الذي يتضمن رفع الاستثناءات غير المتماشية مع النتائج المتوقعة إلى المستويات الأعلى[467].

المطلب الثاني: تطور المفاهيم الإدارية.

إن الفكر الإداري المعاصر ليس من صنع شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص، بل هو نتيجة لإسهامات الكثيرين ممن اهتموا بهذا الميدان وتخصصوا فيه، غير أنه يمكن أن نميز بين عدة مفكرين في مجال الإدارة، كان لهم الأثر الكبير في اتجاهات هذا الفكر بشكل واضح، وقد اتفق معظم علماء ومفكري الإدارة أن هناك اتجاهين أساسيين أو مرحلتين أساسيتين مر بها هذا الفكر:

المرحلة الأولى: و هي ما تعرف بحركة الإدارة العلمية، (المدرسة التقليدية أو المدرسة العلمية) "SCIENTIFIC Man agent".

المرحلة الثانية: و هي ما تعرف بالمدرسة السلوكية. "Behavior School".

حركة الإدارة العلمية: تعرف حركة الإدارة العلمية بالنظرية الكلاسيكية (التقليدية) للإدارة، وتشتمل المدرسة الكلاسيكية على ثلاث وجهات نظر رئيسية هي:

1 - البيروقراطية النقية ويتزعمها الألماني ماكس فيبر.

---

(467) عادل حسن وآخرون، تنظيم وإدارة الأعمال. (بيروت، دار النهضة، 1988). ص:29.

2 - المنهج الوظيفي ويتزعمه العالم الفرنسي هنري فايول.

3 - حركة الإدارة العلمية لصاحبها الأمريكي فرد ريك تايلور.

1-ماكس فيبر: بدأ تحليله للرأسمالية الحديثة بفحص ودراسة العناصر والمتطلبات، أو الشروط المسبقة التي تؤدي إلى إمكانية وجودها وأن النظام البيروقراطي هو العنصر الجوهري فهو الذي يوفر الهيكل الذي يولد. درجة عالية من الكفاءة(468).

2-هنري فايول والمنهج الوظيفي وممارسة الإدارة.إن فايول كان مديراً ذا خبرة ودرجة كبيرة من المعرفة والمعلومات الإدارية مكنته من وضع وتحديد وظائف ومبادئ للإدارة، وبعض هذه الوظائف والمبادئ ما زالت لها أهميتها حتى الآن، وهو يدعو إلى تخصص وظيفة الإدارة، ولم يكن يعتقد أن مبادئه سوف تكون المنهج الوحيد للإدارة(469).

3- فريد ريك تايلور والإدارة العلمية: يعتقد تايلور أن العمال والموظفين في المستوى التشغيلي "Operation Level" هم العنصر الأساسي في المؤسسة ويجب وضع معيار أو مستوى إنتاجية لكل وظيفة على أساس أكفأ الطرق، ومع أنه كان مدركاً لأهمية العنصر التعاوني بين العمال والإدارة، إلا أن الطرق التي استخدمها ألغت شخصية الفرد و كيانه وحالت دون اشتراكه في القرارات التي تتعلق أو تؤثر مباشرة في وظيفته(470).

(468) محي الدين الأزهري، الإدارة و دور المديرين. (القاهرة، دار الفكر العربي، 1993). ص:84.

(469) نفس المرجع. ص: 87.

(470) نفس المرجع. ص:91.

المدرسة السلوكية: نتناول في البداية نبذة عن بعض رواد هذه المدرسة ثم أهم خصائصها.

I- جورج ألتون مايو: توصل إلى بعض النتائج من خلال دراسته و أبحاثه التي أجراها في هذا الميدان.

1- الاعتراف بأهمية الميول، والاتجاهات الفردية في تشكيل السلوك و تحديده.

2- إظهار أهمية دور المشرف في موازنة مستويات العامل و إنتاجه.

3- إثبات أن العامل ليس مجرد إنسان اقتصادي يكتفي بتحفيزه ماليا.

4-تأكيد أهمية وإرضاء العامل وإذكاء روح الجماعة لتحقيق أهداف المنظمة.

5-بيان أثر التشكيل الاجتماعي غير الرسمي[471].

II -شيستر برنا رد: توصل شيستر برنا رد إلى نتيجة أن المدير التنفيذي يعتبر أهم عامل استراتيجي في رفع إنتاجية المنظمة، ويرجع هذه الأهمية البالغة إلى ثلاثة وظائف وهي:

1 -وضع نظام اتصال يكفل قيام نظم متعاونة.

2 -النهوض بالجهود اللازمة لتسيير النظام.

3 -وضع أهداف وأغراض يبتغي النظام تحقيقها والتعريف بها[472].

---

(471) حمدي أمين عبد الهادي، الفكر الإداري الإسلامي والمقارن. (الطبعة الثالثة، القاهرة، دار الفكر العربي بدون تاريخ). ص:86.

(472) نفس المرجع. ص:89.

III -هر برت سايمون: يعتبر سايمون رائد المدرسة السلوكية، وكان للدراسات والبحوث التي قام بها فضل كبير في إثراء الحركة الإنسانية، وتحقيق التوازن بينها وبين مدرسة الحركة العلمية. واهتم سايمون بالدوافع النفسية، والاتجاهات السلوكية وأثرها على إنجاز العمل الإداري وخاصة في مرحلة اتخاذ القرارات[473].

المبحث الثالث

مهام الإدارة و عناصرها.

المطلب الأول :مهام الإدارة.

إن مهمة الإدارة هي تقرير النتائج المحددة المطلوب تحقيقها واختيار أصلح العناصر الواجب استخدامها لتحقيق تلك النتائج، وعمل الترتيبات اللازمة لاستخدام تلك العناصر أفضل استخدام مع ضمان الاستمرارية بحيث يحدث توازن بين متطلبات الأجل القصير والأجل الطويل، ولذلك فالإدارة ملتزمة أمام المجتمع بعدة التزامات أساسية في تحقيقها للنتائج، هذه النتائج التي كانت مبرر وجودها.

هذه الالتزامات يمكن إجمالها فيما يلي:

1 - التزام باختيار العناصر الملائمة لتحقيق توازن بين متطلبات الأجل القصير والأجل الطويل[474].

2 - التزام باستخدام العناصر التي تقرر استخدامها أحسن استخدام.

---

(473) عبد الغني بسيوني عبد الله، أصول الإدارة العامة. (بيروت، الدار الجامعية، 1993). ص:117.

(474) سيد الهواري، الإدارة الأصول و الأسس العلمية. (القاهرة، مكتبة عين شمس، 1994). ص:8.

3 - التزام باستمرارية تحقيق توازن بين متطلبات الأجل القصير، والأجل الطويل.

4 - إن الإدارة التي لا تحقق النتائج التي وجدت من أجلها إدارة سيئة وفاشلة.

5 - إن الإدارة التي لا تستخدم الموارد المالية والبشرية في أقيم حالاتها إدارة سيئة فاشلة.

فالإدارة بهذا المفهوم مسئولية وتكليف من المجتمع بتحقيق أفضل النتائج باستخدام العناصر المادية والبشرية الملائمة استخداماً أمثل مع تحقيق الاستمرارية بعمل توازن بين متطلبات الحاضر والمستقبل، إن هذه المهنة ذات أبعاد ثلاثة:

1- البعد الاقتصادي: وهو يعتمد على محورين:

أ. الفاعلية: تحقيق أفضل النتائج بأكثر العناصر ملائمة.

ب. الكفاءة: استخدام العناصر التي تقرر استخدامها أحسن استخدام.

2- البعد الإنساني: ويعتمد على محورين:

أ. تحقيق ذاتية الإنسان وتطويره.

ب.التنسيق والتعاون الإداري.

3- البعد الزمني: وهو يعتمد على توازن متطلبات:

أ.الحاضر.

ب.المستقبل[475].

---

(475) نفس المرجع.ص:17.

المطلب الثاني: عناصر الإدارة.

1 - **الأفراد:** هم الأعضاء الذين تتكون منهم المنشأة من مختلف النوعيات ومختلف مستويات المهارة.

2 - **الموارد المالية والمادية:** تشكل الموارد المالية والمادية عنصراً هاماً من عناصر الإدارة، حيث تمثل هذه الموارد بالإضافة إلى الأفراد الأدوات الحيوية التي تعتمد عليها الإدارة للوصول إلى أهدافها وهذه الموارد هي:

أ- رأس المال في أشكاله ومظاهره المختلفة.

ب- نتائج الطبيعة من مواد، وخامات متباينة.

ج- المعلومات وحصيلة الخبرة والعلم الإنساني.[476]

3 - **الأهداف:** إن نقطة البدء في عمل الإدارة أن تحدد لنفسها أهدافاً معينة تسعى للوصول إليها. والهدف هو النتيجة المرغوب تحقيقها سواء كانت نتيجة مادية، كإنتاج سلعة، أو تحقيق ربح، أو كانت نتيجة معنوية، كتدعيم الحالات المعنوية، أو تأكيد الاقتناع بفكرة معينة أو مبدأ معين.

وأهمية الأهداف بالنسبة للعمل الإداري أنها تخدم في اتجاهين رئيسيين:

أ- تعمل الأهداف كمرشد لعملية التخطيط، إذ تساعد الإدارة في تبين النواحي التي يجب أن تتجه لها الجهود والموارد المتاحة لها.

ب- إن الأهداف تتخذ أساساً للمتابعة وتقييم الأداء، أي أن الإدارة تستخدمها كمعايير للقياس، وتحديد قيمة الإنجازات المحققة[477].

(476) علي السلمي، و. ل. بهرت، مرجع سبق ذكره. ص: 15.

4 - المعارف والمفاهيم والمحيط الخارجي:

- المعارف والمفاهيم: يقصد بها المعارف، والعلوم، والمفاهيم، والأساليب المتصلة بالإدارة ومجال تطبيقها. فالإدارة هي مجموعة منتقاة من المعارف تعتمد في جزء كبير منها على العلوم الأخرى مثل، علم النفس، الاجتماع، الاقتصاد، الهندسة، الإحصاء. فكل هذه العلوم ساهمت من الناحية النظرية أو التطبيقية في تطوير المعرفة الإدارية.

- المحيط الخارجي للإدارة: فالإدارة لا تعمل في فراغ، بل تمارس عملها في إطار محدد تفرضه الظروف والقيود المحيطة بالمشروع، ويمكن تقسيم المحيط الخارجي إلى قسمين:

أ.المحيط العام: ويضم النظام الثقافي، والسياسي، والاقتصادي، والتكنولوجي والعقائدي.

ب.المحيط المباشر: ويضم المتعاملين مع المشروع بطريقة مباشرة، فالإدارة تتأثر وتؤثر في محيطها الخارجي، ولذلك فعلى الإدارة أن تتعرف وتدرس العوامل المحيطة المختلفة، والمتغيرات التي تحدث فيها وتتبين آثارها على تحقيق أهداف المشروع[478].

5 - **القيود:** والعنصر الأخير في العمل الإداري هي القيود التي تخضع لها الإدارة في عملها، وهي عبارة عن مجموعة الظروف، والموارد، والإمكانيات التي تحتاجها

---

(477) نفس المرجع.ص: 14.

(478) سمير أحمد عسكر، المدخل إلى إدارة الأعمال. (القاهرة، دار النهضة،1987). ص:27.

الإدارة، أو تضطر للتعامل معها في حين لا تستطيع السيطرة عليها أو التأثير فيها بشكل مباشر وسريع، من ذلك تنشأ حاجة الإدارة إلى:

أ- التعرف على تلك القيود بأشكالها المختلفة، وتبين آثارها المحتملة على عمل الإدارة.

ب- البحث عن أساليب للعمل الإداري لا تتناقض وتلك القيود، وإنما تتعايش معها في بعض الحالات دون الإخلال بالنتائج الأصيلة والمستهدفة، وتتمثل هذه القيود في: القيود القانونية، والقيود السياسية، والقيود الاقتصادية، والقيود الاجتماعية والحضارية، والقيود الفنية والتكنولوجية[479].

المبحث الرابع

وظائف الإدارة و مستوياتها، و موقعها من العلم و الفن.

المطلب الأول: وظائف العملية الإدارية.

من أجل قيام الإدارة بمهامها فإنها تقوم بالنشاط الآتي وهو ما يطلق عليه بوظائف النشاط الإداري أو" وظائف عملية الإدارية".

---

(479) أحمد عبد السلام دباس، أراء ونظريات في الإدارة. (دمشق، منشورات الجامعة، 1983). ص:18.

1 - **التخطيط:** وهي مرحلة التفكير في المستقبل، والتنبؤ بالمشكلات، و الإمكانيات والاحتياجات، والاستعداد للمستقبل وهو يتطلب ما يلي:

- وضع الأهداف المطلوب تحقيقها.
- رسم السياسات والإجراءات للاسترشاد بها كطريق لتحقيق الأهداف.
- التنبؤات وإعداد الموازنات بالإمكانيات والاحتياجات من الموارد والأموال والأشخاص......الخ.
- وضع برامج العمل والجداول الزمنية للتفكير في جزئيات العمل في الوقت اللازم.

2 - **التنظيم:** وضع نظام للعلاقات بين الأفراد، منسق إدارياً من أجل تحقيق الأهداف المشتركة المقررة وهو يتطلب:

- تصميم الهيكل التنظيمي.
- تحديد مسئوليات المناصب الإدارية.
- تحديد العلاقات التنظيمية.
- اختيار المديرين وتطويرهم[480].

3 - **التوجيه:** إرشاد المرؤوسين أثناء تنفيذهم للأعمال ضماناً لعدم الانحراف عن تحقيق الأهداف وذلك يتطلب:

- التحفيز ورفع الروح المعنوية.

---

(480) سيد الهواري، مرجع سبق ذكره. ص:18.

- القيادة (المبادأة ـ القدوة ـ التأثير).
- الاتصال بالمرؤوسين وإصدار الأوامر.

4 - **الرقابة:** التأكد من أن النتائج التي تحققت أو تتحقق مطابقة للأهداف التي تقررت وذلك يتطلب:

- وجود معايير رقابية يتم القياس بموجبها في المجالات المختلفة.
- قياس الأداء: أي المتابعة بالتقارير المكتوبة والشفوية، والزيارات الشخصية.
- تشخيص المشكلات وعلاجها على اعتبار أن المشكلة انحراف عن شيء مطلوب، أو مرغوب[481].

المطلب الثاني: مستويات الإدارة.

إن الإدارة وإن اشتملت على أفراد عديدين في إطار منظماتها، إلا أن هؤلاء الأفراد لا يتساوون من حيث الأعباء، والواجبات والمسئوليات من ناحية، ومن حيث السلطات وحقوق اتخاذ القرارات من ناحية أخرى، فإن الإدارة تنقسم إلى مستويات ثلاث: تعارف عليها معظم كتاب الإدارة هي:

1 مستوى الإدارة العليا (TOP MANAGEMEN).

2 مستوى الإدارة الوسطى (MIDDLE MANAGEM).

3 مستوى الإدارة المباشر (LOVER MANAGEMENT).

(481) نفس المرجع. ص:19.

إن الخيط الذي يربط بين هذه المستويات الإدارية هو أنها جمعياً تمارس وظيفة الإدارة من حيث تحديد الأهداف والتخطيط والتنظيم والمتابعة والتقييم.

1- **مستوى الإدارة العليا**.

تقوم الإدارة العليا بالوظائف التالية:

- نطاق العمل الإداري الذي تمارسه.
- حجم المسئوليات التي تتحملها.
- مدى السلطات المخولة لها.

فالإدارة العليا تتعامل على مستوى المشروع كوحدة متكاملة، ومن ثم فهي تهتم بالعمليات التالية:

- تحديد الأهداف العامة وبعيدة المدى.
- رسم السياسات الشاملة.
- تصور خطط وبرامج المدى الطويل.
- توجيه وتنسيق الأنشطة الأساسية للمشروع.
- اعتماد الخطط والبرامج التي تعدها الإدارة الوسطى و مجموعة الخبراء.
- اتخاذ القرارات الأساسية، والسياسات الاستراتيجية.

فالإدارة العليا تتطلب مهارات فكرية نظراً لما تقوم به من مهام[482].

2- **مستوى الإدارة الوسطى:**

---

(482) سليمان الطماوي، مبادئ علم الإدارة العامة. (القاهرة، مكتبة عين شمس، 1987). ص:24.

تختص الإدارة الوسطى بترجمة الأهداف والسياسات العامة المحددة من مستوى الإدارة العليا إلى خطط وبرامج عمل، تشرف على وضعها موضع التنفيذ. فالإدارة الوسطى هي بمثابة حلقة وصل بين الإدارة العليا من جهة والإدارة التنفيذية الإشرافية من جهة ثانية، ولذلك فهي تتطلب مهارات إنسانية أكبر من المهارات الفكرية أو الفنية، وهذا نتيجة لطبيعة عملها.

ويمتاز أفراد الإدارة الوسطى بالمميزات التالية:

- تغلب التخصص المهني والفني.
- التركيز على الأنشطة ومجالات العمل الداخلية للمشروع.
- تغلب الفكر التنفيذي على المنطق التخطيطي.

3- مستوى الإدارة المباشرة:

فهو المستوى الذي تعهد إليه أعباء إدارة العمليات التنفيذية بالدرجة الأولى، وإلى أعلى درجة من التفصيل.

وهذا المستوى يتطلب مهارات فنية عالية نتيجة لطبيعة عمله، كما يغلب على أفراده الطابع التنفيذي على الطابع التخطيطي، لأن المشرفين على خط التنفيذ يحتاجون إلى مهارات فنية كبيرة.

المطلب الثالث: الإدارة بين العلم والفن.

إن جميع العاملين في حقل الإدارة يقرون الرأي القائل بأن الإدارة تحتوي على بعض خصائص الفن كاستعمال المهارات، والإبداع والتطبيق المنهجي للمعرفة، لبلوغ النتائج المتوخاة، فالإدارة في هذا المجال هي حتماً فنا.

كما أنها علم معرفة بالكيف الذي يسميه "شيستر برنارد" "بالمعرفة السلوكية"، حيث يوضح هذه المعرفة السلوكية في قوله:" أما العلم فيهتم بتفسير الظواهر إنه مجموعة من المبادئ أو القوانين تعالج موضوعاً معيناً، وكلما اكتشفت المبادئ وأثبتت كلما طبقت في حل المشاكل فإنها تصبح القواعد المعمول بها في الفن بل كلاهما مكمل للآخر فمع التطور العلمي يتطور الفن كما دلت على ذلك علوم الفيزياء والبيولوجيا فبدون علم يعتبر الطبيب ساحراً، ودون اعتماد المبادئ يصبح صاحب الاختصاص التقني عاملاًغير واثق من صحة عمله"[483].

من خلال التحليلات المتقدمة للإدارة بإبعادها الثلاثة: الاقتصادية، والإنسانية، والزمنية، وكذلك من خلال امتزاج عنصري العلم والفن فيها، يتأكد لنا أن الإدارة مهنة متميزة عن المهن الأخرى المتخصصة، فهي مهنة مختلفة عن مهنة المهندس (ميكانيكي، كهربائي، مدني)، مهنة مختلفة عن مهنة الطبيب (المتخصص أو العام). مهنة مختلفة عن مهنة المحاسب أو المدرس أو غير ذلك من المهن، لأن نجاح طبيب في العمليات الجراحية أو في التشخيص الطبي، لا يعني بالضرورة أن هذا الطبيب يكون مديراً ناجحاً لمستشفى أو حتى مديراً ناجحاً لقسم في مستشفى.

(483) هارولد كونتز وسيريل اودونيل، مبادئ الإدارة، تحليل الوظائف والمهمات الإدارية. (بيروت، مكتبة لبنان، 1966).ص:29.

ونجـاح محاسـب في عملـه لا يجعلـه بالضرـورة ناجحـاً لجهـاز مركـزي للمحاسبات. فالتعامل مع النـاس رؤسـاء ومرؤوسـين أو زمـلاء، مـع الأخـذ بعـين الاعتبار الاختلافات الفردية، يتطلب من المدير أن يتمتع بمهـارة إنسـانية(HUMAN SKILL)، بالإضـافة إلى المهـارات الفنيـة(TECHNICALSKILL) المرتبطـة بطبيعـة عمله، كما أن التفكير في المستقبل والاسـتعداد لـه، والتفكـير في الجزيئـات وعلاقتهـا بالكليات، يتطلب أيضاً مهارة فكرية[484].

(CONCEPTUAL) وعلى ذلك فالإدارة مهنة تتطلب مهارات ثلاث:

1 - مهارات فنية.

2 - مهارات إنسانية.

3 - مهارات فكرية.

إن المزيج الملائم من هذه المهارات يختلف باختلاف المستوى الإداري للمدير، وهو حسبما لاحظناه من خلال المستويات الإدارية الثلاث وهذا ما نلاحظه من خـلال الشكل أدناه.

الادارة العليا	مهارات فكرية
الإدارة الوسطي	
الإدارة المباشرة	مهارات إنسانية

(484) سيد الهواري، مرجع سبق ذكره. ص:22-26.

الفصل الثاني

السلوك التنظيمي

المبحث الأول

السلـــــــــوك

المطلب الأول: السلوك تعريفه و خصائصه، و أنواعه.

1\1- السلوك لغة:

وردت معاني كثيرة لمصطلح سلوك كل حسب موقع ورود المصطلح، فجاء السلوك بمعنى المرور، أو السير في الطريق وهذا ما نجده في حاشية الدسوقي، والفواكه الدواني، ومواهب الجليل: "من أخاف الناس في الطريق لأجل أن يمنعهم من السلوك فيها والانتفاع بالمرور فيها..."[485].

وورد بمعنى المنع، لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾[486]، يقول بن زيد: "هم كما قال الله: هو أضلهم ومنعهم الإيمان". وقال سفيان الثوري موضحاً قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ ﴾ فقال: يجعله[487].

---

[485] محمد عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي، الجزء الرابع، (بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ). ص: 348.

نفس المعنى في: " الفواكه الدواني لابن غنيم. ص:199. و مواهب الجليل للمغربي. ص:52.

[486] سورة الحجر، الآيتان: 12-13.

[487] الإمام الطبري، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع عشر. ص: 9.

يقال سلك يسلكه وسلوكاً، وأسلكه يسلكه إسلاكاً من السلوك، لقول عدي بن زيد:

وكنتَ لَزَاَز خصمك لم أعدد   وقد سلكوك في يوم عصيب

ومنه الإسلاك لقول أحدهم:

حتى إذا أسلكوهم في قتائده شلاً   كما تطرد الجمالة الشردا

وهنا السلوك بمعنى الطرد[488].

وورد بمعنى الدخول، أو المشي، والتسهيل واليسر والتذليل، في قول أبي الدرداء:" من سلك أي دخل أو مشى يطلب فيه، أي في ذلك الطريق – طريق العلم كما ورد في الأثر عن النبي: "من سلك طريقا يطلب فيها علماً سلك الله تعالى به طريقا إلى الجنة وأن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإنه ليستغفر للعالم من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراًولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر"[489].

وفي نفس المعنى يقول الإمام ابن الجوزي في معرض التطرق إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً ❁ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾[490]، قال قتادة، واختاره

---

[488] نفس المرجع نفس الصفحة.

[489] ابن كثير، تفسير ابن كثير، مرجع سبق ذكره، الجزء الثالث. ص: 558.

[490] سورة نوح، الآيتان: 19-20.

الزجاج أيضاً قال: لأن المعنى سهل لكم السلوك فيها فإذا أمكنكم السلوك في جبالها. فهم أبلغ في التذليل[491].

وأورده الشيخ المباركفوري[492] بمعنى الالتماس "أي من سلك طريقاً" الحديث سبق ذكره. كما ورد السلوك بمعنى الوقوع في الخطأ، يقال: سلك فلان طريق العيصين على لفظ تثنية عيص، إذا أخطأ[493].

وورد في المفردات في غريب القرآن، السلوك:" النفاذ في الطريق، يقال سلكت الطريق وسلكت كذا في طريقه، قال تعالى: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾[494].

2\1- **: السلوك اصطلاحاً.**

يعرف السلوك اصطلاحاً على أنه:" الاستجابات الحركية والقدرية، أي الاستجابات الصادرة عن عضلات الكائن الحي، أو عن الغدد الموجودة في جسمه"[495].

ويعرف أيضاً على أنه:" سلسلة من الاختبارات يقوم بها الفرد من بين استجابات ممكنة عند تنقل الفرد من موقف إلى آخر"[496].

---

[491] ابن الجوزي، زاد المسير، الجزء الثامن، مرجع سبق ذكره. ص: 321.

[492] محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذي، الجزء الثامن. (بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ). ص: 215.

[493] عبد الرحمن البكري، معجم ما أستعجم، الجزء الثالث. (الطبعة الثالثة، بيروت عالم الكتب، 1403هـ).ص: 985.

[494] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن. (الطبعة الأخيرة، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي والحلبي وأولاده، 1381هـ، 1961). ص: 239.

[495] إبراهيم الغمري، السلوك الإنساني والإدارة الحديثة. (الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، بدون تاريخ). ص: 17.

يعرف أيضاً على أنه:" مجموعة من الحركات المنسقة التي تقود إلى وظيفة ما، فتمكن صاحبها من الوصول إلى غاية، أو غرض مادي أو معنوي"[497].

أما معجم مصطلحات علم النفس فيعرف السلوك بأنه:" أي فعل إستجابي يمكن مشاهدته من الخارج، وهو عادة إما استجابة غددية أو عضلية"[498].

ويعرف من وجهة نظر علم النفس التربوي على أنه:" كل نشاط ينتج عن العضوية (الكائن الحي) سواء كان مقصوداً أو تلقائيا"[499].

يعرفه أيضا أحد المهتمين بمجال الأخلاق، بأنه:" أفعال الأشخاص (الإنسان) التي تتغير بتغير الأحوال والدواعي، وتختلف باختلاف الأشخاص وقوة إرادتهم، ودرجة تعقلهم"[500].

فالسلوك بهذا المفهوم هو مصدر فعل متعدي يصلح لأن يكون مرتبط بأشياء مادية أو معنوية، وهذا يعطيه صفة الإطلاق، و قد يقيد بإضافة كلمة إليه فتحدد مجاله، فيقال مثلًا: سلوك إداري، أو سلوك اجتماعي، أو سلوك اقتصادي إلى غير ذلك. و في هذه الحالة يتسع نطاق المعنى الاصطلاحي ليتجاوز المعنى اللغوي وزيادة عليه، فيحصل على معناً خاص به، مستمداً من الإضافة.

---

[496] علي أحمد علي، سلوك الإنسان. (القاهرة، مكتبة عين شمس، 1971). ص: 15-16.

[497] إبراهيم فريد الدر، الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان. (الطبعة الأولى، بيروت، دار الآفاق الجديدة. 1983). ص: 39.

[498] منير وهبة الخازن، معجم مصطلحات علم النفس. (القاهرة، دار النشر للجامعين، بدون تاريخ). ص: 29.

[499] جمال مثقال القاسم، علم النفس التربوي. (الطبعة الأولى، عمان، دار الصفاء للنشر والتوزيع، 2000). ص:100.

[500] محمد أحمد جاد المولى، مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني. ص: 333.

1\3- : تعريف السلوك التنظيمي.

يعرف السلوك التنظيمي بأنه:" دراسة وتطبيق المعرفة المتعلقة بكيفية تصرف وسلوك الأفراد في المنظمة... ويرى العلماء الباحثون والمعنيون بهذا المجال أن السلوك التنظيمي يعني مباشرة فهم وتفسير السلوك الإنساني في المنظمات والتنبؤ به، وضبطه والتحكم به، من أجل تحقيق أهدافها بكفاية وفعالية، و من أجل التوصل إلى فهم متعمق لسلوك الفرد في العمل، ولتوجيه الفرد لخدمة المنظمة لابد من تحليل وتفسير السلوك لمعرفة الأسباب التي تدفع الفرد للقيام بسلوك أو تصرف معين[501].

يعرف أيضاً السلوك التنظيمي على أنه:" دراسة سلوك و اتجاهات وأداء العاملين في وضع تنظيمي معين، ودراسة أثر المنظمة والجماعة على إدراك ومشاعر وتصرفات العاملين، وتأثيرات البيئة على المنظمة ومواردها البشرية وأهدافها، وكذلك تأثيرات العاملين على المنظمة وفعاليتها"[502].

1\4- : خصائص السلوك الإنساني.

من خلال التعاريف السابقة للسلوك الإنساني عموما والسلوك التنظيمي خصوصا يمكن استنتاج أهم الخصائص نوجزها فيما يلي:

1- أن السلوك الإنساني لا يظهر من عدم ولكنه يرجع إلى سبب يؤدي إلى ظهوره ونشأته.

---

[501] حسين حريم، السلوك التنظيمي. (عمان، دار زهران للنشر والتوزيع، بدون تاريخ). ص: 9.

[502] اندرو دي، مارك جي، السلوك التنظيمي والأداء. (الرياض، معهد الإدارة العامة، 1412هـ-1991). ص:18.

2- أن السلوك الإنساني سلوك هادف أي يسعى إلى تحقيق غاية وغرض، أو لإشباع حاجة ملحة.

3- أنه سلوك متنوع ظهر في صور متعددة، تساعده على المواءمة، والتوافق مع المواقف المختلفة التي تواجهه.

4- أنه يمتاز بالمرونة مراعاة لتغير الظروف والمواقف المختلفة.

5- الاستمرارية: أي أن السلوك يكشف عن الاستمرار في اتجاه النشاط، وهذا النشاط قد يبدأ بمؤثر موقوت ولكنه مستمر حتى بعد زوال المؤثر كالفار من لصوص، أو الخائف على نفسه من الاعتداء، وغير ذلك.

6-التهيؤ: يتكون الجزء الأول من سلسلة السلوك من حركات تعمل على تهيئة الإنسان أو الكائن الحي عموماً للمرحلة، ويبدو ذلك واضحاً في حركات التلصص وغيرها.

7- القابلية للتحسن: إذا ما تكرر الموقف الذي يثير سلسلة السلوك، فإن السلوك المتنوع يتخذ صورة أكثر تحديداً فتحذف الحركات الطائشة، أو التي لا فائدة منها ويتحسن السلوك طبقاً لقاعدة التجربة والخطأ[503].

5\1- **أنواع السلوك الإنساني**.

السلوك نوعان:فطري و مكتسب.

[503] كمال الدين عبد الحليم نايل، الغرضية في السلوك الإنساني.(القاهرة، دار المعارف. 1955). ص: 65-66.

أ- السلوك الفطري: هو السلوك الذي لا يحتاج إلى تعلم، كحركات الطفل الصغير من رضاعة وبكاء، وصراخ وغير ذلك. وهو كذلك سلوك موروث أي تتحكم فيه عوامل وراثية.

ب- السلوك المكتسب: وهو السلوك الذي يكتسبه الفرد من خلال عملية التعلم، كما يتأثر بالميول، والعقائد، والاتجاهات الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية، التي يؤمن بها الفرد، و هناك من العلماء من يقسم السلوك إلى سلوك فردي، وسلوك جماعي، وسلوك اجتماعي.

المطلب الثاني: القوى المؤثرة في السلوك، وأهمية دراسته.

1/2- **القوى المؤثرة في السلوك**.

هناك مجموعة من القوى المؤثرة في السلوك بنوعيه الفطري و المكتسب، يمكن إجمالها في الآتي:

1 - هناك عدد من الدوافع، والقوى الداخلية التي توجه السلوك الإنساني في اتجاه المحافظة على الحياة والبقاء.

2 - الإنسان عضو في مجتمع كبير فهو يتأثر بطبيعة الثقافة والحضارة التي يعيش فيها، ويصبح لتلك القوى والمؤثرات الاجتماعية تأثيراً شديداً على أنماط وأساليب السلوك التي يتبعها.

3 - في ذات الوقت فإن الفرد يخضع لتأثيرات الجماعات الصغرى المباشرة التي يعيش معها كالعائلة، والأقارب، و الأصدقاء، والزملاء في العمل. لكل من تلك الجماعات عاداتها وتقاليدها التي تؤثر في تفكير الفرد، وتحدد له أنماط السلوك التي

يجدر به إتباعها إن أراد الحفاظ بعضويته في تلك الجماعات، والمحافظة وتنمية صداقته بها.

4 - لكل فرد باعتباره إنساناً "شخصية" تختلف عن غيره من الأفراد، تلك الشخصية هي نتاج التفاعل بين حاجاته ورغباته الذاتية، وخلاصة تجاربه وخبراته في الحياة[504].

5 - بالإضافة إلى شخصية الفرد الذاتية، فإن هناك أنماط عامة للسلوك والتصرف تنمو بحكم الانتماء إلى بيئة معينة، أو جماعة محددة، إذ نجد على سبيل المثال سكان منطقة جغرافية معينة يختلفون عن سكان منطقة جغرافية أخرى على مستوى القطر الواحد، فما بالك على مستوى البلدان والأقطار المختلفة.

6 - إن وسائل الاتصال بين الأفراد والجماعات، والأشكال التي تتخذها هذه الاتصالات، نجد أن الفرد يتفهمها و يصيغها بطرق مختلفة، لذلك نجد أن الأفراد يميلون وفق هذه الصياغات إلى تكوين انطباعات محددة عن الأشياء، والأشخاص، والأفكار، تلك الانطباعات تساعد على توجيه سلوك الأفراد في ناحية دون أخرى[505].

هذه الأفكار جميعها والتي وردت فيما سبق ذكره حول السلوك الإنساني، يمكن صياغتها في شكل مبادئ هامة وأساسية تساعد على تفسير السلوك الإنساني والتنبؤ به، هذه المبادئ حددها العلماء المختصون في ثلاثة أساسية هي:

---

[504] علي السلمي، مقدمة في العلوم السلوكية. (الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف، 1969). ص:88.

[505] نفس المرجع. ص: 89.

1 - **مبدأ السببية:** وترتكز هذه الفكرة على أن السلوك الإنساني هو سلوك مسبب، كما هو الحال بالنسبة لسلوك الأشياء المادية حينما يوجه سلوكها بواسطة بعض القوى، فالآلة الكهربائية يتم تشغيلها (سلوكها) حينما يتم توصيلها بالتيار الكهربائي (السبب)، نفس الشيء ينطبق على الإنسان، حيث يتحرك السلوك الإنساني نتيجة لتأثير العوامل الخارجية المحيطة بالفرد، ويمكن القول أن السببية تنتج من تأثير العوامل الوراثية في السلوك[506].

2 - **مبدأ الهادفية:** أن السلوك الإنساني سلوك هادف غير عشوائي، إلا إن هناك درجة من التلقائية التي يتسم بها. فهو موجه لتحقيق غاية محددة، وهذا يعني فيما يعنيه أن الأفراد في سعيهم يهدفون إلى إشباع حاجة أو تحقيق هدف أو بلوغ غاية، كالسعي مثلاًلإشباع حاجة الأكل، أو حاجة الكساء، أو حاجة الأمن وغير ها، فهذه الحاجات ولإشباعها تعد أهداف سعى الفرد من خلال سلوكه لتحقيقها.

3 - **مبدأ الدافعية:** إذا كان للسلوك سبب يؤدي إلى نشأته ووجوده، فهذا يعني أن هناك دافع أو رغبة وراء الفرد يحدد وجهة السلوك الإنساني ويحدد درجة الإصرار على تحقيق هذه الرغبة.

من خلال ما سبق حول السلوك الإنساني من مبادئ وعوامل وقوى مؤثرة فيه، يمكن اعتبار السلوك الإداري محصلة التفاعل بين عوامل أساسية ثلاثة هي:

---

[506] محمد على شهيب، السلوك الإنساني في التنظيم. (الطبعة الثالثة، القاهرة، بدون مكان الطباعة، 1978). ص: 21.

1 - الإنسان: الذي يتصف برغبات وتطلعات عديدة يسعى إلى تحقيقها، كما يهدف إلى تحقيق أهداف وغايات عديدة وخاصة، ويحتفظ لنفسه بمفاهيم وأفكار آراء محددة حيال شتى الموضوعات المطروحة.

2 - الموقف: وهو عبارة عن طبيعة الظروف المحيطة بالفرد في أي وقت من الأوقات. ويعبر الموقف عن الفرص المتاحة للفرد والقيود التي يلتزم بها الإنسان.

3 - الهدف: إن الهدف الذي تسعى الإدارة إلى تحقيقه، هو التعرف على محددات السلوك الإنساني، بمعنى آخر فإن الإدارة تسعى إلى تفسير السلوك الإنساني والتنبؤ به، في محاولة للتحكم فيه وتوجيهه في الاتجاه الذي يحقق أهداف المشروع[507].

2/2- **أهمية دراسة السلوك الإنساني.**

إن دراسة السلوك التنظيمي تهدف بالدرجة الأولى إلى فهم، ودراسة سلوك االعاملين داخل منظمات العمل، وكذلك بغرض التنبؤ الدقيق بهذا السلوك، ووضعه في مساره الصحيح الذي يؤدي إلى تحقيق أهداف تلك المنظمات، كما أن دراسة السلوك الإداري تساعد المدير في تحقيق الآتي:

1 - القدرة على فهم سلوكيات وتصرفات الأفراد داخل التنظيمات، والتعرف عن قرب على المشكلات السلوكية التي يعيشونها.

---

[507] علي السلمي، العلوم السلوكية والتطبيق الإداري. (القاهرة، دار المعارف، 1971). ص: 33-34.

2 - دراسة أسباب وآثار هذه التصرفات، والعوامل التي ساعدت على ظهورها، وهذه تعتبر خطوة أساسية للتعرف بشكل أكثر وضوحاً على مختلف التصرفات التي تحدث داخل التنظيم.

3 - دراسة العلاقة بين هذه التصرفات لمعرفة أي منها يؤثر بدرجة كبيرة على الأخرى، لمحاولة التحكم في درجة أهمية هذه العوامل.

4 - مساعدة المدير أو المسئول، في القدرة على التنبؤ بسلوك العاملين داخل التنظيم.

5 - إن دراسة السلوك الإنساني دراسة جادة وعميقة، تساعد الإدارة عموماً في اختيار من بين البدائل المطروحة، الأساليب الأكثر تناسباً لتعديل أو تغيير سلوك الأفراد العاملين في المنظمة، وذلك بمعرفة العوامل المسببة لها، ومن ثم إيجاد الحلول المناسبة.

6 - مساعدة المدير في فهم خصائص الفرد العامة حتى يسهل عليه التعامل معه بالأسلوب الذي يتفق مع مكوناته الفكرية والعقلية[508].

المطلب الثالث: التطور التاريخي لمفهوم السلوك واتجاهات تفسيره.

1/3-- التطور التاريخي لمفهوم السلوك.

تبين النظرة التاريخية أن مفهوم السلوك كان نتيجة التطور الذي حصل في اتجاهات علم النفس الرئيسية.

- فمن الناحية النظرية لم يأخذ علم النفس مفهوم علم السلوك إلا عندما تخلص علم النفس من العوائق والحواجز التي سببتها النظرة الميتافيزيقية، والنظرة

[508] سعود بن محمد النمر، مرجع سبق ذكره. ص:14.

الفلسفية، ونظريات النشوء والارتقاء، ولم يتحقق ذلك إلا بعد التفريق بين العلم والفلسفة، حيث لم يقتصر علم النفس على دراسة النفس البشرية، بل تعداها إلى دراسة الكائن الحي.

- أما من الناحية المنهجية، فقد أعتمد علم النفس على الملاحظة الداخلية، والتأمل الباطني، التي تستند إلى الأسلوب المنهجي التحليلي في بادئ الأمر، إلى أن ظهر اتجاه ينادي بأهمية الملاحظات الخارجية والموضوعية في دراسة حياة الطفل النفسية، وقد كان "مان دي بيران" "M.DE.Peiraun" أول العلماء المنادين بهذه النظرة وقد تم دعم هذا الاتجاه من قبل مجموعة من العلماء على رأسهم "ريبو" "Ribot" الذين جعلوا من علم النفس علم مزدوج الوظيفة: دراسة الظواهر النفسية الداخلية، وكذلك دراسة الظواهر الخارجية الموضوعية، أي الدراسات النفسية الذاتية والموضوعية، ثم أخذ هذا الاتجاه في التطور فتعدى مرحلة الازدواجية من الذاتية والموضوعية، إلى مرحلة التركيز على الموضوعية، خاصة من خلال دراسة الأفعال والتصرفات التي يمكن ملاحظتها خارجياً، كذلك دراسة نشاطات وتصرفات الكائنات الحية وتفاعلاتها الحسية والحركية مع المحيط، وتأثير ذلك على السلوك، وقد تم التوصل إلى نتيجة مفادها أن السلوك يمكن تحديده بمراحل ثلاثة هامة وأساسية:

- مرحلة الإحساس.
- مرحلة الاستجابة أو شكل السلوك.
- مرحلة صياغة الاستجابة من قبل الكائن الحي.

واعتباراً لذلك استقر موضوع علم النفس على دراسة السلوك، ودراسة العلاقات بين الإحساس وبين عقلنة الاستجابة.

وقد ظهرت عدة مدارس واتجاهات لتحديد موضوع علم النفس، فظهرت المدرسة الفرنسية التي ركزت على دراسة السلوك من خلال التأكيد على دور الفرد، أما المدرسة الروسية فقد أعطت للنظرية السلوكية إطارها الفكري الذي تمحور حول الأفعال المنعكسة، فكانت التجارب المخبرية التي قام بها العالم الروسي "بافلوف" لها الدور الكبير في تطور علم النفس التجريبي، هذه التجارب التي أبرزت أهمية المثيرات، وأهمية المؤثرات البيئية على سلوك الكائنات الحية.

أما واطسون فقد ركز في دراساته على عملية استبدال أو تغيير بعض المفاهيم المتعارف عليها في علم النفس، إلى مفاهيم جديدة أكثر دقة في تحديد مفهوم السلوك مما أدى إلى ظهور مشكلتين واجهتاه في استكمال دراساته.

- **المشكلة الأولى**: وتتعلق بإمكانية تحويل علم النفس الإنساني، إلى علم كبقية العلوم قابلاًللقياس على غرار علم النفس الذي يخضع للتجربة، فلا يكون هناك علما نفس، أحدها إنساني، والآخر حيواني، بل علم واحد له نفس الغاية، وله نفس الفرضية، وكذلك منهج دراسي واحد.
- **المشكلة الثانية**: وتتعلق بكيفية توسيع نطاق علم النفس، أي توسيع نطاق الدراسة، من دراسة علم النفس في حالات الوعي، أي الاقتصار على دراسة الملاحظات الداخلية، إلى نطاق علم السلوك من خلال دراسة الظواهر الخارجية الملاحظة مما، يسهل عملية التنبؤ المستقبلي بنوع السلوك ومحاولة ضبطه. لذلك نرى أن واطسون أنطلق من أن الكائنات تتكيف مع البيئة التي تنشأ فيها بواسطة

مجموعة من العوامل الوراثية والمكتسبة، فاستمد من خلال هذا الموقف نظرته من الناحية البيولوجية لا من الناحية الفسيولوجية، لأنه في الأصل لا يهتم بالنشاط الداخلي للكائن (الجانب الفسيولوجي)، بل يهتم ويركز على النشاط الخارجي باعتبار أن السلوك من وجهة نظره حسياً وحركياً وآلياً، لأن العلاقة بين المثير والاستجابة هي علاقة بين العلة والمعلول، فتصبح عملية تكيف الكائن الحي، عملية تقوم في أساسها على إعادة التوازن الذي انهار نتيجة إثارة ما، كما يرفض واطسون فكرة الغائية في عملية التكيف لارتباطها بالجانب الفسيولوجي، واعتمد على تحليل السلوك إلى وحدات المثير والاستجابة، وتفسيرها عن طريق الترابط بين هذه الوحدات أو الأجزاء، مما أدى إلى السلوكية الكلاسيكية ثم بناؤها على معطيات يمكن إرجاعها إلى خمس وحدات رئيسية هي:

1 - **الموضوعية:**

ميز واطسون بين الوقائع العامة، والوقائع الخاصة، فالوقائع العامة في نظره هي التي يمكن ملاحظتها. والوقائع الخاصة هي ما تعلق بقضايا الشعور والتي لا يمكن ملاحظتها إلا من خلال الشخص الذي يشعر بها، وبالتالي فهي تفتقد إلى اليقين الذي يشترط في الظواهر العلمية.

2 - **المثير والاستجابة:** يرى واطسون أن السلوك لا يمكن تحديده إلا من خلال عاملي المثير والاستجابة، فكل استثارة داخلية أو خارجية تخلف انهيار في توازن الكائن الحي، ولإعادة هذا التوازن لابد من حدوث الاستجابة والتي منها ما هو ظاهري يمكن ملاحظته بشكل موضوعي كالاستجابات العضلية وغيرها، ومنها ما هو

ضمني لا يمكن ملاحظته، فجميع هذه الاستجابات لا يمكن حدوثها إلا بواسطة مثير.

3 - **التفسير الفيزيائي:** يرى واطسون أن الاستجابة ترتبط بالمثير ارتباط العلة بالمعلول، أو ارتباط النتيجة بالسبب، هذا الفهم الذي توصل إليه واطسون كان نتيجة تأثره بأفكار المدرسة الروسية التي تعتبر أن الجهاز العصبي يعمل دائماً وفق أقواس منعكسة كاملة، فكل قوس يتكون من وحدات المثير والاستجابة، وكل وحدة من هذه الوحدات تبدأ بتنبيه عضو حسي ما، وتنتهي باستجابة عضلية أو غددية.

4 - **الطرفية:** " Peripheries " ويقصد بالطرفية، أن تحديد السلوك تيم عن طريق الاهتمام بطرفي الإحساس (المثير) والحركة (الاستجابة)، فالأساس في السلوك هو المثير والاستجابة، وما بقي فليس إلا علاقات ترابطية.

5 - **البيئة:** طرح واطسون عامل البيئة والوراثة في تحديد السلوك، هذين العاملين الذين قسما العلماء إلى اتجاهين:

- أحدهما: يرى أن عامل الوراثة يعتبر أهم العوامل المحددة للسلوك الإنساني.
- وثانيهما: يعتبر أن البيئة تلعب دوراً كبيراً وأساسياً في تحديد سلوك الكائن الحي.

أما واطسون فقد ركز على عامل البيئة مما جعله ينفي تأثير الغرائز على سلوك الكائن الحي، ويرى أن السلوك هو نتيجة تأثير التربية التي يتلقاها الكائن، وتأثير المحيط الذي ينشأ فيه.

2/3- الاتجاهات الحديثة لتفسير السلوك الإنساني.

يرى عالم النفس الفرنسي-" بول فريس Paul Fraise"أن الاتجاهات التي ظهرت بعد واطسون لتفسير السلوك الإنساني عديدة ومتنوعة يرجعها إلى ثلاثة اتجاهات أساسية هي:

1- **التفسير الفسيولوجي للسلوك:** هدفت هذه المحاولة إلى شرح العلاقات التي تحدث بين المثير والاستجابة من خلال تحديد عمل الجهاز العصبي المركزي – على رأي "Pieron"- ويعتبر "ود ورث wood worlk" أول من تحقق من أنه يجب إعادة النظر في الوحدة بين المثير والاستجابة، وصياغة وحدة جديدة تقوم على أساس الترابط بين المثير والاستجابة، وقد تبين فيما بعد من خلال الدراسات التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية أهمية وتأثير التفاعل الكيميائي في جسم الإنسان على سلوك ذلك الإنسان، فالتفاعلات الهرمونية داخل الجسم، تدفع الفرد إلى القيام بأفعال وتصرفات، أو الامتناع عن القيام بأفعال وتصرفات على قدر ودرجة هذه التفاعلات، كدور الغدد الصماء مثلاً، وما تفرزه من هرمونات تحدد نوع السلوك البشري، كما توصل العلماء حديثاً إلى أن حصول نوع من التوازن الفسيولوجي في جسم الإنسان بحدوث الاستجابة نتيجة لمثير ما، من شأنه أن يحدد وبصورة مباشرة سلوك الأفراد، فأي خلل في عملية التوازن، أو حدوث أي عجز في إحدى هذه العمليات لعدم التوافق بين درجة المثير ودرجة الاستجابة، قد تعرض السلوك إلى إضطرابات، وتوترات في الجسم، تدفع الإنسان إلى القيام بأفعال أو سلوكيات معينة تدل على الإخلال الحاصل.

2- **التفسير المعرفي للسلوك:** لتحديد المفهوم المعرفي للسلوك، يمكن تناول محاور ثلاث:

أ- مفهوم السلوك الكلي أو الجزئي عند " كانتور "KANTOR.

ب- مفهوم القصدية والغرضية في السلوك عند " تولمان "TOLMAN.

ج- المفهوم التكاملي للسلوك.

وللوصول إلى مفهوم شامل للسلوك الإنساني، يمكن توضيح هذه المحاور الثلاثة بشيء من الإيجاز، للحصول على تفسير معرفي للسلوك عامة:

1-مفهوم السلوك الكلي والجزئي عند "كانتور KANTOR":الاختلاف بين السلوك الجزئي والسلوك الكلي هو: أن السلوك الجزئي يمكن فهمه وتفسيره عن طريق الوقائع الراهنة وحدها، فينظر إلى سلوك الكائن بمعزل عن البيئة على اعتبار أنهما منفصلان، لا يؤثر أحدهما في الآخر، بينما السلوك الكلي على العكس من ذلك، يقوم على فهم وإدراك تاريخ الإنسان الماضي، وأهمية الخبرات التي اكتسبها، من خلال تفاعله مع المحيط الذي نشأ فيه، فلا يمكن فهم السلوك حقيقة إلا من خلال عملية الدمج بين الكائن و بين المحيط الذي نشأ فيه، وما أكتسبه من عوامل مؤثرة تحدد اتجاهه الخاص في الاستجابة لهذا الوسط، بما يحمله من عادات، وتقاليد، وقيم واتجاهات وغيرها، فيصبح السلوك هو التفاعل المتبادل بين الكائن وبين المحيط. فالسلوك يتوقف على قوة أو ضعف البنية الأساسية لنشاط الفرد، التي هي نتاج ماضيه وما نتج عنه من تراكمات بنيوية معقدة، هي حصيلة التفاعلات التي حدثت وتحدث بين الكائن وبين المواقف، ولذلك يرى "كانتور" أن إرجاع السلوك إلى وحدات المثير والاستجابة، يعني النظر إلى السلوك كأجزاء منفصلة، ولذلك يفرق بين نوعين من السلوك: الشكل البدائي الناتج عن الأفعال المنعكسة بما في ذلك الغرائز، وهذا ما يسميه البعض بالسلوك الفطري، أما النوع الثاني، يطلق عليه السلوك القاعدي الذي ينشأ مما يكتسبه الإنسان، والذي يكون

أساس الشخصية. ثم هناك ما يصفه بالسلوك النفسي الذي يعزيه إلى السلوك الاجتماعي.

2 - **مفهوم القصدية والغرضية في السلوك عند تولمان " TOLMAN ":** تميز "تولمان" على غيره ممن تناولوا مفهوم السلوك بالدراسة، أنه اعتبر أن السلوك ليس عشوائياً، بل اعتبره سلوكاً هادفاً، مبني على تحقيق غرض أو قصد، وأكد على أن مفهوم الهدف أو الهادفية ليست مفهوماً نظرياً، بل مرتبطاً ارتباطاً كلياً بالسلوك، على اعتباره جزءاً لا يتجزأ منه، كما اعتبر أن العلاقة بين المثير والاستجابة، ليست علاقة بسيطة بقدر ما هي تمثل تنظيماً ادراكياً، ويرى أنه للوصول إلى تفسير حقيقي للسلوك لا يجب الاكتفاء والاقتصار على عملية الربط بينهما، بل لابد من دراسة ما يحدث بين المثير والاستجابة، ولذلك أدخل عنصراً جديداً هو عامل الشخصية، فدراسة السلوك تكون -حسب رأي تولمان- وفق العلاقة: المثير-الشخصية-الاستجابة.

كما يرى أن قضية السلوك واختلافه من فرد إلى آخر، يرجع بالدرجة الأولى إلى اختلاف مكونات شخصية كل فرد، واختلاف المواقف التي يتعرض إليها كل شخص.

بيار جانيه "Pierre Janet" وتطور مفهوم السلوك.

قسم "بيار جانيه" السلوك إلى نوعين:

أ-السلوك المرضي: يرى جانيه أن السلوك المرضي لا بد أن يدرك من خلال خلق توازن بين القوى النفسية والتوتر النفسي، ويرى أن كل دافع يخلق توتراً، هذا التوتر

يكون دافع يحفز أو يدفع للقيام بالعمل (أي السلوك). فالتوتر لا بد أن يتوافق مع درجة فعالية وتعقيد السلوك.

ففي الحالات المرضية تكون التوترات ضعيفة مما يصعب عملية دراسة هذه الحالات، فكلما كان التوتر ضعيفاً، كلما كان السلوك المرضي أكثر اضطراباً، فإذا زاد ضعف التوتر ظهرت تصرفات لا يمكن ضبطها والتحكم فيها كالنوبات الهستيرية، ونوبات الصرع، وأنواع أخرى من الاضطرابات.

ب-السلوك السوي: وضع أيضاً سلماً للسلوك السوي يبتدئ من التصرف البسيط وينتهي بالتصرف المعقد، ويقسم أنواع التصرفات (السلوك) إلى أربعة:

1-التصرفات الآلية الانعكاسية، والأفعال الاجتماعية (العادات، والتقاليد). ويطلق على هذه التصرفات اسم: التصرفات الحيوانية.

2-مجموعة التصرفات العقلية الأولية وتحتوي على:

- تصرفات التوجه – تصرفات الوضع – تصرفات التجميع- تصرفات الترتيب- تصرفات اختراع الأدوات، جميع هذه التصرفات تمتاز بازدواجية الغاية والهدف، فهي تهدف من جهة إلى صنع الأدوات، ومن جهة أخرى تهدف إلى استخدامها كاللغة مثلاً.

3- مجموعة التصرفات التي تقوم على مبدأ الاعتقاد وتشمل:

- الاعتقاد التأكيدي الذي يمكننا من الاقتصاد في الجهد نتيجة التفكير في العمل قبل مباشرته.
- الاعتقاد المبني على التفكير والتصور.

- الفكر المتولد من الجدل والنقاش.

4- التصرفات القائمة على الجهد، والعمل، والتجربة المكتسبة، التي لها تأثير على كل تصرف مستقبلي يقوم به الكائن الحي عن طريق ذاكرته وتطوره الفكري.

ويرى "بيار جانيه" من خلال تقسيمه هذا للتصرفات، أن السلوك يتطور بصورة متكاملة، من السلوك البسيط وصولاً إلى السلوك المعقد.

3 - **التفسير التكاملي للسلوك:** على اعتبار أن كل كائن حي يسعى منذ ولادته إلى مماته، إلى المحافظة على توازنه الذاتي ما دام في صدام دائم مع شتى أنواع المثيرات التي تواجهه داخلياً وخارجياً، وكل انهيار في توازنه يؤدي بالضرورة إلى أفعال وتصرفات هدفها استعادة هذا التوازن، فالسلوك بهذا المفهوم، هو مجموع العمليات الفيزيولوجية، والحركية، والعقلية التي يستجيب بها الكائن على مثيرات البيئة التي يوجد بها، بغرض خفض التوتر الذي هو سبب في عملية انهيار التوازن من جهة، وكذلك يعد دافعاً للاستجابة، وبناء عليه فتفسير السلوك وفق هذه النظرة التكاملية يبنى على عدة عوامل أساسية، وهامة:

أ- أن السلوك في جوهره سلوك كلي، يتكون من مجموعة من العمليات تؤلفً كلا متكاملًا، فلا يمكن فصل أي جزء من هذا الكل، فلا الاستجابات الفيزيولوجية، ولا الحركية، ولا العقلية. فالسلوك كل منظم تحكمه قوانين خاصة متجانسة.

ب- يقصد بالعمليات الفيزيولوجية، الاستجابات العضوية أو الداخلية. ويقصد بالعمليات الحركية، الاستجابات الخارجية التي يمكن ملاحظتها من خلال تصرفات الكائن، أما العمليات العقلية فتشمل كل ما يتعلق بالتذكير والإدراك، وعمليات التفكير وكل ما يتعلق بالاعتقاد عموماً.

ج- هادفية السلوك من خلال تصرفات الكائن التي يرمي من ورائها إعادة توازنه نتيجة الانهيار في هذا التوازن لتأثيرات المثير، فالصراع الدائم والمستمر بين الكائن الحي والمحيط الذي يوجد فيه، الغرض منه هو المحافظة على التوازن.

د- وفقا لهذه العوامل السابقة، فالسلوك ليست غايته خفض التوتر، والرجوع إلى حالة التوازن السابقة، بل أبعد من ذلك، فتكامل الحاجات الفيزيولوجية، والحركية، والعقلية، وتداخلها وتشابكها مع بعضها البعض، هدفها هو إيجاد شخصية جديدة متكاملة تسهم في تحقيق ذاتية الكائن البشري.

إضافة إلى هذه المداخل التي تعد حديثة في دراسة وفهم السلوك الإنساني، هناك بعض المداخل التي تعد تقليدية كلاسيكية، إلا أنها ما زالت تحافظ على مصداقيتها وفقاً للفكر الغربي في دراسة وفهم السلوك، ويمكن التطرق إلى خمسة اتجاهات هامة في تفسير السلوك وفق الترتيب التالي:

أولا: التفسير الغريزي للسلوك:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الغرائز الفطرية تدفع الكائن للسلوك، وهي موجودة بشكل عام لدى جميع أفراد الجنس البشري، ويشترك فيها مع جميع الكائنات الحية. ولذلك فالغريزة فطرية المنشأ، حيث يولد الإنسان وهو يحملها بين طياته لا شعورياً، مما يساعده على التفاعل مع عناصر البيئة المحيطة به، والتكيف معها دون سابق خبرة بها، لذلك تلعب الغريزة دوراً كبيراً في تنشيط سلوكيات الإنسان وتوجيهها بصورة مباشرة، للاستجابة التلقائية لأية مثيرات تصادفه في البيئة التي يعيش فيها[509].

[509] ماهر محمود عمر، مرجع سبق ذكره. ص:164.

والغريزة كما يعرفها مكدوجال "Mc Dougall" بأنها:" استعداد فطري أي موروث سيكولوجي فيزيقي (نفساني بدني) يدفع صاحبه لأن يدرك مؤثرات طبيعية خاصة، فينفعل انفعالاً خاصاً، ويتصرف تصرفا خاصاً، أو على الأقل يشعر بميل إلى التصرف[510].

ويركز أصحاب هذا الاتجاه على نوعين من الغرائز في الإنسان: غريزة المحافظة على الذات، وغريزة المحافظة على النوع البشري، وأكثر المنادين بهذا الاتجاه فرويد الذي بنى جميع أفكاره حول مفهوم الغريزة الجنسية على اعتبارها القوة الرئيسية الدافعة للسلوك الإنساني، والتي تحافظ على حياة الإنسان بصفة أساسية.

ثانيا :التفسير البيئي للسلوك:

من منظور البيئة التي تحيط بالفرد، يكون السلوك الإنساني هو:" كل فعل يستجيب له الكائن الحي برمته لموقف ما، في المحيط الذي يعيش فيه، استجابة واضحة، وملحوظة، ومرئية قد تكون عقلية، أو عضلية، أو كليهما معاً"، وتبنى عادة هذه الاستجابة على تجاربه السابقة في معظم الأحيان، ونتيجة لهذه الاستجابة يمكن اعتبار السلوك الإنساني انعكاسا مباشرا لعوامل البيئة التي تحيط بالفرد، فالبيئة كما يصورها الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله، بالرحم[511] بالنسبة للقيم الثقافية التي توجه السلوك الإنساني.

وقد تميز هذا الاتجاه من حيث موضوع السلوك برفضه لكل ما يتعلق بالموضوعات الداخلية الشعورية، كما أنه من حيث المنهج رفض فكرة الاستبطان،

---

[510] علي محمد شلتوت، المدخل في العلوم التربوية والسلوكية. (الإسكندرية، مطبعة الشاعر، 1971). ص: 108.

[511] مالك بن نبي، القضايا الكبرى، مرجع سبق ذكره. ص: 80.

وحاول استبدال الظواهر المتعلقة بالوعي، بعلم يدرس الظواهر الخارجية، أو الموضوعية، وهذا ما نادى به كل من المدرسة الروسية التي رفضت الحياة الداخلية، وكل ما له علاقة بالاستبطان، والتأكيد على أهمية المعطيات الفيزيولوجية، وكذلك واطسون الذي اقترح كخطوة أولى، رفض الوعي (الشعور) ومعطياته، الذي يعيق في نظره عن تحقيق علم موضوعي، و في خطوة ثانية حاول أن يقوم بنقد للوعي، لكي يفرغ علم النفس من محتوياته الداخلية، ولكي يقرر أن التعريف الصحيح لعلم النفس هو أنه:" علم السلوك"، وأن الاستجابات يمكن وصفها وصفاً موضوعياً[512]، كما أن هذا الاتجاه أهمل ويهمل الآثار النفسية، والعقلية، التي لا تخضع للقياس، ولا للملاحظة، وركز على المعطيات الظاهرة، المشاهدة، باعتبارها استجابات فيزيولوجية حسية للمنبهات الخارجية، بين الكائن الحي والبيئة المحيطة به.

ثالثا: التفسير الوراثي للسلوك:

تشير كلمة وراثة في معناها العام إلى:" انتقال صفات معينة من جيل إلى آخر". وفي هذا الإطار يطلق البعض على النقل الثقافي بالوراثة الاجتماعية، وعليه فشخصية الإنسان هي نتاج وراثتين: وراثة اجتماعية، ووراثة بيولوجية، فالوراثة البيولوجية، هي انتقال الجينات عن طريق الخلايا الجنسية من الأبوين إلى الأبناء، فسلوك الفرد ونمو شخصيته، يتأثر بتكوينه البيولوجي[513]، فهذا الاتجاه يرجع السلوك الإنساني إلى عوامل داخلية خفية غير قابلة للتفسير والفهم بصورة واضحة ومطمئنة.

رابعا: التفسير الراشد للسلوك:

---

[512] الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول.(القاهرة، معهد الإنماء العربي، 1986). ص:484.

[513] انتصار يونس، السلوك الإنساني. (القاهرة، دار المعارف، 1978). ص:53.

حسب الافتراضات التي بني على أساسها هذا الاتجاه، أن الإنسان يتمتع بدرجة عالية من الرشد في اختيار أنماط سلوكه، فهو يختار أنماط سلوكية معينة، في استخدام موارده، وإمكانياته، وقدراته بالطريقة وبالأسلوب الذي يراه مناسباً، وفقاً لتقديراته ورآه وتصوراته، فالفرد بطبعه يبذل كل طاقاته وقدراته في محاولة للوصول إلى إشباع رغباته وأهدافه بأقصى منفعة[514].

خامسا: التفسير الجشطالتي للسلوك:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن بيئة الإنسان قد تتكون من مجموعة عناصر متداخلة ومتفاعلة بعضها مع بعض، وأن أي تغيير في عناصر هذه البيئة، ونتيجة لهذا الشعور يبدأ الإنسان بعملية البحث والدراسة في العوامل التي شأنها إعادة الوضع إلى حالة الاستقرار، متبعاً في ذلك نمطاً سلوكياً معيناً يخلصوه من حالة التوتر وعدم الاستقرار، أي أن القيام بفعل معين أمر ضروري للتخلص من حالة عدم التوازن التي يعيشها الفرد، وقد ركزت دراسات سلوك الإنسان على مجالات ثلاثة هي:

المجال الأول: هو البحث في محددات السلوك، سواء كانت محددات سيكولوجية، أو محددات اجتماعية، أو حضارية، وعوامل نشأتها، والأسباب التي تجعل سلوكيات الأفراد في الغالب سلوكيات مشاهدة.

المجال الثاني: البحث في كيفية تكوين السلوك، و تشكله قبل ظهوره في الصورة الملحوظة و المشاهدة.

المجال الثالث: البحث في أشكال وصور وأنماط التعبير عن السلوك البشري، كذلك دراسة وتحليل هذه الأنماط السلوكية وتصنيفها، واستخلاص المعالجات الناجعة

---

[514] موسى اللوزي، التطوير التنظيمي. (الطبعة الأولى، عمان، دار وائل للنشر، 1999). ص: 62-63.

للأنماط المختلفة، كذلك تحديـداً العلاقـات التـي تـربط بـين تلـك الأنـماط السـلوكية ومسبباتها، والظروف البيئية المحيطة.

المبحث الثاني

المحددات الفردية للسلوك الإداري.

المطلب الأول: الإدراك.

1\1=الإدراك لغة: جاءت كلمة إدراك بمعاني مختلفة نظراً لاختلاف محاور الارتكاز التي من خلالها تم تناول هذا المصطلح لتحديد مفهومه ومعناه، فجاء بمعنى: الإحاطة. أي "إحاطة الشيء بكماله"[515].

وأورده القرطبي في تفسيره بمعنى الإحاطة والتحديد،[516] لقوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، كما ورد بمعنى اللحوق أو اللحاق، نحو قولك أدرك الزمان أي لحق...، وإدراك البصر للشيء لحوقه برؤيته إياه لأنه لا خلاف بين أهل اللغة، أن قول القائل: أدركت ببصري شخصاً، معناه: رأيته[517]، ويرى ابن الجوزي أن كلمة "إدراك" لها معنيين: الأول بمعنى الإحاطة، والثاني بمعنى الرؤية[518].

فالإدراك هو شكل من أشكال السلوك، يتيح للفرد التفاعل، والتكيف مع متطلبات الوظيفة والمنظمة[519]، كما أنه عملية استقبال المثيرات الخارجية، وتفسيرها

---

[515] الجرجاني، مرجع سبق ذكره. ص:16.

[516] القرطبي، الجزء السابع، مرجع سبق ذكره. ص: 54.

[517] الجصاص، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص: 169.

[518] ابن الجوزي، زاد المسير، الجزء الثالث، مرجع سبق ذكره. ص:98.

[519] اندرو دي، وآخرون، مرجع سبق ذكره. ص: 64.

بواسطة النظام السلوكي، تمهيداً لترجمتها إلى معان ومفاهيم تعاون في اختيار السلوك[520].

يرى ابن سينا أن: " الإدراك سواء كان حسياً أم عقلياً هو قبول المدرك لصورة المدرك، وأن إدراك الشيء، هو أن تكون حقيقته متمثلة عند المدرك يشاهدها "، ويقول: " يشبه أن يكون كل إدراك إنما هو أخذ صورة المدرك بنحو من الأنحاء فإذا كان الإدارك عقلياً فهو امتثال المعقولات في العقل، وإذا كان الإدراك حسياً فهو امتثال صور المحسوسات في الحواس "[521].

ويعرفه "در يفر DREVER" على أنه:"عملية تؤدي إلى أن يصبح الفرد واعياً لشيء ما في محيطه، وتحدث هذه العملية في العادة بشكل فوري ومفاجيء[522].

والإدراك كما يرى بعض العلماء يأتي في عملية المعرفة بعد تتابع حسية الإحساس ووصولها ذروتها، حيث يتحول الشيء إلى شعور واع أو إدراك، فالإدراك نقطة وصول الإحساس إلى آخر محطة حسية بعدها تبدأ أولى مراحل التجريد أو صورية الشيء، والإحساس يعتبر أول درجات المعرفة التي يمكن قراءتها يومياً في سلوك الإنسان من الطفولة إلى الشيخوخة، ويمكن تقسيم الإدراك إلى قسمين:

الأول: التصور. وهو الإدراك الساذج كما يطلق عليه الكثير من العلماء.

الثاني: التصديق. وهو الإدراك المنطوي على حكم[523].

---

[520] علي السلمي، تحليل النظم السلوكية. (القاهرة، مكتبة غريب، 1975). ص: 126.

[521] محمد عثمان نجاتي، الإدراك الحسي عند ابن سينا. (الطبعة الثانية – منقحة – القاهرة، دار المعارف، 1961). ص:45.

[522] شفيق فلاح حسان، أساسيات علم النفس التطوري. (الطبعة الأولى، عمان، مكتبة الرائد العلمية، 1989). ص:137.

والإدراك بمفهومه السلوكي النفسي، ليس سوى المعرفة التي نحصل عليها بفعل مؤثر خارجي مباشر، مبني على مدى أحاسيسنا وانفعالاتنا بواسطة الأشياء الموجودة حولنا، وإنزالها في المكان اللائق بها، وحركاتها، وخصائصها، كاللون والوزن، والشكل والحجم، وما إلى ذلك.

والإدراك ظاهرة نفسية يمكننا أن نشعر بها ونستوعبها لوقوعها في ظروف طبيعية، أو لحدوثها في تفاعلات الوعي الناتج من سلوكنا، وإدراكنا لما يحيط بنا من أشياء تنطلق من موجودات ناتجة في مجال عالم النفس، ومصحوبة بطائفة من المؤثرات الشعورية الخالصة، ولن تتحقق معرفة الأمور المدركة إلا بواسطة الأمور الشعورية الشخصية وبمجموعة من المدركات الخاصة "بالذات" أو "بالأنا" أي النفس البشرية، وما يتفاعل في أعماقها من مشاكل ذاتية[524].

2/1=مكونات عملية الإدراك. يمكن لعملية الإدراك أن تتم وتتشكل وفقاً لخطوات ثلاث:

1- الوعي أو الانتباه للمنبه الوارد، "والانتباه هو نوع من الشعور أو الوعي الذي يعيشه الفرد في لحظة ما من الزمن". وبتعبير آخر أكثر دقة هو:" عملية لتوجيه وتركيز الشعور على الإحساسات الناتجة بفعل مثيرات خارجية موجودة في المجال البيئي الإدراكي للفرد، أو المثيرات الداخلية، التي تحدث داخل الفرد"[525].

---

[523] محمد باقر الصدر، فلسفتنا. (الطبعة الخامسة عشرة، بيروت، دار المعارف للمطبوعات، 1989). ص: 52-53.

[524] مصطفى غالب، الإدراك. (القاهرة، دار مكتبة الهلال، 1979). ص: 11-12.

[525] علي فالح الهنداوي، مبادئ أساسية في علم النفس.(الطبعة الأولى، عمان، دار حسنين للنشر و التوزيع، 1423هـ2002). ص:100.

2- ترجمة المنبهات الواردة إلى رسالة (تفسير المنبه).

3- تحديد الفعل أو السلوك المناسب استجابة لتلك الرسالة.

فالإدراك إذن نشاط من مرحلتين:

أ- استقبال مدخلات (طاقة ومعلومات).

ب- ترجمة هذه المدخلات إلى رسائل تقوم بدورها بتعديل السلوك[526].

- والإدراك إما أن يكون:- إدراكاً حسياً، وهو ما يعبر عنه بالعقل الظاهري، وهو عملية انتقال الأشياء الظاهرة إلى الذهن بمنافذ الإدراك الخمسة، ثم يتم تحليل المدركات وعرضها على العقل لفهم مظاهره وتحويل المدركات إلى معاني.

- إما أن يكون إدراكا باطنيا، وهو الذي يعبر عنه بالعقل الباطني أو العقل اللاشعوري أو اللاإدراكي أو اللاوعي، إلا أنه في حقيقته إدراك واعي داخلياً ويحوي الإجراءات النفسية الباطنة، ويعمل خارج إطار الإحساس بكل قدرات الإحساس الذي يتمثل في الاستجابة الفورية للإشارة القادمة من الجهاز العصبي الحسي، وتحويلها إلى نبضات كهروعصبية بحيث تشكل مستودع للصور والمعاني، ويتميز هذا العقل بحاسة خلقية لا تجاري الظواهر الخارجية كما في العقل الظاهري، ويعمل العقل الباطني من خلال الاستدراك، وليس من خلال المنهج الاستقرائي كالعقل الظاهري.

---

[526] اندرو دي، سيزلا في، مارك جي، مرجع سبق ذكره. ص: 64.

- الإدراك الجمالي (القوة الثالثة للعقل) يعمل الإدراك الجمالي على استجلاء الحقيقة في ذلك المحسوس، وتحويل ذلك المحسوس إلى صور فنية يعبر من خلالها بواسطة قدراته في تصوير الواقع[527]، وتتم عملية الإدراك وفقاً لخطوتين أساسيتين:

1 - الشعور بالمثيرات الخارجية واستقبالها من خلال وسائل الإدراك، وهي الحواس الإنسانية الأساسية.

2 - تتم عملية التخزين لهذه المدركات في اللاشعور في شكل معلومات ومعاني كثيرة، كنتيجة تراكمية لخبراته السابقة، ثم تتم عملية المقارنة بين ما تم استقباله من مدركات جديدة، بما هو مخزون في ذاكرته، ومن ثم تتم عملية اكتشاف معاني جديدة يتم تصنيفها حسب مكوناتها المناسبة.

وتلعب البيئة المادية والاجتماعية التي ينشأ فيها الفرد دورا هاما في تحديد مدركات الفرد، من أشخاص وأشياء، وتحديد كيفية التفكير فيها.

1/ 3=العوامل المؤثر في الإدراك:

1- يتأثر إدراك الفرد بدرجة مألوفية الموقف أو المثير، فكلما ارتفعت درجة مألوفية الموقف أو المثير، كلما زادت عملية الإدراك، وكلما قلت درجة مألوفية المثير أو الموقف، كلما قلت درجة الإدراك.

والموقف: هو حالة أو ظرف يعاني فيه الإنسان من مشقات أو مشاكل لا يستطيع التغلب عليها، وهو ناتج عن عوامل ذاتية وشخصية، كالعوامل الوراثية

---

[527] مصطفى عبده، مدخل إلى فلسفة الجمال. (الطبعة الأولى، الخرطوم، مطبعة جامعة النيلين، 1995). ص: 138-139.

والعقلية، والنفسية وغيرها، وعوامل خارجية كالبيئة التي ينشأ فيها الفرد، سواء كانت بيئة أسرية، أو اقتصادية، أو اجتماعية، وغيرها من قيم وعادات وتقاليد إلى آخره[528].

2- يتأثر إدراك الفرد بمدى وضوح المثيرات أو غموضها، فكلما ارتفعت درجة وضوح المثيرات كلما ارتفعت درجة التأثير والعكس.

3- يتأثر إدراك الفرد بما يتوقع أن يراه أو يسمعه.

4- يتأثر إدراك الفرد للمواقف في ضوء حاجاته ودوافعه.

5- الحالة الانفعالية والمزاجية التي يمر بها الفرد في لحظة من اللحظات، حيث لا يكون إدراكه سليماً في مواقف الغضب، والانفعال، والقلق، والخوف، والتوتر ويكون إدراكه سليماً في مواقف الأمن، والاطمئنان، والرخاء.

6- تلعب الميول والاتجاهات دوراً هاماً في عملية الإدراك، فوجود ميول واتجاهات إيجابية نحو موقف أو مثير معين، من شأنه أن يدفع الفرد إلى تركيز انتباهه نحو ذلك الموقف مما يسهل عملية الإدراك، والعكس كلما كانت الميول والاتجاهات سلبية نحو المثير، كان ذلك سبباً في عدم تركيز الفرد انتباهه نحو ذلك المثير.

7- وجود خبرة سابقة لدى الفرد بموقف معين أو مثير معين يعمل على تسهيل عملية إدراكه على نحو أفضل وأسرع.

8- يتأثر إدراك الفرد للأشياء في ضوء تخصصه أو مهنته التي يمارسها، فالمزارع علي سبيل المثال ينظر إلى الحقل بطريقة مختلفة عنها عند عالم النباتات أو الشخص

---

[528] أحمد عبد الحكيم السنهوري، أصول خدمة الفرد. (الطبعة الرابعة، القاهرة، المكتب المصري الحديث، 1970). ص: 139.

العادي، كما أن الفنان ينظر إلى اللوحة الفنية بطريقة تختلف عنها عند الشخص العادي وهكذا.

9- يتأثر إدراك الفرد بالمنظومة القيمية التي يعتنقها، حيث هذه المنظومة غالباً ما تؤثر في إدراكه للمواقف والمعاني التي يعطيها لها، فإدراك العلماني للمواقف يختلف عنها عند المتدين، كما أن إدراك الفنان للأشياء يختلف عن إدراك الفرد العادي، كما تؤثر الثقافة السائدة في المجتمع أيضاً في إدراك الفرد من خلال صياغة ما يسمى بالإدراك الجماعي.

10- يتأثر الإدراك إلى درجة كبيرة بقدرة الفرد على الانتباه نحو مثير معين والتركيز عليه، فكلما كانت سعة انتباه الفرد أكبر، وقدراته على تركيز الانتباه والاستمرار فيه لفترة طويلة، كان إدراكه للموقف أفضل، وهذا ما نادت به بعض نظريات علم النفس، التي ترى أن قدرة الفرد على الإدراك، واكتشاف البيئة التنظيمية المرتبطة بموقف معين، تعتمد على قدرة الفرد على التبصر في عناصر ذلك الموقف[529].

1/ 4-الإدراك الحسي في الفكر الإسلامي.لقد ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان على الحيوان بميزة العقل، وهي وظيفة إدراكية هامة الذي به يستطيع الإنسان أن يسموا بإدراكه عن الأشياء المحسوسة إلى المعاني المجردة، كمعاني الخير والشر، أو معاني الحق والباطل، أو معاني الفضيلة والرذيلة وغيرها، فبالعقل وحده يستطيع الإنسان أن يدرك حقيقة الله الماثلة في آياته في الأفاق والأنفس، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[530]، إلا

[529] علي فالح الهنداوي، عماد عبد الرحيم الزغول. ص: 114-116.

[530] سورة فصلت، الآية: 53.

أن قدرة العقل الإنساني على إدراك الحقائق ومعرفتها محدودة، لأن الله جعل للعقول في إدراكها حداً تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبيلاًإلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما كان وما يكون، وما لا يكون، إذ لو كان كيف كان يكون؟ فمعلومات الله لا تتناهى، ومعلومات العبد متناهية، والمتناهي لا يساوي ما لا يتناهى[531].

والعقل لما ثبت أنه قاصر الإدراك في علمه، فما ادعى علمه لم يخرج عن تلك الأحكام الشرعية التي زعم أنه أدركها، لإمكان أن يدركها من وجه دون وجه، وعلى حال دون حال، والبرهان على ذلك أحوال أهل الفترات، فإنهم وضعوا أحكاماً على العباد بمقتضى السياسات لا تجد فيها أصلاًمنتظماً، وقاعدة مطردة على الشرع بعد ما جاء، بل استحسنوا أموراً تجد العقول بعد تنويرها بالشرع تنكرها، وترميها بالجهل والضلال، والبهتان، والحمق، مع الاعتراف بأنهم أدركوا بعقولهم أشياء قد وافقت وجاء الشرع بإقرارها وتصحيحها مع أنهم كانوا أهل عقول باهرة، وأنظار صافية، وتدبيرات لدنياهم غامضة، ولكنها بالنسبة إلى ما لم يصيبوا فيه قليلة فلأجل هذا كله وقع الإعذار والإنذار وبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل[532]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[533].

[531] الإمام الشاطبي، الاعتصام، الجزء الثاني.(الطبعة الأولى، القاهرة، دار المنار، 1408هـ-1988). ص:486.

[532] نفس المرجع. ص:488.

[533] سورة النحل، الآية: 36.

ومن نعم الله أن خلق الإنسان في أحسن تقويم، قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[534]، وزوده بالحواس كوسيلة للإدراك. قال تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[535]، ولذلك يعتبر كل من العقل والحواس أهم الوسائل التي يستعين بهما الإنسان للإدراك والمعرفة، إلا أن هاتين الوسيلتين غير كافيتين للوصول إلى المعرفة اليقينية في الكثير من الأحيان، مما يضطره إلى اللجوء إلى مصدر أكثر معرفة وعلماً، وأوسع إدراكا وأشمل، لكي يستطيع تنظيم حياته على الأرض التي كلف بإعمارها، وبما يكفل له تحقيق سعادة الدارين بما يرضي خالقه، ولأجل ذلك بعث الله الأنبياء والرسل، وأنزل معهم الكتب المقدسة لكي يرشدهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

والإنسان يخرج إلى هذه الدنيا لا يعلم ولا يدرك أي شيء حواسه معطلة، فما أن يخرج إلى عالم الشهادة حتى تبدأ حواسه في أداء وظائفها، وهذه من لطائف الله على الإنسان، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[536]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[537]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[538].

[534] سورة التغابن، الآية: 3.

[535] سورة السجدة، الآية: 9.

[536] سورة النحل، الآية: 78.

[537] سورة الملك، الآية: 23.

[538] سورة المؤمنون، الآية: 78.

من خلال الآيات السابقة وغيرها نلحظ أن النص القرآني جاء ذاكراً أو خاصاً بالذكر حاستين من حواس الإدراك، إضافة إلى حاسة العقل والتي جاء ذكرها بصيغة الفؤاد، هاتين الحاستين هما حاستي السمع والأبصار، وذلك لاعتبارات كثيرة نذكر منها:

1- ذكر السمع والبصر في القرآن الكريم لأهميتهما القصوى في عملية الإدراك الحسي.

2- لأن في ذكرهما نسبة إلى أهميتهما ما يكفي للدلالة على أهمية جميع الحواس في عملية الإدراك الحسي، وهذه خاصية من خصائص أسلوب القرآن الذي يتميز بالإيجاز البليغ، والذي يكتفي بالتلميح والإشارة إلى الحقائق الأساسية العامة، وفي تركيز القرآن الكريم على حاستي السمع والإبصار، نلحظ أن أولوية الذكر كانت من نصيب السمع قبل الأبصار في الكثير من المواضع وهذا لأسباب و اعتبارات[539]:

أولها: أن السمع أهم من البصر في عملية الإدراك الحسي، والتعلم، وتحصيل العلوم، فمن الممكن للإنسان فاقد البصر أن يتعلم ويحصل المعارف، على عكس فاقد السمع يتعذر عليه ذلك مما يدل على أهمية السمع في تعلم اللغة، وهي من أهم أدوات التفكير وتحصيل العلوم، ولتأكيد أهمية السمع على بقية وسائل الإدراك الأخرى ذكره الله تعالى وحده إلى جنب العقل، للدلالة على العلاقة الوثيقة بينهما، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[540].

---

[539] محمد عثمان نجاتي، القرآن و علم النفس. (الطبعة الرابعة، القاهرة، دار الشروق، 1409هـ-1989). ص:117-119.

[540] سورة الملك، الآية: 10.

ثانيها: أن حاسة السمع تعمل عقب الولادة مباشرة، بينما يحتاج المولود إلى فترة زمنية لكي يستطيع أن يرى الأشياء بوضوح.

ثالثها: أن حاسة السمع تؤدي وظيفتها باستمرار دون توقف حتى أثناء عملية النوم، فالصوت الشديد باستطاعته أن يوقظ النائم، وهذا ما ذكره القرآن في سورة الكهف، قال تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً﴾[541]، والغرض من الضرب على آذانهم لعدم إيقاظهم من نومهم وعدم تعكير صفو النوم من خلال سماع الأصوات، على عكس حاسة البصر فقد تتوقف عن أداء وظيفتها كحالة النوم، أو إغماض العينين.

رابعها: أن حاسة السمع تسمع في كل الأوقات وفي كل الاتجاهات، بينما البصر لا يرى إلا في النور وفي اتجاه واحد.

خامسها: يذكر القرآن الكريم السمع منفرداً، ﴿وجعل لكم السمع﴾، بينما يذكر البصر في معظم الآيات بصيغة الجمع ﴿الأبصار﴾، لأن حاسة السمع تستقبل الأصوات من جميع الاتجاهات ودون حواجز مادية، بينما العين لا ترى إلا إذا اتجه الإنسان ببصره نحو الشيء الذي يريد أن يراه، إضافة إلى حاستي السمع والأبصار، ذكر القرآن الكريم مجموعة من الحواس كحاسة اللمس، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَـذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[542]، وقد أثبت العلم الحديث ما ذكره القرآن منذ مدة طويلة من وجود خلايا حسية كثيرة ومختلفة، كل نوع مختص في استقبال نوع معين من الإحساس، فبعضها يحس بالحرارة، وبعضها يحس بالبرودة،و بعضها يحس باللمس و الضغط و غيرها،وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا النوع من أعضاء الحس في معرض حديثه عن أصحاب النار وما يلاقونه من

[541] سورة الكهف، الآية: 11.

[542] سورة الأنعام، الآية: 7.

عذاب أبدي مخلدين فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[543].

وهناك ما يسمى بالإدراك الحسي الخارج عن نطاق الحواس، وهو إدراك غير عادي وليس باستطاعة الحواس إدراكه بسهولة مثل الاستشفاف، وهو رؤية الأشياء البعيدة الخارجة عن نطاق حاسة البصر، أو التخاطر، وهو إدراك خواطر وأفكار شخص آخر بعيد المكان، أو الاستهتاف، وهو سماع نداء أو صوت من مكان بعيد خارج عن مجال حاسة السمع، وهذا النوع من لا يحدث لجميع الناس ولكن للقلة منهم، الذين يتمتعون باستعدادات خاصة، فقد يكون عبارة عن شفافية روحية تمدهم بقوة إدراكية خارقة للعادة، وهذا ما حدث سيدنا يعقوب عليه السلام كما قص القرآن الكريم حينما شم ريح ابنه يوسف عليه السلام الذي فقده منذ مدة طويلة، فلما تحركت القافلة التي حملها سيدنا يوسف عليه السلام قميصه من أرض مصر إلى أرض فلسطين، ورغم بعد المسافة أنبأ سيدنا يعقوب عليه السلام أبناءه أن هناك إشارات – وهي رائحة- تدل على وجود يوسف على قيد الحياة، فقال تعالى و هو يقص علينا أحداث القصة على لسان سيدنا يعقوب، و ابنه يوسف عليهما السلام: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ، وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ، قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾[544].

ومن الإدراكات الخارقة للعادة، ما أيد الله به سيدنا عيسى عليه السلام من معجزات، كإخبار قومه بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون من الأشياء، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ

[543] سورة النساء، الآية: 56.

[544] سورة يوسف، الآية: 93-95.

الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[545]، والتاريخ الإسلامي يروي لنا صور عديدة من أمثلة الإدراك الحسي الخارج عن نطاق الحواس، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**هل ترون قبلتي هاهنا فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم إني لأراكم وراء ظهري**)[546]، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: (**أتموا الركوع والسجود فوالله إني أراكم من خلفي، قال من خلف ظهري إذا ركعتم وسجدتم**)[547]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال: (**إنهما ليعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول**)، قال: ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم جعل في كل قبر واحد فقالوا: يا رسول الله لم فعلت هذا؟ فقال: **"لعلهما أن يخفف عنهما ما لم ييبسا**[548]**، أما ما كان يحدث للصحابة رضوان الله عليهم يمثل ذلك نوعاً من الفراسة، والكشف والإلهام والوحي النومي كقول أبي بكر رضي الله عنه:" إنما هما أخواك أو أختاك"**، وقول عمر رضي الله عنه:" يا سارية الجبل"[549]، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: (**إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل**)[550]، والفراسة هي شيء يقع في القلب بلا نظر حجة، وروي عن عمر رضي الله عنه أنه تكلم في أشياء

---

[545] سورة آل عمران، الآية: 49.

[546] الإمام مسلم، مرجع سبق ذكره. ص:319.

[547] أبو عوانة، مسند أبي عوانة، الجزء الثاني. (الطبعة الأولى، بيروت، دار المعرفة، 1998). ص:138.

[548] الإمام البيهقي، السنن الصغرى، الجزء الأول. (الطبعة الأولى، المدينة المنورة، مكتبة الدار، 1410هـ-1989). ص:55.

[549] الإمام الشاطبي، الموافقات، الجزء الثاني، مرجع سبق ذكره. ص:266.

[550] الإمام السمعاني، قواطع الأدلة في الأصول، الجزء الثاني، (الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997). ص:349.

فنزل الوحي بذلك، كرأيه في أسرى بدر وغيرها، كل هذا دليل على أن الإلهام، أو الإدراك الحسي الخارج عن مجال الحواس حق من قبل الله تعالى، وأنه كرامة للآدمي، وأنه وحي باطن إلا أنه إذا عصى الإنسان ربه و عمل بهواه يحرم هذه الكرامة و يستولي عليه وحي الشيطان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، فالمطيع لا يخفى عليه وحيه –الشيطان– عن وحي الملك إلا على سبيل الغفلة التي تعتري القلب فينزل ثم ينتبه عن ساعته ولا يقر عليه.

المطلب الثاني :التفكير و التعلم.

1\\=التفكير.

1\1\2=تعريف التفكير. التفكير هو مصدر لفعل فكر، وهو كما يقول العلماء: "نظر القلب". لقول النبي ﷺ :(**تفكروا في الآيات، ولا تتفكروا في الذات**)[551].

والتفكر:" طلب الفكر وهو يد النفس التي تنال بها المعلومات كما تنال بيد الجسم المحسوسات". وقال ابن الكمال:" هو تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب"، وقال الراغب الاصفهاني:" جريان القوة المطرقة من العلم إلى المعلوم بحسب نظر العقل"[552].

والتفكير في الشيء لا معنى له إلا استحضار علوم أو ظنون ليتوصل بها إلى تحصيل علوم أو ظنون فالمتفكر كأنه يريد التسوية بين المطلوب والمجهول، وبين

---

[551] نفس المرجع. ص: 351.

[552] محمد عبد الرءوف المناوي، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص:194.

المقدمات المعلومة ليصير المجهول معلوماً[553]، روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال يوماً وذكر لقمان الحكيم فقال: ما أوتي ما أوتي عن أهل، ولا مال، ولا حسب، ولا خصال، ولكنه كان رجلاًصمصامة التفكير ، عميق النظر"[554]، و الصمصامة هو السيف الصارم الذي لا ينثني، وقيل الذي له حد واحد[555]، والمراد به القوة في التفكير الذي لا يثنيه ولا يصده عنه لا أهل ولا مال، ولا حسب ولا خصال، روي عن ابن كثير عن أبيه قال:" ثم أتيت أبا ذر وهو جالس... وقد اجتمع الناس عليه يستفتونه، فأتاه رجل فوقف عليه ثم قال: ألم تنته عن الفتيا، فرفع رأسه إليه فقال: أرقيب أنت علي؟ لو وضعتم الصمصامة على هذه وأشار إلى قفاه[556].

إن جزءً كبيراً من تصرفات الأفراد وسلوكاتهم راجعة لما يؤمنون به من أفكار ومبادئ ومعتقدات وتوقعات مستقبلية، ومهما يبدو سلوك الإنسان غريباً، أو غير منطقي في نظر الملاحظ العابر، إلا أنه في نظر صاحبه يبدو منطقياً وسليماً، وذلك على ضوء منظومته الفكرية التي يعتنقها والتي من خلالها يتم تحديد وجهات نظره، ولهذا السبب نجد المجتمعات تسمو أو تنحط تبعاً لطبيعة الأفكار التي يعتنقها أبناؤها.

2\1\2=اتجاهات تفسير التفكير: يمكن حصر الاتجاهات التي فسرت التفكير في خمسة اتجاهات رئيسية:

---

[553] محمد الرازي، المحصول، الجزء الخامس. (الطبعة الأولى، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1400هـ). ص:89.

[554] ابن كثير، تفسير ابن كثير، الجزء الثالث، مرجع سبق ذكره.445.

[555] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره. ص:161.

[556] أبو محمد الدرامي، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص: 146.

1-الاتجاه الأفلاطوني: يرى أصحاب هـذا الاتجـاه أن التفكـير هـو حـوار في الـنفس يتضمن كلمات ذهنية يشير إلى أشكال أو أفراد، وعلى هذا الفهم فإن التفكير يعتـبر نشاطاً روحي.

2- الاتجاه الارسطي: يرى هذا الاتجاه أن التفكير فعل من أفعال العقل، يظهـر ماهيـة الشكل أو صورته العقلية.

3-الاتجاه التصوري: يرى أنصار هذا الاتجاه أن التفكـير هـو نشـاط لإبـراز المفـاهيم والأفكار أمام العقل، وهو ما يتشكل من تجريدات الخبرات الحسية.

4- الاتجاه التخيلي: يرى أن التفكير ناتج عن صور تخيلية ترتبط ببعض العادات نتيجة ميول العقل إلى التحرك من صورة إلى أخرى.

5- النزعة الاسمية السيكولوجية: ترى أن التفكير هو حوار داخلي في النفس يستخدم الصور اللفظية أو الكلمات الذهنية التي تشير إلى الأشياء أو فئاتها[557].

2\1\3=خطوات عملية التفكير: أثناء عملية التفكير لا يمكن تصور قدرة العقـل في الوصول إلى الحلول الصحيحة فجأة وتلقائياً دون أن تمر عملية التفكير بمراحل معينـة يمكن من خلالها الوصول إلى تشخيص المشكلة، ثم الوصول إلى صـيغة منطقيـة لحـل المشكلة مجال البحث والتفكير، إلا أنه قد يتمكن الإنسان من الوصول إلى حـل بعـض القضايا، أو المشكلات النادرة الحدوث، وهذا يرجع كما يرى العديد من المختصـين إلى أن هذا الأمر لا يعد تفكيراً بل هو ما يمكن تسميته بالحدس "intuition" وهـو عبـارة

---

(557) الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، مرجع سبق ذكره. ص:653.

عن نوع من أنواع الإلهام أو المعرفة الفطرية التي يتلقى فيها الذهن البشري الحل دون سابق علم.

ولقد حدد "جون ديوي" وهو أحد علماء التربية المعاصرين، عملية التفكير في الخطوات التالية:

1-الشعور بوجود المشكلة: كالرغبة في تفسيره ظاهرة طبيعية، أو الرغبة في اختيار صحة فرضية معينة، أو الرغبة في تجنب خطر ما، وينتج عن الشعور بالمشكلة، شعور الفرد بالتوتر والضيق، مما ينتج عنه اختلال في التوازن العقلي لدى الفرد.

2- تحديد المشكلة وتحليلها إلى عناصرها البسيطة: وتحديد قيمة كل عنصر من هذه العناصر، ومعناه، ووظيفته، كما يقوم بجميع البيانات والشواهد، والأدلة التي تساعد في إيجاد حل لهذه المشكلة.

3- فرض الفروض أو وضع الاحتمالات المختلفة للحل: ويقصد بالغرض الحل المبدئي أو المحاولة المبدئية لتفسير المشكلة.

4-غربلة وتصفية الفروض المطروحة، ومناقشتها ودراستها، أو إجراء التجارب عليها، وذلك للتأكد من مدى صحتها واحداً واحداً، ومعرفة النتائج العلمية، والمنطقية لكل فرض من هذه الفروض.

5- مرحلة إصدار الحكم أو الوصول إلى حل المشكلة أو تفسير الموقف[558].

---

[558] عبد الرحمن محمد عيسوي، دراسات سيكولوجية. (الإسكندرية، منشأة المعارف، دون تاريخ). ص: 72.

2\1\4=حقيقة التفكير في الفكر الإسلامي: أورد الإمام الغزالي رحمه الله تعالى كلمات موجزات في حقيقة حث الإسلام على فضيلة التفكر، والتدبر، مستدلاً على ذلك بآي القرآن الكريم، والسنة المطهرة، مما يوضح الأهمية التي يوليها الإسلام للفكر والتفكير يقول رحمه الله:" كثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار، والنظر، والإفتكار، ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبهار، وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته ولكن جهلوا حقيقته وثمرته، ومصدره، و مورده، ومجراه، ومسرحه، وطريقه، وكيفيته، ولم يعلم أنه كيف يتفكر وفيما يتفكر، ولماذا يتفكر، وما الذي يطلب به، أهو مراد لعينه أم ثمرة تستفاد منه"[559].

وقد أمر الله تعالى بالتفكر في مواطن كثيرة لا تحصى ولا تعد في كتابه العزيز وأثنى على المتفكرين. فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[560]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن قوماً تفكروا في الله عز وجل فقال النبي ﷺ: (**تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره**)[561]، وعن عثمان بن أبي دهرس قال: بلغني أن رسول الله ﷺ انتهى إلى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال: ﴿مالكم لا تتكلمون﴾؟ فقالوا: نتفكر في خلق الله عز وجل، فقال: (فكذلك فافعلوا تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا فيه فإن بهذا المغرب أرضاً بيضاء نورها بياضها، وبياضها نورها، مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين قط)[562]، وورد في سبب نزول

---

[559] الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الخامس، مرجع سبق ذكره. ص:03.

[560] سورة آل عمران، الآية:191.

[561] الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الخامس، مرجع سبق ذكره. ص: 04.

[562] ابن كثير، تفسير ابن كثير، الجزء الرابع، مرجع سبق ذكره. ص:386.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[563]، قال ابن عباس رضي الله عنهما، بت عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال: (**إن في خلق السماوات والأرض....ويتفكرون في خلق السماوات والأرض] ثم قام فتوضأ واستن فصلى إحدى عشرة ركعة ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى الصبح**).[564]، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أتت قريش اليهود فقالوا ما جاءكم به موسى من الآيات؟ قالوا: عصاه ويده بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى فقالوا كيف كان عيسى فيكم؟ فقالوا: يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: أدع لنا ربك يجعل الصفا ذهباً فأنزل الله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ...﴾[565]، وفي رواية "فليتفكروا فيها"، قيل للإمام الأوزاعي رحمه الله: ما غاية التفكر فيهن قال: "يقرؤهن ويعقلهن". وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك، وعن طاووس: قال الحواريون لعيسى بن مريم: يا روح الله هل على الأرض اليوم مثلك؟ قال: نعم، من كان منطقه ذكراً وصمته فكراً ونظره عبرة فإنه مثلي، وقال الحسن البصري رحمه الله: من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتباراً فهو لهو، قال الإمام الشافعي رحمه الله: استعينوا على الكلام بالصمت، وعلى الاستنباط بالفكر، وقال صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور، والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم، والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة، ومشاورة الحكماء، ثبات في

---

[563] سورة آل عمران، الآيتان: 190-191.

[564] الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الخامس، مرجع سبق ذكره. ص:04.

[565] النيسابوري، أسباب النزول. (بيروت، دار المعرفة، دون تاريخ). ص:103.

النفس وقوة في البصيرة، ففكر قبل أن تعزم، وتدبر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تقدم، وقال أيضاً الفضائل أربع: أحدهما: الحكمة وقوامها الفكرة، والثانية: العفة وقوامها في الشهوة، والثالثة: القوة وقوامها في الغضب، والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس[566]، وبين ابن القيم رحمه الله حقيقة التفكر فيقول: "أصل الخير والشر من قبل التفكر فإن الفكر مبدأ الإرادة والطلب في الزهد والترك والحب والبغض، وأنفع الفكر، الفكر في مصالح العباد وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفاسد المعاد وفي طرق اجتنابها، فهذه أربعة أفكار هي اجل الأفكار ويليها أربعة: فكر في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها، وفكر في مفاسد الدنيا وطرق الاحتراز منها، فعلى هذه الأقسام الثمانية دارت أفكار العقلاء، ورأى القسم الأول الفكر في آلاء الله ونعمه، وأمره ونهيه، وطرق العلم به وبأسمائه وصفاته من كتابه وسنة نبيه، وما أولاهما، وهذا الفكر يثمر لصاحبه المحبة والمعرفة فإذا فكر في الآخرة وشرفها ودوامها، وفي الدنيا وخستها وفنائها أثمر له ذلك الرغبة في الآخرة و الزهد في الدنيا، و كلما فكر في قصر الأمل و ضيق الوقت أورثه ذلك الجد والاجتهاد وبذل الوسع في اغتنام الوقت، وهذه الأفكار تعلي همته وتحييها بعد موتها وسفولها، وتجعله في وادِ و الناس في واد، وبإزاء هذه الأفكار، الأفكار الرديئة التي تجول في قلوب أكثر الخلق، كالفكر فيما لم يكلف الفكر، فيه ولا أعطي الإحاطة به من فضول العلم الذي لا ينفع كالفكر في كيفية ذات الرب وصفاته مما لا سبيل للعقول إلى إدراكه[567].

والفكر في حقيقته هو إحضار معرفتين يستثمر منهما معرفة ثالثة، فإحضار معرفتين سابقتين في القلب للتوصل إلى معرفة ثالثة يسمى تفكراً واعتباراً و تذكراً

---

[566] الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الخامس، مرجع سبق ذكره. ص:5 و ما بعدها.

[567] إبن قيم الجوزية، الفوائد. (الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ-1983). ص:198.

ونظراً وتأملاًوتدبراً، وفائدة التفكر هو تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة، وأما ثمرته فهي العلوم والأحوال والأعمال ولكن ثمرته الخاصة: العلم لا غير، لأنه إذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب، وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح، فالقلب هو العالم بالله، وهو الساعي إلى الله، وهو المكاشف بما عند الله ولديه، وإنما الجوارح إتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد، واستخدام الراعي للرعية، والصانع للآلة، فالعمل تابع الحال، والحال تابع العلم، والعلم تابع الفكر، فالفكر إذن هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها، و هذا هو الذي يكشف فضيلة التفكر، وأنه خير من الذكر والتذكر لأن الفكر ذكر وزيادة، وذكر القلب خير من عمل الجوارح، بل شرف العمل لما فيه من الذكر، فإن التفكر أفضل من جملة الأعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة، و قيل في موضع آخر:الفكر هو الذي ينقل من المكاره إلى المحاب، ومن الرغبة و الحرص إلى الزهد و القناعة،[568].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **(اقرأ علي القرآن)** قال: فقلت يا رسول الله: اقرأ عليك وعليك أنزل، قال **(إني أشتهي أن اسمعه من غيري)**، فقرأت النساء حتى إذا بلغت، ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل"[569]، وعن النبي ﷺ قال: **(بينما رجل مستلقي على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال: أشهد أن لك رباً وخالقاً، اللهم أغفر لي، فنظر الله إليه فغفر له)**[570]، روي عن النبي ﷺ قوله: **(لا تفضلوني على يونس بن متى، فإنه كان**

---

[568] الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره. ص:8.

[569] الإمام مسلم، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره. ص:551.

[570] الإمام الزمخشري، الكشاف، المجلد الأول. (بيروت، دارا لفكر، دون تاريخ). ص:488.

يرفع له في كل يوم مثل عمل أهل ا لأرض)[571]، قال العلماء، إنما كان ذلك التفكر في أمر الله الذي هو عمل القلب، من خلال ما تقدم من آيات وأحاديث وأقوال العلماء في قيمة فضيلة التفكر ونظرة الإسلام إليه، يمكن استخلاص بعض الفوائد التي يجنيها المتفكر في خلق الله وآلائه ونعمه[572]:

1- التفكر طريق إلى رضوان الله ومحبته.

2- انشراح للصدر وسكينة للقلب.

3- التفكر يورث الخوف والخشية من الله عز وجل.

4- التفكر يورث الحكمة ويحيي القلوب.

5- كثرة الاعتبار والاتعاظ من سير الأولين.

6- التفكر قيمة عقلية كبرى تؤدي إلى يقظة الأفراد ونهضة الأمم.

2**التعلم:**

2\2\1=التعلم: تعريفه: التعلم هو عملية ديناميكية حيوية يتم من خلالها تحصيل العلم، لأن إيجاد العلم وهو علة فيه، فمعلوله (سببه) وهو التعلم، يوجد معه بناء على العلة مع المعلول[573]، وقد روي في هذا الشأن عن ابن أبي عاصم والطبراني من حديث معاوية بلفظ: "يا أيها الناس تعلموا إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه"[574]، فالتعلم إذن

---

(571) الإمام القرطبي، الجزء الحادي عشر، مرجع سبق ذكره. ص:333.

(572) صالح بن عبد الله بن حميد، و عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، مرجع سبق ذكره، المجلد الرابع. ص: 1078.

(573) الإمام السبكي، الإبهاج، الجزء الأول. (الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1404هـ). ص: 200.

(574) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره. ص: 161.

هو الوسيلة التي من خلالها يتم تحصيل العلم، " والـذي هـو مطلـق الإدراك الشـامل للتطور والتصديق في الفن والمنطق"[575].

-يعرف الإمام الشوكاني التعلم على أنه: "صفة ينكشف بها المطلوب انكشافا تاماً"[576].

-ويعرفه أحـد العلـماء بأنـه: "الهـام مـن الله يجعلـه في قلـب المـتعلم إذا أخـذ بأسـبابه وأدواته"[577].

-أما علماء النفس المعاصرون فيعرفون عملية التعلم بأنها: "التغيير في الميل للاسـتجابة تحت تأثير الخبرة المكتسبة"[578].

إذن فعملية التعلم عملية حيوية ديناميكية تشمل جميـع المتغـيرات في الأنـماط السلوكية لدى الأفراد، كذلك تشمل العمليات المعرفية التي يتغلب عن طريقها الفـرد على مشكلاته ويرضي بها دوافعه وحاجاته، وهـذه العمليـات لا تتـأثر إلا مـن خـلال التفاعل مع عناصر البيئة التي نشأ فيها وتحيطه، مادية كانت أم جماعية.

من خلال مجموعة التعاريف السابقة يتضح أن مفهوم الـتعلم يمكـن تحديـده من عناصر أو محددات ثلاثة، ومن خلال العودة إلى أصول هذه المحددات، ومدى مـا

---

[575] الإمام النسائي، كتاب العلم. (الطبعة الثانية، الرياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، 1415هـ، 1994م). ص: 17.

[576] الإمام الشوكاني، إرشاد الفحول، الجزء الأول. (الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، 1412هـ، 1992). ص: 20.

[577] ماجد عرسان، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، (الطبعة الثالثة، المدينة المنورة، دارا لتراث، 1407هـ1987). ص: 75.

[578] علي السلمي، تحليل النظم السلوكية، مرجع سبق ذكره. ص: 150.

تركته هذه المحددات من آثار، وما يمكن الإفادة منه على ضوء ما استحدث من آراء ونظريات في علم النفس الحديث.

2\2\2=محددات التعلم.

1 - **التعلم كعملية لتدريب العقل.** يرتبط مفهوم التعلم كعملية تدريب العقل بنظرية رغم قدمها ما زالت ماثلة حتى اليوم هي نظرية الفيلسوف الإنجليزي "جون لوك john lock" الخاصة بالتدريب العقلي، والتي بنيت أساساً على فكرة أن العقل مقسم إلى عدد من الملكات، مثل ملكة التفكير، وملكة التذكر، وملكة التمثيل، والتصور وغيرها، وأن التعلم ينتج من تدريب هذه الملكات العقلية.

2 - **التعلم كعملية تذكر.** تعتبر هذه النظرية أن التعلم والخبرة هما اللذان يوصلان المعرفة كاملة إلى العقل، وأن العقل بمثابة مخزن للمعلومات المحفوظة التي يمكن أن تستدعى وقت الحاجة، ومعنى ذلك أن عملية الحفظ تأتي في الدرجة الأولى من حيث الأهمية، حيث كان يعتقد أن عملية التعلم تتم بواسطة الحفظ.

3 - **التعلم كتعديل للسلوك:** فالطفل منذ ولادته يقوم بمحاولات للتكيف مع البيئة، فيحاول أن يعدل من سلوكه لكي يتفق مع المواقف التي يواجهها في الحياة، وخلال عملية التكيف هذه نجده يكتسب أساليب جديدة للسلوك تتفق مع قدراته وميوله، وتؤدي إلى تحقيق أهدافه[579].

2\2\3=**خصائص التعلم:** هناك مجموعة من الخصائص تمتاز بها عملية التعلم يمكن إجمالها فيما يلي:

---

[579] مروان أبو جويج وآخرون، المدخل إلى علم النفس التربوي، (الطبعة الأولى، عمان، دار اليازوري العلمية، 2002). ص:166-168.

أولاً: التعلم ينطوي على تغير شبه دائم في السلوك أو الخبرة ويأخذ أشكالاً ثلاثة:

1-اكتساب سلوك أو خبرة جديدة.

2- التخلي عن سلوك أو خبرة ما.

3- التعديل في سلوك أو خبرة ما.

ثانياً: التعلم عملية تحدث نتيجة لتفاعل الفرد مع البيئة بشقيها المادي والممثل بهذا الكون بمجوداته المحسوسة، والاجتماعي المتمثل في الإنسان ومنظومته الفكرية والعقدية، ومؤسساته الاجتماعية، فهو نتاج الخبرة والممارسة مع المثيرات والمواقف المادية والاجتماعية المتعددة.

ثالثاً: التعلم عملية مستمرة لا ترتبط بزمان، أو مكان محدد.

رابعاً: التعلم عملية تراكمية تدريجياً.

خامساً: التعلم عملية تشمل كافة السلوكيات والخبرات المرغوبة وتلك غير المرغوبة.

سادساً: التعلم عملية قد تكون مقصودة وموجهة لتحقيق هدف أي عملية هادفة.

سابعاً: التعلم عملية تشمل جميع المتغيرات التي تمتاز بثبات نسبي، والناتجة بفعل عوامل الخبرة والممارسة والتدريب، وتحديداً فهي تتضمن التغييرات التي تظهر بصفة شبه دائمة في السلوك.

ثامناً: التعلم عملية شاملة متعددة المظاهر، فهي لا تقتصر على جوانب سلوكية أو خبرات معينة، وإنما تتضمن كافة التغيرات السلوكية في الظواهر العقلية، والانفعالية، والاجتماعية، والحركية، واللغوية، والأخلاقية[580].

4\2\2=أهمية عملية التعلم. تنطلق أهمية التعلم من الاعتبارات التالية:

1-تحوير الدوافع الفطرية واكتساب الدوافع الاجتماعية.

2-اكتساب القدرة على التفكير السليم المنظم، والمبدع.

3-يعتبر التعلم الوسيلة الهامة إلى اكتساب الشخص لمعارفه ومهاراته، وعاداته، وتحقيق إنسانيته.

4-وسيلة لتوجيه الشخص نحو الصحة النفسية، وتحقيق التوافق النفسي، والاجتماعي وصولاً إلى تحقيق الشخصية الناضجة.

5-إن أهم اتجاه نفسي يمكن اكتسابه كما يرى فيلسوف التربية المعاصرة "جون ديوي" "dewey"، هو الرغبة في متابعة التعلم.

- وتشير بعض الأدبيات إلى أن التعلم لا يحصل إلا إذا توفرت شروط ثلاثة هي:

1- وجود الفرد في مواجهة مشكلة ملحة يفترض حلها من قبله.

2- وجود دافعية تدفع الفرد إلى التعلم، أي وجود رغبة للتعلم.

3- بلوغ الفرد مستوى من النضج الفكري الطبيعي.

---

[580] علي فالح الهنداوي، وعماد عبد الرحيم الزغول، مرجع سبق ذكره. ص: 149-150.

2\2\5=**مبادئ التعلم:** هناك مجموعة من المبادئ التي ترتكز عليها عملية التعلم نذكر أهمها، فيما يلي:

1-كلما زادت رغبة الفرد ودوافعه في التعلم، كلما كانت العملية أسرع وأجدى وأنفع منها في حالة عدم الرغبة أو ضعف الدافع إلى عملية التعلم.

2- إن قدرات وطاقات الأفراد في التعلم غير محددة زماناً ومكاناً، وخاصة في النواحي الثقافية وما يتعلق بالنواحي المعرفية العامة، ليس هناك حد لما يستطيع الأفراد أن يتعلموه، واستطاعتهم زيادة وتنمية خبراتهم، وتغيير سلوكاتهم باستمرار، وتعرضهم لمختلف أنواع المعارف، أما بالنسبة للنواحي البدنية أو العضلية فإن الطاقة على التعلم محدودة، تصبح بعد هذا الحد عملية التعلم غير مجدية وغير نافعة.

3- إن عملية تعلم الجديد تتوقف بدرجة كبيرة على ما تم تعلمه سابقاً.

4-إن تغير التعلم من جهة إلى أخرى يتوقف على مدى التوافق والانسجام بين مختلف النواحي التي تتناولها عملية التعلم، بمعنى أن الفرد الذي اطلع من خلال دراسته على السلوك الإنساني في مجتمعات معينة، يفيده ذلك حين يشرع في دراسته للسلوك الإنساني في مجتمعات أخرى.

5-التعلم عملية فردية لكنها تتأثر بنوع الجماعة التي ينتمي إليها الفرد.

6- إن معرفة وإطلاع الشخص على النتائج المتحصل عليها نتيجة لما قام به من عمل تعد حافزاً إنساني على سرعة التعلم.

2\2\6=**إمكانية قياس التعلم.** يمكن قياس التعلم، والحكم على درجة تقدمه أو انخفاضه، من خلال ملاحظة الأداء الخارجي الذي يقوم به الأفراد، إذ يعد السلوك

المحك الذي يمكن الرجوع إليه، والاعتماد عليه في الحكم على حدوث التعلم أو عدم حدوثه، وقبل التطرق إلى معايير قياس التعلم، يمكن الإشارة إلى النشاطات التي يمكن للفرد أن يتعلمها كما حددها هلكارد "hilgarad" وهي أربعة أنواع:

1- العادات والمهارات.

2- المعلومات والمعاني.

3- السلوك الاجتماعي.

4- المميزات الفردية الخاصة.

أما المعايير المستخدمة لقياس عملية التعلم يمكن ذكرها في الآتي:

1-السرعة في تعلم مهارات أو سلوك وكذلك السرعة في تنفيذه.

2-الدقة في تمثل هذه المهارة أو السلوك بأقل الأخطاء.

3-عدد المحاولات اللازمة للتعلم[581]، أي عدد تكرار محاولات التعلم من حيث الكثرة أو القلة.

4-الزمن: ويتمثل في المدة التي يتقن فيها المتعلم المهارة وأدائها.

5-التعرف: أي قدرة المتعلم في التمييز بين الخبرات الماضية و الخبرات و المهارات الجديدة.

6-الاسترجاع: و يتمثل في قدرة المتعلم في استرجاع أو استدعاء الاستجابة التي سبق وأن تعلمها في مواقف سابقة[582].

---

[581] نفس المرجع. ص: 151-152.

2\2\7=العوامل المؤثرة في التعلم: يمكن النظر إلى عملية التعلم على أنها صبغة تفاعلية تتطلب التفاعل المشترك بين الفرد والبيئة المحيطة به، فهي عملية معقدة تمتاز بتعدد مجالاتها ومتغيراتها، والعوامل المؤثرة فيها، وحتى تحدث عملية التفاعل لا بد من توفر العوامل التالية:

1- توفر مستوى معين من النضج بحيث يتيح للفرد تعلم سلوك أو خبرة ما.

2- وجود دافع للتعلم.

3- وجود الاستعداد للتعلم.

4- توفر فرص التفاعل مع الخبرات على نحو مباشر أو غير مباشر.

2\2\8=نظريات التعلم: يسود مدارس علم النفس خلاف واضح وعميق بين المفكرين في موضوع التعلم، ورغم الاهتمام المتزايد من جميع العلماء والمتعلق بعملية التعلم، إلا أننا لا نجد اتفاقاً على تحديد معنى مصطلح التعلم، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى المنطلقات الفكرية، وطبيعة الإطار الذي يعتمد عليه كل واحد منهم في تحديد مفهوم هذا المصطلح، كل هذا أدى إلى ظهور مجموعة نظريات، كل نظرية تعطي تفسيراً للتعلم من وجهة نظر مغايرة لغيرها، ويمكن تلخيص أهم هذه النظريات فيما يلي:

---

[582] وهيب مجيد الكبيسي، وصالح حسن أحمد الداهري، المدخل في علم النفس التربوي، (الطبعة الأولى، أربد، دار الكندي للنشر و التوزيع، 2002). ص: 39-40.

1 - **نظرية الاشتراط**[583]. يتزعم هذه النظرية العالم الروسي: "إيفان بافلوف" وأساس هذه النظرية هي الأفعال المنعكسة الشرطية، وترى هذه النظرية أن الحياة النفسية تقوم على أسس سلوكية بحتة، وهي علاقة بين المثير والاستجابة، ومعظم الأسس التي وضعها "بافلوف" لتفسير السلوك وضعها على أساس فسيولوجي، مؤكداً على أهمية المعطيات الفسيولوجية لتفسير أساليب النشاط الراقي المعقد –في نظره- عند الفقريات العليا والإنسان.

2 - **نظرية الارتباط.** صاحب هذه النظرية هو عالم النفس "ثورنديك"، الذي يرى موضوع علم النفس هو دراسة السلوك دراسة علمية، وأن عملية التعلم عند "ثورنديك" هي عبارة عن تغيير في السلوك، وأن كل ما يستطيع العلم عمله والتوصل إليه هو ملاحظة هذا التغيير. والسلوك في نظر" ثورنديك" هو كل ما يقوم الكائن الحي بفعله بما في ذلك الأفكار والمشاعر وغيرها، ويرى "ثورنديك" أن ما يحكم عملية التعلم هو قانون الأثر مخالفاً في ذلك نظرة "واطسون" الذي يرى أن ما يحكم عملية التعلم هو قانون التدريب، فأعتبر "ثورنديك" أن قانون التدريب في حقيقته قانون تابع لقانون الأثر، إلا أن بعض العلماء وعلى رأسهم "هلجارد" يرون أنه لا يمكن اعتبار نظرية ثورنديك نظرية بتفسير السلوك تفسيراً علمياً، بل هي عبارة عن مجموعة من القواعد والمقترحات التي قدمها ثورنديك يمكن استعمالها في ممارساتنا في المواقف التعليمية.

والنظرية الترابطية في أساسها تقوم على فكرة أن المعرفة والعقل يتكونان من أحساسات " sensations" أساسية تتشابك معاً عن طريق الترابط "Association"،

[583] أحمد زكي صالح، التعلم، أسسه، مناهجه، ونظرياته. (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ). ص: 240، وما بعدها.

لا تتوافر لدى الكائن الحي أي معرفة فطرية، فالكائنات الحي تولد وعقولها صفحة بيضاء، وتتكون المعرفة من الاحساسات الأساسية، ثم الربط بينهما عن طريق العملية الميكانيكية الكاملة التي تتمثل في التأكيد من أنها تحدث معاً في إقتران زماني أو مكاني[584].

3 - **نظرية الاقتران.** يعتمد "جاثري" وهو واضع ومؤسس هذه النظرية على مبدأ الاقتران، ويرى أن أساس العملية التعليمية هي اقتران المثير بالاستجابة، كما يرى أن هذا المبدأ الذي اعتمد عليه في تأسيس نظريته ليس بجديد بل استقاه من مؤلفات أرسطو، وهوبز، وجون لوك وغيرهم، وما يهم جاثري هو التأكيد على أن القانون الذي ترتكز عليه عملية التعلم هو الاقتران بين المثير والاستجابة، أي عملية استثارة لأعضاء الحس، وما يقابل ذلك من انقباض عضلي أو إفراز غدي، والمقصود بالاقتران هو الاستثارة أو التنبيه الذي يصبح فيما بعد باعثاً للاستجابة، ونظراً لنسبية قانون جاثري حول التعلم وهو قانون الاقتران، توصل جاثري نفسه إلى وجهة نظر أخرى ترى في قوانين التعلم قوانين ليست لتفسير حالة من حالات السلوك – التعلم– إنما هي وسيلة لتيسير وتسهيل هذا التفسير.

4 - **النظرية السلوكية الوصفية.** واضع هذه النظرية هو العالم الأمريكي "سكينر" حيث يرى أن مهمة علم السلوك هي الكشف عن العلاقة التي ترتبط بين مجموعة المثيرات ومجموعة الاستجابات، وعندما تتقرر هذه العلاقة –حسب رأي سكينر– تصبح لدينا مجموعة من القوانين تحكم السلوك البشري، هذه القوانين مهمتها لا تقتصر على مساعدتنا في فهم سلوك الكائن الحي، بل تتعدى هذه المرحلة إلى مرحلة

---

[584] ستيوارت هـ. و آخرون، سيكولوجية التعلم. (الطبعة الثانية، القاهرة، الدار الدولية للنشر و التوزيع، 1993). ص:16.

أخرى وهي تزودينا بالمقدرة على التنبؤ المستقبلي، ويرى الكثير من العلماء أن نظرية سكينر لا تتعدى كونها نظاماً لوصف السلوك بطريقة موضوعية تعتمد في ذلك على التركيز وعدم تجاوز الوقائع التجريبية المقررة. وهي نظرية تعتمد على أسلوب المحاولة والخطأ.

5 - **نظرية التعزيز**.يرى "كلارك هل" في نظريته، أن النظام السلوكي هو نظام كتلي سيكولوجي، وليس نظام جزئي فسيولوجي، فهو يحاول من خلال نظريته أن يقدم نظاماً عاماً متكاملاًللسلوك، يتضمن توضيح العلاقات بين جميع الأحداث النفسية المتداخلة بغرض التخطيط المستقبلي لأي نوع من أنواع سلوك الكائن الحي في أي موقف كان.

6 -**نظرية المجال.** هناك اتجاهين يتناولان عملية التعلم وفقاً لنظرية المجال.

1-الاتجاه الأول: وتنادي به النظرية الجشطالية التي ترفض الاتجاه التحليلي للسلوك الإنساني كما ترى النظرية الشرطية لبافلوف والنظرية السلوكية لواطسون، وتهدف هذه المدرسة الألمانية إلى النظر إلى السلوك الإنساني نظرة متكاملة، وقد ساهمت بقسط كبير في إثبات أن التعلم عملية متكاملة منذ البداية، ولا يمكن تجزئتها أو تحليلها.

2-الاتجاه الثاني: ويتزعمه ليفين "LEWIN" من خلال نظريته والتي لا يميز فيها بين عوامل مؤثرة مستقلة وعوامل تابعة، فهو يعرف التعلم على أنه تغير في حيز أو مجال الحياة، فالحدث السلوكي عند ليفين هو محصلة مجموعة من القوى موجودة في المجال الذي يظهر فيه هذا الحدث، كما يرى أن الوصول إلى علم سلوكي حقيقي،

لا يكون عن طريق الاهتمام بتحليل السلوك إلى عناصره الأولية، بل عن طريق دراسة القوى التي تعتبر مسئولة مسئولية مباشرة عن ظهور هذا الحدث السلوكي.

من خلال ما لوحظ من وجهات نظر، نجد أن الجشطالت خرجوا على المعتاد بالاستعاضة عن مفهوم العلية أو السببية التي اعتمدت عليها معظم النظريات بمفهوم المجال أو الحيز والقوى المؤثرة فيه، مما جعلهم يرفضون الاتجاه التحليلي للسلوك، ويهتمون بالسلوك الكلي على اعتبار أنه مجموع الأحداث الجارية في الحياة اليومية.

2\2\9=**عملية التعلم في الفكر الإسلامي**. مفهوم التعليم والتعلم في القرآن الكريم ينبثق من المفهوم العام الذي يحدد حدوث الفعل الإنساني، فإذا اتفقت ممارسات الفرد أو الجماعة مع رحمة الله ومواهبه كما يقول ابن خلدون في المقدمة- فتح الله عليه باب التعلم لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[585]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[586]، فالتعلم يحصل بتقوى الله وموافقة أوامره، أما إذا تعارضت ممارسات الإنسان فرداً أو جماعة مع إرادة الله وما قرره سبحانه فإن التعلم يسير في اتجاه مخالف للصواب، ومجانب للحق، مما تترتب عنه آثار سلبية على الفرد نفسه وعلى الأمة من حوله، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[587]، وقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ

---

[585] سورة البقرة، الآية: 282.

[586] سورة البقرة، الآية:32.

[587] سورة الأنعام، الآية: 25.

الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[588]، بناء على هذه القاعدة الشرعية المستخلصة من نصوص القرآن الكريم وما دعمه من السنة الشريفة فإن عملية التعلم لا يمكن حصولها بالصفة المرجوة إلا إذا تم مراعاة عدة شروط أهمها:

1- **الربط بين هدف المتعلم وسلوكه:** لقوله ﷺ: (**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل مرء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)**[589].

2- **المزج بين المبادئ النظرية والممارسات العملية:** يحصل التعلم ويبلغ مداه في الفهم بمزج المفاهيم والمبادئ النظرية المجردة بواقع الممارسة العملية، وهذا ما فهمه الأولون من هذه الأمة حتى بلغوا ما بلغوا من العلم والمعرفة المؤدية إلى العمل، ذكر ذلك الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حين قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن، وقال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً[590]، و قال ابن قتيبة :لا يكون الرجل حكيما حتى يجمع العلم و العمل به[591] "، وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه:"اعملوا ما شئتم أن تعملوا فلن يأجركم الله تعالى

---

[588] سورة الأعراف، الآية: 146.

[589] ابن دقيق العيد، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص:7.

[590] ابن كثير، تفسير ابن كثير، الجزء الأول. ص:4.

[591] ابن قدامة المقدسي، مرجع سبق ذكره. ص:16.

تعلمه حتى تعملوا[592]"، واشترط الزهري أن لا يقتصر المزج بين المبادئ النظرية والممارسات العملية على الدرس والتعليم، وإنما يجب أن يظهر على سلوك المعلم وتفكيره وأخلاقه، لأن المتعلم يتعلم من ذلك كله ودون ذلك لا يفيد المعلم شيئاً، حيث قال: "كنا نأتي العالم فما نتعلم من أدبه أحب إلينا من علمه"[593]، وأوضح الحسن البصري رحمه الله حقيقة العلاقة بين العلم النظري والتطبيق العملي فقال: "العالم على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح فاطلبوا العلم طلباً لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا تضروا بالعلم فإن قوما طلبوا العبادة و تركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا"[594]، وقد نهى القرآن الكريم عن مخالفة القول الفعل، وذم ذلك السلوك حيث قال في سورة الصف: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[595]، وورد في الأثر: (**إن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني إنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل**)[596]، وفي رواية "وصدقه العلم"، وقال القاري في المرقاة لقوله ﷺ: (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**)، ولا يتوهم أنه خارج عنهما [أي التعلم والتعليم] لأن العلم إذا لم يكن مورثاً للعمل ليس علماً في الشريعة، إذ اجمعوا على أن من عصى الله فهو جاهل"[597] وهذا القول يوافق نصاً وروحاً

[592] ابن الحاج، المدخل، الجزء الأول، (الطبعة الأولى، القاهرة، المطبعة المصرية بالا زهر، 1348هـ-1929). ص:17.

[593] الأصبهاني، حلية الأولياء، المجلد الثالث، (القاهرة، مطبعة السعادة، 1394ه-1974). ص:362.

[594] ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية، مرجع سبق ذكره. ص:76.

[595] سورة الصف، الآيتان:2-3.

[596] ابن أبي شيبة الكوفي، مرجع سيق ذكره، الجزء السابع. ص:189.

[597] المباركفوري، مرجع سبق ذكره، الجزء الثامن. ص:179.

القاعدة الفقهية التي تقرر: "كل قول لا ينبني عليه عمل فالخوض فيه باطـل"، وروى معاوية بن هشام عن سفيان عن رجل –لم يسم اسمه– عن الحسن قال: اطلـب العلـم طلباً لا يضر بالعبادة، واطلب العبادة طلباً لا يضر بالعلم فإن من عمل بغير علـم كـان يفسد أكثر مما يصلح[598].

3- **تكوين الاتجاه قبل الفهم واستيعاب المعلومات:**لقوله تعالى: ﴿الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[599]، وعدم تكوين الاتجـاه يعيـق الفهـم ويمنـع حصوله ولا الاقتناع، لقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً ،نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً﴾[600]، وعن ابن عمران الجوني عن جندب بن عبد الله قال: "كنا مـع النبـي ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القـرآن فازددنـا بـه إيمان"[601].

---

[598] ابن أبي شيبة الكوفي، مرجع سبق ذكره، الجزء السابع. ص:187.

[599] سورة البقرة، الآيات: 1-5.

[600] سورة الإسراء، الآيات: 45-46-47.

[601] احمد بن أبي بكر الكناني، مصباح الزجاجة، الجزء الأول. (الطبعة الثانية، بيروت، دار العربية، دون تاريخ). ص:12.

4- **مراعاة استعدادات المتعلم:** يرى ابن خلدون أن من أسباب حصول العلم مراعاة قوة المتعلم واستعداداته لقبول ما يتلقى من الفنون حتى تحصل له ملكة في ذلك العلم، فيقول: "أعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً، وقليلاًقليلاً ، يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم"[602]، وهذه النظرة تراعي في ذلك القدرات والاستعدادات التي يمتلكها المتعلم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[603]، وقد أشارت الكثير من الأحاديث إلى أن البعض يقتصر على الحفظ، وبعضهم يتعداه إلى الوعي أو الفقه، ورضيت من الحافظ أو حامل الفقه أن ينقله إلى من هو أفقه منه، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**نضر الله امرأ سمع مقالتي فحفظها ووعاها فأداها إلى من لم يسمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**)[604]، كذلك بين الرسول ﷺ تفاوت الاستعدادات في الفهم والفقه فقال: (**إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب الأرض فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها ورعوا وسقوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من**

---

[602] ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، طبعة مؤسسة الأعلمي. ص:533.

[603] سورة البقرة، الآية: 268.

[604] بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المجلد الأول. (بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ). ص:35.

فقه في دين الله فنفعه ما نفعني الله به ونفع به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)[605].

5-التشويق: إن من الأسباب والعوامل المساعدة على تحصيل العلم أي التعلم تكرار الحض على تشويق المتعلم ودفع السآمة عنه، وقد ورد في هذا أحاديث كثيرة نذكر منها: كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يذكر الناس كل يوم خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن إنا نحب حديثك ونشتهيه لوددنا أنك حدثتنا كل يوم فقال: ما يمنعني أن أحدثكم إلا أن أملكم وإن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السآمة علينا[606]، وكانت دعوة الرسول ﷺ إلى الترفق بالمتعلم وتسهيل أموره، واضحة في الكثير من أحاديثه منها ما رواه الترمذي بإسناده عن أبي هارون العبدي قال: "كنا نأتي أبا سعيد الخدري رضي الله عنه فيقول مرحباً بوصية رسول الله ﷺ، إن النبي ﷺ قال: (**إن الناس لكم تبع، وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً**)[607]، وثبت عن رسول الله ﷺ أنه كان يرشد إلى التيسير وينهى عن التعسير كقوله: (**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**)[608]، لأن الشدة في التعليم مضرة بالمتعلم وخاصة عند الناشئة، يقول ابن خلدون: "إن إرهاق الحد بالتعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين، أو المماليك، أو الخدم، سطا به القهر، وضيق عن النفس

---

[605] الإمام النسائي، السنن الكبرى، الجزء الثالث. (الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411 هـ-1991). ص:427.

[606] الإمام مسلم، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص: 2173.

[607] الإمام النووي، المجموع على شرح المهذب، المجلد الأول. (بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ). ص:27.

[608] الإمام الشوكاني، فتح القدير، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره. ص:138.

في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة.."[609]، وبهذا يوافق رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي يقول: "من لم يؤدب بالشرع لا أدبه الله"، حرصاً على صون النفوس عن مذلة التأديب، ولذلك يرى الخطيب البغدادي إن واجب المعلم أن يأخذ المتعلم باللين والحسنى والرفق في حالة الخطأ حتى تستقر نفسه مما يؤدي به إلى تجنب الخطأ مرة أخرى: "وإذا أخطأ المسئول في الجواب فعلى الفقيه (المعلم) أن يعلمه ذلك ليأخذ نفسه بأنعام النظر ويحتفظ من التقصير خوف الزلل"[610]، عن عبد الله بن المعتز قال: لولا الخطأ ما أشرق نور الصواب وبالتعب وطئ فرش الراحة، وبالبحث والنظر تستخرج دقائق العلوم، ولا فرق بين جاهل يقلد وبهيمة تنقاد[611]، وورد في الأثر عن النبي ﷺ أنه قال: (**ما أعمال البر في الجهاد إلا كبصقة في بحر وما أعمال البر والجهاد في طلب العلم إلا كبصقة في بحر**)[612]، فدلالة الحديث أن أعظم و أفضل الأعمال يوم القيامة هو طلب العلم، كما يبين الحديث كذلك قيمة العلم في الإسلام، و كذلك الترغيب و التشويق إليه، تحصيلا للمنفعة الدنيوية و الأخروية.

6-التعزيز: أفرد الإمام البخاري في صحيحه باباً تحت عنوان "من سمع شيئاً فراجعه حتى عرفه" واعتمد في ذلك على حديث لابن أبي مليكة قال فيه إن عائشة زوج النبي

---

[609] ابن خلدون، مرجع سبق ذكره. ص:540.

[610] الخطيب البغدادي، الفقيه و المتفقه، الجزء السابع. (بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ). ص:134.

[611] نفس المرجع. ص:5.

[612] ابن الحاج، مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني. ص:98.

ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه[613]"، واستخلص من هذا الحديث قاعدة أجازها في التعلم والتعليم، ويرى العلامة ابن خلدون أن أفضل طريق لترسيخ العلم عن طريق التعلم، لابد من تكرار المسألة ثلاث مرات كأحسن تقدير، أو بحسب قدرة المتعلم في عملية التحصيل يقول: "ثم يرجع به وشد فلا يترك عويصاً ولا مبهماً، ولا مغلقاً إلا وضحه وفتح له مقفله فيتخلص من الفن وقد استوى على ملكته، هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات، قد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه"[614]، أما الإمام الزهري يرى أن المتعلم إذا لم يقم بتكرار الدرس والمطالعة فنسي ما تعلم"[615]، وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا سلم سلم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى نفهم منه[616].

7 **التدرج:** من مبادئ التعلم التدرج، وقد بلور الإمام الزهري وهو أشهر من مارسوا مهنة التدريس في عصره، مبدأ التدرج في التعليم في وصية لأحد تلاميذه" يونس بن زيد" –حين قال: "يا يونس لا تكابر العلم فإن العلم أودية، فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة، فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي"[617]، وقال في موضع آخر: إن هذا العلم إذا أخذته بالمكاثرة غلبك ولم تظفر منه بشيء، ولكن خذه مع

[613] الألباني، مختصر صحيح البخاري. (الطبعة الأولى، بيروت، المكتب الإسلامي، 1399هـ). ص:37.

[614] ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، طبعة مؤسسة الأعلمي. ص:533.

[615] الاصبهاني، مرجع سبق ذكره، المجلد الثالث. ص:364.

[616] ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، مرجع سبق ذكره. ص:75.

[617] الاصبهاني، مرجع سبق ذكره، المجلد الثالث. ص.364.

الأيام والليالي أخذاً رفيقاً تظفر به[618]، ويقول أيضاً: العلم واد فإذا هبطت وادياً فعليك بالتؤدة حتى تخرج منه فإنك لا تقطع حتى يقطع بك"[619]، ويرى ابن خلدون نفس الرأي في ضرورة التزام مبدأ التدرج في عملية التعلم لأن، "المتعلم أول الأمر يكون عاجزاً عن الفهم بالجملة"[620]، فالتدرج في تلقين العلم يعد وجه التعلم المفيد حيث يقول: "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً وقليلاًقليلاً"[621]، ويقول بعض الحكماء في إطار الحديث عن التدرج في عملية تلقين وتحصيل العلم، "إن لهذه القلوب تنافراً كتنافر الوحش فألفوها بالاقتصاد في التعليم (أي التقليل) و التوسط في التقويم، لتحسن طاعتها، و يدوم نشاطها، و لا ينبغي أن يمزج نفسه فيما يستفرغ مجهوده"[622]، أما ابن خلدون يرى أن هناك أربعة مراحل للتعلم أو مبادئ لابد للأخذ بها:

1- ترك الفكر على سجيته (طبيعته) حتى يصل سريعاً إلى ما يريد من العلم فيقول: ترك الفكر على سجيته حتى يحصل العلم دون صناعة المنطق ولا سيما مع صدق النية والتعرض لرحمة الله فإن ذلك أعظم معنى"[623].

2- إن المتعلم يصل ويحقق مقصوده من تحصيل العلم إذا تخطى حجباً أربعة، ذكرها ابن خلدون مرتبة حسب الأولوية في التحصيل فيقول: "مقدمة أخرى من التعلم. وهي معرفة الألفاظ ودلالاتها على المعاني الذهنية، تردها من مشافهة الرسوم

(618) الإمام البخاري، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول، طبعة دار الفكر. ص:32.

(619) الاصبهاني، مرجع سبق ذكره، المجلد الثالث. ص:362.

(620) ابن خلدون، مرجع سبق ذكره. ص:534.

(621) نفس المرجع. ص:533.

(622) الخطيب البغدادي، مرجع سبق ذكره، الجزء السابع. ص:107.

(623) ابن خلدون، مرجع سبق ذكره. ص:535.

بالكتابة، ومشافهة اللسان بالخطاب، فلابد أيها المتعلم من مجاوزات هـذه الحجـب كلها إلى الفكر في مطلوبه، فأول دلالة الكتابة المرسومة على الألفـاظ المقولـة وهـي أخفها، ثم دلالة الألفاظ المقولة على المعاني المطلوبة، ثم القوانين في ترتيـب المعـاني للاستدلال في قوالبها المعروفة في صناعة المنطق، ثم تلـك المعـاني مجـردة في الفكـر اشتراطاً يقتنص بها المطلوب بالطبيعة الفكريـة وبـالتعرض لرحمـة الله ومواهبـه"، ومن خلال النص ثم ترتيب هذه العقبات أو الحجب كما يلي:

أ- دلالة الكلمات والحروف على الألفاظ المقولة.

ب- دلالة الألفاظ المقولة على المعاني المطلوبة.

ج- القوانين في ترتيب المعاني والاستدلال في قوالبها المعروفة لصناعة المنطق.

د- المعاني مجردة في الفكر.

3- أثر المستوى الحضاري للمجتمع الذي يتم فيه التعليم: يرى ابن خلدون أن ارتفاع درجة التحضر مقرون بطريقة مباشرة بازدهار التعليم والعكـس، فتـدني المسـتوى الحضاري لأي أمة –أو العمران كما يسميه ابن خلدون في أحيـان كثـيرة- مقرونـاً بتدني مستوى التعليم في هذه الأمة أو المجتمـع، فالعلاقـة بـين الـتعلم والحضـارة علاقة طردية، على أن التعلم سبب وجـود الحضـارة وقوامهـا، وقـد ضرب أمثلـة عديدة في هذا الصدد نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، أن القـيروان وقرطبـة كانتا حاضرتي المغرب والأندلس، واستبحر عمرانها وكان فيها للعلـوم والصـنائع أسواق نافقة، وبحور زاخرة، ورسخ فيهما التعليم لامتداد عصورهما وما كان فيهما من الحضارة، فلما خربتا أنقطع التعليم في المغرب إلا قليلاً"[624]، ويقـول في موضـع آخر: "أما أهل الأندلس فذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت عنـايتهم بـالعلوم

[624] نفس المرجع. ص:431.

لتناقص عمران المسلمين...، وما ذاك إلا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص العمران وتغلب العدو"[625]، وفي مقارنة أجراها ابن خلدون بين مستوى التحضر في المشرق العربي ومستواه في المغرب العربي نتيجة لازدهار التعليم في المشرق وضعفه في المغرب كانت نتيجة مقارنة واضحة في قوله: "وإنما الذي فضل به أهل المشرق أهل المغرب هو ما يحصل في النفس من آثار الحضارة"[626].

4- وهناك مبدأ رابع: هو أثر نوع العلم المقصود في التعلم والتعليم، فالعلوم في نظر ابن خلدون قسمان:

قسم مقصود لذاته: وهي "العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصل، لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه، فتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسي...، وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله، وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيؤها للإفادة[627]"، بعلوم القرآن، وعلوم الحديث، والفقه، وعلم الكلام، والطبيعيات وغيرها.

أما القسم الثاني: هي علوم الغرض أو الوسيلة، ومنها ما يكون وسيلة لفهم القسم الأول كاللغة والحساب لفهم الشرعيات، وكالمنطق لفهم الفلسفة "وعلوم هي وسيلة آلية لهذه العلوم كالعربية والحساب وغيرها للشرعيات، وكالمنطق للفلسفة وربما كان آلة لعلم الكلام... أما العلوم التي هي مقاصد، فلا حرج في توسعة الكلام

---

[625] نفس المرجع. ص:432.

[626] نفس المرجع. ص:433.

[627] نفس المرجع. ص:435.

فيها وتفريع المسائل واستكشاف الأدلـة والأنظـار، فـإن ذلـك يزيـد طالبهـا تمكنـاً في ملكته، وإيضاحا لمعانيها المقصودة، وأما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية ينبغـي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير"[628].

8- **إلزامية التعلم:** حث الإسلام على التعليم واعتبر حرمان الناس منه ذنبـاً لا يغتفـر من قبل القائمين على أمره، فقال في سورة البقـرة: ﴿إِنَّ الَّـذِينَ يَكْتُمُـونَ مَـا أَنْزَلْنَا مِـنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُـدَى مِـنْ بَعْـدِ مَـا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِـكَ يَلْعَـنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَـنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[629]، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: **(من كتم علماً يحسبه ألجمه الله يوم القيامـة بلجام من نار)**[630]، وأوجبه على الرجال والنساء مـن المسـلمين دون تفريـق، قـال ﷺ: **(طلب العلم فريضة على كل مسلم)**[631]، وروي عن أبي موسى الأشعري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ثلاثة لهم أجران، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وآمن بمحمـد ﷺ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله تعالى وحق مواليه، ورجل كانـت عنـده أمـة فأدبهـا فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها ثم عتقها فتزوجها فله أجران)**[632]، والإسلام لم يكتف بهذا القدر من إلزام أتباعه و معتنقيه بالتعلم والتعليم، بـل فقـد حـثهم عـلى طلب العلم والسعي إلى تحصيله مهما كانت الموانع، فقد ورد في الأثر: **"أطلبـوا العلـم ولو بالصين"**، كناية عن تحمل مشاق الأسفار لغرض التعلم، وقد وعد النبي ﷺ طالب العلم أو المتعلم الأجر الجزيل يوم القيامة والرعاية الإلهية في الدنيا ما دام طالباً للعلـم، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من سـلك طريقـاً**

---

[628] نفس المرجع. ص:437.

[629] سورة البقرة، الآية: 159.

[630] أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا و الدين، مرجع سبق ذكره. ص:85.

[631] ابن قدامة المقدسي، مرجع سبق ذكره. ص:11-12.

[632] الشيخ الألباني، مرجع سبق ذكره. ص:35.

يطلب فيها علماً سلك الله تعالى به طريقاً إلى الجنة، وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر)[633].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: "كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذماً أن يتبرأ منه من هو فيه[634]، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة"[635].

وقال جعفر بن محمد الصادق: "لا زاد أفضل من التقوى، ولا شيء أحسن من الصمت، ولا عدو أضر من الجهل، ولا داء أدوى من الكذب"[636]، وقيل الجهل أشد الأعداء، وقد ذكر الإمام البيهقي في كتابه "مناقب الشافعي" إن الإمام الشافعي رحمه الله أوجب على الحاكم المسلم إذا أجمع أهل كورة من الكور على ترك طلب العلم...، أن يجبرهم على طلبه، وقرر الإمام مالك رحمه الله في قول وجهه إلى أحد الخلفاء الذين عاصروه، قال: أدركت العلماء وهم يقولون إن هذا العلم إذا منع عن العامة لم ينتفع به الخاصة، ويرى ابن الحاج صاحب كتاب "المدخل" أن عدم الانتفاع به يحتمل ثلاثة وجوه، أحدها: أنهم لا يوفقون للعمل به، والثاني: أن ثواب العلم يكثر

---

[633] ابن كثير، تفسير ابن كثير، مرجع سبق ذكره. ص:558.

[634] الإمام النووي، المجموع شرح المهذب، مرجع سبق ذكره. ص:19.

[635] نفس المرجع. ص:19.

ابن

[636] ابن نعيم الأصبهاني، مرجع سبق ذكره، المجلد الثالث. ص:196.

بانتشاره فكلما انتشر زاد الثواب لمعلمه وحصل لمن عمل به، وإذا وقع الاختصاص به امتنع انتشاره، وإذا امتنع انتشاره ذهب بعض ثوابه، والثالث: أن يحرم الخاصة فهم تلك المسائل ومعانيها لأن اختصاصهم بذلك نوع تكبر وتجبر وبخل بما أمرهم الله تعالى أن يفقهوه من العلم الذي من به عليهم فحرموا الفهم فيه، قال تعالى: "سنصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق"[637].

9- استمرارية التعلم: لم يحدد الإسلام سناً معينة لتحصيل العلم والتعلم، فمهما كان عمر الإنسان فمن الواجب عليه إذا توفرت الظروف المناسبة للتعلم أن يتعلم، إلا أن التعلم في الصغر أكثر فائدة منه في الكبر، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "ما بعث الله نبياً إلا شاباً وما أوتي العلم عالماً خيراً له منه وهو شاب"[638]، وقال أحد المتخصصين في مجال التعليم من فقهاء الإسلام القدامى: التفقه في زمن الشبيبة وإقبال العمر والتمكن منه بقلة الاشتغال وكمال الذهن وراحة القريحة يرسخ في القلب ويثبت، ويتمكن ويستحكم، فيحصل الانتفاع به والبركة إذا صحبه من الله حسن التوفيق، وإذا أهمل إلى حالة الكبر المغيرة للأخلاق الناقصة للآلات كان كما قال الشاعر:

إذا أنت أعياك التعلم ناشئاً فمطلبه شيخاً عليك شديد[639]

ويقول ابن خلدون مبينا أفضلية التعلم في الصغر عنه في الكبر: "وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب

---

[637] ابن الحاج، مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني. ص: 98.

[638] الخطيب البغدادي، مرجع سبق ذكره، الجزء السابع. ص:89.

[639] نفس المرجع. ص:91.

كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال من ينبني عليه"[640]، إلا أن هذا لا يمنع من متابعة التعلم من قبل الصغار والكبار على حد سواء، فالقرآن الكريم يرشدنا ويحثنا إلى التعلم مهما تخيل الإنسان المسلم مكانته من العلم فهناك من هو أعلم منه، ورد ذلك بصريح النص في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[641]، وقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[642]، فمهما بلغ العالم من العلم فزاده قليل وهو مدعو إلى طلب المزيد المزيد بالاستمرار في التحصيل، لقوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[643]، عن شعيب بن أبي حمزة قال: سمعت الزهري يقول:" مكثت خمساً وأربعين سنة أختلف بين الشام والحجاز، فما وجدت حديثاً أستطرفه"[644]، وشبه أحد العلماء العلم بالبحر وشبه العالم والمتعلم كالسابح فيه فقال: لو كنا نطلب العلم لنبلغ غايته كنا قد بدأنا العلم بالنقيصة، ولكنا نطلبه لننقص في كل يوم من الجهل ونزداد في كل يوم من العلم"[645]، وقال بعضهم: "المتعمق في العلم كالسابح في البحر ليس يرى أرضاً ولا يعرف طولاً ولا عرضاً"[646]، وروي عن النبي ﷺ أنه قال:(**من ظن أن للعلم غاية فقد بخسه حقه،**

---

[640] ابن خلدون، مرجع سبق ذكره. ص:538.

[641] سورة يوسف، الآية: 76.

[642] سورة الإسراء، الآية: 85.

[643] سورة طه، الآية: 114.

[644] ابن نعيم الاصبهاني، مرجع سبق ذكره، المجلد الثالث. ص:362.

[645] أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، مرجع سبق ذكره. ص:41

[646] نفس المرجع. ص:44.

ووضعه في غير منزلته التي وصفه الله بها حيث قال: وما أوتيتم من العلم إلا قليلا[647].

قال أبو جعفر الطحاوي، كنت عند أحمد بن أبي عمران فمر بنا رجل من بني الدنيا فنظرت إليه وشغلت به عما كنت فيه من المذاكرة، فقال لي: كأني بك أن يحول الله إليك ما عنده من المال ويحول إليه ما عندك من العلم فتعيش أنت غنياً جاهلا ويعيش هو عالماً فقيراً، فقلت: ما أختار أن يحول الله ما عندي من العلم إلى ما عنده فالعلم غنى بلا مال، وعز بلا عشيرة، وسلطان بلا رجال[648]، وعن أبي بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى لا. فأوحى الله إلى موسى، بلى عبدنا خضر فسأل موسى السبيل إليه، فجعل الله له الحوت آية، وقيل له إذا فقدت الحوت فأرجع فإنك ستلقاه، وكان يتبع أثر الحوت في البحر فقال لموسى فتاه أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً فوجدا خضراً فكان من شأنهما الذي قص الله عز وجل في كتابه**)[649].

وخلاصة القول فيما تقدم من هذا الحشد من الأدلة النقلية و العقلية التي توصل إليها علماء الإسلام، يدحض كل الشبهات التي روج لها أعداء الإسلام من الغربيين و المستغربين من بني جلدتنا، بأن نصوص الإسلام النقلية تتعارض مع ما توصل إليه العلم حديثا وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى عدم قدرة العقل البشري في

---

[647] نفس المرجع. ص:44.

[648] ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة. (الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة الأزهر، 1358هـ، 1939). ص:182.

[649] الإمام البخاري، مرجع سبق ذكره. ص:27.

إدراك كنه الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية، و الدلالة على ذلك هو ما توصل إليه العلماء فيما يسمونه بالإعجاز العلمي على جميع المستويات العلمية.

المطلب الثالث: الدافعية

1\3=تعريف الدافعية.

تعرف الدافعية على أنها:" حالة داخلية في الفرد، تولد الطاقة والنشاط والحركة، وتوجه السلوك نحو الهدف"[650].

أما الأستاذ "مورفي" فيعرف الدافعية على أنها:" المصطلح الذي يعبر عن أن السلوك الإنساني يتحدد جزئياً نتيجة لطبيعة الفرد وتكوينه الداخلي"[651]، وتقوم الدوافع بأداء مجموعة من الوظائف الضرورية والهامة للكائن الحي، فهي التي تدفعه إلى القيام بإشباع حاجاته الأساسية الضرورية لحياته وبقائه، كما تدفعه إلى القيام بكثير من الأفعال الأخرى الهامة والمفيدة[652].

وتعرف كذالك على أنها:" شعور أو إحساس داخلي يحرك الفرد وذلك بهدف تقليل التوتر "TENSION" الناتج عن نقص في إشباع حاجة أو حاجات معينة"[653].

2\3- **أهمية تحديد الدافعية**.

---

[650] سيد عبد الحميد مرسي، العلوم السلوكية في مجال الإدارة والإنتاج. (الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة وهبة، 1987). ص: 141.

[651] أحمد عبد العظيم المنفلوطي، نحو منهج إسلامي في الفكر الإداري. (القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، بدون تاريخ). ص: 67.

[652] محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، مرجع سبق ذكره. ص: 27.

[653] حامد رمضان بدر، القيادة الإدارية اتجاه إسلامي، مجلة المسلم المعاصر، بيروت، العدد 31 رجب 1402هـ، مايو 1982م. ص: 116.

تعتبر الدافعية أهم محدد من محددات السلوك الإنساني عموماً السلوك التنظيمي خصوصاً، ولذلك حظي موضوع الدافعية بالبحث والدراسة من غالبية علماء علم النفس فنجد مكدوجل "MacDougal" قد أطلق عليها مصطلح الغرائز واعتبرها المسبب الرئيسي للسلوك البشري، محاولاً حصر هذه الغرائز، أما فرويد "Freud" فقد أعطى للدافعية وزناً كبيراً في دراسته لغريزة الجنس والعدوان، وأسس على هذا الأساس نظريته في الدافعية، وأكدها كل من فروم "From"، وماسلو "Maslow" في دراستهما للدافعية من خلال نظرية الحاجات، واعتبرها موريه "Murray" حجر الزاوية في جميع دراساته للسلوك الإنساني، ولم يتوقف أمر الاهتمام بالدافعية عند هذا الحد بل تجاوز ذلك إلى حد الربط الوثيق بين الدافعية والنجاح والفشل وتوجيه السلوك الإنساني، كذلك مدى تأثير الدافعية في اتخاذ القرارات، وعملية النجاح والفشل، إضافة إلى ربطها بالأمور الاقتصادية، والاجتماعية، والأخلاقية، وغيرها من الكثير من المتغيرات النفسية.

والدافعية كموضوع، من أكثر الموضوعات أهمية وإثارة لاهتمام مختلف شرائح المجتمع بها، فنجد مثلاًاهتمام الأب أو الأم والتساؤل عن أسباب ف شل أبناءهم وانخفاض الدافعية إلى التعليم، وكذلك الحال بالنسبة لمختلف شرائح المجتمع، كما أن معرفة الشخص لدوافعه ودوافع غيره تساعده على ضبط دوافعه وتوجيهها الوجهة المطلوبة والمرغوبة، وإقامة علاقات أكثر ودية وترابط مع غيره، ومع هذا الاهتمام بالدافعية من جميع العلماء، إلا أننا لا نجد إجماعاً على تحديد معناها بل نجد اختلافا واضحا، وهذا يرجع بالدرجة الأولى إلى المنطلقات الفكرية لكل عالم من هؤلاء، وطبيعة الإطار النظري الذي يعتمدون عليه في تحديد مفهوم الدافعية، إلا أن هذا الاختلاف لم يمنع هؤلاء العلماء بعد دراساتهم للدافعية من التوصل إلى النتائج التالية:

1- إن للدافعية كما يرى يونغ "Young"، ولندزلي "Lindsley" وظيفتين أساسيتين هما: وظيفة تنشيطية، ووظيفة توجيهية.

2- إن الدافعية حالة داخلية أو حقيقة استنتاجية تلاحظ من خلال السلوك، أو من خلال تكوين فرضية يمكن استنتاج صحتها من:

أ- زيادة مقدار الجهد المبذول بحيث تصبح استجابات معينة أكثر وضوحاً من غيرها لنفس المثيرات.

ب- استثارة حاجة معينة لدى الفرد حيث تدل تلك الحاجة على نقص في إشباع شيء معين.

ج- زيادة التوتر لدى الفرد نتيجة للنقص في إشباع تلك الحاجة.

د- تنظيم السلوك وتوجيهه.

ه- التكيف لمواجهة الظروف الخارجية.

مما تقدم يمكن القول أن علماء النفس خاصة الذين اهتموا بدراسة الدافعية توصلوا جميعاً إلى تحديد مفهوم الدافعية على أنه مفهوم افتراضي، والهدف من كل هذا هو محاولة الوصول إلى تفسير للسلوك الإنساني، كما أن الدافعية هي نشاط داخلي موجه في الأساس نحو تحقيق أهداف معينة.

3\3- نظريات تفسير الدافعية:

منذ القدم والآراء مجمعة على أن الإنسان كائن عاقل في جوهره، وأنه مكون من مجموعة من الرغبات الشعورية، وأنه يسعى إلى إشباعها مستخدماً في ذلك كل ما يملكه من إمكانيات وقدرات، كانت هذه هي وجهة نظر معظم الفلاسفة القدماء

أمثـال أفلاطـون "Plato"، أرسـطو "Aristotle" ثـم مـن بعـدهم فلاسـفة العصـور الوسطى أمثـال القـديس تومـاس الأكـويني "Thomas Aquinas" وحـذا حـذوهم المفكرين المحدثين أمثال ديكارت "Descartes" وهوبز، وسبينوزا، وهـذا الـرأي هـو السائد اليوم لدى غالبية الناس فالإنسان يفكر فيما هو بحاجة إليه، ثم يجتهد في تحصيل أو امتلاك الوسائل التي تساعده في تحقيق حاجاته وإشـباع رغباتـه، إلا أن هنـاك رأي يحضى بقوة لدى أصحابه ومعتنقيه من أمثال جورج كيلي "George A. Kelly"، الذي لا يكاد أن نجد لمصطلح دافعية أي مكان في منظومته المعرفية، حيث يرى وأصحابه أن السلوك لا يحتاج إلى من يدفعه أو يحركه، وأن السلوك في حد ذاته نشاطا تلقائيـاً وعـلى الدوام، وأن القضية الرئيسية تتوقف على عملية اختيار البدائل، والقرار الذي يتوصـل إليه الإنسان إنما يتوقف على تكويناته الشخصية من أفكار، وقـيم، واتجاهـات وميـول نحو العالم الخارجي، ولأهمية الدافعية باعتبارها أهم محدد من محددات السـلوك، فقـد ظهرت العديد من النظريات تسعى كل من وجهـة نظرهـا إلى تفسـير الدافعيـة، هـذه النظريات يمكن تناول أهمها كالآتي:

1) النظريات القائمة على مبدأ اللذة: تعتبر هذه النظريات التي ترتكز على مبدأ اللـذة محاولة لتفسير سلوك الناس الذي نـراه ونلحظـه، ويمكـن التفريـق بـين أسـاس هـذه النظرية، ومذهب اللذة من وجهة النظر الفلسفية باعتباره نظاماً خلقياً، فينبغي للأفراد أن يسعوا إلى تأسيس حياتهم بإرادتهم سعياً إلى تحصـيل أو جلـب اللـذة وتجنـب الألم، والإنسان بطبعه يسعى إلى تحصيل اللذة وتجنب الألم، وأبرز من تنـاولوا وجهـة النظـر هذه، عـالم الـنفس الأمريكـي دافيـد ك ماكليلانـد "David c Mc Cleland"، الـذي استخدم مقاييس موضوعية لقياس سلوك الإنسـان (الاقـتراب والتجنـب)، ولـذلك يعتبر صاحب نظرية تجريبية، فماكليلاند في نظريته يستخدم نموذج الإشارة الوجدانية، أي أن هناك مثيرات بيئية معينة من شأنها أن تستثير بـالفطرة حالـة مـن اللـذة أو الألم،

وأن لدى الإنسان بفطرته ميلاًإلى السعي نحو هذه المثيرات أو تجنبها، وتتوقف درجة الشعور باللذة أو الألم (الانفعال) على درجة التكيف السابق للشخص[654]، وأما الدافعية وفق مفهوم هذه النظرية تتألف من توقعات نتعلمها بأن هذا الهدف سوف يستثير استجابات (إرجاعاً) انفعالية إيجابية أو سلبية، وهكذا نجد أن الإنسان يسعى نحو الأهداف سبق له أن عرف أنها تثير اللذة، ويتجنب ما سبق له أن وجده مؤلماً، وبهذا يقول ماكليلاند أن كل الدوافع متعلمة (مكتسبة)، فالاستثارة الوجدانية فطرية، ولكن التوقع مكتسب، وفقاً لمفهوم الدافعية بناء على هذه المعطيات يمكن تحوير نظرية اللذة إلى نظرية علمية مفيدة.

2) **نظريات تفسير الدافعية على أساس غريزي.** يتزعم هذا الاتجاه كل من:

- **مكدوجل،** الذي اعتبر أن الغرائز هي المسبب الرئيسي للسلوك الإنساني وقدم قائمة تضم أزيد من أربعة عشر نوعاً من أنواع الغرائز كغريزة الوالدية، وغريزة حب التسلط والسيطرة، وغريزة حب التملك وغيرها، وقد عرف مكدوجل الغريزة بأنها استعداد عصبي نفسي يجعل صاحبه ينتبه إلى مؤثرات من نوع خاص، أو يدركها إدراكاً حسياً، أو على الأقل يشعر بنزعة لأن يسلك نحوها هذا المسلك[655]، كما يرى أن الغريزة عامة من حيث النوع الإنساني من جهة، وأنها تظهر دون سابق علم أو معرفة من جهة أخرى.

- **أما تشارلز داروين** في نظريته في التطور يرى أن الأفعال -كما يسميها بالأفعال الذكية- هي أفعال مورثة، وأن أبسط هذه الأفعال، الأفعال المنعكسة مثل عملية الرضاعة لدى الرضيع أو بتعبير داروين عملية المص لدى الأطفال، ويرى أن

---

[654] إدواردج موراي، الدافعية والانفعال. (الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق، 1408هـ-1988م). ص: 22.

[655] وهيب مجيد الكبيسي وصالح حسن أحمد الداهري، مرجع سبق ذكره. ص: 58.

هناك نوع آخر من الأفعال أكثر تعقيداً والذي يرجع في أساسه إلى الغريزة كميل الطيور إلى تجنب الإنسان دون سابق خبرة أو تعلم به، ويرى أن الغريزة تنشأ عن طريق الاختبار الطبيعي، وتعد أكثر مرونة من الأفعال المنعكسة فهي تسمح بسلوك أكثر تغيراً.

- **أما فرويد** يرى أن الدافعية يمكن حصرها في غريزتين، فطريتين يشترك فيهما جميع أنواع الناس، وهما غريزتي الجنس والعدوان، أو غريزتي الحياة والموت، ويطلق على الغريزة الأولى اسم الغريزة الجنسية وتشمل كل القوى التي تدفع إلى البناء والإنشاء والكفاح في الحياة للمحافظة على النوع، ويطلق على الثانية اسم غريزة العدوان وتطلق على كل القوى التي تدفعنا إلى الهدم والتدمير والاعتداء على الغير وعلى أنفسنا[656]، ومفهوم عدوانية الإنسان بطبيعته حسب مفهوم فرويد مفهوم مجانب للصواب وهذا ما توصلت إليه الدراسات العلمية الحديثة، وعليه فقد انتقد هذا الاتجاه للأسباب التالية:

1- اختلاف أصحاب نظرية الغرائز في تحديد عددها فبينما حدد مكدوجل أربعة عشرة نوع من الغرائز اختصرها فرويد في غريزتين فقط.

2- إن الكثير من هذه الغرائز ليست عامة لدى جميع الناس كما أشارت العديد من الدراسات والبحوث العلمية الحديثة مثل غريزة الوالدية، وغريزة العدوان على سبيل المثال.

3 - إن مفهوم الغريزة يدل على مفهوم غير علمي لما يتناقض ذلك مع توجه النظرية الحديثة في علم النفس.

---

[656] علي أحمد علي، مرجع سبق ذكره. ص: 297.

3) **نظريات الباعث أو الديناميكية:** يركز هذا الاتجاه على مفهوم الباعث، ويرجع الفضل في هذه النظرية إلى عالم النفس روبرت س وود ورث: " Robert s. Wood worth" الذي مهد السبيل لاستعمال مصطلح الدوافع "Drives" والذي يصف به الطاقة التي تضطر الكائن الحي إلى الحركة، وذلك في مقابل العادات التي توجه السلوك هذا الاتجاه أو ذاك. وقد ساهم مفهوم الاتزان مساهمة فعالة في المنطق الذي تقوم عليه نظرية الباعث، وأول من نادى بمفهوم الاتزان الحيوي (الهوميوستاز) عالم الفسيولوجيا "والتر ب كانون" "Walter B. Cannon" ومؤدى هذا المفهوم أن عدم الاتزان في الجسم ينشأ من انحراف الظروف الداخلية وخروجها على الحالة السوية المعتادة، والبواعث النفسية (السيكولوجية) هي وسيلة يحاول من خلالها الجسم استعادة توازنه ولذلك فإن نفاذ مخزون الماء مثلاًتبدأ بواعث العطش في النشاط، ويبدأ البحث عن الماء لاستعادة الاتزان وهكذا أصبحت الدافعية بناء على هذه النظرة، تعرف على أنها:" البواعث الناشئة عن اختلال الاتزان الحيوي أو توتره"، ووفقاً لهذا المفهوم فالدافعية تعتبر من أهم العوامل المحددة للسلوك الإنساني بجميع أنواعه من تعلم، وأداء عملي، وإدراك حسي، وانتباه، وتذكر، ونسيان، وتفكير، وإبداع، وشعور وغيرها.

4) **النظرية الوظيفية:** تركز هذه النظرية على عملية التوافق في النشاط بين الكائن الحي والبيئة التي ينشأ فيها، ويتزعم هذه النظرية كل من كار" CAR"، وروبنسون "Robinson" الذي أكد بدوره على عملية التفاعل الحاصلة بين الكائن الحي من جهة وبين البيئة وأن هذا التفاعل والنشاط في استمرار، وأن للكائن الحي دوافع يمكن إشباعها عن طريق هذا التفاعل، فكلما تحركت دوافعه أصبح الكائن الحي في حالة توتر، ولذلك يقوم بنشاط لإزالة، أو التخفيف من هذا التوتر فيتكيف مع بيئته.

5) نظرية المجال: ترجع هذه النظرية إلى عالم النفس ليفين "Lewin" الذي ينتمي إلى المدرسة الجشطالتية الألمانية، والذي أجرى بدوره العديد من التجارب على الدافعية وتتلخص أهم مبادئ وأسس هذه النظرية في الآتي:

1- إن السلوك الإنساني يتوقف على عنصرين أساسين هما الفرد والبيئة ولفهم السلوك يجب أن ننظر إلى كليهما على أنها مجموعة متشابكة ومتمازجة من مجموعة من العوامل، وهذه العوامل تتمثل بمجال حياة الفرد.

2- إن البيئة التي تقصدها هذه النظرية هي البيئة النفسية التي تختلف من فرد إلى آخر.

3- هناك عوائق قد تعوق الفرد وتقف أمامه تحول بينه وبين تحقيق أهدافه.

4- إن الحاجة المستثارة تتمثل في حالة توتر في الفرد واستعداده للعمل بالاتجاه الإيجابي أو السلبي.

6) نظرية البورت: ذهب البورت "Allport" في نظريته المسماة "النظرية الدينامية" إلى أنه ليس هناك مشكلة تواجه علماء النفس أكثر تشابكاً وتعقيداً من مشكلة الدافعية، لأن جميع نظريات الدوافع قاصرة على تفسير واضح وبين لهذه المشكلة، وقد تمكن البورت من إثارة في تحليله للدافعية أربع نقاط هامة وأساسية اعتمد عليها في تدعيم رأيه حولها –الدافعية– هذه النقاط هي:

النقطة الأولى: التأكيد على معاصرة الدافعية.

النقطة الثانية: أن الدافعية البشرية على درجة كبيرة من التعقيد والتشابك والتنوع، ومن غير المنطقي تمثيل هذا التعقيد في نموذج بسيط.

النقطة الثالثة: التأكيد على العمليات الشعورية.

النقطة الرابعة: التأكيد الواقعي الحسي للدافعية بدلاً من تحديدها عن طريق العمليات التجريبية (تجربة بافلوف).

7) نظرية موريه "MURRAY": واضع هذه النظرية عالم النفس موريه، الذي اعتمد على الدراسة الفرويدية الكلاسيكية، وقد اعتبر أن الحاجات هي أهم الأسس التي ترتكز عليها نظريته، ويرى أن الحاجة ليست مفهوم حقيقي، بل افتراض لدفع السلوك إلى نشاط معين، والغرض من هذا النشاط هو إشباع حاجات الكائن الحي، وقد عرض موريه قائمة بـ: خمسة وثلاثين حاجة، و اعتبر أن عشرين حاجة ظاهرة، و خمسة عشرة حاجة كامنة، ومن بين الحاجات التي طرحها كمثال، الحاجة للإنجاز، الحاجة للاستقلال، الحاجة إلى تجنب الأذى، الحاجة إلى الرعاية، الحاجة إلى اللعب وغيرها من الحاجات.

8) نظرية فروم: "FROMM". ركز فروم في نظريته على التفريق بين الطابع الاجتماعي، والطابع الفردي للشخصية، لا من باب ذكر الفوارق بين الصيغتين، وإنما من باب تحديد العوامل أو الخصائص المشتركة، وقد أشار فروم إلى أربعة حاجات يرى أنها هي الأهم بالنسبة للشخص، هذه الحاجات هي:

1- الحاجة إلى الانتماء الاجتماعي.

2- الحاجة إلى الشموخ.

3- الحاجة إلى إثبات الهوية.

4- الحاجة إلى الانضباط الاجتماعي.

9) نظرية الدوافع المعرفية: يقوم الدافع المعرفي بدور هام وأساسي في عملية التعلم المدرسي، ويتمثل دافع التعلم في الرغبة في تحصيل المعرفة، وتدعيم وتقوية عملية الفهم

والإتقان للمعلومات التي تم تحصيلها، كذلك القدرة على صياغة الأفكار وحل المشكلات، وقد يكون الدافع المعرفي مشتقاً من دوافع حب الاستطلاع والاستكشاف والمعالجة، وقد يكون مشتقاً أيضاً من دوافع التعلم.

10) نظرية سلم الحاجات: لقد أولى علم النفس الحديث ظاهرة الحاجات الإنسانية باعتبارها دوافع أساسية تخضع السلوك الإنساني لتأثيرها، أهمية قصوى، وتناولها العديد من العلماء بالدراسة والتحليل كما رأينا سابقاً، ونظراً لتأثيرها البالغ على سلوك الناس أفراداً وجماعات ومجتمعات، فقد حظيت الدراسة باهتمام معظم العلوم الإنسانية إن لم يكن كلها، وتناولتها بالدراسة والتحليل والتطبيق وخاصة علم الإدارة، لما لهذه الحاجات من آثار إيجابية أو سلبية مباشرة على السلوك التنظيمي داخل منظمات العمل، ومن أهم المصادر المعتمد عليها في هذا المجال نظرية سلم الحاجات لعالم النفس الإنساني براهام ماسلو "Abraham Maslow" الذي يعد رائد مدرسة علم النفس الإنساني "Humanistic Psychology" التي تؤكد تفرد الإنسان على غيره من المخلوقات بميزات وخصائص، هذه الدوافع أو الحاجات التي تعمل على توجيه سلوكه، متخذة في ذلك أوضاعاً وأشكالاً متعددة ومتغيره في حياته، تقوى أحياناً وتضعف أحياناً أخرى.

وقد صنف ماسلو هذه الحاجات في مجموعات رئيسية خمسة هي:

(1) الحاجات الفسيولوجية [Physiological needs].

(2) حاجات الأمن [Safety (security) needs].

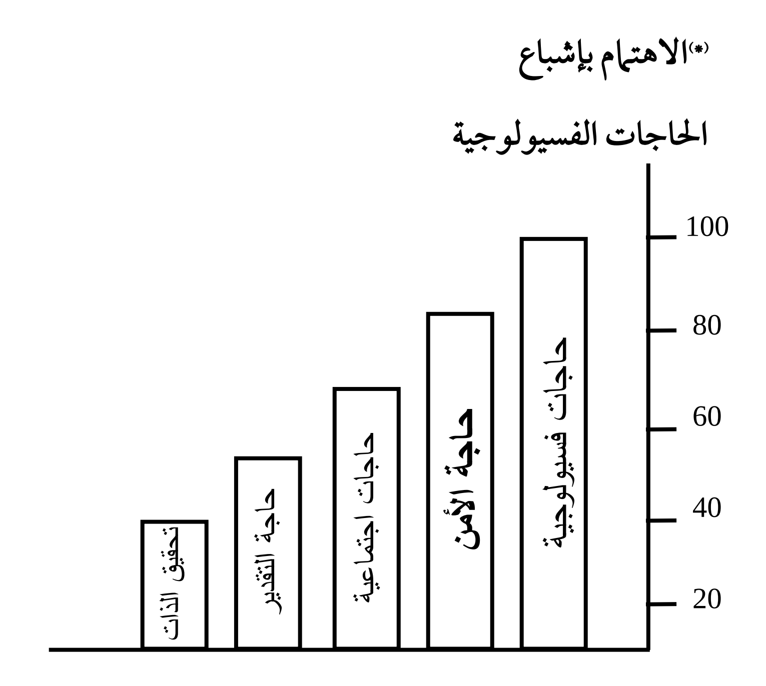
(3) حاجات الانتماء (الاجتماعية) [Social needs].

(4) حاجات التقدير [Esteem (recognition) needs].

(5) حاجات تحقيق ألذات [Self actualization needs].

أما ترتيب هذه الحاجات من حيث الأهمية و اللاأهمية، أو من حيث القوة والضعف كدوافع لسلوك الإنسان فهي تتواجد في حياة الأفراد والجماعات طبقاً لأولويتها والرغبة في إشباعها، وحسب نظرية ماسلو فإن ترتيب الحاجات الإنسانية يكون كالآتي:

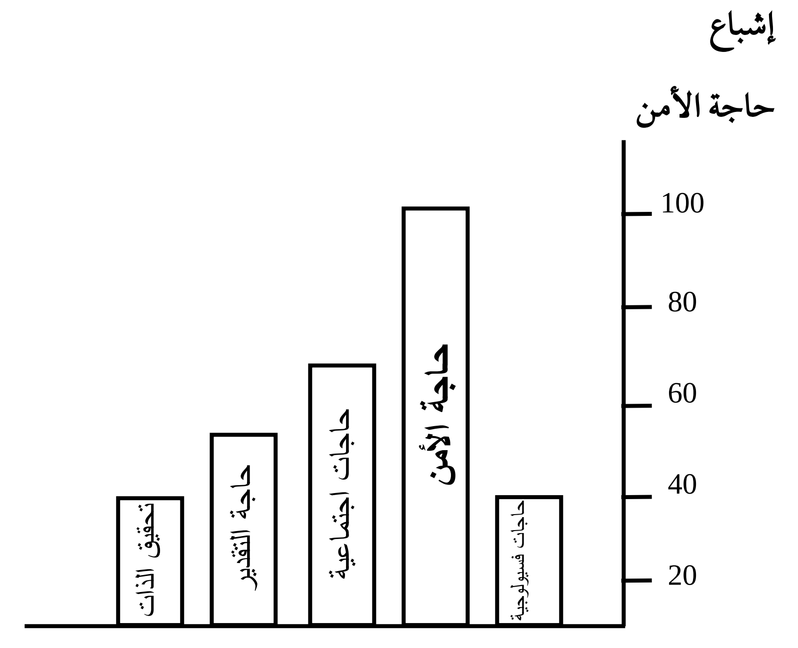
1- الحاجات الفسيولوجية: "Physiology needs".تقع في أعلى سلم الحاجات، وتبدو أقوى من غيرها لاعتبارها حاجات ضرورية للحياة نفسها مثل الحاجة للطعام، والحاجة للباس، والحاجة للمأوى والزواج وغيرها لأنها أساس المحافظة على النوع البشري، وما لم تشبع هذه الحاجات الأساسية إلى مستوى يضمن حياة الجسم وقدرته على القيام بوظائفه بصورة سليمة وعادية فإن اهتمام الإنسان ينصب بشكل مركز على هذه الحاجة بينما تنال الحاجات الأخرى قليلاًمن الاهتمام لتحقيقها.



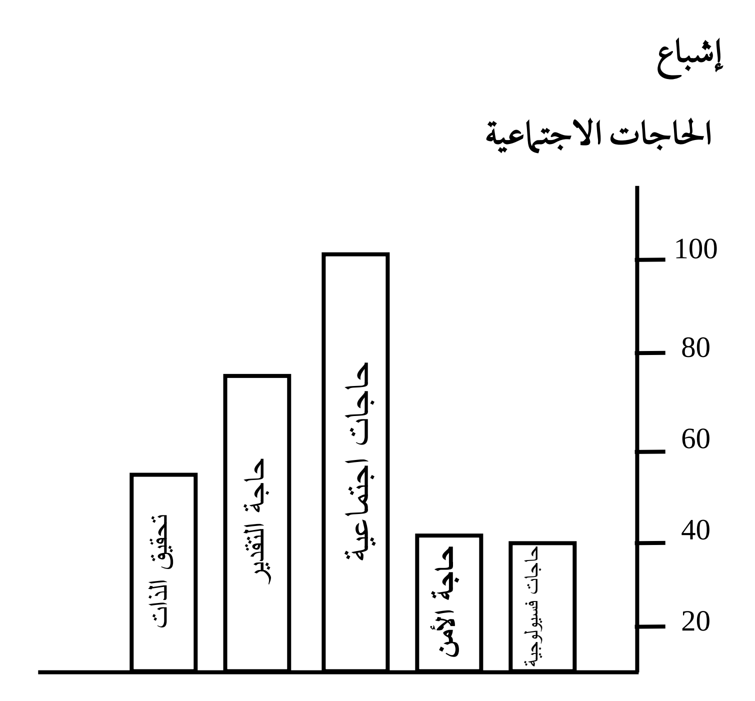
2- حاجات الأمن: "Safety needs". تظهر هذه الحاجة في شكل الرغبة في الحماية من الأخطار الجسدية كالحريق والحوادث بأنواعها، و الأخطار المالية كالحرمان الاقتصادي، وتهديد الأمن المعنوي خاصة داخل منظمات العمل كالحرمان من التعيين و الترقية والحرمان من المنح والعلاوات، والحرمان من إشباع

(*) الباحث.

حاجات النقل والتقييم وغيرها، فالإحساس بالاستقرار في العمل داخل المنظمات، وانتظام الدخل، وتأمين المستقبل المعيشي للفرد، تعد من أهم عوامل الاستقرار النفسي أي تحقيق أمن النفس، وتبدأ هذه الحاجة في السيطرة على سلوك الفرد إذا حس الإنسان بأن حاجاته الفسيولوجية قد أشبعت بالقدر الكافي، مما يفسح المجال لحاجة الأمن للسيطرة على اهتمامات الفرد وتوجيه سلوكه ونشاطه.



4 - **الحاجة إلى الانتماء أو الحاجة الاجتماعية: [Social needs].** بإشباع حاجة الانتماء تشبع حاجة فطرية في الإنسان وهي تحقيق الكينونة الاجتماعية له، فالإنسان بطبعه كائن اجتماعي لا يمكنه أن يعيش بمعزل عن الناس، ولذلك بإشباع حاجاته الفسيولوجية والأمنية يتطلع إلى إشباع حاجة الانتماء من خلال إيجاد أوتكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين من بني جنسه وفي هذه المرحلة تصبح حاجة الانتماء أقوى دافع لتوجيه سلوكه.



5 - **الحاجة إلى التقدير: "Esteem needs"**.بعد إشباع حاجة الانتماء من خلال تكوين شبكة علاقات اجتماعية وجماعية يطمح الإنسان لينال احترام الجماعة التي قبلته واعترفت بانتمائه إليها مع شعوره بأنه محل احترامها وتقديرها، وقد يكون هذا الاحترام ذاتي صادر من الفرد نفسه ممثلاًفي الثقة في النفس والإحساس بالهيبة نحو الغير والشعور بحاجة الجماعة إليه، كذلك القدرة على التأثير في محيط بيئته، وقد يكون صادراً من الغير من خلال ما يضفونه عليه من احترام وتقدير، وإذا لم يستطع الأفراد إشباع حاجة التقدير عن طريق السلوك البناء السوي فإنهم قد يلجئون إلى

إشباع هذه الحاجة إلى السلوك غير السوي ألتدميري وعن طريق النشاطات غير الناضجة، كالعامل مثلاًقد يلجأ إلى الدخول في صراعات وسلوكيات فوضوية مع زملائه ومرؤوسيه لتحقيق إشباع حاجته من التقدير التي عجز عن تحقيقها بالطرق البناءة.

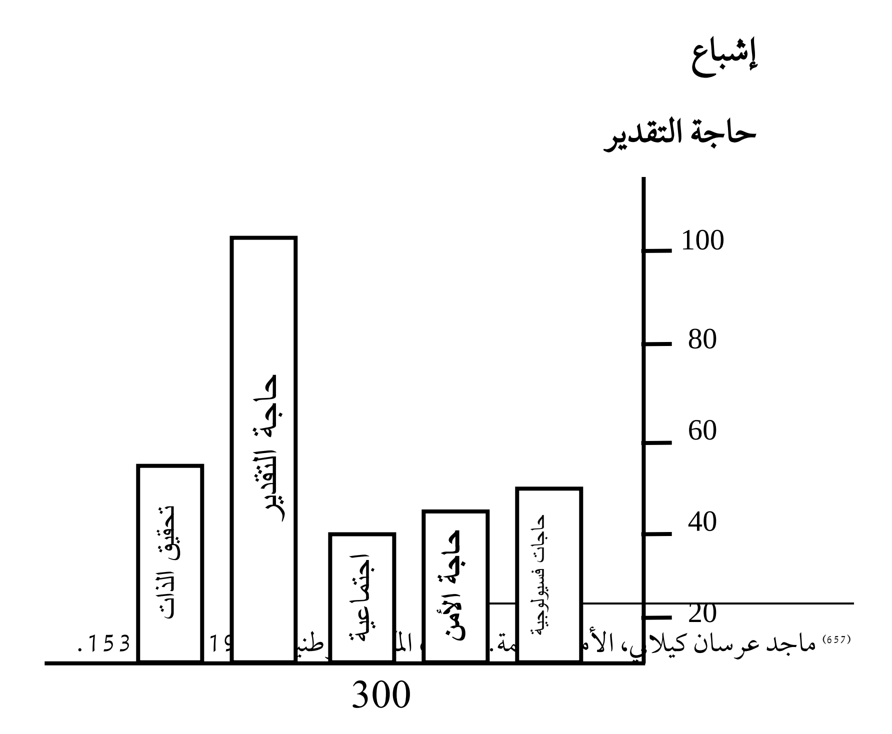
ويتعلق بحاجز التقدير، دافعان: أحدهما دافع المكانة "Prestige" وثانيهما دافع القوة "Power".

- أما المكانة فهي دافع قد يكون فطري يولد مع الفرد، وقد يكتسب ويبحث الناس عن المكانة بطرق عدة منها المادية، ومنها ما تكتسب بالمجاهدة، ويؤثر عامل السن تأثيراً بليغاً على دافعية المكان فنجدها أكثر قوة لدى الشباب، وأقل لدى الشيوخ.

- أما القوة فهي نوعان: قوة المركز، وقوة الشخصية، وهناك أناس لا قوة لهم على الإطلاق[657]، لا قوة المركز، ولا قوة الشخصية.

إشباع

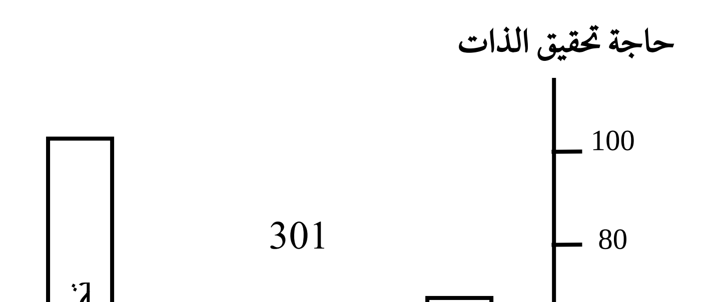
حاجة التقدير



[657] ماجد عرسان كيلاني، الأ[illegible]مة. [illegible] الم[illegible]طني[illegible] 19[illegible] 153.

5- حاجة تحقيق الـذات: "Self actualization needs". عنـدما تبلـغ الحاجـة إلى التقدير من الإشباع إلى درجة مرضية ومقبولة، فإن الفرد يبدأ بالتطلع إلى مـا يـدعم هذه الحاجة ويرسخها ويثبتها، ولذلك تصبح حاجة تحقيق ألـذات في نظـر ماسـلو أقوى دوافع سلوك الفرد، وتتربع على قمة هرم سـلم حاجاتـه، وتحقيـق ألـذات في نظر ماسلو هي رغبة الفرد في أن يصبح أكثر تميزاً من غيره، وله القدرة عـلى تحقيـق رغباته بما تسمح به إمكانياته وقدراته المتاحة.

إشباع



إن حاجة تحقيق الذات تستدعي من الفرد مضاعفة إنتاجه وبلوغه أقصى ما يستطيع من الإبداع، ويشبع الفرد هذه الحاجة بطرق شتى ومتنوعة، كل فرد حسب قدراته والميادين الحياتية التي يمكن من خلالها تحقيق هذه الحاجة، وقد حاول علماء علم النفس الإنساني بعد ماسلو بلورت هذه الحاجة من خلال دافعين اثنين: دافع الجدارة، دافع الإنجاز.

- أما الجدارة أو الكفاءة[658]، فهي تتضمن القدرة على السيطرة على عوامل البيئة الطبيعية والاجتماعية، فالناس الذين لديهم هذا الدافع لا ينتظرون حدوث الأشياء من ذاتها وإنما يريدون أن تكون لديهم الاستطاعة على تشكيل البيئة لحدوث الأشياء، وترتكز قوة الدافع وضعفه على الرصيد التاريخي للأفراد متمثلاًفي الفشل

---

[658] نفس المرجع، ص: 154.

والنجاح، أما توقعات الأفراد فيتشكل وفقاً لرصيد الخبرات السابقة فالتوقعات السلبية تضعف روح المخاطرة والمغامرة والمبادرة لدى الأفراد، مما يتيح الفرصة الكاملة للبيئة بمؤثراتها للسيطرة عليهم والتحكم بهم أكثر من محاولة تغييرها، كما أن عامل السن يلعب دور كبير في الحد من عامل الجدارة والكفاءة.

- أما الإنجاز، فقد لاحظ علماء السلوك أن القليل من الأفراد يتمتعون بحاجة قوية للإنجاز على عكس الأكثرية الذين لا يبدو أنهم مهتمون بدافع الإنجاز، وقد أثارت هذه الظاهرة اهتمام فريق من العلماء الأمريكان على رأسهم ديفيد س مكليلاند، وتوصل هذا الفريق من خلال أبحاثه إلى أن الاعتقاد بأن حاجة الإنجاز هي دافع متميز ويمكن تفريقه عن باقي الدوافع والحاجات، كما توصل هذا الفريق إلى تحديد بعض خصائص الأشخاص الذين لديهم حاجة عالية للإنجاز نذكر منها:

1 - دراسة الشيء بدقة قبل البدء فيه.

2 - اعتدال روح المخاطرة.

3 - الاهتمام بالإنجاز قبل الحوافز.

4 - قضاء وقت أكبر من التفكير بما يجب فعله.

كما يعزو بعض الكتاب والمتخصصون في علم النفس، أن الدوافع تعتمد أساساً على مفاهيم التقديم، والإدراك، والتكافؤ، ويرون أن الدوافع وفقاً لهذه المفاهيم تستند إلى أبعاد أربعة هي[659]:

[659] الهادي عبد الصمد، الإنسان والتنظيم. (رأس الخيمة، المكتب العربي للعلاقات الثقافية، 1411هـ-1991). ص: 380.

- **الجهد:** وهو بذل الوسع[660] والطاقة التي يبذلها العامل في أداء العمل، وهـذا الجهـد يختلف من شخص إلى آخر، وكذلك من عمل لآخر، لأن الجهد مرتبط بقوة الدافع أكثر من ارتباطه بالأداء.

- **الأداء:** وهو النتائج الفعلية التي ترغب المنظمات قياسها بموضوعية، وعادة ما يسبق الجهد الأداء، أما التعارض بين الجهد والأداء فقد يكون نتيجة لاختلاف قدرات الأشخاص، وسماتهم، وإدراكاتهم لأن الأداء لا يعتمد كلياً على كمية الجهد المبذولة، بل كذلك على ما يملكه العاملون من خبرات ومهارات وغيرها.

- **المكافأة:** إن المكافأة الداخلية أو الجزاء المعنوي ذات علاقة وثيقة بالرضا الوظيفي أكثر من علاقاتها بالأداء، لكن إدراك عدالة المكافأة من قبل العامل أو الموظف له تأثير حيوي إيجابي على أدائه ورضاه بالوظيفة التي يشغلها، ويمكن أن يتأثر تأثيراً مباشراً بالتقدير الذاتي للأداء.

- **الرضا:** هو أحد المتغيرات الناتجة عن مدى قصر المكافآت الفعلية لمقابلة إدراك الشخص لعدالة مستوى المكافأة، فالموظف يكون راضياً عندما تقابله المكافأة، إدراكه لعدالة المكافأة أي "توقعاته"، ويكون راض عندما تكون هذه المكافأة الفعلية أدنى من إدراكه لعدالة المكافأة.

4/3- دوافع السلوك من منظور إسلامي:

[660] الشوكاني، فتح القدير، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص: 218.

لقد أولى الفكر الغربي في دراسته للسلوك الإنساني والتنظيمي الأهمية القصوى لنظرية سلم الحاجات لعالم النفس الأمريكي أبراهام ماسلو، والتي ميز من خلالها بين سلوك الإنسان وسلوك غيره من المخلوقات، بناء على الدوافع أو الحاجات التي تعمل على توجيه السلوك الإنساني للفرد والجماعة.

ونظرا لهذه الأهمية التي حازها سلم الحاجات على غيره من النظريات أرتئى الباحث أن لا مانع من إبداء وجهة النظر الإسلامية تجاه هذه الحاجات، موضحاً أوجه الاختلاف في ذلك بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي.

1-الحاجات الفسيولوجية: أول ما يميز الفكر الإسلامي عن الفكر الغربي هو فهم طبيعة الإنسان، فالإنسان في نظر الإسلام هو قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[661]، فالإنسان قبضة من طين تمثل الجسد وما يحويه من أعضاء، وقد أثبت العلم الحديث أن جسم الإنسان مكون من نفس العناصر التي تتكون منها تربة الأرض، ونفخة من روح الله، تتمثل في الجانب الروحي للإنسان وما يحتويه من وعي، وإدراك، وإرادة، تتمثل في جميع القيم والمبادئ والمعنويات التي يعتقدها الإنسان ويمارسها، هذه الطبيعة المزدوجة لا تعني أن كيان الإنسان مقسم إلى قسمين، يعمل كل منهما بمعزل عن الآخر، فالنفخة العلوية ليس لها أي دور أو قيمة ما لم تسري في هذا الجسد الطيني، وكذلك الجسد ليس له أي قيمة إذا جرد من هذه الروح، فالعنصران ممتزجان مترابطان ترابطاً كاملاً مكونان كياناً موحداً يوفق بين متطلبات الجسد ومتطلبات الروح، ولا يجوز تغليب أحدهما على الآخر لئلا

[661] سورة ص، الآيتان:71-72.

يحدث خلل وعدم توازن تنجر عنه أضرار مادية ومعنوية، أما الفكر الغربي على العكس من ذلك، فينظر إلى الإنسان من جانبه المادي المحسوس، أما الجانب المعنوي الروحي فلا مكان له في نطاق هذا الفكر، وهذا هو أساس الاختلاف بين المفكرين.

فالحاجات الفسيولوجية هي حاجات ضرورية من وجهة نظر الإسلام وهذا راجع إلى طبيعة خلق الإنسان وتكوينه المادي والروحي، وإذا كان للجانب الروحي نصيب من سلوك الإنسان فلابد للجانب المادي ما يحقق التوازن في هذا السلوك، على عكس الفكر الغربي الذي يعطي كامل الحق للجانب المادي دون اعتبار للجانب الروحي، ولقد وجه الإسلام من خلال تعاليمه للإنسان إلى السعي لإشباع حاجاته الفسيولوجية الضرورية، وعد ذلك أيضاً عبادة، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[662]، و قال أيضا: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[663]، من خلال هاتين الآيتين نتبين أن إشباع الحاجات الفسيولوجية لدى الإنسان أمر مقبول شرعاً بل مطلوب، وهذا ما أكده علماء الأصول لما حددوا الكليات التي بنيت عليها الشريعة الإسلامية استنباطاً من النصوص الشرعية قرآناً وسنة، فكانت المحافظة على النفس من حيث إيجادها و المحافظة عليها من العدم هي الكلية الثانية بعد كلية الدين من حيث الأهمية، وقد حث الإسلام المسلم على إشباع حاجاته الفسيولوجية للمحافظة على النفس من جانب الوجود فأحل جميع الطيبات التي بها قوام الجسد من مأكل، وملبس، ومسكن، وكل ما يوفر أسباب الراحة، وحرم جميع

[662] سورة آل عمران، الآية: 14.

[663] سورة الكهف، الآية: 46.

الخبائث التي من شأنها تعطيل قدرات النفس أو إتلافها، أو جزء منها، احتراما وتقديراً وتكريماً لهذه النفس التي كلفت بحمل أمانة السماوات والأرض، زيادة على ذلك فقد أباح الشرع _ محافظة على النفس_ تجاوز حدود المحرم إذا كان في ذلك ما يشبع حاجة من حاجات الإنسان التي بها إيجاد النفس و المحافظة عليها، ففي الحاجة الفسيولوجية مثلاًأباح الشرع أكل لحم الميتة أو لحم الخنزير رغم حرمتهما إذا كان في ذلك ضرورة ملحة لإشباع حاجة فسيولوجية، أو شرب الخمر وغيرها، إلا أن الإسلام لم يترك الأمر دون ضوابط وقيود فوضع ما يسمى بالقواعد الفقهية التي تنص على أن "الضرورات تبيح المحظورات"[664]، كما أنه لم يترك هذه القاعدة تعمل بإطلاق فضبطت هذه الضرورة بقاعدة فرعية أخرى تنص على أن "الضرورة تقدر بقدرها"[665].

فالاهتمام الشرعي بالحاجات الفسيولوجية للإنسان من وجهة النظر الإسلامية لم يجعله على حساب الحاجات الروحية، بل طالب الفرد بالموازنة بين الجانب المادي والجانب الروحي وذلك بنص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[666]، وورد في الأثر عن ابن عمر رضي الله

[664] محمد عميم الإحسان المجددي، قواعد الفقه، الجزء الأول. (الطبعة الأولى، كرا تشي، الصدق ببلشرز، 1407هـ، 1986). ص:89.

[665] عبد القادر بن بدران، المدخل لابن بدران، الجزء الأول. (الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1401هـ). ص: 298.

[666] سورة القصص، الآية: 77.

عنهما أنه قال: (**احرث لـدنياك كأنـك تعـيش أبـداً وأعمـل لأخرتـك كأنـك تمـوت غداً**)[667].

والإسلام رغم اهتمامه وحثه على إشباع الحاجات الفسيولوجية للإنسان إبقاء ومحافظة على النوع البشري والحياة الإنسانية عموماً، لم يعتبر أن هذه الحاجات هي الأصل في توجيه السلوك الإنساني، والمسيطرة عليه في حالة نقصها كما تفترض نظرية سلم الحاجات، وكما هو سائد على مستوى الفكر الغربي، بل التاريخ الإسلامي يعطي الدليل القاطع على عدم صحة هذه النظرية بإطلاق رغم ما قدمته من معالم هامة على طريق التعامل مع أعضاء التنظيمات الإدارية، من خلال التمييز بين الحاجات الجسدية والحاجات النفسية والاجتماعية، ففي حالة نقص إشباع هذه الحاجات أو حتى في حالة إشباعها فلا تعد في نظر الإسلام هي الموجه الرئيسي للسلوك، بل هناك عنصر الإيمان الذي يعتبر أهم وأقوى موجه للسلوك الإنساني، فالتاريخ الإسلامي يروي لنا مواقف كثيرة لا يمكن حصرها تبين قوة الإيمان في صياغة السلوك الإنساني والتحكم فيه وتوجيهه، فعلى سبيل المثال موقف الصحابي الجليل بلال بن رباح رضي الله عنه ورغم منع كفار قريش له من إشباع حاجاته الفسيولوجية، بل تعدى الأمر إلى حاجة الأمن، فلم يضطره ذلك إلى أن يغير في سلوكه نظراً لقوة إيمانه، وكذلك الحال بالنسبة إلى آل ياسر رضي الله عنهم، وغيرهم من الصحابة كخباب، وصهيب وغيرهم كثير، هذه النماذج الواقعية من حياة الصحابة أسقطت فكرة أن الحاجات الفسيولوجية هي الموجه الرئيسي للسلوك ولا يمكن اعتبارها بالضرورة في المرتبة الأولى في سلم حاجات أو دوافع السلوك عكس الفكر الغربي، فالإسلام يعتبر الحاجة للإيمان تمثل الدرجة الأولى في سلم حاجات الأفراد وبدون الإيمان يصبح إشباع الحاجات الأخرى

---

[667] الإمام القرطبي، مرجع سبق ذكره، الجزء الثالث عشر. ص:314.

غير موجه الوجهة الصحيحة، هذا مما أدى بالعلماء المسلمين من خلال استقراء النصوص الشرعية ترتيب مصالح الخلق كما قال الإمام الغزالي، هو أن يحفظ لهم دينهم، ونفوسهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم، فرتب الشرع من حيث الإشباع حاجة الدين أولاً ثم الحاجات الأخرى.

2-حاجات الأمن: تتمثل حاجات الأمن كما تحددها نظرية الحاجات لماسلو في حاجة الفرد أن يحمي نفسه من مخاطر الحاضر والمستقبل ثم ضمان عدم انقطاع مصدر الرزق، والحاجة إلى الأمن على العيش في حالة المرض، أو العجز أو بلوغ سن التقاعد وغيرها وتأتي حاجة الأمن في المرتبة الثانية بعد الحاجات الفسيولوجية، وإشباع هذه الحاجة يعتبر مطلب من المطالب التي أكد الإسلام على إشباعها، وعدها غاية من غاياته الواجب تحقيقها، وذلك ما أكدته النصوص القرآنية الكثيرة كقوله تعالى: ﴿لِإِيلافِ قُرَيْشٍ، إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[668].

والإسلام لا يقتصر في طلبه لتوفير الأمن على الحاجات الفسيولوجية فقط، بل تعدى ذلك إلى وجوب توفير الأمن على النفس، وعلى الأهل، وعلى العرض، وعلى المال- كما تبين سابقاً في ترتيب كليات الشرع الخمسة من حيث وجودها والمحافظة عليها من العدم – على أن يتوفر الأمن لجميع الناس بغض النظر عن اختلافهم من حيث الجنس، أو الاتجاه السياسي، أو الانتماء القومي، أو اللون، وحتى الانتماء العقائدي أو ألعقيدي، فنظام الزكاة والصدقات ضمن للفرد المسلم الأمن الغذائي خاصة وتوابعه، من مسكن وملبس وراحلة وغيرها، وتمثل هذا الضمان في قوله تعالى:

---

[668] سورة قريش.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[669]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[670].

ومن الطرق التي حث الشرع على التمسك بها لتحقيق الحاجة إلى الأمن، التمسك بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ والإيمان بما جاء به من أوامر وجب إتباعها، ونواهي وجب اجتنابها، لقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[671]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[672].

3-**الحاجات الاجتماعية:** الإنسان مدني بطبعه كما يقول ابن خلدون، ولذلك فالاجتماع الإنساني ضروري وقد أكد الإسلام هذه الضرورة، إلا أنه اشترط في هذا الاجتماع شروط وضوابط، كالمحبة والترابط والتعاون على الخير وغير ذلك جميع هذه الضوابط لابد أن تخضع لضابط الإيمان الذي يعتبره الإسلام حجر الأساس في توجيه

---

[669] سورة التوبة، الآية: 60.

[670] سورة البقرة، الآية: 177.

[671] سورة النحل، الآية: 112.

[672] سورة الأعراف، الآية: 96.

السلوك الإنساني، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[673]، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[674]، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[675]، من خلال هذه الآيات يتضح أن إشباع الحاجة الاجتماعية أو الحاجة إلى الانتماء لا يكون إلا عن طريق الجماعة، فالإسلام باعتباره دين الأمة ودين المجتمع، لا دين الأفراد، حث على العيش في جماعة متماسكة مترابطة برباط الإيمان والعقيدة الذي هو أقوى رباط يحافظ على تماسكها، وأقوى الدوافع للقيام بدورها في تكوين الأمة، قال ﷺ: (**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره**)[676]، كما يعتبر الإسلام الخروج عن الجماعة ردة عن الدين، قال ﷺ: (**من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبرا مات ميتة جاهلية**)[677]، كما اعتبر أن من أسباب ضياع الأفراد في هذه الحياة هو الخروج كذلك عن الجماعة وعدم الانتماء، قال ﷺ: (**ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية**)[678].

---

[673] سورة الحجرات، الآية: 10.

[674] سورة الأنفال، الآية: 46.

[675] سورة التوبة، الآية:71.

[676] الإمام النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، الجزء السادس عشر، مرجع سبق ذكره. ص: 120.

[677] الإمام الشوكاني، الدراري المضيئة، الجزء الأول. (بيروت، دار الجيل، 1407هـ، 1987). ص: 506.

[678] ابن كثير، تفسير ابن كثير، الجزء الثاني، مرجع سبق ذكره. ص:341.

4-حاجات التقدير والاحترام: تتمثل في حاجة الفرد أن يشعر بأنه يؤدي عملا ذا فائدة، وأن يشعر بأنه قادر على تحمل المسؤولية التي توكل إليه، كما أن حاجة التقدير والاحترام تشبع حاجة الفرد إلى الاستقلال، ونظرة الإسلام إلى إشباع حاجة التقدير والاحترام لا تتعارض مع تحقيق هذه الحاجة، لكن وفق ضوابط شرعية تنفي على المسلم عوامل الكبر والعجب و إنما في تواضع، كما أن هناك عنصر الإيمان الذي يزيد من إشباع حاجة التقدير والاحترام، احترام الإنسان لنفسه واحترام الغير له، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[679]، و قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[680]، من خلال الآيتين السابقتين يمكن التأكيد على أن احترام الذات واكتساب التقدير لا يتأتى إلا عن طريق الإيمان بالله والالتزام بمنهجه أمرا ونهيا، أما الاحترام المغشوش بإغراء المال وشراء الذمم فمآل أصحابه الهلاك في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[681].

5-حاجة تحقيق الذات:-يحقق الفرد ذاته من خلال إتاحة له الفرصة لإظهار قدراته في المجالات التي يرغبها دون إكراه، ولا يجعله العمل يشعر بالملل وعدم الأهمية، وهذا

---

[679] سورة المجادلة، الآية: 11.

[680] سورة الحجرات، الآية: 11.

[681] سورة الرعد، الآية: 17.

أمر يحث عليه الإسلام فقد ورد في الأثر عنه ﷺ :**(كل ميسر لما خلق له)**[682]، كما أن الفرد يمكن أن يحقق ذاته من خلال المشاركة في صنع القرار، فالمسلم يعمل لأن العمل في نظر الإسلام عبادة قال ﷺ :**(من بات كالا من عمل يده بات مغفورا له)**[683]، فهذا الحديث يبين أن المسلم لا يعيب العمل أي عمل، لارتباطه بالعبادة وتحقيقا للذات.

وهناك وجهة نظر إسلامية أخرى اتجاه سلم الحاجات مستخلصة من نصوص القرآن الكريم، وما أكثرها لمن أراد البحث والتنقيب في الذخائر والمكنونات التي يزخر بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كذلك إجتهادات علماء وفقهاء الإسلام من خلال دراستهم النصوص القرآنية، وقد اعتمدت هذه النظرة على آيتين من سورة الأنفال، يقول فيهما المولى تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[684]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[685]، فهاتين الآيتين حوتا ما يصطلح عليه اليوم وحسب نظرية ماسلو، سلم الحاجات أو الدوافع، التي تعتبر الموجه الرئيسي للسلوك فردي كان أم تنظيمي، وقد ضرب جيل الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في تمثل هذه الدوافع، عكس نظرة الفكر الغربي لهذه الحاجات، فكانت تضحية الرعيل الأول من الصحابة بالحاجات الفسيولوجية، وحاجات الأمن في مقابل الارتقاء إلى حاجة تحقيق الذات، إلا أن هذا الجيل يبقى الجيل القدوة الغير قابل للتكرار بنفس

---

[682] الإمام مسلم، صحيح مسلم، الجزء الرابع، مرجع سبق ذكره. ص: 2041.

[683] الإمام العسقلاني، فتح الباري، الجزء الرابع، مرجع سبق ذكره. ص:306.

[684] سورة الأنفال، الآية: 72.

[685] نفس السورة، الآية: 47.

المواصفات حسب تقرير القرآن نفسه والذي نص على ذلك بصراحة في سورة الواقعة،قال تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾[686].

1 - **عنصر الإيواء**: يحقق للفرد الحاجات الأساسية الفسيولوجية، وهو يركز على وجوب انتفاع الأمة بمصادر ثروتها، وتدعيم وترسيخ قيم الاستقرار المادي والنفسي، من سكن وزواج وتنمية مهارات العمل، وحسن الانتفاع بجميع خيرات الأرض وغيرها.

2 - **عنصر النصرة**: يحقق للفرد والأمة حاجات الأمن، وهو يركز على وجوب الإئتمار بأوامر الله، والانتهاء عما نهى عنه، وتحصين إنسان الأمة من جميع دواعي التفتت والتشرذم والانحلال، من غيبة، ونميمة، وكذب، واضطهاد، ونفي، وكل ما من شأنه أن يفت من عضد الأمة، ويشتت طاقاتها التي وجب استغلالها الاستغلال الأمثل، لتحقيق المبتغى الذي أخرجت من أجله، كما يحقق عنصر النصرة الحاجة للتقدير من خلال تركيزه على كرامة الإنسان وحرمته و حرمة الاعتداء على حقوقه المادية والمعنوية، ونصرة العدل وقيمه على الظلم.

3 - **عنصر الإيمان**: يحقق الحاجة للانتماء من خلال التركيز على هوية المؤمن و ثقافته التي تميزه عن غيره.

4 - **عنصر الجهاد**: يحقق الحاجة لتحقيق الذات، ومجال الذات مجال واسع فتح من خلاله الإسلام الباب واسعاً أمام الفرد المسلم على مستوى الكرة الأرضية لتحقيق ذاته عن طريق إثبات جدارته في حمل رسالة الإسلام، رسالة تحمل في مضمونها فكرة واحدة، فكرة حب الخير، وكره الشر، ورسالة الأمر بالمعروف

---

[686] سورة الواقعة، الآيتان: 13-14.

والنهي عن المنكر، كما فسح عنصر الجهاد المجال واسعاً أمام الفرد المسلم، والأمة المسلمة، لإثبات جدارتها على الإنجاز من خلال تمثيل وتجسيد مبادئ هذه الرسالة في سلوك الفرد وسلوك الأمة، اعتقاداً وممارسة.

5 - **عنصر الهجرة**: هذا العنصر يجعل لسلم الحاجات الإنسانية ميزة خاصة في نظر الإسلام، وهي قابلية الهجرة من التطبيقات الخاطئة لهذه الحاجات، إلى تطبيقات تتفق مع متطلبات الزمان والمكان، وتتفق أيضا مع الفطرة الإنسانية.

الملاحظ على سلم الحاجات التي تحث الأصول الإسلامية على إشباعها، أنها تتوافق مع الأصول العقدية للأمة، والقيم الأخلاقية، فالآيات القرآنية تبين لنا تصنيفين لتطبيقات هذه الحاجات منها الصائب ومنها الخاطئ، يقول الحق جل وعلا: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ، رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[687]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[688]، فالدعاء من أجل إشباع حاجات الأمن، والثمرات والتقدير والاحترام من إبراهيم عليه السلام من أهم الوسائل التي تعين أبناءه على عبادة الله من خلال إقامة الصلاة، التي هي دليل شكر هذه النعم، ففي نظر الإسلام فإشباع حاجات الإنسان لابد أن يقابل بالشكر المتمثل في طاعة الله وعدم معصيته، عكس ذلك نجد في الفكر الغربي الذي يطرح سلم الحاجات خالياً ومجرداً من أي أثر للعقائد، سواء كانت هذه العقائد وضعية أم سماوية، مثله في ذلك مثل العلوم التجريبية البحتة،

[687] سورة إبراهيم، الآيتان: 35-36.

[688] سورة البقرة، الآية: 126.

كالرياضيات والأحياء وغيرها، وهذا راجع إلى طبيعة الفكر الغربي الذي لا يـؤمن إلا بالأشياء المحسوسة لا الغيبية الميتافيزيقية، مما يجعل تطبيقات نظرية سـلم الحاجـات لا تبالي إن كانت هذه التطبيقات لنصرة الخير أم لتعزيز وتدعيم مكانة الشر، وهذا ما أدى إلى وجود فوارق واضحة بين تطبيقـات سـلم الحاجـات في كـلي الفكـرين الإسـلامي والغربي، و يمكن التطرق إلى أهم الاختلافـات أو الفـوارق بـين الفكـرين في النقـاط التالية:

أولاً: توفير ما يتم به إشباع الحاجـات الفسـيولوجية للنـوع البشرـي في نظـر الإسلام، في مقابل توفيرها لنوع معين من الناس في نظر الفكر الغربي، هذا ما يلاحـظ في الفوارق الموجودة بين سكان الشمال وسكان الجنوب على المستوى المعيشي، و يدعم وجهة النظر الإسلامية ما دلت عليه نصوص القرآن الكريم، أن تـوفير حاجـة الطعـام والأمن الغذائي مكفول لجميع بني البشر مـؤمنهم وكـافرهم، فلـما كـان دعـاء سـيدنا إبراهيم عليه السلام في توفير الأمن الغذائي مقصوراً عـلى المـؤمنين فقـط، جـاء الـرد الإلهي أن الأمر عام في هذه الحياة الدنيا بين جميع البشر دون تميز بين مؤمن و كافر، قال تعالى: " أما من كفر فأمتعه قليلاً" أي: متعـه في الحيـاة الـدنيا نظـراً لقصرـها بالمقارنـة بالآخرة، ولذلك حرمت الشريعة الإسلامية العبث والمساس بحاجات الناس الغذائية والأمنية لأي سبب من الأسباب، عقائدية كانت أم سياسية أم ثقافية، وقد بين التاريخ الإسلامي صوراً رائعة من حياة أهل الكتـاب أو أهـل الذمـة في دولـة الإسـلام، فـلا مصادرة، ولا قطع لموارد العيش، ولا إيقاف عن العمـل، ولا اعتـداء عـلى الحريـات. والقرآن الكريم يضم العديد من النصوص التي تمنع الإكراه في إتباع تعاليمه والدخول فيه، ورد تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ

لا تُظْلَمُونَ﴾[689]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:كان أناس من الأنصار لهم نسب و قرابة من قريضة و النضير، كانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم، و يريدونهم أن يسلموا فنزلت "ليس عليك هداهم[690]".

أما الفكر الغربي فيقصر توفير ما يشبع الحاجات الفسيولوجية على جنس معين، وهم من لهم حق المواطنة دون غيرهم ولأسباب اقتصادية كتحسين ظروف العمل وغزارة الإنتاج.

ثانياً: تأمين وتوفير الأمن والاحترام والتقدير للنوع البشري كله من وجهة نظر الإسلام – في مقابل – توفير الأمن والاحترام والتقدير لجنس معين من النوع البشري من وجهة نظر الفكر الغربي.

فقد قرر القرآن الكريم صفة التكريم لجميع البشر دون تمييز، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[691]"، والعلاقة التي تربط بين المؤمن وغير المؤمن في المجتمع المسلم هي علاقة العهد، التي تجسد الاحترام المتبادل والتقدير، مما جعل أهل الذمة يحظون بالاحترام في المجتمع المسلم خلاف المجتمعات الأخرى، يقول أحد المؤرخين الغربيين عن سماحة الإسلام واحترام كرامة الفرد وحريته في ممارسة شعائره دون إكراه في الدخول في الإسلام، حيث يقول: نستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي

[689]سورة البقرة، الآية: 272.

[690] الإمام الطبري، الجزء الخامس، مرجع سبق ذكره. ص:

[691]سورة الإسراء، الآية:70.

اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح[692].

أما تطبيق سلم الحاجات في الفكر الغربي مقتصر على توفير الحاجة للاحترام على جنس معين من البشر ميزته باسم المواطنة والأكثرية، وتقررت درجة الاحترام والتقدير بناء على هذين العنصرين، كذلك قصرت حاجة الأمن والاحترام والتقدير على المواطنين الأغلبية أما غير المواطنين الأقلية فليس لهم الحظ في حاجة الأمن و الاحترام و التقدير، ولم يقتصر هذا الإجحاف في حق الأقلية من غير المواطنين داخل الأقطار الغربية، بل تعداها إلى أقطارهم هم كما هو الحال في معظم دول العالم الثالث وخاصة المسلمين فمعظم دول أفريقيا تعاني من انعدام الإمكانيات لإشباع الحاجات الفسيولوجية مع أن الفائض من القمح الأمريكي يلقى للأسماك في البحار كذلك انعدام الأمن بالجملة أما في العالم الإسلامي فما نعيشه يومياً في فلسطين، والعراق والشيشان، وأفغانستان والقائمة تطول، ولا يمكن تجاهل الآثار السلبية لهذه الأوضاع على التنظيمات الإدارية بصفة خاصة.

ثالثاً: أما الحاجة للانتماء أو الحاجات الاجتماعية فالتطبيقات الإسلامية بينت أن الإسلام أعطى الحق للإنسان أن يبلور هويته وشخصيته من خلال عنصر الإيمان دون النظر إلى عوامل المولد والوطن واللغة واللون وغيرها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[693]، أما المجتمعات الحديثة التي تهتدي بنظريات علم النفس

---

[692] محمود الباجي، مثل عليا من خلق الإسلام.(تونس، الشركة التونسية للنشر و التوزيع، بدون تاريخ). ص:36.

[693] سورة الحجرات، الآية: 13.

فقد أصبغت هذه الحاجات بصبغة مادية وقصرت الانتماء على جنس معين ميزته بمميزات اللون والجنس، والتقدم الاقتصادي والتكنولوجي، واعتبرته هو أفضل الأجناس تحضراً وتقدماً.

رابعاً: تأمين الحاجة لتحقيق الذات نجدها في التطبيقات الإسلامية عامة تشمل النوع البشري برمته من خلال إثبات جدارتهم وقدرتهم على الإبداع الفكري والنفسي في، مقابل قصر هذه الحاجة على جنس معين تميز على غيره من الأجناس بميزات وسبق وأن ذكرت، وخاصة ميزة التقدم الاقتصادي، والتكنولوجي، كما ضيق مجال إثبات الجدارة والتفوق، على الميادين المادية وعلى مرحلة الحياة الدنيا، أي على علوم الوسائل دون علم الغايات[694] كما يقال.

والخلاصة التي وصل إليها الباحث من خلال كل ما تم توضيحه هو أن جوهر الخلاف بين نظرة الإسلام لنظرية سلم الحاجات الإنسانية وتطبيقاتها، وبين نظرة علم النفس الحديث، هو أن نظرية ماسلو جاءت تطبيقاتها خالية من أي أثر للعقيدة في هذه الحاجات، وهذا راجع إلى طبيعة الفكر الغربي، الذي يغلب عليه الطابع الإلحادي اللاديني، الذي لا يؤمن إلا بالمحسوسات دون الغيبيات، مما جعل هذه النظرية تركز على الجانب المادي وهذا يتعارض صراحة مع طبيعة تكوين الإنسان، على عكس النظرة الإسلامية التي توازن بين الجانب المادي والجانب الروحي المعنوي في إشباع هذه الحاجات مراعية في ذلك حقيقة تكوين الإنسان من جسد مادي وروح فلا يمكن تغليب جانب على الآخر وإلا وقع خلل لا يمكن تجنب آثاره السلبية على الأفراد والجماعات وعلى التنظيمات الإدارية.

---

[694] يمكن الرجوع إلى كتاب أهداف التربية الإسلامية، للدكتور ماجد عرسان، الطبعة الثالثة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997.

المطلب الرابع:الاتجاهات

1\4=تعريف الاتجاه:

كلمة اتجاه مشتقة من اللفظة اللاتينية "Pants" التي تشير في مضمونها إلى المواءمة والاستعداد العقلي الذاتي للقيام بعمل ما.

- ويعرفه بروبا "PRObA " [انه استعداد عقلي للكائن الإنساني للسلوك ضد أوفى صالح موضوع ما[695].

- ويعرف البورت "G.W.ALLPORT " الاتجاهات بأنها:" حالة من الاستعداد والتأهب العصبي والنفسي تنظم من خلال خبرة الفرد، وتكون ذات تأثير توجيهي، أو ديناميكي على استجابته لجميع الموضوعات التي تستثير هذه الاستجابة"[696].

- يعرفه آخرون بأنه:" تنظيم مكتسب لصفة الثبات والاستقرار النسبي للمعتقدات التي يعتقدها الفرد نحو موقف، أو موضوع، أو أشخاص، أو أشياء، أو رموز في البيئة التي تستثير هذه الاستجابة[697].

- أما "نيو كمب فيعرف الاتجاهات من وجهة نظر معرفية وسيكولوجية فيقول:" يمثل الاتجاه من وجه النظر المعرفية تنظيماً لمعارف ذات ارتباطات موجبة أو سالبة، ومن وجهة نظر الدافعية فهو عبارة عن حالة من الاستعداد لاستثارة

---

[695] محمد جلال شرف، و عبد الرحمان العيسوي، سيكولوجيا الحياة الروحية في الإسلام و المسيحية. (الإسكندرية، منشأة المعارف، 1972). ص:147.

[696] مصطفى سويف، مرجع سبق ذكره. ص:317.

[697] إبراهيم القاعود، الدراسات الاجتماعية مناهجها، أساليبها، تطبيقاتها.(الطبعة الأولى، أربد، دار الأمل للنشر و التوزيع، 1991). ص:65.

الدافع باتجاه المرء نحو موضوع معين، وهذا الاستعداد يتأثر بخبرة المرء ومعارفه السابقة حول هذا الموضوع سلباً أو إيجاباً[698].

- كما أنه يعرف على أنه: استجابة ملازمة لموضوع معين، أو حالة، أو قيمة ما، ويكون ذلك مصحوباً بالأحاسيس والعواطف، أو هو استجابة مكتسبة، انفعالية لمنبه أو مثير معين.

- وقد عرفه بوجاردس بأنه:" الميل للسلوك ضد أو اتجاه بعض العوامل البيئية التي تصبح لذلك قيماً سلبية أو إيجابية، في حين استعمل مضفر شريف الكلمة ليشير إلى العنصر الأساسي المنشيء اجتماعياً في الإنسان، أي: يعتبر هو الكون الأصلي للأنا[699].

2\4=خصائص الاتجاهات:

من خلال مجموعة التعاريف التي تم اختيارها لتوضيح مفهوم مصطلح اتجاه، يمكن استخلاص الخصائص التالية:

1- أن الاتجاهات مكتسبة وتتم من خلال تفاعل مع عناصر بيئية وليست وراثية.

4 - إن الاتجاهات ترتبط بمثيرات ومواقف اجتماعية، ويشترك في تكوينها عدد من الأفراد والجماعات.

5 - أن الاتجاهات لا تنشأ من فراغ بل نتيجة لعلاقة تفاعلية بين الفرد وموضوع، أو موقف من مواقف بيئته.

6 - لابد للاتجاهات من موضوع محدد.

---

[698] نفس المرجع. ص:66.

[699] أ. براون، علم النفس الاجتماعي في الصناعة. (القاهرة، دار المعارف بمصر، 1960). ص:177.

7 - الاتجاهات متعددة ومختلفة، وليست روتينية، بل يجب أن تثير بعض الانفعالات لدى صاحب الاتجاه حسب نوع المثيرات التي ترتبط بها.

8 - الاتجاهات لها خصائص انفعالية.

9 - أكثر استمرارية من الدوافع، وأقل ثباتاً من القيم.

10 - لها خاصية توضيح العلاقة بين الفرد وموضوع الاتجاه.

11 - الاتجاهات قد تكون محددة، وقد تكون عامة (معممة).

12 - وقوعها بين طرفين متناقضين أحدهما موجب وهو التأكيد المطلق، والآخر سالب وهو الرفض المطلق.

13 - يمكن الاستدلال عليها من ملاحظة السلوك نحو موضوع معين.

14 - غلبة الصفة الذاتية أكثر من الموضوعية من حيث محتواه.

15 - تتفاوت في وضوحها وجلائها، فمنها الواضح الجلي، ومنها ما هو غامض.

16 - تتصف بالثبات والاستقرار النسبي ولها قابلية التعديل والتغيير.

17 - الاتجاه قد يكون قوياً وقد يكون ضعيفاً.

18 - الاتجاهات مزيج من المكونات المعرفية (المفاهيم والمعارف والخبرات والمبادئ، المرتبطة بالاتجاه) والمكونات الانفعالية (الحب – الكراهية، مع أو ضد) والمكونات السلوكية (الطريقة التي ينبغي أن يسلكها المرء اتجاه موضوع ما).

19 - المكون الانفعالي هو أقوى مكونات الاتجاه، لأنه يتضمن الجانب التفضيلي.

20 - قابلية الاتجاهات للقياس والتقويم، إذ تحتاج إلى أدوات مناسبة لقياسها لفظياً أو سلوكياً.

21 - يجب أن ترجع الاتجاهات إلى التجربة التي مر بها الفرد.

3\4- طبعة الاتجاهات:

تتحدد طبيعة الاتجاهات بخمسة أبعاد رئيسية هي: التطرف، المحتوى، الوضوح، الانعزال، والقوة[700].

1- **التطرف:** يقصد به حظ الاتجاه من الإيجابية والسلبية، أو بدرجة قربه من التطرف الإيجابي، وبعده عن السلبي والعكس، ومثال ذلك أن الفرد قد يكون مؤيداً التأييد التام في اتجاهه نحو اللامركزية، ثم محايداً فيما يتعلق بمسألة زيادة تعريفة النقل وهكذا، فتطرف الاتجاه إذن هو موقع الاتجاه بين طرفين متقابلين متضادين هما التأييد التام والمعارضة المطلقة، والأول إيجابي والثاني سلبي كما هو واضح.

2- **المضمون أو المحتوى المعرفي:** ويقصد به درجة اتضاح معناه عند الأفراد أو أصحاب الاتجاه، ومثال ذلك أن مجموعة من الناس قد يشهدون بألسنتهم أنهم يؤيدون الديموقراطية سياسياً، أو تحرير السوق اقتصادياً، بكل ما يملكون من وسائل التأييد، ثم نجد لكل فرد منهم مفهومه الخاص به عن هذه الموضوعات، ولذلك كثيراً ما يقال أن موضوع الاتجاه قليلاًما يكون هو بعينه لدى جميع الناس.

[700] أحمد عبد العزيز سلامة، وعبد السلام عبد الغفار، علم النفس الاجتماعي. (القاهرة، دار النهضة العربية، بدون تاريخ). ص: 117-119.

إن الاستجابة التي يقوم بها الفرد حين يعلن تأييده أو معارضته لموضوع من الموضوعات، إنما هي استجابة لأمر ذاتي هو مفهوم الفرد عن موضوع الاتجاه ولا الموضوع عينه، وبالصورة الموضوعية له، وهذا الأمر لا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا ونحن نقيس – والكلام لصاحب الكتاب- اتجاهات الناس نحو الموضوعات المختلفة.

3- **وضوح المعالم:** يقصد بوضوح المعالم أن الاتجاهات تتفاوت في وضوحها وجلائها، فمنها ما هو واضح المعالم، بين التفاصيل والتكوين، في حين نجد منها ما هو مائع وغامض، ومثال على ذلك.أن من الناس من يكون عنده اتجاه واضح محدد نحو حزب سياسي أو جمعية ثقافية، أو أفكار معينة، أو سلعة، إلى آخر ذلك فهو يعارضه-أي الحزب السياسي- ويعلم المآخذ والعيوب التي يعارض بسببها، في حين أن من الناس من يكون عنده اتجاه موجب، أي اتجاه التأييد نحو العلوم الطبيعية، أو العلوم الشرعية، أو الإنسانية، دون أن يكون لديه مفهوم واضح عن هذه العلوم، ولا القدرة على أن يميز بين الجوانب النظرية والتطبيقية فيها، ولا بين علم وآخر فيها أيضاً، وكل ما هنالك أنه يؤيد هذه العلوم على أنها ذات نفع وقيمة للإنسانية.

4- **الانعزال:** تختلف الاتجاهات من حيث درجة ترابطها ومقدار التكامل بين بعضها البعض، فقد يكون اتجاه الفرد نحو أي من العلوم، طبيعية أم شرعية، أم إنسانية، اتجاهاً منعزلاً عن غيره من الاتجاهات، فلا تفاعل بين اتجاهه نحو أي من هذه العلوم وبين باقي العلوم الأخرى، في حين نجد أن اتجاه الفرد نحو مثلاًالتدين يحتل مركزاً متوسطاً بين سائر اتجاهات الفرد الأخرى، بحيث نجد كثيراً من الاتجاهات الأخرى مرتبطة به ومتوقفة عليه تتأثر أو تهتز إذا صوب الاتجاه نحو الدين أو التدين تأثراً واهتزازاً، ولهذا يمكن القول أن الاتجاه نحو التدين اتجاه مركزي

متوسط، في حين أن الاتجاه نحو هذا النوع أو ذاك من السلع الإستهلاكية، أو العطور، أو اللباس، اتجاه منعزل سطحي.

5- القوة: من الاتجاهات ما يبقى قوياً على مر الزمن رغم ما يقابل الفرد من شواهد ودلائل تدعو إلى التخلي عنه وإسقاطه كاتجاه البعض في التمسك بالشيوعية، أو اللائكية العلمانية وغيرها، في مقابل هذه الاتجاهات القوية هناك اتجاهات ضعيفة تتغير وتتحول تحت وطأة العناء والشدائد والصعوبات، والاتجاه يميل إلى القوة كلما كانت له قيمة أكبر، وأهمية أكثر في تكوين شخصية الفرد، وفي معتقدات القوم الذين ينتمي إليهم الفرد، وهذا يؤدي إلى الكلام عن الوظائف التي يقوم بها الاتجاه في حياة الفرد.

4\4- وظائف الاتجاهات:

تخدم الاتجاهات وظائف عدة فهي تيسر للإنسان القدرة على التعامل مع المواقف السيكولوجية المتعددة على نحو مطرد ومتسق، يجمع ما لديه من خبرات متنوعة في كل واحد منتظم، وللاتجاهات فضل على هذه الوظيفة التنظيمية، فضل مساعدة الإنسان على أن يبلغ أهدافه المحددة النوعية، وعلى أن يدافع عن فكرته، وعن نفسه من انتقادات الآخرين، ويمكن تلخيص وظائف الاتجاهات في ثلاثة رئيسية هي:

1-الاتجاهات وتحقيق الأهداف الشخصية: كثيراً ما يؤدي تعبير الفرد عن اتجاهاته والبوح بها إلى تحقيقه لأهدافه الاجتماعية والاقتصادية، ذلك أنه حين يعبر عن اتجاه خاص إنما يعلن انصياعه وخضوعه لما يسود مجتمعه من قيم ومعايير ومعتقدات، والمعروف أن الفرد يتعرض إلى ضغوط جماعية واجتماعية من قبل الجماعة والمجتمع للالتزام بقيمها ومعتقداتها، والأمثلة كثيرة توضح ذلك من أدنى عضو في الجماعة إلى أعلى عضو فيها..، ومن أبسط فرد في المجتمع إلى أعلى مستوى فيه، فالالتزام بقوانين

وضوابط الجماعة، والالتزام بشعاراتها واكتساب الاتجاهات المطلوبة لاعتبارها ضوابط وموجهات هادية لسلوكه، وما ينسحب عن الجماعات والتنظيمات الرسمية ينسحب كذلك على التنظيمات غير الرسمية التي تتطلب في الانتماء إليها توفر بعض الاتجاهات المعينة.

2-**الاتجاهات وتحقيق الدافع عن الذات:** كثيراً ما يعكس الاتجاه ناحية عدوانية عند الفرد، نشأت عن إحباط لدوافعه أو يعكس تبريراً نشأ عن أحاسيس بالفشل والصراع. معنى هذا أن حاجة الإنسان إلى تبرير تصرفات أو أن يجد مشجب ليعلق عليه فشله، ويلقي عليه اللوم يؤدي إلى نشأة الاتجاهات المعاكسة في الكثير من الأحيان، مثال ذلك، أن الصهيوني في فلسطين المحتلة يحس بالكراهية نحو الفلسطيني خاصة والمسلم عامة ويسعى إلى الاعتداء عليه هذا الاتجاه حسب الفكر الصهيوني لا يخالف التعاليم الصهيونية، وبهذا يدرأ عن نفسه حين يسلك هذا السلوك المعادي نحوهم مظنة مجافاة المبادئ والأخلاق السليمة والآداب العامة، ومن الدراسات التي توضح الصلة بين اتجاهات الأفراد الاجتماعية وبين أساليبهم الدفاعية، تلك الدراسات التي أجراها كلاًمن سميث، وبرونر، وهوايت، والتي أتضح منها أن أكثر أفراد الشعب الأمريكي ميالون إلى إلقاء اللوم في فشلهم على كل من عاداهم، فكانوا أكثر كراهية للاتحاد السوفيتي سابقاً، وأن روسيا في نظرهم هي السبب فيما يسود العلاقات الدولية من توتر، وما زال هذا الاتجاه سائداً حتى اليوم مع المسلمين عامة والعرب خاصة، يتحدث أحد الساسة الأمريكان عما أسماه بالتنافر المعرفي، ويقصد به التضارب بين مدركات الإنسان أو اتجاهه دون تغيير سلوكه، وقدم مثالاً يوضح ذلك من خلال سلوك المدمن للتدخين في شراهة مبرراً سلوكه هذا إذا ووجه بنتائج الأبحاث العلمية التي ترجع سرطان الرئة إلى التدخين بقوله: إن العلم لم يصل إلى

نتائج قطعية يقينية في هذا الموضوع، أي يغير اتجاهه حتى لا يقوم أي تنافر أو تضارب معرفي بين معارفه واتجاهاته وبين سلوكه وتصرفاته.

3- **الاتجاهات وتحقيق المعنى**:كثيراً ما يكتسب الإنسان وهو بصدد بحثه عن معاني للظواهر المعينة، بعض الاتجاهات الجديدة، ومثال ذلك أن الناس إذا أحسوا بالنقص في سلعة من السلع، ثم تبين لهم أن جهة ما كانت وراء هذا النقص بوسيلة أو بأخرى، ولم يقدم لهم تفنيد لهذا التفسير، ترتب على هذا أن يقوم عند الناس اتجاه التحيز ضد هذه الجهة[701].

المطلب الخامس: الشخصية.

يحتل مفهوم الشخصية في الوقت الراهن موقعاً محورياً في علم النفس، ويعد عامل اشتراك بين معظم ميادين هذا العلم، فكل ميدان من ميادين هذا العلم يتناول الشخصية من جانب من جوانبها، ومن وجهة نظر معينة، فنجد على سبيل المثال علم النفس الفسيولوجي يهتم بدراسة المستوى أو الناحية العضوية من الشخصية، أي ما يعرف باسم الجبلة، أما علم النفس الاجتماعي فيتناول الشخصية من حيث العلاقات القائمة بينها وبين الثقافة السائدة، أي محاولة إبراز القوانين التي تحكم تصرفات الكائن الحي وتحوله من كائن بشري يتمثل في مجموعة من الحاجات والرغبات البيولوجية، إلى كائن اجتماعي يخضع سلوكه لمعايير وقيم محددة، ورغم هذه الأهمية التي تحتلها الشخصية في علم النفس، إلا أن مضمونها ما زال ينقصه دقة التحديد، وقد أشار عالم النفس الفرنسي هنري بيرون "Henri Pieron" إلى هذه الظاهرة فقال: إن هذا التعبير -أي الشخصية- هو من أكثر الكلمات استعمالاً في علم النفس المعاصر، ويشكل في

---

[701] نفس المرجع.ص: 120-121.

الوقت نفسه إحدى التعابير التي خضعت دلالتها لأكبر قدر ممكن من التغييرات، ذلك أن دلالات هذا التعبير قد اختلفت باختلاف النظريات النفسانية، ومناهج البحث المتبعة، وقد استطاع العالم النفساني الأمريكي البورت أن يستخرج أكثر من خمسين تحديداً لمفهوم الشخصية.

إن كلمة شخصية في اللغات الغربية، فرنسية "Personalite"، وإنجليزية "Personality"، اشتقت من التعبير اللاتيني "Persona"، وهو يشير إلى القناع الذي كان يضعه الممثل اليوناني أثناء أدائه المسرحي، وذلك للإشارة إلى دوره، ويعبر البورت على الجذور اللاتينية للكلمة ويقول: إن تعبير "Persona برسونا" قد تضمن منذ البدء وبالإضافة إلى مضمونه الأصلي أربعة معاني مختلفة هي:

1 - المظهر الخارجي.

2 - الدور الذي يؤديه الممثل.

3 - الممثل نفسه.

4 - الشخصية مع ما تتضمنه هذه الكلمة من دلالات تقيمية.

ويميز البورت بين خمسة فئات من التعريفات للشخصية:

الفئة الأولى: تفتقد للدقة والتحديد كأن يقال إن الشخصية هي مجموعة المؤهلات الفطرية والمكتسبة لدى الفرد.

الفئة الثانية: تركز على الجانب التكاملي والبنيوي، (الشخصية هي التنظيم لمؤهلات الفرد).

الفئة الثالثة: تعطي أهمية للطابع التراتبي الذي تتصف به عملية التنظيم كـالتمييز بين" الأنا" المادي و"الأنا" الاجتماعي، و"الأنا" الروحـي، و"الأنـا" الصافي.

الفئة الرابعة: تستند إلى فكرة التكيف، وتعتبر أن المؤهلات المكتسبة والمنظمة تمثل تكيفات الفرد مع محيطه.

الفئة الخامسة: تركز على الطابع الأصلي والفريد لهذا التنظيم المتكيف الذي تمثلـه الشخصية[702].

1\5- **تعريف الشخصية**.

- تعرف الشخصية على أنها:" مجموعة المميزات السلوكية والتصرفات والأحاسـيس الشعورية و اللاشعورية، والأفكار والتصورات العقلية، وهي الفكرة الكليـة غـير الثابتة، أو المستقرة والتي يكونها كل إنسان عن ذاته وذات الآخرين "[703].

- وعرفت الشخصية أيضاً على أنها:" الصفات أو الخصائص المميزة للفرد، والعلاقـة المستقرة والمتحركة بين هذه الصفات بعضها البعض، وكيف تتداخل هذه الصفات مع بعض لتساعد أو تعوق الفرد للتأقلم أو التعامل مع أناس آخرين، وفي مواقـف معينة "[704].

---

[702] الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، مرجع سبق ذكره. ص: 507، 508.

[703] عدنان الشريف، علم النفس القرآني. (الطبعة الأولى- إعادة – بيروت، دار العلم للملايين، 1993).

ص: 110.

[704] حامد أحمد بدر، السلوك التنظيمي. (الطبعة الثالثة، الكويت، دار العلم، 1410هـ – 1990). ص:40.

- وهناك من يعرفها على أنها:" تنظيم دينامي داخل الفرد، له قدر كبير من الثبات والدوام لمجموعة من الوظائف، أو السمات، أو الأجهزة الإدراكية، والنزوعية، والانفعالية، والمعرفية، والدافعية، والجسمية، التي تحدد طريقة الفرد المتميزة في الاستجابة للمواقف، وأسلوبه الخاص في التكيف للبيئة، وقد ينتج عن هذا الأسلوب توافق أو سوء توافق"[705].

- ويرى بعض العلماء أن الشخصية هي:" مركب معقد يقوم على تركيب نفسي يستند على ثلاثة دعائم رئيسية: الذات الدنيا، والذات، والذات العليا".

1-الذات الدنيا: في تعريف بسيط لها هي مجموعة الدوافع والرغبات، التي تتطلب الإشباع، وهي لا تعترف بأي مانع يمنع دون إشباعها، وعلى هذا فهي في رأي أهل الاختصاص تمثل الجانب الإنساني من النفس، ولهذا سميت "الأنا" "Ego".

2-الذات: أما الذات تعني الإرادة، وهي هذا الجزء من الشخصية الذي ينميه الفرد تدريجيا، ليستطيع معتمداً على نفسه أن يشبع دوافعه ورغباته ويتحكم فيها، ويتوقف نوع الإرادة التي ينميها الإنسان على نوع البيئة التي ينشأ فيها، فهي إرادة متزنة اكتسبت القدرة على التحكم في الدوافع والرغبات وإشباعها بالطرق المشروعة، أو إرادة ضعيفة غير قادرة على السيطرة على الدوافع مطلقة لها العنان بما يوقع الفرد في مشاكل متعددة.

3-الذات العليا: وهي الجانب الثالث من الشخصية، ويقوم بدور الرقيب على كل من الذات الدنيا والذات، ولذلك يطلق عليه أحياناً صفة الضمير، وتعنى الذات العليا بالقيم والمثاليات، ومن ثم تصدر أحكامها على الدوافع والرغبات التي تحتضنها

---

[705] أحمد محمد عبد الخالق، من استخبارات الشخصية. (القاهرة، دار المعارف، 1980). ص:6.

الذات الدنيا، كما تصدر أحكامها على السلوك الذي تسمح بـه الإرادة حسـب مـا تتبناه من قيم، فالذات العليا عبارة عن مجموعة القيم، والأحكام، والمقـاييس التـي تستخدم في الحكم على الدوافع والرغبات وأنواع السلوك المختلفة، وهذا الجانـب الهام من الشخصية الإنسانية ينميه الإنسان في مرحلة متأخرة عن المرحلة التي تنمو فيهـا الـذات أو الإرادة، ويتوقـف نـوع القـيم والأحكـام والمقـاييس مـن حيـث صلاحيتها أو فسادها، على نوع المجتمعات التي يعيش فيها الإنسان، وما هو سائد فيها من قيم ومثل[706].

5\2- **خصائص الشخصية:**

من خلال التعاريف السابقة يمكن استنتاج بعض مـن خصـائص الشخصـية نذكر منها:

1 - أن الشخصية فريدة فهي خاصة بفرد واحد، وإن كان لهذا الفرد سمات شخصـية مشتركة مع الأفراد الآخرين.

2 - أن الشخصية ليست مجرد مجموعة وظائف، بل هي عملية تنظيم وتكامل.

3 - أن الشخصية زمنية، لأنها خاصة بفرد له بعده التاريخي[707].

5\3=**العوامل المحددة للشخصية**.

يمكن تحديد أهم العوامل المحددة للشخصية فيما يلي:

---

[706] عبد المنعم هاشم، وعدلي سليمان، المجتمعات بين التنشئة والتنمية. (الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، 1973). ص: 24-25.

[707] الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، مرجع سبق ذكره. ص: 508.

1-العوامل البيولوجية: لا يمكن إغفال الأثر الكبير الذي تتركه العوامل الجسمية البيولوجية على شخصية الفرد، فالإنسان مثلاً: إذا ما عانى من نقص في إفراز الغدد الدرقية فإنه يصاب بالتثاقل والخمول في الحركة والعجز عن التركيز، وهذا يوضح أن التكوين الجسمي لدى الفرد يؤثر على شخصيته عن طريق تأثير هذا التكوين في الفرد، وعلى علاقاته الاجتماعية والسلوكية، فالتكوين الجسمي الرياضي يساعد الشاب على أن يصبح بطلاًفي رياضة معينة، والعجز الجسمي يؤثر على شخصية الفرد نفسياً واجتماعياً، وقد أشار أحد المتخصصين في هذا الصدد إلى أن الأفراد ذوي العاهات الجسمية يبذلون جميع ما في طاقتهم للتغلب على ما لديهم من نقص، وقد يصيبهم التأثير في الاتجاه السالب إذا لم يكن في الاتجاه الموجب، فيفضي بهم عجزهم عن بلوغ مرادهم إلى الانطواء أو العدوان، أو فقد الثقة في النفس، أو التواكل أو حب السيطرة، أو الحقد وغيرها.

2-العوامل الوراثية: يهتم علماء النفس في دراساتهم للشخصية بالعوامل الوراثية التي تؤثر في نموها سواء كانت جبلية فطرية، أو مكتسبة.

وكلمة وراثة تعني انتقال صفات معينة من جيل إلى جيل، ولذلك اهتمت الكثير من البحوث في إثبات الأثر الكبير للعوامل الوراثية على شخصية الفرد، وبالرغم من أن الوراثة تلعب دوراً هاماً في تحديد ملامح الشخصية، إلا أن دورها لا يلغي أثر البيئة كذلك، ولذلك نجد أن الكثير من السمات التي تطبع الشخصية الفردية تعود بأكملها إلى العوامل الوراثية، كما أن هناك سمات أخرى بالأصل إلى المحيط والبيئة التي ينشأ فيها الفرد، والمؤكد منه أن لكل سمة من سمات الشخصية علاقة بكل من الوراثة والبيئة، فالتباين بين العاملين هو درجة تأثير كل منها على السمة المعينة.

3- النسق الثقافي: إن للعوامل البيئية الأثر العميق على الشخصية مما يتركه من معالم نتيجة لنشأة الفرد واحتكاكه بالمحيط الذي يعيش فيه، سواء كان الاحتكاك إيجابي أم

سلبي، ونجد من أهم عوامل البيئة المشكلة لشخصية الفرد، المنظومة الثقافية التي يحيا فيها الفرد، وتشبع بجميع وحداتها بما تحمله من معتقدات، وقيم، وتقاليد، ولغة، وعادات متجانسة، وعبقريات متقاربة، وتقاليد متكاملة، وأذواق متناسبة، وعواطف متشابهة[708]، بل هي محيط يحيط بالفرد، وإطار يتحرك داخله، يغذي الحضارة في أحشائه، فهي الوسط الذي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر، وتتشكل فيه كل جزئية من جزئياته تبعاً للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه بها في ذلك الحداد، والفنان، والراعي، والعالم والإمام، فالثقافة هي بمثابة الدم الذي يغذي جسم المجتمع.

وقد ثبت من خلال الدراسات التي أجريت على بعض المجتمعات البدائية على سبيل المثال، غينيا الجديدة تعيش قبيلتان متجاورتان من سلالة واحدة إلا أن كل قبيلة تسلك سلوكاً مختلفاً عن الأخرى، فالبالغون من قبائل الموندیجمور "Mundugamor" من الذكور والإناث "مذكرين" في سلوكهم "Masculine" العدواني الخشن، وتكوين الحب لديهم يسلك كما لو كان جائزة حرب، والبعض من الأمهات يرضعن أطفالهن وقوفاً، ويبعدون الثدي إذا ما أبدى الطفل أقل رضعاً، أما قبيلة الارابش "Arapesh" المجاورة لهم فكلا الجنسين فيها مهذب وجبان، ورجال الارابش عادة أطفال مدللون ومعتنى بهم، وسلوكهم عموماً يعتبر مخنثاً، فالأطفال مسموح لهم بفترة أطول من الاعتماد على الغير، ومتطلبات قليلة تطلب منهم والاهتمام مركز حول الطعام والغذاء[709].

---

[708] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره. ص:92.

[709] إقبال إبراهيم مخلوف، العمل الاجتماعي في مجالات الرعاية الطبية. (القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 1991). ص: 32.

إن التفاوت الثقافي ينتج عنه أنماطا متفاوتة ومختلفة من الشخصية، وهذا راجع إلى الطرق المختلفة التي تتبعها هذه المجتمعات في تنشئة أطفالها، وكذلك النسق الثقافي الذي يتشبع به هؤلاء الأطفال، فمن طبع في صغره بلين الجانب يوصف في مرحلة الرشد بالعطف والحنان والشفقة وغيرها من الصفات الحميدة، أما من يطبعون في صغرهم على الخشونة وشظف العيش، فينشئون على قدر كبير من قوة المراس وشدة المنافسة، وتنمو فيهم الميول العدوانية، غير أن هذه الفروق الشخصية الناتجة عن العوامل الثقافية لا تقتصر على المجتمعات البدائية فقط، لكنها تظهر وبصورة واضحة وجلية في المجتمعات التي توصف بالمتحضرة، فالبريطانيون مثلاًيتميزون بحب التمسك بالعادات والتقاليد، وبالبرود في الشخصية، في حين نجد الأمريكيين يمتازون بالنزعة العملية التجريبية، وسهولة الاندماج في المجتمعات الأخرى، أما المجتمع العربي فيمتاز بالكرم والسخاء. وجميع هذه الأنماط تتأثر تأثراً كبيراً بالعوامل الثقافية السائدة في البيئة التي ينشأ فيها الفرد، وذلك عن طريق البيت، والأسرة، والمدرسة، والمجتمع بصفة عامة.

5\4- نظريات تفسير الشخصية:

I- نظريات الأنماط. يؤخذ على نظريات الأنماط أنها افترضت أن هناك استعداداً وراثياً لدى الفرد لأن يتبع نمطاً معيناً، وقد اختلفت هذه النظريات من حيث الأسس التي اعتمدت عليها في تصنيف الأنماط، فمنها من ركز على الوظائف العقلية مثل تقسيم يونج "Jung" ومنها ما ربط بين التكوين الجسمي والسلوك، ومنها ما اعتمد على إطار الخبرات.

أ- نظرية يونج: فرق يونج بين نمطين من أنماط الشخصية وهما:

1 - **النمط المنطوي** "introvert" وهو الشخص الحساس المتمركز حول ذاته، الذي لا ينظر نظرة موضوعية إلى العالم الخارجي، دائم التأمل في نفسه، لا يحب الاختلاط بالآخرين ولا يرحب به، صعب الاندماج مع الآخرين، غير اجتماعي، يتخير أصدقائه بحرص شديد، ويقتصر على عدد قليل منهم، خجول، كثير الشك، سريع القلق على المستقبل، لا يعبر عن مشاعره وانفعالاته وعواطفه بصراحة وموضوعية، كتوم.

2 - **النمط المنبسط**: "Extravert": وهو الشخص الواقعي المنطق، المنطلق المتفتح على العالم من حوله، يكره العزلة والانغلاق، يرحب بالمناسبات الاجتماعية، سهل الاندماج مع الغير، سريع في تكوين الصداقات، لا يهتم كثيراً بالنقد الموجه إليه، يفضل الأعمال الاجتماعية التي تتصل بالجماهير، وعموماً يضع العالم الخارجي موضع اعتبار في تصرفاته وتفكيره.

ب–نظريات الأنماط الجسمية: أهتم معظم العلماء القدامى وكذلك المحدثين بدراسة العلاقة بين التكوين الجسمي للفرد وبين سلوكه، ويرجع تاريخ هذا الاهتمام إلى الفيلسوف اليوناني سقراط "Hippocrates" حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، فقد تأثر بآراء فلاسفة العصر الأيوني الذين يعتقدون أن الطبيعة تتألف من أربعة عناصر أساسية هي: الهواء، والماء، والنار، والتراب، فقسم الناس وفقاً لهذه العناصر إلى أربعة أنماط أساسية معتمداً على تغلب أحد أربعة هرمونات في تكوين دم الفرد، واعتبر أن كلاًمن هذه الهرمونات يقابله مزاجاً خاصا، هذه الأمزجة هي :

1- **المزاج الدموي**: صاحب هذا المزاج هو شخص هوائي، يتصف بالتقلب وعدم الثبات في سلوكه، سهل الإثارة، سريع الاستجابة لأي إثارة، كما أنه مرح متفائل، نشيط، قوي البنية الجسمية.

2- **المزاج السوداوي**: وهو عكس الدموي، متشائم، منطوي، قوي الانفعالات، ثابت السلوك والتصرفات، بطيء في تفكيره.

3- **المزاج الصفراوي**: صاحب هذا المزاج شخص ناري، حاد الطبع، سريع الغضب عنيد، كما أنه طموح، وقوي الجسم.

4- **المزاج الليمفاوي**: هادئ الطباع إلى درجة البرودة في استجاباته وانفعالاته، خامل الحركة، بليد يميل إلى الراحة والاسترخاء بدين الجسم (مائي).

ج- كر تشمر ونظريات الأنماط الجسمية:تركز هذه النظرية على العلاقة بين التكوين الجسمي والشخصية، وتوصل صاحب هذه النظرية من خلال دراساته التي أجراها في بعض مستشفيات الأمراض العقلية، إلى أربعة أنماط للشخصية هي:

1 - **النمط المكتنز** "Pyknic": وهو الشخص الممتلئ القصير الأطراف العريض.

2 - **النمط الواهن** "Asthenic": وهو الشخص الرفيع، الطويل الأطراف المنبسط الصدر.

3 - **النمط الرياضي أو القوي** "Athletic": وهو الشخص العريض المنكبين، القوي العضلات، الكبير الكفين والقدمين.

4 - **النمط المشوه:** "Dysplastic": وهو الشخص غير المتناسق في شكله العام.

د- أما شلدون: يرى أن أي صفة جسمية أو نفسية إنها توجد في الأفراد بدرجات متفاوتة، مما يصعب معه تقسيمهم إلى أنماط مميزة، واستخلص من أبحاثه المتعددة والتي قامت على قياسات جسمية أكثر دقة مما قام به كرتشمر ثلاثة أنماط جسمية أساسية:

1 - **النمط البطيء**: "Endomorphy": ويتميز أفراد هذا النمط بضخامة الجزء البطني من الجذع، مع زيادة في نمو الجهاز الهضمي، ويتميز الفرد فيه بأنه اجتماعي، أكول، يحب الراحة الجسمية، ويميل إلى الاسترخاء.

2 - **النمط العضلي**: "Mesomorphy" يتميز أفراد هذا النمط بالتفوق العضلي، واستطالة الجذع وقوته ويقابله المزاج الرياضي ويميل أفراده إلى إثبات الذات والقوة، والمغامرة.

3 - **النمط الرقيق**: "Ectomorphy" يتميز أفراده بالرهافة وعدم التحمل، ويقابل ذلك المزاج الفكري، ويميل أفراده إلى الانطواء وحب العزلة[710].

II- **نظريات السمات:**

اهتم علماء النفس اهتماماً بالغاً بدراسة سمات الشخصية، ومحاولة إحصاء تلك الصفات التي تميز شخصاً ما عن غيره، والسمة هي تلك الصفة التي تمكننا من التفريق بين شخص وآخر، وهي استعداد عام أو نزعة تطبع سلوك الفرد بطابع خاص وتشكله وتكونه، وتحدد نوعه وكيفيته، فالأفراد يختلفون في سماتهم الجسمية، والعقلية، والمزاجية، والخلقية، والاجتماعية، على هذا فإذا أريد إصدار حكم على شخصية فرد معين فلابد من مراعاة ما لديه من مميزات ومقومات، ولذلك تعتبر الاستعدادات عند

---

(710) انتصار يونس، مرجع سبق ذكره. ص: 303 وما بعدها.

أنصار نظرية السمات من أهم مكونات الشخصية التي تعبر عن ميل الفرد نحو العمل، أو عن سلوكه بصفة عامة.

وقد ظهرت عدة نظريات للسمات تحاول تفسير السلوك الظاهري للفرد على أساس فرضية وجود هذه الاستعدادات المسئولة عن سلوكه، وكذلك افتراض الثبات النسبي الذي يتسم به سلوك الفرد، وتهدف نظريات السمات إلى تحقيق ما يلي[711]:

1 - ابتكار طرق للتحقق من وجود هذه السمات أو عدم وجودها.

2 - التحقق من أنها سمات أولية أي لا يمكن تحليلها إلى أبسط منها.

3 - تقدير مدى وجودها.

4 - دراسة درجة تأثير سمة في الأخرى، ومعرفة مدى تقويتها أو إضعافها، و ترتكز نظرية السمات على عدة أسس أو مقومات يمكن تناول أهمها فيما يلي:

- **المميزات الجسمية**: مثل قوة العضلات، وتناسب تقاسيم الجسم، ورنة الصوت، وطول القامة، والصحة والجمال.

- **المميزات العقلية:** وتتمثل في القدرة على التعلم والتذكر، وحصافة الرأي، وسلامة الحكم، وما لدى الفرد من ذكاء، ومهارات وقدرات خاصة، وما لديه من آراء ومعتقدات، وثقافة خاصة و عامة.

- **المميزات المزاجية**: يقصد بها قوة انفعالاته وثباتها وتقلبها، وتناسبها مع مثيراتها، ومدى توافر الحالات الانفعالية، ودرجة تغيرها.

---

[711] عثمان لبيب فراج، أضواء على الشخصية والصحة العقلية. (الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1970). ص: 27.

- **المميزات الاجتماعية والخلقية**: أي ما لديه من عواطف وميول واتجاهات وقيم نفسية، من صدق وكذب، وأمانة وخيانة وخداع، وذكورة وأنوثة، وانطواء، أو انبساط، أو عدوان أو استسلام، ومرح أو اكتئاب، وشفقة أو رحمة، ولين أو شدة وغيرها.

- **المميزات الحركية**: وتشمل سرعة الحركة، من الاندفاع أو القدرة على الكف، الجلد والمثابرة، المهارة والحذق، أسلوب الحركة الرشيقة.

III- نظرية التحليل النفسي:

صاحب هذه النظرية هو "سيجموند فرويد Sugmund Freud"، الطبيب النمساوي اليهودي الأصل، اعتقد فرويد أن الإنسان يولد مزوداً بطاقة نفسية سماها "الليبدو"، وهذه الطاقة هي التي توجه وتتحكم في سلوك الإنسان، وأن موطن هذه الطاقة هو "الذات" البدائية، أو ما يسمى بـ "الهو Id" وهي الأساس العقلي للإنسان وأن جميع النزعات التي يحتويها "الهو" نزعات همجية –على حد تعبير فرويد- كما أنها بدائية لا شعورية، وغير منطقية، وغير عقلانية، تتعارض في مجموعها مع مطالب الحياة الاجتماعية، ويرى فرويد أن من الضروري كبت هذه النزعات الهمجية في مهدها، ومنذ ولادة الإنسان من خلال الضغوط الاجتماعية التي يتعرض لها، و من خلال التربية التي يتلقاها الفرد أثناء مراحل تنشئته، كما أن الاحتكاك بغيره من الناس يطهر جزءًا من "الهو"، وفي هذا الجزء تتكون القيم والأفكار الاجتماعية، ويطلق على هذا الجزء "الأنا" أو "الذات EGO"، وهي أداة الإنسان للتعامل مع غيره من أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه، ويعتبر فرويد في تقسيمه للعقل أن "الذات ego" هي الجزء العامل أو المنطقي.

وكما تتعرض الذات البدائية "الهو" للضغوط الاجتماعية لصقلها وتعديل سلوكها إيجابياً يرى فرويد أن "الأنا أو الذات ego" هي الأخرى تتعرض إضافة إلى الضغوط الهمجية في "الهو" إلى ضغوط الحياة الاجتماعية الخارجية التي تفرضها العوامل البيئية، وهذا من خلال دور الآباء في عملية التنشئة، من ولادة الطفل بنهيه عن جميع السلوكات التي تتعارض مع ثقافة الآباء والمجتمع عموماً، وكذلك من خلال التربية التي يتلقاها الطفل، وتمتص وتتكيف "الأنا" مع هذه التوجيهات ويؤدي هذا الامتصاص أو التكيف إلى تكوين جزء ثالث هو الرقيب الذي يقوم في المراحل القادمة من حياة الطفل مقام الوالدين، والمشرفين، والمربيين، وهذا الرقيب يعد لا

شعورياً، لأنه يتكون في المراحل الأولى من حياة الطفل بطريق لا شعوري، ويطلق على هذا الجزء اسم: "الأنا العليا" أو الضمير اللا شعوري "Super ego".

فمدرسة التحليل النفسي ترى أن النفس الإنسانية ترتكـز عـلى أسـس ثلاثـة، وتعمل على مستويات ثلاثة[712]: اللا شعور، وما قبل الشعور، والشعور، والشعور هـو العقل الظاهري، أما اللا شعور فهو العقل الباطني.

---

[712] نفس المرجع ص: 33.

5/5- إمكانية قياس الشخصية:

لتقدير وقياس الشخصية لجأ العديد من العلماء النفسانيين إلى العديد من الأساليب معتمدين في ذلك على مختلف الأدوات مجتمعة مع بعضها في معظم الحالات هذه الأدوات تتمثل في المقابلات الشخصية، الملاحظات المضبوطة، والتجارب الاختبارية.

1- المقابلات الشخصية: تعتبر المقابلة من أهم وأشهر أساليب تقدير الشخصية التي تستخدم في الوقت الراهن، وهي تتميز بكونها ملاحظة بالمشاركة " participant observation"، ومن أهم مميزات هذا الأسلوب هي الاحتكاك المباشر بالمفحوصين، أما العيب الذي يؤخذ على هذا الأسلوب هو عدم القدرة على تسجيل الأحداث بطريقة حيادية وغير متحيزة، والمقابلات مثل أي أسلوب لجمع البيانات، له نقاط قوة، وله نقاط ضعف فتفيد المقابلات في فحص الأفكار الشخصية والمشاعر والصراعات، والمخاوف وما شابهها وهذه المجالات من الشخصية لا يمكن ملاحظتها مباشرة وبالتالي فهي عرضة لعدم الإفصاح عنها ما لم يثق المفحوص في القائم بالمقابلة، أما الجانب السلبي فتزودنا المقابلة بمعلومات عن طريق التقرير الذاتي وربما قد لا تكون دقيقة، لتأثير القائم بالمقابلة في السلوك الملحوظ، و إمكانية التحيز، والاعتماد على الانطباعات التي تكونت أثناء إجراءات جمع البيانات، وتعتمد فاعلية أسلوب المقابلة على مهارة الملاحظة سواء في الحصول على المادة أو تفسيرها.

2- الملاحظات والتجارب المضبوطة: حاول باحثوا الشخصية ملاحظة السلوك وقياسه تحت شروط مضبوطة بعناية، وهي غالباً ما تكون تحت ظروف تجربة علمية، وفي بعض الأحيان في المواقف الطبيعية، وهذا أسلوب شائع بصورة متزايدة،

فالاستجابات الفسيولوجية يمكن مراقبتها لتزويدنا ببعض المعلومات الشخصية، ويمكن اعتبار أن الدوافع والانفعالات يمكن قياسها في الكثير من الأحيان بالأدوات الفسيولوجية، إن الملاحظات والتجارب المضبوطة تقلل من عملية التحيز وتزيد من الدقة ولكنها غالباً ما تضع الناس في مواقف صناعية مدبرة يبدو فيها السلوك غير واقعي، كما أنهم نادراً ما يعينون فهم الأخصائي النفسي في المسائل الشخصية العميقة.

3- الاختبارات الاسقاطية: تهدف الاختبارات الاسقاطية إلى كشف شخصية المتقدم للاختبار دون أن يشعر بذلك، عن طريق تصميم بعض الأسئلة أو المواقف، بحيث يوحي الموقف بمعنى يختلف عن المعنى الذي صمم من أجله، وبهذه الطريقة نستطيع إن نحصل على معلومات عن شخصية الإنسان دون أن يشعر بذلك، وتعتمد الاختبارات الاسقاطية على مفهوم نظرية الإسقاط في التحليل النفسي، التي ترتكز على افتراض بأن الشخص يدرك ما يقدم إليه، ويفسره طبقا لصفات محددة في شخصيته، و بالتالي يفسر الشيء المقدم إليه بطريقة تختلف عن تفسير الآخرين، ونظرا لمساهمة الاختبارات الإسقاطية في كشف بعض جوانب الشخصية بصورة شاملة عن طريق تعاملها مع الشخصية بشكل متكامل وليس بأجزاء منفصلة عن بعضها البعض، إلا إنها عملية مكلفة كما أنها تحتاج إلى خبراء في هذا المجال وتحتاج إلى وقت طويل لتنفيذها[713].

6/5- الشخصية في الفكر الإسلامي:

تمت معالجة موضوع الشخصية في الفكر الغربي على أسس ومرتكزات متباينة تبعاً لتباين الرؤى والاتجاهات الفكرية والنفسية، والاجتماعية، واعتمد الفكر الغربي

[713] مسعود بن محمد النمر، مرجع سبق ذكره. ص:76.

على العقل كمقياس لتمييز الشخصية المثالية من غيرها، وصار التركيب النفسي المعقد بقوته المركزية الداخلية –القلب- هو مناط التوجيه الإنساني عند الكثير من علماء النفس الغربيين، وعلى أساس الأثر الاجتماعي، غدت الشخصية تلعب دور المرآة البيئية التي تعكس المنظومة الثقافية لهذا المجتمع، ومنذ القدم كانت نظرة أفلاطون للشخصية على أنها "مزيج من العقل والقلب والبدن، فالنفس تنقسم عنده إلى أجزاء، جزء علوي ومركزه العقل وفيه فضيلة الحكمة، وجزء أوسط ومركزه القلب وتتمثل فيه العواطف النبيلة والشجاعة بشكل خاص، وجزء أدنى ومركزه البدن ويتعلق بالشهوات البهيمية، وفضيلة العفة وضبط النفس، وإذا أدى كل جزء من هذه الأجزاء وظيفته على الوجه الأكمل، فإن الفضيلة الرابعة وهي العدل تنشأ من تكامل هذه الفضائل[714].

لقد جاء في القرآن الكريم وصفاً دقيقاً للشخصية الإنسانية التي حملها الله أمانة خلافته في الأرض وتعميرها، والتي تلتزم بما شرعه الله من تشريعات، وبما حدده القرآن من القواعد، والمبادئ، والضوابط التي تضبط وتوجه السلوك البشري، هذه الضوابط هي التي تعطي للشخصية سمات خاصة تميزها عن غيرها من المخلوقات.

إن أهم أساس، وأمتن ركيزة بنيت عليها الشخصية كما يصورها القرآن الكريم والسنة الشريفة، هو أساس الإيمان، إيمان بالله، إيمان بملائكته بالرسل باليوم الآخر، بالبعث والجزاء لأن هذا الإيمان هو الركيزة الأساسية لبناء أمة تتمتع بالسعادة لا تشقى، أمة قوية لا تقهر، أمة آمنة لا تفزع ولا تخاف: "إيمان له في الإنسان عمق وله في السماء والملأ الأعلى ذكر وفضل تهتز له المشاعر وتنتفض له النفس الإنسانية حين

---

[714] مصطفى عليان، بناء الشخصية في القصة القرآنية.(الطبعة الأولى، عمان، دار البشير للنشر والتوزيع، 1413هـ_1992م). ص:7.

يغمرها بفيضه ونوره ورحمته، إيمان تنصهر فيه الروح، وينتشي له القلب، وتسخر له الجوارح، إيمان حي ذو طاقة تحرك وتدفع، يبني ويهدم"، يبني الخير ويعليه، ويهدم الشر ويرديه[715]، ويمكن تحديد بعض أو أهم سمات الشخصية التي يدعو إليها الإسلام فيما يلي:

1- شخصية مؤمنة بالله: مؤمنة بأن لهذا الكون بما فيه ومن فيه خالق تفرد عن خلقه بصفات الكمال المطلق وتنزه عن مشابهة خلقه في ذاته وصفاته، وقضية الإيمان هي التي تميز بين الشخصية المسلمة وبين غيرها وعليها يتوقف عمل الإنسان ويتحدد دوره في هذه الدنيا وكذلك اتجاهه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[716]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[717].

2- شخصية تؤمن باليوم الآخر: وهذه من سمات الشخصية المؤمنة، يعيش المسلم في هذه الدنيا وبصره ممدود إلى يوم آخر، يوم باقي وحياة باقية، فهو يدرك جازماً أن الإنسان لم يخلق كسائر المخلوقات و إلا لما كرم عليها وفضل، ولما سخرت كل مخلوقات وموجودات الكون لخدمته، بل خلق للبقاء، وأن هذه الحياة الدنيا ما هي إلا مرحلة قصيرة جداً من حياته الأبدية، وما هي إلا طريق للوصول إلى الهدف الذي خلق من أجله، ومن هنا تختلف نظرة المسلم إلى الحياة على غيره من غير المسلمين،

---

[715] حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام. (الطبعة الثانية، القاهرة، دار البحوث العلمية، 1399هـ_1979م). ص:33.

[716] سورة الحج، الآية:41.

[717] سورة فاطر، الآية:3.

ويسلك فيها سلوك الصالحين المصلحين لأن الدنيا دار عمل بلا حساب والآخرة دار حساب ولا عمل، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[718]، وقوله ﷺ حينما سئل عن الإيمان فقال: **(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت)**[719]، هذا حال المؤمن، أما حال غيره فمن لا يؤمنون باليوم الآخر فقد قص القرآن تصورهم لقضية اليوم الآخر في قوله: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً﴾[720]، ويقول: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[721].

3- **شخصية مؤمنة بقضاء الله وقدره**: لقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[722]، وقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[723]، وقوله ﷺ فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: **(يا غلام إني أعلمك كلمات أحفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فأستعن بالله وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف)**[724].

[718] سورة آل عمران، الآية: 9.

[719] محمد بن سليمان بن عمر، التقرير و التحبير، الجزء الثاني.(الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، 1996م). ص:140.

[720] سورة مريم، الآية:66.

[721] سورة المؤمنون، الآية:37.

[722] سورة التغابن، الآية:11.

[723] سورة الحديد، الآية:22.

[724] الإمام الترمذي، سنن الترمذي، الجزء الرابع، مرجع سبق ذكره. ص:667.

4- **شخصية مؤمنة بالملائكة**: مؤمنة أن الله قد خلق خلقاً اختصهم بعبادته وتنفيذ أوامره لا يعصونه في أي أمر ويقومون بتنفيذ كل ما أمروا به ليس لهم عمل غير هذا، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[725].

5- **شخصية مؤمنة برسل الله**: مؤمنة أن الرسل جميعهم مبعوثون من قبل الله، وأنهم الصفوة المختارة من خلقه، وأنهم جاءوا بدعوة واحدة وهي دعوة التوحيد، فإيمان المؤمن بالرسل عكس إيمان الأقوام الأخرى لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[726]، وقوله تعالى: ﴿.. كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِه..﴾[727].

6- **شخصية عابدة لربها**: راجية رحمته وخائفة من عقابه لا تقوم في السر بما يشينها في العلن مستشعرة معيته في كل مكان وزمان، تعلم علم اليقين أنه يراقبها في السر والعلن لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[728]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ

---

[725] سورة البقرة، الآية:285.

[726] سورة فاطر، الآية:24.

[727] سورة البقرة، الآية:285.

[728] سورة البقرة، الآية:186.

قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[729].

7- **شخصية متسامحة مع الخلق**: لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ، وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[730]. وقوله تعالى: ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[731]. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **(ألا أدلكم على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة، تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك)**[732].

8- **شخصية حافظة للأمانة**: التي كلفت بحملها وتبليغها للخلق، قال ﷺ: **(لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)**[733]، وقوله ﷺ: **(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وقال بعضهم فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته و الرجل راع عن أهله و مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عنه فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)**، وقال الأنصاري والعبد راع على مال

---

[729] سورة الرعد، الآيتان:28_29.

[730] سورة الشعراء، الآيتان:39-40.

[731] سورة البقرة، الآية: 194.

[732] أحمد ابن أبي بكر البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، الجزء العاشر. (مكة المكرمة، مكتبة دار ألباز، 1414هـ_1994م). ص:235.

[733] نفس المرجع، الجزء الثامن. ص:288.

سيده[734]، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[735]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[736].

9- **شخصية مستزيدة من العلم والمعرفة**: عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من سلك طريقاً يطلب فيها علماً سلك الله تعالى به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإنه ليستغفر للعالم من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**)[737]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[738]، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[739].

10- **شخصية أبية كريمة**: لقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[740]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾[741].

---

[734] ابن أبي عوانة، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص:384.

[735] سورة الأحزاب، الآية:72.

[736] سورة النساء، الآية:58.

[737] ابن كثير، تفسير ابن كثير، الجزء الثالث، مرجع سبق ذكره. ص:558.

[738] سورة فاطر، الآية:28.

[739] سورة العنكبوت، الآية:43.

[740] سورة المنافقون، الآية:8.

هذه بعض صفات الشخصية التي جاء الإسلام لترسيخها في النفس البشرية لكي يحقق الإنسان الهدف الذي خلق من أجله، إن هذه النظرة الشاملة هي التي يفتقدها الفكر الغربي نظراً لانقطاعه التام عن خالقه، ولذلك لا نجد أي أثر للقيمة العقيدية، الإيمانية فيه.

المبحث الثالث

المحددات الجماعية للسلوك التنظيمي.

المطلب الأول: الجماعة.

1/1- تعريف الجماعة:

تعرف الجماعة بأنها وحدة اجتماعية تتكون من مجموعة من الأفراد بينهم تفاعل اجتماعي متبادل، وعلاقة صريحة، ويتحدد فيها للأفراد أدوارهم الاجتماعية ومكانتهم، ولهذه الوحدة الاجتماعية مجموعة من المعايير والقيم الخاصة بها والتي تحدد سلوك أفرادها على الأقل في الأمور التي تخص الجماعة سعيا لتحقيق هدف مشترك، وبصورة يكون فيها وجود الأفراد مشبعا لبعض حاجاتهم[742]، كما تعرف الجماعة على

---

[741] سورة فاطر، الآية:10.

[742] حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي.(الطبعة الرابعة، القاهرة، عالم الكتب، 1977). ص:65.

أنها: تجمع للناس يقوم على اشتراكهم في لون معين من النشاط على وحدة أهدافهم ومصالحهم واهتماماتهم.

2/1- **خصائص الجماعة**.

من خلال التعريفات السابقة للجماعة يمكن أن نستشف أهم الخصائص التي تمتاز بها الجماعة وهي على النحو التالي:

1- مجموعة من الأفراد.

2- قابلية الجماعة للتشخيص اعتمادا على أعضائها من قبل، إما المراقبين أو الباحثين.

3- من خصائصها وجود بناء اجتماعي ترتكز عليه، أي لكل عضو فيها منصب أو مركز يشغله داخل الجماعة، وإن البناء الاجتماعي هذا يتألف من مجموع هذه المراكز، وقد تندرج مراكز أعضائها عموديا حسب درجات مراتبهم.

4- يعتمد وجود الجماعة على الأدوار التي يشغلها أعضاؤها، بمعنى أن لكل عضو من أعضائها أدوار معينة يفترض أن يؤديها، وهذه الأدوار في حقيقتها هي أساس مساهمة الأعضاء في حياة الجماعة وفي إدامة وجودها، لأن توقف أعضائها عن أداء أدوارهم هو توقف الجماعة ونهايتها.

5- هناك معايير وقيم خاصة بالجماعة، تنظم من خلالها سلوك أعضائها، وتمكنهم من أداء أدوارهم، هذه المعايير متعارف عليها بين جميع أعضاء الجماعة، سواء تم تدوينها أو لم تدون، وهي من أسباب التفاعل بين أعضاء الجماعة.

6- تقسم الجماعة بوجود مصالح مشتركة تمتاز بالوحدة والتماثل بشكل غير محدد ومضبوط مما يؤدي إلى ظهور اختلافات بين الأعضاء قد يؤدي إلى الانقسام والتفكك بسبب صراع القيم أو نزاع المصالح.

7- إن الفعاليات التي تتم داخل الجماعة تهدف إلى تأكيد وجود هدف مشترك، وهذا سبب وجود الجماعة التي تتجه نحو تحقيق هذا الهدف الاجتماعي أو الغاية الاجتماعية المشتركة.

8- من سمات الجماعة أنها تتسم بدرجة من الاستقرارية أو الدوام، وتفاوت درجة الديمومة هذا، هو العامل الذي من خلاله يتم تحديد وتمييز الجماعات الثابتة من الجماعات الوقتية العابرة.

3/1- أهمية الجماعة:

1/ 3/ 1-أهمية الجماعة بالنسبة للفرد.

1- تساعد الجماعة على تكوين الصداقات والعلاقات الجديدة والمتعددة عن طريق التفاعل بين أعضائها.

2- يكتسب الفرد من خلال انتمائه إلى جماعة معايير اجتماعية لضبط سلوكه، وبلورة آرائه وأفكاره الشخصية، التي ليست في الواقع أفكار وآراء اجتماعية.

3- تعلم الجماعة وتكسب الفرد أو العضو السلوك الاجتماعي المناسب.

4- يتعلم العضو من خلال الجماعة الكثير عن نفسه أولا، وعن زملائه ثانيا، لأن الجماعة تعتبر معملا مناسبا لإمكانية التعلم.

5- تحقيق المتعة والرضا في العمل الجماعي.

6- تنمية وتطوير قدرات الفرد ومهاراته من خلال الانتماء الجماعي.

7- تنمية الملكات الفكرية لدى العضو واكتساب القدرة على مواجهة المشكلات وحلها.

8- يكتسب الفرد في الجماعة الاتجاهات والقيم والمبادئ مع تنميتها.

9- تحقيق المكانة الاجتماعية من خلال إشباع حاجة حب الانتماء مما يؤدي إلى اعتزازه بالمشاركة في عمل الجماعة والقيام بالأدوار والمسئوليات التي حددت له على اعتباره فرد أو عضو صالح.

10- استمداده قوة هائلة من خلال شعوره بالأمن والاطمئنان إشباعا لحاجات الانتماء.

1/ 3/ 2-أهمية الجماعة بالنسبة للمجتمع. تسهم الجماعة بدور فعال خاصة في المجتمعات الحديثة من خلال ما يلي:

1- إسهام الجماعة في نمو وتقدم المجتمع وضمان استمرارية الحياة.

2- عدم إمكانية العيش دون تكوين جماعات فعالة في المجتمع.

3- جميع أنواع المؤسسات الاجتماعية العاملة في المجتمع هي نتاج جهود جماعية فعالة.

4- جميع أوجه النشاط الاقتصادي، الثقافي، الاجتماعي، مبني على أساس التفاعل الجماعي.

5- الدول والحكومات، والتنظيمات، والنظم بجميع أنواعها، والمعايير والمبادئ والقيم الاجتماعية، ما هي إلا نتاج للجماعة.

6- تحقيق ذاتية الإنسان وكينونته وصولا إلى إسعاده، لا يتأتى إلا عن طريق التفاعل الجماعي الاجتماعي السليم والصحيح.

ويمكنك تأكيد أهمية الجماعة بصفة عامة سواء على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع، فالجماعة هي المجال الذي يتفاعل فيه الإنسان لتبادل الخبرات والتأثيرات إيجابية كانت أم سلبية.

الجماعة ظاهرة اجتماعية، وهي كما يقال، ظاهرة أوجدتها الطبيعة الاجتماعية للإنسان، للقيام بأنواع متعددة من النشاط، إشباعا لرغبات وحاجات مشتركة.

1/ 3/ 3-أهمية الجماعة بالنسبة للتنظيم. يراد بالسلوك التنظيمي في معناه العام أنه يمثل مجموع الأنماط السلوكية للأفراد العاملين بالتنظيم، علما أنه لا يمكن إغفال المؤثرات داخل التنظيم، والتي تلاحظ تأثيراتها على سلوك العاملين، وأهم هذه المؤثرات هي الجماعات، التي يمكن أن تظهر في التنظيم، ولذلك لفهم السلوك التنظيمي فهما دقيقا لا بد من أخذ هذه الجماعات بالدراسة والتحليل، للوصول إلى تفهم لسلوكها، ومدى تأثيرها على السلوك التنظيمي بصفة عامة، ويمكن ذلك من خلال الأسباب التالية:

أولا: إن الرضا عن العمل في التنظيم لا يمكن أن يكون سببا كافيا، ومانعا من ظهور الجماعات التنظيمية.

ثانيا: إن الآثار التي تتركها التنظيمات الجماعية على سلوك التنظيم عموما، لا يمكن الاستهانة بها، من حيث الأثر الذي تتركه على مستوى أداء العاملين سلبا أو إيجابا.

ثالثا: لتفادي الآثار السلبية التي قد تنجم عن نشاط وتفاعل الجماعات التنظيمية داخل التنظيم العام، يجب على المدير أو المسئول، دراسة هذه الجماعات دراسة علمية لتفهم أبعادها، وآثارها المترتبة على أداء العاملين.

4/1أسباب تكوين الجماعات: هناك الكثير من العوامل التي تساعد في نشوء وتكوين الجماعات داخل التنظيم، هذه العوامل منها ما هو مادي، ومنها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو اجتماعي ونفسي إلى آجره، ويمكن تناول بعض هذه العوامل بشيء من التحليل فيما يلي:

1-العوامل المادية: بالنسبة للعوامل المادية هناك عاملان أساسيان يساعدان مساعدة مباشرة في تكوين الجماعات داخل التنظيم.

أولا: عامل المكان، فاجتماع العاملين في مكان واحد لأداء مهامهم، ووظائفهم وواجبا تهم، يسهل عملية الاتصال والتفاعل بينهم لتكوين أو البدء في تكوين الجماعة، ولا يعتبر عامل المكان العامل الوحيد في هذا الإطار، ولكن يعد عنصرا أساسيا يجب توافره لحدوث نوع من الاتصال المفضي إلى نشوء الجماعات.

ثانيا: عامل أو عنصر الوظيفة: عامل يرتبط ارتباطا وثيقا بعامل المكان كأساس للانتماء وتكوين الجماعة، ونظرا للتقسيم الوظائفي والإداري داخل التنظيم، فإن العاملين في وظائف متماثلة عادة ما يعملون بشكل جماعي وفي مكان واحد، مما يسهم في تكوين الجماعة، ولذلك يعد التجمع الوظيفي من الأسس الطبيعية لنشوء التنظيمات الجماعية، كمجموعة المهندسين، مجموعة الصيادلة، ومجموعة الفنانين، والمحاسبين، وغيرها.

2-العوامل الاقتصادية: تعتبر العوامل الاقتصادية من أسباب تكوين الجماعات نتيجة لاعتقاد الأفراد أن انتمائهم لجماعة ما يحقق فوائد اقتصادية كبيرة، لشغلهم وظائف أو

قيامهم بأدوار تحددها الجماعة، من أمثلة ذلك: جماعة العمال الذين يعملون على خط تجميع واحد، ويحصلون لقاء مضاعفتهم للجهد الجماعي على رواتب محفزة، أو أجور تشجيعية بشكل جماعي حيث يتحدد العائد لكل عضو في خط التجميع من واقع الناتج الكلي لمجموع الأفراد، ولذلك يسود اعتقاد لدى العاملين أنه باستطاعتهم زيادة أجورهم بالعمل الجماعي، وقد تتكون الجماعة لتحقيق جبهة لمواجهة الإدارة في تحقيق مطالبها بزيادة الأجور مثلا أو تحسين نوع الخدمات المقدمة وغيرها.ويتجه العمال إلى تكوين مثل هذه الجماعات في حالة عدم وجود تنظيم نقابي يدافع عن مصالحهم أمام طغيان الإدارة.

3-الأسباب الاجتماعية والنفسية: يمكن أن تمثل الرغبة في إشباع الحاجات أقوى الدوافع نحو تكوين الجماعة، وتعتبر الحاجات الخاصة بالأمان والاحترام وتحقيق الذات من أبرز الحاجات التي يرغب الأفراد في إشباعها عن طريق الانتماء إلى جماعة، إن عدم الانتماء يولد لدى الفرد الشعور بالوحدة وعدم الأمان على حقوقه من طغيان الإدارة والتنظيم برمته. ومن جهة أخرى فإن انضمام الفرد إلى جماعة يمكنه من الاشتراك في نشاطها الجماعي، ومناقشة المطالب المختلفة للإدارة، الاتصال والتفاعل بين أفراد الجماعة أهم العناصر الأساسية التي تدعم موقف الأعضاء في مواجهة الإدارة، ويكون بالنسبة للموظف الجديد قياسا بالموظف القديم أمر ضروري لاعتماده بشكل كبير على مساعدة المجموعة له في أدائه لوظائفه أداء سليما، ومن هنا يمكن تفسير رغبة الموظف الجديد في الانتماء للجماعة لإمداده بنوع من الإشباع لحاجته للأمان بالإضافة إلى إشباع هذه الحاجة تظهر أهمية الجماعة بالنسبة للفرد من واقع الطبيعة الأساسية للإنسان وحاجته للانتماء للآخرين مما يدعم قدرته على التعايش مع

البيئة المحيطة به، كما أن انضمام الأفراد إلى الجماعة يحقق حاجة الاحترام وتحقيق الذات.

5/1- **أنواع الجماعات:** هناك تصنيفات عدة للجماعة وفقا لمعايير مختلفة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

أولا: أنواع الجماعات من حيث قوة تأثيرها في تنمية شخصية الإنسان وهي نوعان:[743]

أ- الجماعات الأولية Primary groups.وهي الجماعات التي لها الأولوية أو الأهمية في تكوين شخصية الفرد فيها، ويتميز هذا النوع من الجماعات على غيره بعدة ميزات أو خصائص أهمها:

1- طول البقاء: فهي أطول أنواع الجماعات بقاء وملازمة للإنسان في حياته، بل أن بعضها قد يلازم الإنسان طيلة حياته.

2- التفاعل الاجتماعي في الجماعات الأولية يصطبغ بالصبغة العاطفية، فيتأثر سلوك الإنسان تأثيرا كبيرا بما يتوقعه من استجابات باقي أفراد الجماعة.

3- قلة عدد أعضائها بدرجة تسمح للفرد أن يكون على علاقة مباشرة وقوية بكل فرد فيها.

4- العلاقة بين أفراد الجماعة علاقة مباشرة، أي شخصية، فجميع أفرادها يعرفون بعضهم البعض معرفة قوية ووثيقة.

---

[743] عبد المنعم هاشم، عدلي سليمان، مرجع سبق ذكره.ص:75 وما بعدها.

5- للجماعة الأولية تقاليد وعادات وأعراف وقيم تتحكم في أفرادها، وتحدد لكل فرد منهم مكانته، ومستوياته، والأعمال التي يجب القيام بها.

ب- الجماعات الثانوية Secondary groups:

تلعب دورا هاما في تكوين شخصية الفرد، لكنها لا تعتبر مسئولة مباشرة عما تتميز به الشخصية من خصائص أساسية كما في الجماعة الأولية، لأن العلاقة بين أعضائها في أغلب الأحيان لا تكون قوية ووثيقة ومباشرة، ولكنها مع ذلك تتيح للإنسان تجارب عديدة وتمنحه الكثير من الفرص لتنمية خبراته الاجتماعية والثقافية والعقلية، فيكون لها دور في نمو الشخصية، ويمتاز هذا النوع من ا لجماعات بعدة ميزات أهمها:

1- معظم هذه الجماعات قصيرة البقاء، إذ قد ينتمي إليها الفرد فترات من حياته ثم يتركها إلى غيرها.

2- إنها تتكون من عدد كبير من الأعضاء، وقد لا يتمكن الأعضاء من التعرف على بعضهم بعضا لكثرة عددهم عكس الجماعات الأولية.

3- إن العلاقات بين أعضاء الجماعة قد لا تكون مباشرة بين جميع الأفراد.

4- إن الأعضاء في الجماعة يجمعهم هدف مشترك قد يسبق تكوين الجماعة كالأحزاب السياسية، والروابط والجمعيات المهنية، والجمعيات التعاونية وغيرها.

ثانيا-الجماعات الرسمية وغير الرسمية:

أ-الجماعات الرسمية: هي الجماعات التي تقوم المنظمات بتكوينها بعد دراسة دقيقة ومتأنية، بغرض تحقيق أهداف محددة، وقد تظهر الجماعة الرسمية على الخريطة

التنظيمية للمنظمة، وتعد فترة بقاء الجماعة الرسمية مؤشرا ودليلا هاما على فهم طبيعة هذه الجماعة، وهناك نوعان من الجماعات الرسمية هما:

1- **جماعة التنظيم:** وتسمى في بعض الأحيان الجماعة المنبثقة من سلسلة القيادة Command group، وتتكون هذه الجماعة من واقع الخريطة التنظيمية للمشروع أو المنظمة، وتتكون من مشرف وعدد من المرؤوسين الذين يقدمون تقاريرهم بشكل مباشر إلى المشرف أو قائد معين في التنظيم، وتعد المنظمات شبكات متداخلة من جماعات التنظيم، وعادة ما يحدد لهذه الجماعات أسماء تعرف بها داخل التنظيم، كجماعة قسم المحاسبة، قسم المبيعات، قسم الإنتاج وغيره.

2- **جماعة العمل:** تتكون جماعة العمل من العاملين الذين يشتركون في إكمال عمل أو واجب أو مشروع معين، فعلى سبيل المثال في شركة التأمين هناك ارتباط بين مجموعة من الأنشطة التي تقوم بها الشركة، فعند وقوع حادث ما وحتى تقوم الشركة بدورها كاملا تجاه المؤمن، لا بد من تظافر جهود جميع العاملين في مختلف أقسام الشركة. كقسم المطالبات والتعويضات والإدارة القانونية، وإدارة الإنتاج وغيرها، فيقوم جميع الموظفين والعاملين في هذه الأقسام والإدارات معا من أجل مواجهة حوادث العملاء.

ب-الجماعات غير الرسمية: إضافة إلى الجماعات الرسمية فإنه عادة ما تنشأ داخل المنظمة وبطريقة تلقائية جماعات تعنى بحاجات الفرد. ويمكن القول أن هذا النوع من الجماعات ما هي إلا تجمعات طبيعية للأفراد في موقع العمل، وتظهر عادة كرد فعل طبيعي للحاجات الاجتماعية للإنسان فهي لا تنشأ نتيجة لتنظيم

رسمي معتمد، ولكنها تنشأ بصفة طبيعية وقد تتصف بخاصية أو أكثر تميزها عن الجماعات الرسمية منها:

- التقاء أفرادها بطريقة متكررة.
- بين أفرادها مشاعر ودية.
- لهم هوايات واهتمامات مشتركة.
- وهناك نوعين من الجماعات غير الرسمية هما:

1- **جماعة المصلحة:** تتكون جماعة المصلحة من العاملين الذين لا ينتمون إلى جماعات رسمية واحدة في التنظيم، وينتظم هؤلاء الأفراد تحت لواء جماعة المصلحة لتحقيق أهداف متبادلة فيما بينهم، ويتوقع الفرد المنتمي للجماعات غير الرسمية أن تكون مصدرا لإشباع حاجته للانتماء، أي أن يكون عضوا في جماعة، وأن يكون محبوبا من طرف أفرادها، وعادة ما تنشأ هذه الجماعة للدفاع عن مصالح أعضاءها أمام طغيان وجبروت الإدارة، وفي الغالب لا تتفق أهداف هذه الجماعة مع الأهداف الخاصة بالتنظيم التابعين له.

2- **جماعة الصداقة:** تظهر الكثير من جماعات الصداقة داخل المنظمات لأن أفراد تلك الجماعات كثيرا ما يرتبطون ببعض الجوانب العامة، كانضمام بعض الأفراد مكونين جماعة لتقارب أعمارهم، أو لتوافقهم وأيديولوجيات سياسية أو خلقية وغيرها وعادة ما يمتد التفاعل بين أفراد هذه الجماعات إلى مجالات النشاط الخارجي خارج نطاق الوظائف التي يؤديها هؤلاء الأفراد.

ثالثا-الجماعات العضوية والجماعات المرجعية.

يمكن أيضا التفريق بين نوعين آخرين من الجماعات وهما:

1- الجماعات العضوية: وهي تلك التي ينتمي إليها الفرد فعلا.

2- الجماعات المرجعية: وتمثل الجماعات التي يرغب الفرد في الانتماء إليها.

6/1- **أسباب نجاح الجماعات:**

يمكن تلخيص أهم أسباب نجاح الجماعات من خلال النتائج التي تم التوصل إليها بناء على دراسات أجريت في هذا المجال، إلى الأسباب التالية:

1- وجود قيادة مناسبة: من خلال النتائج التي توصل إليها عالم النفس الأمريكي "رنسيس لكارت Rensis Likert" والتي تبين الأسباب أو المزايا الواجب توفرها في القائد الناجح، والتي حددها في ثلاثة خصائص هي:

أ- اتساع الصدر عند التعامل مع الأفراد بطيئي الأداء.

ب- إتاحة الفرصة لكل فرد في الجماعة للتعبير عن رأيه، والإنصات إليه بشيء من الاهتمام، لإشعاره بأهمية آرائه.

ج- إشراك أفراد الجماعة في اتخاذ القرارات دون فرضها.

2- توافر المزيج المناسب من المهارات للمساعدة في إنجاز المهام التي توكل للجماعة عموما.

3- التعاون في العمل، وتتحدد درجة التعاون بين أعضاء الجماعة لإنجاز المهام الموكلة إليهم بطبيعة المهام المطلوب إنجازها.

4- الثقة المتبادلة بين أعضاء الجماعة: عنصر هام من العناصر المساعدة على استمرار الجماعة ونجاحها في القيام بمهامها.

5- ترابط الجماعة: إذا سادت روح التقدير والاحترام جو العمل داخل الجماعة، وقوي شعور أفرادها بالاعتزاز للانتماء إليها، فإنه يمكن القول أن هذه الجماعة مترابطة ومتماسكة، وهذا العامل الأخير لا يمكن للجماعة بلوغه أو بلوغ هذه المرحلة إلا إذا استطاعت التغلب على مشكلتين أساسيتين هما:

- عنصر العلاقة بين أفرادها من حيث درجة القوة والضعف.
- طريقة وأسلوب أداء المهام.

ولحل هاتين المشكلتين لا بد للجماعة من سن قانون، أو فرض تقاليد خاصة بها حول:

- طريقة معاملة الأفراد بعضهم لبعض داخل الجماعة.
- طريقة إنجاز المهام المفروضة على الجماعة إنجازها.

6- حجم الجماعة: دلت الدراسات التي أجريت على الجماعات، وخاصة جماعات العمل من حيث النجاح والفشل أنه كلما ارتفع عدد أفراد الجماعة كلما زادت فرص حدوث صراعات داخلها مما يؤدي إلى تقليل فرص نجاحها، والعكس في حالة انخفاض أو تقليل أفراد الجماعة، وهذا راجع إلى طبيعة الأعمال التي تؤديها الجماعة، و تقليل التوتر لدى الأفراد وخاصة حديثي العهد بالجماعة.

7/1- **الفكر الإسلامي ومفهوم الجماعة:**

جاء الإسلام لترسيخ المفاهيم الجماعية، باعتباره دين جماعي وليس دين فردي، كما جاء لإخراج خير أمة للناس إذا ما حافظت على شروط هذه الخيرية، فوردت الكثير من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية تحث على روح الجماعة، وتنميتها، والتحذير من كل ما يفت من عضدها، ويقطع أوصالها، فحث الإسلام على

مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، حث أيضا على الصدق، والأمانة، والمحبة، والإخاء، والتكافل بين الناس، والتراحم، وكل ما من شأنه توثيق عرى المودة، وحذر من جميع الأخلاق الذميمة التي تعمل على تمزيق روابط المجتمع، من الكذب، والخيانة، والنميمة، والحسد، والبغضاء وغيرها، مما يؤدي إلى الفرقة والشتات وذهاب الريح، قال تعالى:﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[744]، و قال في سورة آل عمران: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾[745]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: " هو الجماعة - حبل الله وقال عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وأن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة"[746]،

وجاء في تفسير آية آل عمران السابقة، للإمام القرطبي: فإن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة فإن الفرقة هلكة والجماعة نجاة ورحم الله ابن المبارك حيث يقول:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا ثم منه بعروته الوثقى لمن دانا

وفي قوله تعالى: ﴿ولا تفرقوا ﴾، يعني في دينكم كما تفرقت اليهود والنصارى في أديانهم، وعن ابن مسعود رضي الله عنه وغيره: "ويجوز أن يكون معناه: ولا تفرقوا في دين الله إخوانا فيكون ذلك منعا لهم عن التقاطع والتدابر، وروي عن الرسول ﷺ قوله:(**اختلاف أمتي رحمة**)، إنما منع الله اختلافا هو سبب للفساد"[747]، ونظرا لأهمية

---

[744] سورة الأنفال، الآية:46.

[745] سورة آل عمران، الآية:103.

[746] الحسين ابن مسعود البغوي، معالم التنزيل، المجلد الثالث.(الطبعة الأولى، الرياض، دار طيبة، 1409هـ_1989م). ص:78.

[747] الإمام القرطبي، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص:159.

الجماعة في نظر الإسلام، وللدور الذي تقوم به في حماية الفرد والمجتمع فقد وردت أحاديث كثيرة تدعم النصوص القرآنية وتبين أسباب هذا الاهتمام المتعاظم لدور الجماعة، فعن عرفجة بن شريح الاشجعي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (**سيكون بعدي هنات وهنات فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن يفرق بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأمرهم جميع فاقتلوه كائنا من كان فإن يد الله مع الجماعة وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يرتكض**)[748]، ولأهمية الجماعة في حياة الأمة فقد استحل الإسلام دم من أراد تفريق كلمة المسلمين وتشتيت جمعهم وإضعاف قوتهم، قال ﷺ: (**من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه**)[749]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: " ما حل دم أحد من أهل هذه القبلة إلا من استحل ثلاثة أشياء: قتل النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق جماعة المسلمين أو الخارج عن جماعة المسلمين"[750]، وحازت الجماعة المتماسكة والمترابطة بمحبة الله تعالى في قوله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾[751]، وبين النبي ﷺ في الكثير من الأحاديث صفات المؤمنين من تراحم، وتوادد، وتعاطف، وتكافل فيما بينهم حيث قال: (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**)[752]، وقال أيضا: (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**)[753]، وقد حث النبي ﷺ المصلين عند أداء الصلاة بتسوية

[748] محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، الجزء العاشر.(الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1414هـ _1994م). ص:438.

[749] عمر بن علي الأندلسي، تحفة المحتاج، الجزء الثاني. (الطبعة الأولى، مكة المكرمة، دار حراء، 1406هـ). ص:465.

[750] ابن أبي شيبة، مرجع سبق ذكره، الجزء الخامس. ص:452.

[751] سورة الصف، الآية:4.

[752] الإمام مسلم، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص:1999.

[753] نفس المرجع نفس الصفحة.

صفوفهم مخافة اختلاف قلوبهم سبيلا للفرقة، فقال: (**لتسوون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم**)[754]، وقال أيضا: (**استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم**)[755]، وبين ﷺ أن الانفراد سبب للضعف وتعرض الإنسان إلى مغريات الدنيا التي تذهب نعيم الآخرة فخروج الإنسان عن الجماعة كشرود الشاة عن القطيع فتكون فريسة سهلة لافتراسها من قبل الذئاب المتربصة بها، قال ﷺ فيما يرويه الصحابي معاذ بن جبل رضي الله عنه:(**إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد**)[756]، ومخافة انفراط عقد الأمة وهي الجماعة فقد كره علماء الإسلام حتى الصلاة جماعة بعد الصلاة الفرض لمن تأخر عن إدراك الصلاة مع الإمام الراتب، وورد في كتاب " الأم" إن كان للمسجد إمام راتب ففاتت رجلا أو رجلان فيه الصلاة صلوا فرادى ولا أحب أن يصلوا فيه جماعة فإن فعلوا أجزأتهم الجماعة فيه وإنما كرهت ذلك لهم ليس مما فعل السلف قبلنا بل قد عابه بعضهم (قال الشافعي) وأحسب كراهية من كره ذلك منهم إنما كان لتفرق الكلمة، وإن يرغب رجل عن الصلاة خلف إمام جماعة فيتخلف هو ومن أراد عن المسجد في وقت الصلاة فإذا قضيت دخلوا فجمعوا فيكون في هذا اختلاف وتفرق كلمة ومنها المكروه"[757]، ويؤكد هذا الرأي في عدم جواز تفريق كلمة الأمة ما ذهب إليه الإمام علي بن محمد الآمدي بقوله: " ولهذا لو اجتمعت الأمة على حكم ثم جاء من بعدهم مجتهد يرى في اجتهاده ما يخالف إجماع الأمة السابقة لم يجز له الحكم به بل وجب عليه

---

[754] الإمام ابن حزم، المحلى، الجزء الرابع.(بيروت، دار الآفاق الجديدة، بدون تاريخ). ص:55.

[755] ابن الجارود، المنتقى، الجزء الأول.(الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الكتاب الثقافية، 1408هـ _1988م). ص:87.

[756] ابن الهيثمي، مرجع سبق ذكره،الجزء الثاني. ص:23.

[757] الإمام الشافعي، الأم، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص:154.

الرجوع إلى الأمة، قال ﷺ: (**عليكم بالسواد الأعظم من الأمة، عليكم بالجماعة**)[758]، وورد في كتاب السنن: (**من فارق الجماعة فلا صلاة له حتى يرجع إليهم**)[759]، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ألا إن الجنة لا تحل لعاص، ومن لقي الله ناكثا بيعته لقيه وهو أجذم، ومن خرج من الجماعة قيد شبر متعمدا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، ومن مات ليس لإمام الجماعة عليه طاعة مات ميتة جاهلية**)[760]، وليس بعد هذه النهاية من نهاية يرضاها المسلم لنفسه أن يختم بخاتمة السوء لخروجه على إجماع الأمة بمفارقته لجماعة المسلمين قلت أم كبرت.

فهذه النصوص جميعا قرآنا أو سنة قد بينت ما للجماعة من أهمية في نظر الإسلام، لأنها هي صمام الأمان للفرد من الضياع، وهي حبل الله الذي أمرنا بالتمسك به لما فيه من صلاح وفلاح للأمة، ولخطورة الفرقة، فلم يتوقف الرسول ﷺ من الحث على الألفة والترابط بين أفراد الأمة، بل حذر من كل ما من شأنه تمزيق هذه الوحدة، فحذر من الأخلاق الذميمة التي تعد سببا من الأسباب المؤدية إلى الفرقة، وتمزيق شبكة علاقات أفراد المجتمع، فحذر من الجدل وما يتركه في نفوس المتجادلين من شحناء و بغضاء تؤدي في الغالب إلى التدابر والهجر وغيرها، قال ﷺ: (**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**)[761]، كما حذر من الأمراض التي تفشت في الأمم السابقة فقطعت أوصالها بعد ترابط، وأذهبت ريحها بعد قوة، وصارت تاريخا يروى

---

[758] علي بن محمد الآمدي، الأحكام، الجزء الأول. (الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي، 1404هـ). ص:296.

[759] أبو عثمان الخراساني، كتاب السنن، الجزء الثاني.(الطبعة الأولى، الهند، الدار السلفية، 1982). ص:233_234.

[760]ابن الهيثمي، مرجع سبق ذكره، الجزء الخامس. ص:219.

[761] الإمام المقدسي، مختصر المؤمل، الجزء الأول.(الكويت، مكتبة الصحوة الإسلامية، 1403هـ). ص:33.

للعبرة لمن يعتبر، عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**دب فيكم داء الأمم الحسد والبغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا**)[762]، هذه هي طريقة الإسلام في تثبيت القيم الفاضلة والوقاية من القيم الفاسدة بإتباعه أسلوب الوعد والوعيد.

المطلب الثاني: القيادة:

1\2=تعريف القيادة.

يعد تعرف القيادة من التعريفات التي نلحظ فيها الباحث نوعا من التقارب، أو الإجماع بين جميع من تنالوا هذا المفهوم بالتوضيح.

ويعرفها" رنسيس لايكر" على أنها:" قدرة الفرد على التأثير على شخص أو جماعة وتوجيههم وإرشادهم لنيل تعاونهم، وتحفيزهم للعمل بأعلى درجة من الكفاءة، من أجل تحقيق الأهداف المرسومة"[763].

وتعرف أحد المختصين على أنها:" القدرة على التأثير في جماعة كي تتعاون لتحقيق هدف تشعر بحيويته"[764].

ويعرفها بعضهم بأنها: "عملية التأثير على أنشطة الأفراد والجماعات من أجل تحريكهم إدارياً، تجاه تحقيق هدف مشترك في إطار ظروف موقف معين"[765].

[762] الإمام الترمذي، سنن الترمذي، الجزء الرابع، مرجع سبق ذكره. ص:664.

[763] حسين حريم وآخرون، مرجع سبق ذكره. ص: 265.

[764] أحمد كمال أحمد، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص:246.

[765] سعيد محمد المصري، أساسيات في دراسة الإدارة العامة. (الطبعة الثالثة، الرياض، دار المريخ، 1403هـ، 1983). ص: 410.

من خلال التعاريف السابقة للقيادة يمكن اعتبار أن القيادة هي قدرة التأثير على الأفراد و الجماعات على حد سواء، وتحريكهم، وإرشادهم، وتحفيزهم لخلق تعاون فعال تحقيقاً لأهداف مشتركة مرسومة مسبقاً في ظل ظروف موقفية معينة.

يتبين من ذلك أن القيادة ترتكز على خمسة عناصر أساسية وهامة هي:

1-تعتمد على عنصر التأثير بين الأفراد والجماعات.

2-عملية التأثير هذه تقع على الأنشطة التي يمارسها الأفراد والجماعات.

3- دور هذه العملية والآثار المترتبة عليها، الغرض منها هو تحريكهم، وإرشادهم، وتوجيههم، وتحفيزهم للعمل بأعلى درجة من الكفاءة و الفاعلية.

4-وجود هدف مشترك مرسوم مسبقاً يسعى الجميع من أفراد وجماعات وقيادة لتحقيقه بطريقة إدارية وعن قناعة وثقة تامة.

5- تحقيق الهدف المشترك يتم في إطار موقف معين وظروف حاكمة وإمكانيات متاحة.

2\2-**مهام القيادة:** هناك مجموعة من المهام يشترط في القيادة القيام بها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر[766]:

1-دراسة حاجات التابعين (المرؤوسين) ومحاولة إشباعها قدر الإمكان، وهنا على المنظمة أن توفر لقادتها الحوافز والتشجيعات المناسبة، التي تساعدهم في تحقيق الإشباع المادي والمعنوي لمرؤوسيهم.

[766] عمر وصفي عقيلي، الإدارة – أصول وأسس ومفاهيم. (عمان، دار زهران للنشر والتوزيع، 1997). ص: 384.

2- أن تعمل القيادة على بث روح التعاون، والفريق في مرؤوسيهم، وجعلهم فريق عمل واحد.

3- تطبيق منهج ديمقراطية الإدارة التي تعتمد على مشاركة المرؤوسين في عملية اتخاذ القرار.

4- توخي العدالة والمساواة، والموضوعية في تعامل القيادة مع مرؤوسيها مما يخلق الثقة في نفوسهم تجاهها.

5- مساعدة المرؤوسين في تخطي العقبات التي تصادفهم أثناء العمل، وتطوير أدائهم عن طريق الإرشاد والتوجيه، وتنمية ملكاتهم الفكرية والذهنية والإنسانية.

6- إتباع سياسة الباب المفتوح في عملية الاتصال مع مرؤوسيهم بشكل لا تكون معه عوائق في عملية اتصالهم بهم، وتشجيعهم على الاتصال المستمر بالقيادة.

7- تخطيط وتوزيع العمل على مرؤوسيهم بشكل متوازن من حيث طاقاتهم وإمكانياتهم، ووضع جدول زمني لتنفيذ ما هو مطلوب منهم.

2\3=أنماط القيادة.

يرى بعض كتاب الإدارة أن معظم البحوث التي تناولت القيادة بالدراسة والتحليل، توصلت إلى نتيجة واحدة مفادها، أن هناك صنفين من أصناف القيادة.

1-صنف أول يركز على العمل وطريقة أدائه، أكثر من الاهتمام والتركيز على العلاقات الإنسانية التي تربط القيادة بالإتباع.

2- صنف ثاني من أصناف القادة، يهتم بموضوع العلاقات الإنسانية التي تربط بين القائد وإتباعه أو مرؤوسيه، أكثر من الاهتمام بالعمل وطرق أدائه.

والفكرة الشائعة لدى الأغلبية، أن القائد يستطيع أن يؤثر على أتباعه ومرؤوسيه بإحدى طريقتين:

1- طريقة إجبارهم على القيام بما يراه من الواجب عليهم القيام به، و كذلك كيفية القيام بهذا العمل.

2- طريقة تخويله أو اقتسام بعض مسؤولياته القيادية مع مرؤوسيه، بأن يشركهم في عملية التخطيط، والتنفيذ، والمتابعة، كذلك إشراكهم في عملية اتخاذ القرار.

النمط الأول: هو القائد التقليدي ذو النمط الدكتاتوري الذي يركز على العمل أكثر من تركيزه على العلاقات الإنسانية.

النمط الثاني: هو القائد ذو النمط الديموقراطي الذي يركز على العلاقات الإنسانية أكثر من تركيزه على طريقة العمل[767].

وهناك بعض كتاب الإدارة من يرى أن أنماط القيادة والإشراف لا تقتصر على نمطين اثنين فقط، بل أكثر من ذلك فهي حسب وجهة نظرهم أربعة أنماط أساسية:

1 - **النمط الأوتوقراطي:** يتصف هذا النمط بأنه يفضل مركزية السلطة واتخاذ القرارات، والأسلوب الذي يستخدمه في عملية التحفيز هو المكافأة والعقاب، وهو ميال للآلية في العمل، حيث يطلب تنفيذ الأوامر دون اعتراض، ولا يهتم بالجوانب الإنسانية المتعلقة بالتعامل مع العنصر البشري.

2 - **النمط الأوتوقراطي الخير:** ويتصنف بنفس الصفات السابقة التي يتصف بها النمط الأوتوقراطي، إلا أنه يسمح للمرؤوسين بالمناقشة وإبداء الرأي فقط.

---

[767] سيد الهواري، المدير الفعال، (الطبعة السادسة، القاهرة، مكتبة عين شمس، 1995). ص: 142.

3 - **النمط الحر:** وهو نقيض النمط الأوتوقراطي، حيث يعطي حرية كبيرة للمرؤوسين في العمل وتصريفه، فالمرؤوس يزود بالمعلومات المطلوبة، ويمنح السلطة الكافية لتنفيذ ما هو مطلوب منه، ينصح باستخدام هذا الأسلوب عندما يتعامل الرئيس مع مرؤوسيه من مستويات عالية، ومن مستوى فكري جيد ومن هم أهل لتحمل المسؤولية.

4 - **النمط الديموقراطي:** وهو نمط وسط بين الأوتوقراطي والحر، ومن صفاته الأساسية أنه يسمح بمشاركة المرؤوسين في عملية اتخاذ القرار، ويراعي الجوانب الإنسانية في العمل[768].

2\4- مهارات القيادة:

إن عملية التعامل مع الناس رؤساء ومرؤوسين أو زملاء، مع مراعاة الاختلافات أو الفروق الفردية من شخص إلى آخر، يتطلب من المدير أو القائد أن يتمتع بمهارات وقدرات، يستطيع من خلالها التوفيق والنجاح في إدارة شؤون مؤسسته حالياً، والتخطيط المستقبلي الناجح، هذه المهارات يمكن تحديدها في مهارات إنسانية "Human skill"، إضافة إلى مهارات فنية "Technical skill"، المرتبطة بطبيعة عمله، كما أن التفكير في المستقبل والاستعداد له، والتفكير في العمل و جزئياته، وعلاقات هذه الجزئيات بالعمل كله، يتطلب أيضاً مهارات فكرية إدراكية "conceptual skill"، وعلى هذا الأساس فلا بد لنجاح المدير أو القائد من أن تتوفر فيه هذه المهارات الثلاثة، لأن هذه المهارات ذات صفة تكاملية، بمعنى أنها تكمل بعضها البعض، فوجود أو توافر المهارات الإنسانية وحدها، أو الفكرية، أو الفنية

---

[768] عمر وصفي عقيلي، مرجع سبق ذكره. ص:385.

وحدها غير كاف لأن يعتبر القائد قائدا ناجحاً، فالقائد بالمعنى الصحيح هو من توفرت فيه هذه الصفات مجتمعة ولكن بنسب عالية قدر الإمكان، ويمكن توضيح هذه المهارات الثلاث بشيء من الإيجاز فيما يلي:

1-المهارات الفكرية والإدراكية. في المقام الأول على المدير أو القائد أن يدرك تمام الإدراك حدود مسئوليات وظيفته، ومن ثم يحاول أن يشغل هذه الوظيفة بكفاءة وفاعلية، ولا يتوقف عن حد شغل الوظيفة بل لابد من تقوية إدراكه بضرورة القدرة على التنسيق وتحقيق التكامل بين جميع الاختصاصات والفعاليات ذات العلاقة بوظيفته، أي لا بد أن يكون ذا نظرة شمولية لكل ما هو مرتبط بوظيفته خاصة، وبمنظمته عامةً، ولابد له من الإدارك بأن أي تغير قد يحدث أو يحدثه في أي مجال له أثر على بقية أجزاء المنظمة، وهذا يؤدي به إلى التفكير في التغيير الشمولي الذي ينسجم وجميع مكونات وأجزاء المنظمة، وكذلك التفكير في الآثار المترتبة على عملية التغيير، سواء كانت آثار جزئية أم آثار كلية، وطالما أن كفاءة العمل تتطلب حتى لا تتسم وتيرة العمل بالإستكانية والجمود، على المدير تنمية قدراته الفكرية والإدراكية، على الرؤيا وحساب المستقبل، وبعد النظر، وسلامة التنبؤ، لمواجهة نتائج تلك التغييرات، كما أن من الضروري على المدير إدراكه لتقدير مواقف العمل، والتكيف معها على التحليل والتصرف السليم[769].

وخلاصة القول لابد لأن تكون للمدير أو القائد قدرة التصور للأمور، ورؤيته للأبعاد الكاملة لأي مشكلة، أي تصور العلاقات المختلفة بين جميع العوامل المؤثرة في سير عمل المنظمة، وهذه النظرة المتكاملة تعتبر مصدر من مصادر قوة تأثير

[769] محمد علي أحمد الطويل، الإدارة المعاصرة. (طرابلس، دار القرجاني، 1997). ص: 72.

القائد في مرؤوسيه، كما تعطيهم الثقة فيما يتخذه من قرارات، التي تعد من أهم أسباب تنفيذ العمل والنجاح فيه.

2-المهارات الإنسانية. ويقصد بها توفر القدرة لدى القائد على التعامل، والتفاهم الحسن والجيد مع مرؤوسيه خاصة، ومع الناس جمعياً، وكسب ثقتهم ومحبتهم، ورفع روحهم المعنوية، فالقائد الناجح مطلوب منه أن تتوفر لديه مثل هذه المهارة التي تدعى فن التعامل مع الآخرين، فتوفرها يعطيه قوة التأثير في تابعيه، ويخلق شعور المحبة والثقة في نفوسهم، كما تساعد في تنمية روح العمل كفريق لتحقيق الأهداف المرسومة.

3-المهارات الفنية: تتلخص هذه المهارة في المعرفة والفهم لنوع العمل الذي يؤديه المدير أو القائد، كذلك تتضمن هذه المهارة مقدرة الشخص القائد على الاستفادة من التطور التكنولوجي الحاصل لتأدية مهامه التنظيمية أحسن أداء، وفي أحسن الظروف.

ويرى الكثير من المختصين أن توفر هذه المهارات الثلاثة يشكل نسيجاً متكاملاًلايختلف باختلاف المستويات الإدارية بالمؤسسة، فالاحتياج الأساسي في المستويات الإدارية الدنيا يتطلب المهارات الفنية، في حين نجد أن المستويات الإدارية الوسطى تركز على المهارات الإنسانية بينما تعتمد أساساً فاعلية الإدارة في المستويات العليا على المهارات الفكرية العلمية فهي الأكثر أهمية بالنسبة لهذا المستوى[770]، ويرى كونتز وزملاؤه أن المهارة القيادية هي مركب من ثلاث قدرات رئيسية:

1 - القدرة على إستعاب حقيقة أن الكائن البشري تحكم سلوكه دوافع ومثيرات تختلف من موقف إلى آخر.

[770] توماس وهيلين، ودافيد هنجر، الإدارة الإستراتيجية. (الرياض، معهد الإدارة العامة، 1411هـ – 1990). ص: 53.

2 - القدرة على حث أو إثارة الأفراد، أو الجماعات لاستخدام كل طاقاتهم وقدراتهم تجاه تحقيق الهدف المشترك.

3 - القدرة على تهيئة المناخ الملائم للحصول على الاستجابة المرغوبة من التابعين، ومقابلة دوافعهم التي تتم بلورتها في الموقف.

5/2- العوامل المؤثرة في القيادة ومهاراتها:

هناك عدة عوامل تؤثر على القيادة في تسيير شؤون المؤسسة، وعلى القرارات التي يتم اتخاذها، وكذلك تؤثر على المهارات التي تتوفر في هذه القيادة، ويمكن إجمال هذه العوامل في الآتي:

1 - القيم التي يمكن أن تحكم نظرة القائد في أهمية مشاركة التابعين أو المرؤوسين في صنع القرارات التي لها تأثير عليهم.

2 - مدى ثقة القيادة في طاقات وقدرات وإمكانيات تابعيهم أو مرءوسيهم.

3 - الميول والتفضيلات الشخصية للقيادة تجاه ظروف الموقف.

4 - درجة شعور القيادة بالأمان في المواقف غير المؤكدة والغامضة.

5 - مستوى المهارات القيادية التي تتوفر في هذه القيادة[771].

6/2- المداخل المختلفة لدراسة القيادة:

1- مدخل نظرية السمات الشخصية[772]: [TRAIT THEORY].تعتبر نظرية السمات الشخصية من أولى النظريات التي اهتمت بدراسة ظاهرة القيادة، قد كان

---

[771] سعيد محمد المصري، مرجع سبق ذكره، ص: 412.

[772] نفس المرجع. ص: 415.

الاهتمام فيها يتركز على محاولة البحث عن تلك الصفات الجسمانية والعقلية، والسمات الشخصية المميزة الموروثة، التي يتمتع بها القادة وتحديدها، إلا أن هذه النظرية لم تستمر طويلاًلعدة أسباب أهمها :

1- ظهور المدرسة السلوكية في علم النفس، والتي كانت تنادي بأن السمات الشخصية لا تولد مع الفرد، فالجزء الأكبر منها قد يكتسب من خلال تجارب الفرد في الحياة، ومن تفاعله مع حركة البيئة وخصائصها.

2- وجود سمات الشخصية القيادية التي توصلت إليها دراسات وبحوث هذه النظرية في غير القادة، وعدم وجود كل سمات هذه الشخصية في كل القادة.

3- لم تنجح هذه النظرية في تحديد القدر من كل سمة من سمات الشخصية القيادية التي يجب أن تتوفر في القائد.

4- فشل هذه النظرية ودراستها في تحديد على الأقل سمة واحدة يمكن استخدامها كأساس للتميز بين القادة وغير القادة.

2- مدخل نظرية السلوك القيادي: سبب ظهور هذا المدخل كان نتيجة لفشل المدخل الأول، وهو مدخل نظرية السمات الشخصية في تحديد وإثبات صحة فرضية أن القيادة هي مجموعة من الصفات والسمات الشخصية الداخلية، لهذا فقد تركز اهتمام هذا المدخل على دراسة السلوك الملاحظ "Observed behavior"، بدلا من الاهتمام بالسلوك الداخلي غير الملاحظ، فنظر هذا المدخل إلى القيادة على أنها مجموعة التصرفات السلوكية التي يؤديها القادة لمساعدة التابعين في تحقيق النتائج المرغوبة من الجميع، كتوفير الموارد المادية وغير المادية لأفراد الجماعة، أو رفع مستوى فاعلية أدائها، أو أداء بعض أفرادها.

وهناك ثلاثة مداخل فرعية استخدمت لقياس السلوك الحقيقي للقيادة:

1 - المدخل الذي استخدمه كل من بيلز وسلاتر [Bales and Slater] في دراسات جامعة هارفارد، وهو عبارة عن قياس معملي يقوم به ملاحظين ومراقبين للسلوك.

2 - المدخل الذي استخدمه ستوجديل وزملائه في دراسات جامعة "أوهايو" وهو عبارة عن تصميم معملي يقوم على قائمة أسئلة موجهة للتابعين.

3 - المدخل الذي استخدمه كاتز، وكان وليكرت في دراسات جامعة "متشجن" وهو عبارة عن تصميم ميداني يقوم على أسئلة موجهة للقادة.

ورغم اختلاف هذه المداخل من حيث التصميم وأسلوب جمع المعلومات إلا أنها جميعاً قد تميزت بالتالي:

- أنها جميعاً انتهت إلى هناك نمطان متميزان للسلوك الإداري القيادي.

أولهما: يركز على العمل.

وثانيهما: يركز على العلاقات بين أفراد الجماعة.

- أنها جميعاً فشلت في ربط تلك الأنماط السلوكية بفعالية القيادة، بمعنى أن نتائج تلك الدراسات لم تستطيع أن تحدد لنا أي تلك الأنماط هو الأكثر فاعلية.

- عند محاولة ربط معياري الإنتاجية "PRODUCTIVITY" والرضا "SATISFACTION" بهذين النمطين لم تستطع تلك الدراسات أن تمدنا بنتائج قطعية بالنسبة للإنتاجية ولا بالنسبة للرضا.

3- مدخل نظرية الغاية والوسيلة "GOAL – PATH APPROACH ".

يقوم مدخل هذه النظرية على فكـرة أن مـدى إدراك التـابعين لأهـدافهم، وطريقـة أو وسيلة تحقيق هذه الأهداف، يتأثر بها إذا كان سلوك القائـد محفـزا، ومشـجعاً، ومحققـاً للرضـا أم لا، فالقائـد باسـتخدامه لأسـلوب الجـزاء الإيجـابي والسـلبي، أي الجـزاء والعقـاب، المـرتبط بالعمـل وبالعلاقـات، يمكـن أن يـؤثر عـلى إدراكـات التـابعين لأهدافهم، ووسـائل تحقيقهـا، فهـو بإمكانـه أن يخصـص لمرؤوسـيه أهـدافاً تـرغبهم وتحفزهم لتحقيقها، وتسهل سبل ووسائل تحقيقها، كما أنـه بإمكانـه أن يخصـص لهـم أهدافا ليست بهذا القدر من الجاذبية، ويصعب لهم سبل ووسائل تحقيقها، من ثم فـإن القائد باستطاعته ليس فقط التحكم والسيطرة على نتائج تجارب العاملين أو التـابعين، ولكن أيضاً على توضيح العلاقة بين السلوك والنتيجة أي بين السلوك باعتباره وسـيلة لتحقيق الغاية المرغوبة.

4- مدخل النظرية الوظيفية: "Functional Theory". هذه النظرية لا تركز في دراستها للقيادة لا على السمات الشخصية، ولا على سلوك القيادة من حيث الغاية والوسيلة، بل تركز على وظيفة القيادة الجماعية، أي دور القيادة في القيام بالأنشطة التي تقود الجماعة إلى تحقيق غاياتها وأهدافها بالوسائل الممكنة، كذلك رفع درجة التفاعل بين جميع أفراد الجماعة، وبث روح الفريق فيهم، كما تعمل على المحافظة على تماسك الجماعة واستقرارها، وبالتالي فهذا الدور قد يؤديه فرد أو مجموعة من الأفراد.

5- مدخل النظرية التفاعلية: "Interactional theory" ظهرت هذه النظرية لتفادي، ومعالجة الثغرات التي ظهرت في النظريات السابقة، وتقوم هذه النظرية على أساس التناسق، والتكامل، والتفاعل بين جميع المتغيرات الرئيسية في القيادة من حيث:

1- شخصية القائد ونشاطه في الجماعة.

2- الجماعة تكوينها، ونوع العلاقات الداخلية التي تربط أعضاءها، كذلك خصائصها وأهدافها، وديناميكيتها.

3- الموقف بما يتضمنه من نوع العمل، الإطار الثقافي الذي هو جزء منه، العوامل المادية المؤثرة على طبيعة العمل، والظروف التي يؤدى فيها.

كما أن هذه النظرية قد توسعت في مجال ونطاق دراستها، فلم تغفل بعض المؤثرات الأخرى مثل إدراك القائد لأهمية الجماعة، وإدراك الجماعة أيضاً لأهمية القائد، ثم إدراكهم جميعاً لأهمية الموقف وهكذا، وتعتبر النظرية التفاعلية نظرية شاملة، تتفق مع النظرية المجالية القائلة بأن السلوك هو نتيجة تفاعل جميع عناصر المجال السلوكي، وبتعبير آخر فالحدث السلوكي هو محصلة مجموعة قوى موجودة في المجال الذي ظهر فيه هذا الحدث.

6- مدخل النظرية الموقفية: "Situational theory". يقوم مفهوم هذه النظرية على القول بأن الأساس الذي تحدد بموجبه خصائص القيادة لا يرتبط بسمات وخصائص شخصية عامة، بل نسبية ترتبط بموقف قيادي معين، ذلك لان متطلبات القيادة تختلف بحسب المجتمعات، وكذلك التنظيمات الإدارية داخل المجتمع الواحد، والمستويات الوظيفية في التنظيم الواحد، والمراحل التي يمر بها التنظيم، والمنصب القيادي المطلوب شغله(773)، ونظرية الموقف بهذا المفهوم تقدم معنى ديناميكيا للقيادة لأنها لا تربط القيادة بالسمات الشخصية للفرد فقط وإنما تربطها بالموقف الإداري على أساس إن عوامل الموقف والمتغيرات المتعلقة به هي التي تحدد السمات التي يمكن أن تعزز من مكانة ومركز الشخص القائد وتوفر له المناخ المناسب لنجاحه.

7- مدخل نظرية الرجل العظيم: "GREAT MAN THEORY". تؤكد هذه النظرية على أن هناك رجال عظام يظهرون في المجتمع، لما يتمتعون به من قدرات ومواهب عظيمة، وخصائص وعبقرية غير عادية، تجعل منهم قادة أياً كانت المواقف الاجتماعية التي يواجهونها.

7/2- **الفكر الإسلامي ومفهوم القيادة.**

1- تعريف القيادة من منظور إسلامي: إذا كان الفكر الإداري الحديث يشترط توافر ثلاثة عناصر في القيادة هي:

أ. وجود فرد له القدرة على التأثير.

ب. وجود مجموعة من الأفراد.

---

(773) نواف كنعان، القيادة الإدارية. (الطبعة الأولى، الرياض، دار العلوم، 1400هـ-1980م). ص:291.

ا.**وجود هدف إستراتيجي مشترك يسعى الجميع لتحقيقه**.فإن الفكر الإسلامي لا يختلف من حيث المبدأ مع هذه العناصر، التي توصل إليها الفكر الإداري الحديث رغم جدته، إذا ما قورن بظهور الفكر الإداري الإسلامي، فالأهداف يجب أن تكون أهداف مشروعة في إطار النظام الإسلامي الشامل، وأن لا تتعارض مع الإسلام نصاً وروحاً، كما أن الوسائل التي من خلالها يتم تحقيق الأهداف لابد أن تكون مشروعة، خلافاً للقاعدة الميكافيلية "الغاية تبرر الوسيلة"، فالإسلام يشترط في تحقيق الغاية المشروعة الوسيلة المشروعة، هذه الأهداف المشروعة لا يمكنها أن تتحقق إلا من قبل أفراد متشبعين بروح الإسلام، غرست فيهم روح العمل الجماعي بالمفهوم الإسلامي، ففاقد الشيء لا يعطيه، والذي لا يفهم طبيعة العمل الجماعي بالمفهوم الإسلامي، لا يمكن أن يساهم بأي شكل من الأشكال في تحقيق هذا الهدف.

هذه الجماعة المسلمة التوجه فكراً وعملاً لا يمكنها أن تؤدي دورها إلا من خلال قيادة، توجهها وتشرف على الأعمال الموكلة إليها، ويشترط في هذه القيادة فرداً كانت أم جماعة، أن تكون هي الأخرى على قدر كبير من الاقتناع، والتمسك بالإسلام فكراً وعملاً وأن تراعي في تعاملها مع الأفراد لتحقيق الأهداف المرسومة الضوابط الشرعية، وأن تتمتع بصفات إسلامية تساعد في التأثير على سلوك الأفراد، كل ذلك في نطاق الإسلام عموماً.

من خلال ذلك يمكن القول أن العناصر الأساسية للقيادة من منظور إسلامي هي:

1- وجود فرد (قائد) يتمتع بصفات قيادية إسلامية، يقود مجموعة له القدرة على التأثير فيهم.

2- مجموعة من الأفراد مقتنعون، وليس يفهمون، بالإسلام كمنهج للحياة وعندهم الاستعداد الكامل الانصياع لأوامره، والاستجابة الكاملة للمساهمة في تطبيق المفاهيم الإسلامية للقيادة نصاً وروحاً.

3- ورسم أهداف يسعى الفرد من خلال التأثير في الجماعة لتحقيقها، هذه الأهداف لابد أن تكون مشروعة، ولا تتعارض في أي جزء من جزئياتها مع مقاصد الإسلام، كما يشترط مشروعية الوسائل المتبعة لتحقيق هذه الأهداف، "فالغاية المشروعة لابد لتحقيقها من وسيلة مشروعة.

بناء على ما سبق يمكن تعريف القيادة من منظور إسلامي كما يلي:

"قدرة الفرد المسلم على التأثير على شخص أو جماعة مسلمة، وتوجيههم، وإرشادهم، لنيل تعاونهم، وتحفيزهم للعمل بأعلى درجة من الكفاءة، من أجل تحقيق أهداف مشروعة تم رسمها مسبقاً".

2-أهمية القيادة الإدارية في الإسلام. إن الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم، الإنسان مدني بالطبع أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم، وهو معنى العمران، أي لابد للإنسان من الاجتماع ليحفظ به وجوده وبقاء نوعه، إذ لا يمكن انفراده بتحصيل أسباب معاشه، دون معين من بني جنسه، فيضطر به إلى الاجتماع يتكفل له بذلك على أيسر مرام، لتتم حكمة إيجاده، وغاية ما خلق له[774]، ثم إن الاجتماع الذي هو ضرورة تقتضيها طبيعة الإنسان، تدعو إلى

[774] ابن الأزرق الاندلسي، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول، طبعة بغداد. ص:46-47.

المعاملات واقتضاء ضرورات المعاش وحاجياته، ومن لوازم ذلك، تولد المنازعات في اختصاص كل يد ما تمد إليه، لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم، والعدوان بمقتضى الغضب، وأنفة القوى البشرية، وذلك مفضي إلى المقاتلة المؤدية إلى سفك الدماء، وإتلاف النفوس، وذلك مؤذن بانقطاع النوع، وإنخرام شمل اجتماعه، وقد اقتضت حكمة العناية به أن يحفظ من محذور ذلك بوازع، لاستحالة البقاء بعد وضع الشرائع أو السياسات المصطلح عليها إلا بنصبه وهو السلطان المانع بقهر يده الغالية، يقول العلامة ابن خلدون رحمه الله: " ثم أن الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه، وتم عمران العالم بهم فلابد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم.... فيكون ذلك الوازع واحد منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل إلى غيره بعدوان"[775]، ويقول في موضع آخر: "إن البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم، وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضرورياتهم، وإذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة، واقتضاء الحاجات ومد كل واحد منهم يده إلى حاجته ليأخذها من صاحبه، لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويمانعه الآخر عنها بمقتضى الغضب والأنفة، وبمقتضى القوة البشرية في ذلك، فيقع التنازع المفضي إلى المقاتلة وهي تؤدي إلى الهرج وسفك الدماء، وإذهاب النفوس المفضي ذلك إلى انقطاع النوع وهو مما خصه الباري سبحانه بالمحافظة فاستحال بقاؤهم فوضى دون حاكم يزع بعضهم بعض"[776].

إن وجود القيادة ضرورية لسير العمل سواء كانت هذه القيادة على مستوى الإدارات الدنيا، أو على مستوى الإدارات العليا، حتى إلى قيادة الأمة، وما يمكن أن

---

[775] ابن خلدون، مرجع سبق ذكره. ص:43.

[776] نفس المرجع. ص:187.

ينجر من مفاسد من وجود القيادة –ما لم يكن يمس بدين الأمة – لا يمكن مقارنته بما قد ينجر من مفاسد نتيجة لانعدامها وفقدها، فنصب الإمام الوازع لا تعارضها المفاسد اللازمة عن قهره وغلبته لأنها لما رجحت تلك المفاسد كانت هي المعتبرة قالوا[777]: "لأن ترك الخير الكثير لأجل الشر اليسير شر كثير"، وما خص ضرره وعم نفعه فنعمة عامة وعكسه بلاء عظيم"، إن توهم الاستغناء عن السلطان –القيادة– باطل، أما في الدين فلامتناع حمل الناس على ما عرفوا منه طوعاً أو كرهاً دون نصبه وفي الأثر عن عثمان بن عفان –رضي الله عنه–: **(إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)**، أي ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمنع كثيراً من الناس بالقرآن، وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد وهذا هو الواقع[778]، وأما في الدنيا فلأن حامل الطبع والدين لا يكفي في إقامة مصالحها على الوجه الأفضل غالباً، قال الآمدي: ولذلك من لا سلطان لهم كالذئاب الشاردة والأسود الضارية لا يبقي بعضهم على بعض، لا يحافظون على سنة ولا فرض.

والفائدة من وجود القيادة –نصب السلطان– ليست لصفات القائد الجسمية أو العلمية أو الذهنية أو غيرها ولكن لما يمكن أن تحققه القيادة من مصالح لأتباعها بتحصيل المصالح ودفع المفاسد عنها، جاء في المقدمة: اعلم أن مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله، أو ملاحة وجهه، أو عظيم جثمانه، أو اتساع علمه، أو جودة خطه، أو ثقوب ذهنه، وإنما مصلحتهم فيه من حيث إضافته إليهم... والصفة التي له من حيث إضافته إليهم هي التي تسمى الملكة وهي كونه يملكهم فإذا كانت هذه الملكة وتوابعها من الجودة بمكان حصل المقصود من السلطان

[777] ابن الأزرق الأندلسي، مرجع سبق ذكره. ص:69.

[778] الإمام الشوكاني، فتح القدير، الجزء الثالث، مرجع سبق ذكره. ص: 252.

على أتم الوجوه فإنها إن كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم وإن كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضرراً عليهم"[779]، وقد وردت آثار كثيرة تدل إما صراحة أو ضمناً على وجوب وجود القيادة، لما يترتب من أضرار على فقدها، ولما يترتب من فوائد من وجودها، عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم**)[780]، وقد استدل الإمام القرطبي وغيره بهذه الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، على وجوب نصب الخليفة ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويقطع تنازعهم، وينتصر لمظلومهم من ظالمهم، ويقيم الحدود ويزجر من تعاطى الفواحش ذلك من الأمور المهمة التي لا يمكن إقامتها إلا بالإمام –القائد– "وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب مطلقا"[781].

والقيادة على ثلاثة أنواع في الحكم: إما أن يكون حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة وهو مذموم في نظر الشرع، وإما حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار فهو مذموم أيضاً لأنه نظر بغير نور الله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[782]، لأن الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من أمور آجرتهم وأعمال البشر كلها عائدة عليهم في معادهم من الملك وغيره قال: [إنما هي أعمالكم أحصيها لكم][783]، وأحكام السياسة إنما تطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أن أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها

[779] ابن خلدون، مرجع سبق ذكره. ص:188.
[780] الإمام الشوكاني، نيل الأوطار. (بيروت، دار الكتب العلمية، 1983). ص:255.
[781] علي بن عباس البعلي الحنبلي، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص: 94.
[782] سورة النور، الآية:40.
[783] ابن حزم الظاهري، المحلى، الجزء الأول، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، دون تاريخ). ص:48.

بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الـدين وسياسـة الدنيا[784]، وهناك مجموعة من الحكم المستفادة من تنصيب السـلطان أو وجـود القيـادة بصفة عامة:

الحكمة الأولى: مستفادة مـن قولـه تعـالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[785]، ومعناهـا أن الله تعـالى يـدفع بوضع الشرائع ونصب الملوك أنواع الشرور والمفاسد[786].

الحكمة الثانية: إن السلطان المستقل بـه مـن حجـج الله تعـالى عـلى وجـوده، وبينات الدلالة على توحيده، لأن عدم استقامة العالم بغير مدبر شاهد بأن اختراعه على أفضل وجوه العناية به، لا يصـلح إسـناده لغـير شيء، بـل لابـد مـن الإقـرار بفـاطره الحكيم، واستحالة صلاح البلد الواحد بنصب سلطانين دليل على أن العـالم لا يصـلح بوجود الاثنين قال الطرطوشي: لهذا قال الإمام علي رضي الله عنـه: أمـران جلـيلان لا يصلح أحدهما إلا بالتفرد، ولا يصلح الآخر إلا بالمشاركة وهما: الملك والرأي، فكما لا يستقيم الملك بالمشاركة، لا يستقيم الرأي بالتفرد.

الحكمة الثالثة: أنه يدفع بتخويفه وتهديده ما لا يـدفع القـرآن بتكريـر وعظـه وترديده "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن".

قال الطرطوشي معناه: يدفع، قال ابن المبارك رحمه الله:

---

[784] ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، طبعة الأعلمي. ص:190_191.

[785] سورة البقرة، الآية:251.

[786] ابن الأزرق الأندلسي، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص:105_108.

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا	*بعروته الوثقى لمن دانا*
كم يدفع الله بالسلطان مظلمة	*في ديننا رحمة منه ودنيانا*
لولا الخليفة لم تأمن لنا سبل	*وكان أضعفنا نهباً لأقوانا*

ويرى الباحث أن المقصود هنا بالخليفة العادل، لا الظالم ولذلك فالبيت الأخير يدل دلالة واضحة على واقع وحال الأمة اليوم.

الحكمة الرابعة: أنه يندفع به ضرر ما يفوت بتقديره فقده، من حاجة الخلق لتنفيذ الأحكام وإقامة الصلوات، وجباية الخراج ونصب القضاة، وحماية البيضة، وسد الثغور، وتجهيز الجيوش، وقسم الغنائم، وبعث السعاة والولاة، وإنصاف المظلوم، والظاهر أن دفع الضرر عن النفس واجب بإجماع الأنبياء والرسل، وبصريح العقل عند القائلين بتحسينه وتقبيحه، وحينئذ ف نصبه واجب تحصيلاًلهذه الحكمة البالغة.

ويرى الباحث أن العبرة في عموم النص لا في خصوص اللفظ، فما ينطبق على القيادة على مستوى الإدارة العليا، يمكن سحبه على القيادة على مستوى الإدارات الوسطى، والمباشرة، ولكن مع مراعاة نطاق الصلاحيات.

يرى صاحب المنهج المسلوك في سياسة الملوك ضرورة نصب السلطان، أو وجود القيادة فالرعية في نظره بدون راع كالسائمة في مراعيها إذا فقدت راعيها، بل الرعية أشد ضرراً حيث يقول:" لما كانت الرعية ضروباً مختلفة وشعوباً مختلطة، متباينة الأغراض والمقاصد، متفرقة الأوصاف، والطبائع، افتقرت ضرورة إلى ملك عادل يقوم أودها –اعوجاجها– ويقيم عمدها، ويمنع ضررها، ويأخذ حقها، ويذب عنها ما أشقها، ومتى خلت من سياسة تدبير الملك كانت كسفينة في البحر اكتنفتها

(أحاطتها) الرياح المتواترة، والأمواج المتظاهرة قد أسلمها الملاحون واستسلم أهلها إلى المنون، وأعلم أن الرعية تستضميء إلى عدل الملك وتدبيره استضاء أهل الجدب إلى الغيث الوابل، وينتعشون بطلعته عليهم كانتعاش النبت بما يناله من ذلك القطر، بل الرعية بالملك أعظم نفعاً منها بالغيث لأن للغيث وقتاً معلوماً وسياسة الملك دائمة لا حد لها ولا وقت، وقد قيل الرعية بلا وال كالأنعام بلا راع فأنظر سائمة الأنعام في مراعيها إذا خلت من راعيها ما أشد اختلال حالها واختلاف أفعالها، بل الرعية أشد اختلالاً، وأكثر اختلافاً، فلابد من زعيم يمنعهم من المظالم ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم ولولاه لكانوا فوضى مهملين همجاً مضاعين"[787]، قال الأفوه الأودي[788].

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

والبيت لا يبتنى إلا بأعمدة ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

فإن تجمع أوتاد وأعمدة ... وساكن بلغوا الأمر الذي أرادوا

3- صفات القائد الإداري في المفهوم الإسلامي. تتميز القيادة الإدارية في الإسلام بميزات كثيرة يمكن إجمالها فيما يلي:

1 - أنها قيادة وسطية في الأسلوب، ترعى الحقوق والواجبات للفرد وللجماعة المسلمة بالعدل والمساواة، لا تميل إلى الشدة ولا إلى اللين لقول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، "إن هذا الأمر لا يصلح فيه إلا اللين في غير ضعف والقوة في غير عنف"، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا

[787] عبد الرحمن الشيزري، المنهج المسلوك في سياسة الملوك. (الطبعة الأولى، الزرقاء، مكتبة المنار، 1407هـ_1987م). ص:163 وما بعدها.

[788] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، الجزء الأول. (بيروت، دار الفكر، دون تاريخ). ص:6.

مِنْ حَوْلِكَ﴾[789]، وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[790]، وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[791].

2 - قيادة إنسانية تحفظ للإنسان كرامته وتشركه فيما يهمه من قرارات وتحسن معاملته.

3 - إنها قيادة تنتمي إلى الجماعة ولا تتميز عنها في أي شيء سوى عظم المسؤولية الملقاة على كاهلها، عن عمر بن مشاجع أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، يوصيه خيراً بالرعية فقال: "فافتح بابك، وباشر أمرهم بنفسك فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً وقد بلغ أمير المؤمنين أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك، ليس للمسلمين مثلها، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة، البهيمة التي مرت بواد خصيب فلم يكن لها همة إلا السمن، وإنما حتفها في السمن، واعلم أن للعالم مرداً إلى الله فإذا زاغ العالم زاغت رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته"[792].

4 - إنها قيادة ذات مهارات سياسية تضع حسابات دقيقة لكل القوى المؤثرة في البيئة المحيطة[793].

---

[789] سورة آل عمران، الآية: 159.

[790] سورة النحل، الآية 125.

[791] سورة الشعراء، الآية 215.

[792] الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الثاني. (الطبعة الخامسة، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1405هـ_1985م). ص: 293.

[793] إبراهيم أبو سن، الإدارة في الإسلام. (الطبعة الخامسة، الخرطوم، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1993). ص: 119.

وقد جمع العلامة قدامة بن جعفر في كتابه "الخراج وصناعة الكتابة"، الخصال التي لابد أن تتوفر فيمن يجب أن توكل إليهم المهام والمسئوليات على جميع المستويات من أدنى رتبة إلى أعلاها، وعدها أربع عشرة خلة[794]:

1 - العقل فإنه رأس الفضائل وعنصر المحامد.

2 - العلم فإنه من ثمار العقل ولا يليق أن تسند الأمور لأهل الجهل.

3 - الود للناس فإن خلقه من أخلاق الناس يولده العدل في الإنسان.

4 - النصيحة.

5 - كتمان السر وهو ثمرة من ثمار صدق الوفاء.

6 - العفة عن الشهوات والأموال.

7 - مجانبة الحسد.

8 - الصرامة، وهي شدة القلب.

9 - الصدق، فإن مضرة الكذب على مستعمله وعلى مقاربه غير يسيرة.

10 - الرأفة.

11 - الأمانة فيما يستحفظ ورعاية الحق فيما يستودع.

12 - أن لا يكون في ضيقة إيثار الإنصاف، والعدل في المعاطاة والمؤاخذة، فإن العدل يصلح السرائر ويجمل الظواهر.

---

[794] السيد أحمد فرج، السلطة الإدارية والسياسة الشرعية في الدولة الإسلامية. (المنصورة، دار الوفاء، 1993). ص:83.

13 - ألا يكون بذاخاً ولا متكبراً، فإن البذخ من دلائل سقوط النفس.

14 - ألا يكون شحيحاً فإن الشح من إمارات ضيق النفس، وشدة الطيش والبعد عن التماسك والصبر.

ويتناول الفارابي في كتابه فصول من آراء أهل المدينة الفاضلة، بعض الصفات الواجب توفرها في العضو الرئيس، أو الزعيم أو القائد ويشبه الزعيم أو القائد في جماعة مرؤوسيه بمثابة القلب في الجسد فيقول: "وكما أن العضو الرئيس في البدن هو بالطبع أكمل أعضائه وأتمها في نفسه وفيما يخصه، وله من كل ما يشارك فيه عضو آخر أفضلها، ودونه أيضاً أعضاء أخرى رئيسة لما دونها ورئاستها دون رئاسة الأول، وهي تحت رئاسة الأول تراس وترأس، كذلك رئيس المدينة هو أكمل أجزاء المدينة فيما يخصه، وله من كل ما يشارك فيه غيره أفضله، ودونه قوم مرؤوسون منه ويرأسون آخرين"[795].

ويقصد بالعضو الرئيس هنا القلب، ويريد بكلمة الطبع، الطبيعة أو الفطرة والمعنى أن القلب في البدن يفوق بقية الأعضاء في البدن كمالاً وتماماً فهو أكملها في نفسه، أي من جهة خلقه وتركيب أجزائه، وهو أكملها فيما يختص به من وظائف والأعمال التي لا يشاركه فيها غيره من الأعضاء، وهو إذ يشارك غيره في بعض وظائفه وصفاته لا يشاركه إلا في أفضل هذه الوظائف والصفات ويقع تحت رئاسة القلب أعضاء أخرى أقل منه كمالاً وشرفاً، ولكنها أيضاً درجات ومراتب...، وكذلك المدينة الفاضلة ففيها رئيس له من الصفات والوظائف والأعمال بالنسبة إلى غيره، ما يشبه صفات القلب ووظائفه وأعماله بالنسبة لبقية الأعضاء.

---

[795] الفارابي، فصول من أراء أهل المدينة الفاضلة. (الطبعة الثانية منقحة، لجنة البيان العربي، 1381هـ-1961م). ص:32-33.

أما فيما يتعلق بنظرته للزعامة فيقرر أن هناك سمات لابد أن تتوفر في الزعيم أو القائد، منها المكتسب ومنها الفطري، فيقول: "ورئيس المدينة الفاضلة ليس يمكن أن يكون أي إنسان اتفق، لأن الرئاسة إنما تكون بشيئين: احدهما أن يكون بالفطرة والطبع معداً لها، والثاني بالهيئة والملكة الإدارية، والرئاسة إنما تحصل لمن فطر بالطبع (وصار بالهيئة والملكة الإرادية) معداً لها"، ولا يمكن أن تصير هذه الحال إلا لمن اجتمعت فيه بالطبع اثنتا عشرة خصلة قد فطر عليها:

1 - أحدها أن يكون تام الأعضاء، قواها مواتية أعضاؤها على الأعمال التي شأنها أن تكون بها.

2 - ثم أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له ويتلقاه بفهمه على ما يقصده القائل وعلى حسب الأمر في نفسه.

3 - ثم أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه، ولما يراه، و لما يسمعه، ولما يدركه في الجملة فلا يكاد ينساه.

4 - ثم أن يكون جيد الفطنة ذكيا إذا رأى الشيء بأدنى دليل فطن له على الجهة التي دل عليها الدليل.

5 - ثم أن يكون حسن العبارة يؤاتيه لسانه على إبانة كل ما ضمره إبانة تامة.

6 - ثم أن يكون محباً للعلم والاستفادة، منقاداً له، سهل القبول، لا يؤلمه تعب التعلم، ولا يؤذيه الكد الذي ينال منه.

7 - ثم أن يكون غير شره على المأكول، والمشروب، والمنكوح، متجنباً بالطبع للعب، مبغضاً للذات.

8 - ثم أن يكون محباً للصدق وأهله مبغضاً للكذب وأهله.

9 - ثم أن يكون كبيراً النفس محباً للكرامة تكبر نفسه بالطبع عن كل ما يشين من الأمور وتسمو نفسه بالطبع إلى الأرفع منها.

10 - ثم أن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده.

11 - ثم أن يكون بالطبع محباً للعدل وأهله، ومبغضاً للجور والظلم و أهلهما، النصيف (المعاملة بالعدل والقسط) من أهله ومن غيره، ويبحث عليه ويأتي من حل به الجور (أي يرد له حقه وما أخذ منه)، مواتياً لكل ما يراه حسناً وجميلاً ويكون عدلاً غير صعب القياد، ولا جموحاً، ولا لجوجاً إذا دعي إلى العدل، بل صعب القياد إذا دعي إلى الجور وإلى القبح.

12 - ثم أن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل، جسوراً عليه، مقداماً غير خائف ولا ضعيف النفس.

وقد أدرك الفارابي أنه من الصعب والنادر أن تتوفر جميع هذه الصفات عن طريق الفطرة إلا نادراً فقال: "واجتماع هذه كلها في إنسان عسر فلذلك لا يوجد من فطر على هذه الفطرة إلا الواحد بعد الواحد والأقل من الناس"[796].

أما الماوردي فيشترط في القائد الذي يتولى أمر جماعة قلت أو كثرت إلى حدود الدولة عشرة أشياء لابد توافرها حتى يستحق منصب القيادة أو السلطان[797]:

أحدها: حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة.

---

[796] نفس المرجع. ص:66 وما بعدها.

[797] الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية. (بيروت، دار الكتب العلمية، دون تاريخ). ص:18.

والثاني: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تم النصفة فلا يعتدي ظالم ولا يضعف مظلوم.

الثالث: حماية البيضة، والذب عن الحريم، ليتصرف الناس في المعايش وينتشروا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال.

الرابع: إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من اتلاف واستهلاك.

الخامس: تحصين الثغور بالعدة والقوة الدافعة حتى لا تظفر الأعداء بثغر ينتهكون فيها محرماً أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دماً.

السادس: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله.

السابع: جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع من غير خوف ولا عسف.

الثامن: تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.

التاسع: استكفاء الأمناء، وتقليد النصحاء، فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال، لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة، والأموال بالأمناء محفوظة.

العاشر: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال، لينهض بسياسة الأمة و حراسة الملة، و لا يعول على التفويض تشاغلا بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين، و يغش الناصح، وقد قال تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ

شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[798]، فلم يقتصر الله سبحانه و تعالى على التفويض دون المباشرة، و لا عذره في الإتباع حتى وصفه بالضلال، و هذا و إن كان مستحقا بحكم الدين ومنصب الخلافة فهو من حقوق السياسة لكل مسترع، قال النبي ﷺ: **(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام، وقال بعضهم فالأمير الذي على الناس راع ومسئول عن رعيته والرجل راع على أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. وقال الأنصاري: والعبد راع على مال سيده)**[799]، و مما يستدل به على حرص القيادة الإسلامية على مصالح الرعية، الرسالة التي أرسلها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلى واليه في العراق أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، و التي جاء فيها:"أما بعد: فإن القضاء حكمة و سنة متبعة، فأفهم إذا أدلي إليك بحجة و أنفذ الحق إذا وضح، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، و آس بين الناس في وجهك و مجلسك و عدلك، حتى لا ييأس الضعيف من عدلك، و لا يطمع الشريف في حيفك، البينة على من ادعى و اليمين على من أنكر، و الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو صلح حرم حلالا، لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك و هديت فيه لرشدك أن تراجع الحق، فإن الحق قديم و مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما لم يبلغك في الكتاب و السنة، واعرف الأمثال و الأشباه ثم قس الأمور عند ذلك، فاعمد إلى أحبها إلى الله عز و جل و أشبهها بالحق فيما ترى، و اجعل لمن ادعى بينة أمدا ينتهي إليه، فإن أحضر بينة أخذت له بحقه، و إلا وجهت القضاء عليه، فإن ذلك أجلى للعمى و أبلغ في العذر، المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا

---

(798) سورة ص، الآية: 26.

(799) أبو عوانة، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص: 384.

مجلودا في حد و مجربا في شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو وراثة، إن الله تولى منكم السرائر و درأ عنكم البينات، و إياك و الغلق و الضجر و التأذي بالناس و التنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر، و يحسن بها الذخر، فإنه من يصلح نيته فيما بينه و بين الله تعالى و لو على نفسه يكفيه الله ما بينه و بين الناس، و من تزين للناس بما يعلم الله منه غير ذلك يشنه الله، فما ظنك بثواب الله عز و جل و عاجل رزقه و خزائن رحمته، و السلام عليك"[800].

ويرى أحد العلماء أن القاعدة أو الأساس الذي يبنى عليه الملك أو الإدارة على جميع مستوياتها وهي كما سماها الملك -القائد- المنتصب لتدبير الرعية وسياسة المملكة فلا بد أن تتوفر فيه أوصاف أربعة لا ينفك عنه واحدة منهن وهي: أدبه، وعقله، وعدله، وإقدامه، فإذا عرّى عن شيء من ذلك ذهبت قوته وضعف عن حمل المملكة.

فينبغي للملك المنتصب لتدبير الرعية أن يتصف بالأوصاف الكريمة ويتلبسها، ويجعلها له خلقا مطبوعا، ولا يهمل منها وصفا واحدا إذ بها قيام دولته، ودوام مملكته، وهي خمسة عشر وصفا: العدل، العقل، الشجاعة، السخاء، الرفق، الوفاء، الصدق، الرأفة، الصبر، العفو، الشكر، الأناة، الحلم، العفاف، والوقار[801]، وهناك أوصاف ذميمة على الملك أو القائد أن يبتعد عنها ويتجنبها لأن وجودها يعجل بخراب الدول وزوال الملك ويقسر من عمر الملك، هذه الأوصاف الذميمة عددها صاحب كتاب المنهج المسلوك كالآتي: الجور، الجهل، البخل، السرف، الخلف،

---

(800) أبو جعفر احمد المشهور بالمحب الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، الجزء الأول. (الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405هـ-1984). ص: 397-398.

(801) عبد الرحمن الشيزري، مرجع سبق ذكره. ص: 241.

الكـذب، الغيبـة، الغضـب، العجـب، الكـبر، الحسـد، العجلـة، المـزاح، الضـحك، والغدر[802]، فما أقل الأوصاف الأولى بل تكاد تنعدم في زماننا هذا وما أكثر الأوصـاف الأخيرة، بل هي المسيطرة مما أدى إلى خراب الدول وعدم استقرار الملـك، فحـق عـلى من قلده الله أزمة حكمه، وملكه أمر خلقه، واختصه بإحسانه، ومكن لـه في سـلطانه، أن يكون من الاهتمام بمصالح رعيته، والاعتناء بمرافق أهل طاعته، بحيث وضعه الله من الكرامة، وأجرى عليه من أسباب السعادة، قـال تعـالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[803]، وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة إلى الحسن بـن أبي الحسن البصري أن يكتب إليه صفة الإمام العادل، فكتـب إليـه الحسـن -رحمـه الله-: "اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كـل مائـل، وقصـد كـل جـائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضـعيف، ونصـفة كـل مظلـوم، ومفـزع كـل ملهـوف، والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي على إبله، الرفيـق بهـا الـذي يرتـاد لهـا أطيـب المراعي ويذودها عن مراعي الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقـر، والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالأب الحاني عن ولده، يسـعى لهـم صـغارا ويعلهـم كبارا، ويكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته، والأمير العـادل يـا أمـير المـؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرهـا ووضـعته كرهـا، وربتـه طفـلا، تسـهر بسهره، وتسكن بسكونه، فترضـعه تـارة، وتفطمـه أخـرى، وتفـرح بعافيتـه، وتغـتم بشكايته، والإمام العـادل يـا أمـير المـؤمنين، وصي اليتـامى، وخـازن المسـاكين، يـربي صغيرهم، ويمون كبيرهم، ... واعلم يا أمير المؤمنين إن الله أنزل الحـدود ليزجـر بهـا

---

(802) نفس المرجع. ص: 358.

(803) ابن عبد ربه، مرجع سبق ذكره. ص: 5.

عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتاها من يليها؟ وأن الله أنزل القصاص حياة للعباد فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم؟ "[804].

المطلب الثالث: اتخاذ القرار:

3\1= **تعريف القرار**. يعرف القرار "Decision" على أنه:" عملية فكرية عقلية يريد من ورائها القائد الإداري التوصل إلى اختيار بديل من مجموعة البدائل المتاحة لإيجاد حل مناسب للمشكلة التي تواجهه"[805].

ويعرفه البعض بأنه:" سلوك أو تصرف واع منطقي، ذو طابع جماعي ويمثل الحل أو التصرف، أو البديل، الذي يتم اختياره على أساس المفاضلة بين عدة بدائل وحلول ممكنة ومتاحة لحل مشكلة، ويعتبر هذا البديل الأكثر كفاءة وفاعلية بين تلك البدائل المتاحة لمتخذ القرار".

إذن فعملية اتخاذ القرار هي نشاط ذهني، فكري وموضوعي، يسعى إلى اختيار البديل (الحل) الأنسب للمشكلة، على أساس مجموعة من الخطوات العملية المتتابعة التي يستخدمها متخذ القرار في سبيل الوصول إلى اختيار، واتخاذ القرار الأنسب والأفضل[806].

3\2-أنواع القرارات: يمكن تصنيف القرارات وتحديد أنواعها وفقاً للمعيار الذي يستخدم في عملية التصنيف، ووفقاً للأهداف التي يسعى إلى تحقيقها، وكذلك مكوناتها، ومستوى جودتها وقبولها، وبشكل عام فالقرارات تختلف باختلاف مجال

---

(804) نفس المرجع. ص: 25-26.

(805) مسعود بن محمد النمر، مرجع سابق ذكره. ص: 268.

(806) حسين حريم، وآخرون، مرجع سبق ذكره. ص: 140.

استخدامها، فرسم السياسات، ووضع الإستراتيجيات، وإعداد الخطط والبرامج واستثمار الموارد، كل هذه العمليات وغيرها هي نتائج لصناعة قرارات، والمتعارف عليه أن هناك ثلاثة أنواع من القرارات[807]:

1- **القرارات الرشيدة:** وهي القرارات المبنية على بيانات، ومعلومات، ومعطيات، أصلية، واضحة، ودقيقة، ومؤكدة، وشاملة، ومرتبطة بالبيئة المتعلقة بهذا القرار المتخذ، كما يأخذ القرار الرشيد اعتبار الأدوات المستخدمة في المعالجة، والتقنية المختارة في توصيل المعلومات من مصادرها إلى صانعي ومتخذي القرارات.

2- **القرارات العشوائية:** وهي القرارات التي يعتمد في اتخاذها على معلومات سابقة وقديمة، مع افتراض ثبات معدلات التغير، وعدم وجود أسس وقواعد متبعة في مراحل اتخاذ القرار دون مراعاة تأثيرات البيئة على اتخاذ القرار.

3- **القرارات الخرافية:** وهي القرارات التي لا تستند في اتخاذها إلى معلومات أو منطق، وتكون النتائج المترتبة عنها أسوأ ما تكون عليه النتائج، وتكون أيضاً تكلفتها عالية، وتحقق خسائر وقد تنهي حياة الفرد أو الجماعة أو الدولة.

هناك من العلماء من يصنف القرارات ضمن واحدة أو أكثر من الأنواع التالية:

4- **قرارات محددة ومبرمجة**: "Programmed"، وقرارات غير محددة، وغير مبرمجة."Non Programmed" على أساس طبيعة القرار ودرجة تكراره، ويشير إليها البعض بالقرارات المنظمة " Structured"، والقرارات غير المنظمة " un Structured

(807) محمد علي أحمد الطويل، مرجع سبق ذكره. ص: 218-219.

4/ 1- القرارات المحددة أو المنظمة، هي قرارات روتينية متكررة ومع مرور الزمن تضع المنظمة إجراءات محددة معيارية للتعامل مع مثل هذه القرارات، كما أن هذه القرارات توجد لها مقاييس أو قواعد خاصة بسياسة محددة، وبالإمكان اتخاذها بالرجوع إلى السياسة المتبناة مسبقاً، كذلك يتم اتخاذ هذه القرارات لتنفيذ مهام معينة لضمان إجراء التنفيذ بكفاءة وبفاعلية، وعادة ما تتخذ من قبل المشرفين في مستويات الإدارة الدنيا، ومن أمثلة هذا النوع من القرارات: مدة الإجازة التي تمنح للموظفين، مقدار العلاوة السنوية، مواعيد إرسال الفواتير، تقسيم الأعمال على العمال وغيرها.

4/ 2-أما التقارير غير المحددة أو غير المنظمة أو غير القابلة للبرمجة هي قرارات جديدة واستثنائية ولا تتكرر بصفة دورية منتظمة، وبالتالي لا يمكن برمجتها وتتعلق بالمشكلات غير الواضحة و التي لها رؤى مستقبلية، وكذلك لها العديد من المتغيرات التي لا يمكن قياس تأثيرها على النتيجة النهائية بالأرقام مثل إنشاء دائرة جديدة أو إعادة تنظيم المصالح أو توسيع المعامل الإنتاجية...وفي مثل هذه المشكلات غير المتكررة يتطلب الموقف مهارات إدارية متقدمة اجتهادا وحكما وحدسا وإبداعا.

5-**قرارات استراتيجية وقرارات تشغيلية**Strategy and operational decisions: إذا ما تم استخدام القرارات والنتائج المترتبة عنها كمعيار للتصنيف فإننا نستطيع التمييز بين القرارات الاستراتيجية و القرارات التشغيلية.

5/ 1-القرارات الاستراتيجية قرارات هامة وحيوية وتتميز بالشمولية والتعقيد و بتوجهها المستقبلي، واحتوائها على درجة كبيرة من الغموض، وتدوم آثارها لمدة طويلة' ويتطلب اتخاذها وضع الأهداف المحددة للمنظمة، والخطط الطويلة الأجل وتخصيص موارد واستثمارات ضخمة لتحقيق هذه الأهداف، ومن أمثلة هذه القرارات رسم السياسات العامة للمنظمة فيما يتعلق بعملية التوسع، أو قرارات تتعلق

برأس المال أو مصادر رأس المال و كذلك ما يتعلق بالمنتجات اللازم إنتاجها وغيرها. وعادة ما تتخذ هذه القرارات على مستوى الإدارة العليا للمؤسسة ولذلك يتطلب من شاغلي هذه المناصب التمتع بمهارات فكرية وعلمية عالية.

5/ 2-القرارات التشغيلية فهي قرارات روتينية بسيطة، تعنى بتسيير الأعمال اليومية التشغيلية والأنشطة البسيطة للمنظمة، ومثل هذه القرارات يتطلب قدرا ضئيلا من الإبداع والاستقلالية، ومن أمثلة هذا النوع من القرارات، قرارات ضبط دوام الموظفين، جدول أجازاتهم، تنظيم حركة النقل، تسجيل المراسلات وغيرها. وعادة ما تتخذ هذه القرارات على المستويات الإدارية الدنيا، أو المستويات المباشرة، وهي في اغلبها قرارات قابلة للبرمجة، ويتطلب في شاغلي هذه المستويات توفر مهارات فنية وتقنية.

6-**القرارات الشاملة والقرارات الجزئية**: أما إذا استخدمنا درجة شمول القرار أو نطاق تأثيره في المنظمة كلها أو بعضها، فإنه يمكن التمييز بين القرارات الشاملة والقرارات الجزئية.

6/ 1-القرارات الشاملة تمتد آثارها ونتائجها إلى معظم أجزاء المنظمة أو كلها، وتغطي لعديد من جوانبها مثل قرارات العلاوات و الدوام و الأجازات وغيرها، التي تمس آثارها كل أجزاء المنظمة دون استثناء.

6/ 2-القرارات الجزئية فتمس آثارها وحدة معينة أو مستوى إداري معين من مستويات إدارة المنظمة، كقرار ترقية موظف مثلا، أو قرار إحالة موظف على المعاش، أو قرار تشجيع موظف أو تزويد وحدة إدارية بأجهزة وغيرها.

7-**قرارات تنظيمية و قرارات شخصية**:Organization and personal:decisions

7/ 1-القرارات التنظيمية يتخذها الإداري بصفته الرسمية وفي حدود سلطاته وصلاحياته المخولة، أو بصفته عضو في المنظمة، ويتعلق هذا النوع من القرارات بوظيفة معينة دون سواها.

7/ 2-القرارات الشخصية فهي تلك التي يتخذها الإداري بصفته كشخص يتصرف خارج نطاق وظيفته. ويمكن الإشارة إلى أن القرارات التنظيمية تتأثر كثيرا بشخصية الإداري، وقيمه ودوافعه و ميوله.

8- وباعتماد المجال و التخصص الذي يتم اتخاذ القرار فيه يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من القرارات:

8/ 1_ القرارات الإنتاجية.

8/ 2_ القرارات التسويقية.

8/ 3_ القرارات التمويلية.

9- كما يمكن تصنيف القرارات حسب درجة تأكد متخذ القرار من معرفة نوع وطبيعة المتغيرات التي تؤثر في القرار المراد اتخاذه، وهنا يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من القرارات:

9/ 1-قرارات في ظل التأكد، Certainly decisions وهذه القرارات تتخذ في حالة التأكد التام من الظروف والمتغيرات التي تأثر في القرار المراد اتخاذه، وعليه فإن متخذ القرار قي هذه الحالة يعي تماما النتائج المترتبة عليه وآثاره مسبقا قبل اتخاذه.

9/ 2- قرارات في ظل المخاطرة :Risk decisions وهي القرارات التي تتخذ في ظل ظروف معروفة من المحتمل حدوثها، ودرجة احتمال حدوث هذه الظروف معروفة نسبيا أيضا.

9/ 3- قرارات في ظل عدم التأكـد :Uncertainly decisions وهـي القـرارات التـي تتخذ في ظروف من الممكن حـدوثها، لكـن لا تعـرف درجـة احـتمال حـدوث هـذه الظروف من عدم حدوثها.

10- القرارات الفردية و القرارات الجماعية: يمكن التمييز بين القـرارات الفرديـة و القرارات الجماعية.

10/ 1-القرارات الفردية هي التي يتخذها الإداري بصورة منفـردة أي بمفـرده دون إشراك غيره.

10/ 2-القرارات الجماعية هي القرارات التي تشارك الجماعة في اتخاذها.

3/ 3-قواعد اتخاذ القرار.

1-قاعدة الاختيار: تنص هذه القاعدة على حصر جميع البدائل المتاحة للمفاضلة بينها، واختيار القرار المناسب، وبالشكل المناسـب والتكلفـة المناسـبة، والخيـار المناسـب يعتمد على عدة مفاهيم وأسس تقيد الاختيار والتصرف، وأهم هذه الأسس المقيدة هي ظروف البيئـة التـي يـتم فيهـا تنفيـذ القـرار، وقـد يتـأثر الاختيـار بالعوامـل الشخصية لمتخذ القرار، ومدى موضوعيته، وتحكم القرار عدة قيـود فنيـة التـي في ظلها يتحقق الأداء الفعال، كما أن القيود الاقتصادية خاصة قـد تكـون أحـد قيـود الخيار، وكذلك القيود السياسية، والقيود الإدارية وقيود القوانين واللوائح، وهـذه القيود التي تعد استراتيجية لها أثر فعال في اختيار قرار من بين عدة قرارات قـد تـم اتخاذها تجاه الموضوع[808].

---

[808] محمد علي أحمد الطويل، مرجع سبق ذكره. ص:227، وما بعدها.

2- **قاعدة حصر البدائل:** وهي مرحلة تحديد أبعاد المشكلة تحديدا قاطعا، وحصر القرارات البديلة ذات الصلة أو العلاقة، وتحليل كل بديل من حيث المزايا والعيوب، ووضع الاختيار هو القاعدة الأولى في الاعتبار بعد ذلك.

3- **قاعدة الأهداف والدوافع:** هدف القرار يتحكم في اختيار البديل، كما أن الدافع للقرار يتحكم في تحديد البدائل، واختيار الأمثل من بينها، لأن استخدام معيار محدد للاختيار يعكس أهمية القرار والنتائج المرجوة منه تجاه دوافع اتخاذه.

4- **قاعدة معايير اتخاذ القرار:** إن اتخاذ القرار يتم بناء على عدة معايير تحدد بدورها اتجاه اتخاذ القرار، وهذه المعايير يمكن تحديدها في المعيار الذي يقيس درجة مخاطر كل بديل، معيار قياس التكلفة الاقتصادية لكل بديل، ثم توقيت اتخاذ القرار، والمعلومات التي لا بد من توفرها حول موضوع اتخاذ القرار، بالإضافة إلى تحديد الموارد المستخدمة في عملية التنفيذ.

5- **قاعدة وضع برامج التنفيذ:** وتنص هذه القاعدة على وضع برامج تفصيلية للعمل بحيث يتحد حجم العمل ونوعه، ومواعيد إتمامه، وطرق أدائه، وتنظيم جهود الأفراد في سبيل إنجازه والمهام المطلوبة، ومن ثم يمكن تحديد مستويات قبول القرار وجودته مسبقا ليكون الأداء طبقا لما تقرر، وهذا بغرض تصميم العمل وتنظيمه، وبرمجة مراحل أدائه.

6- **قاعدة المشاكل التنظيمية:** وهي المشاكل الناجمة عن التنظيم المعمول بموجبه، والذي يحدد مكان ووظيفة متخذ القرار، والحدود التي تمنحها الوظيفة لاتخاذ القرار، ومدى التفاعل بين نتيجة القرار والبيئة التي سيتم فيها اتخاذ القرار، من حيث المستويات الإدارية المتخذة للقرار من المستوى الأعلى، والمستوى الأوسط،

والمستوى التنفيذي أو المباشر، وكذلك الوقت الذي يتم فيه اتخاذ القرار، وطريقة إبلاغه للجهات ذات الصلة، ومدى المشاركة التي يسمح بها التنظيم.

7- **قاعدة حساب اتخاذ القرار:** إن اختيار البديل الأمثل واتخاذه كقرار يجب تنفيذه، هو التحدي لمتخذ القرار، وهذا يتم بناء على أن القرار هو عمل ذهني، وله مسئولية تفرض تحويله إلى عمل لتحقيق هدف يمكن الوصول إليه، مع قدر من المرونة الذهنية لأخذ جميع الاعتبارات المتعلقة بترابط الوظائف عند التنفيذ، وحتمية التغيير، ومتابعة التنفيذ في الوقت الكافي مع طرح الأفكار، وكل الاحتمالات التي يمكنها مواجهة عملية التنفيذ، ويعتبر هذا التحدي ممارسة عملية لاكتساب الخبرة والمهارة في اتخاذ القرار، والتأكد من تنفيذه لاسيما و أن القرار المتخذ قد لا يرضي كل الأطراف المشاركة في عملية التنفيذ، وفي هذه الحالة يجب شرح القرار، وكسب مقاومة الجماعة.

8- **قاعدة العوامل السلوكية:** هذه القاعدة تأخذ في الحسبان الافتراضات والنتائج الأساسية المرتبطة بالسلوك الإنساني لمنفذي القرار، والذين يتم قبولهم للتنفيذ الكامل، مع دوافعهم، واتجاهاتهم، وانفعالاتهم في المواقف المختلفة أثناء أداء العمل.

9- **تحديد متخذ القرار:** إن متخذ القرار هو العنصر الأساسي لاختيار قرار معين، وهذا يعتمد على اتساع أفقه، وإدراكه للرضا لإنجاز العمل بأحسن ما يكون عليه التنفيذ، وذلك اعتباره لحساسية الموقف قبل وأثناء وخلال تنفيذ القرار، الأمر الذي يتلازم مع عملية التحضير للعمل، والاستجابة لآراء المنفذين له.

والقدرة على احتواء الموقف وبعد النظر والشجاعة لاستغلال الفرصة المتاحة[809].

3/ 4-نماذج اتخاذ القرارات:

لقد ميز هربرت سايمون "Simon" بين نموذجين لاتخاذ القرارات:

1- **النموذج الراشد: Rational** وبموجب هذا النوع من النماذج يقوم الإداري المتخذ للقرار بالخطوات التالية:

أ- تعريف المشكلة

ب- وضع مجموعة من الحلول وتقييمها.

ج- اختيار الحل الأنسب من مجموع الحلول البديلة.

د- التنفيذ والمتابعة.

2- **النموذج المرضي أو نموذج الرجل الإداري:** statisficing administrative man

بموجب هذا النموذج يسعى الإداري إلى الوصول إلى قرار معقول، يلقى القبول والرضا وليس مثالي، ويتوقف هذا القرار على مجموعة البدائل التي من خلالها يختار الحل المرضي، المقبول، المقنع، رغم احتمال وجود بدائل أفضل، ويرى هربرت سايمون أن هذا النموذج هو السائد نظرا لصعوبة تحديد كل البدائل الممكنة، ومعرفة نتائج كل بديل، كذلك ما يترتب على العملية من جهد، ووقت، إضافة إلى المؤثرات التي قد تتدخل في عملية اتخاذ القرار من قيم، ومؤثرات شخصية، ودوافع وميول.

---

[809] حسن حريم وآخرون، مرجع سبق ذكره. ص:145_147.

مالوثانز ونماذج اتخاذ القرارات:

يصنف "مالوثانز" نماذج اتخاذ القرارات إلى أربعة نماذج:

1- النموذج الاقتصادي المنطقي Econologic: ويماثل النموذج الراشد عند سايمون، وينظر هذا النموذج لمتخذ القرار على أنه راشد وعقلاني بصورة كاملة.

2- النموذج الاجتماعي Social: وهو عكس النموذج الاقتصادي المنطقي وتم تطويره من قبل المهتمين والمختصين من علماء علم النفس معتمدين في ذلك على نظرية فرويد Freud التي ترى الإنسان مجموعة من النزعات والعواطف والغرائز.

3- Judgemental heuristics and Biases : بموجب هذا النموذج فإن متخذ القرار يعتمد على الاستكشاف، والحكم، والاجتهاد، معتمدا في ذلك على خبرته العملية وليس معرفته العلمية فقط، وكذلك على قوة حدسه، وعلى المحاولة والخطأ، والاستفادة من التجارب السابقة.

5/3- **مراحل اتخاذ القرارات:** ،The decision Process.

إن القرار الجيد هو ذلك القرار الذي يعتمد في اتخاذه على أسلوب تحليلي منظم، مركز على المنطق العلمي، موظف جميع البيانات المتوافرة من أجل الوصول إلى البدائل أو الحلول الممكنة لاتخاذه، ومن أجل الوصول إلى قرار جيد ورشيد وسليم يستلزم إتباع المراحل التالية:[810]

(810) المنعم زمزير الموسوي، اتخاذ القرارات الإدارية. (الطبعة الأولى، عمان، دار اليازوري، 1418هـ_1998م). ص:15.

1- إدراك المشكلة وتحديدها: Recognition and definition of problem:تتطلب هذه المرحلة تحديد المشكلة المراد اتخاذ القرار بشأنها تحديدا واضحا ومختصرا، حيث أن هذه الخطوة تعتبر المحورية لخطوات اتخاذ القرارات الأخرى، وما لم يتم إنجازها بصورة جيدة فإن أداء المراحل اللاحقة لاتخاذ القرار سيكون أداء مضللا، لذلك يتطلب في هذه المرحلة تحديد ما يلي:

- تحديد المتغيرات الممكن التحكم بها Controllable variables
- تحديد المتغيرات غير الممكن التحكم فيها Incontrollable variables
- تحديد القيود: "constraints" التي يجب مراعاتها عند حل مشكلة القرار.

2- تأسيس المعايير والأهداف: يتطلب من الإدارة في هذه المرحلة بأن تحدد وبشكل واضح الأهداف المراد تحقيقها من اتخاذ القرار، وكذلك المعايير المستخدمة لتحقيق ذلك، وإن هذه الأهداف يجب أن تكون قابلة للقياس.

3- صياغة النموذج وإيجاد البدائل: إن النموذج الموضوع هو تمثيل لمشكلة القرار، حيث يتم تحويلها إلى مجموعة رموز رياضية - عندما يكون التحليل كميًا - تربط المعايير المتبعة في اتخاذ القرار مع هدف القرار وبشكل قابل للقياس، ومن خلال النموذج يستطيع المدير الحصول على بدائل، أو حلول مختلفة لمشكلة القرار.

4- تقييم البدائل واختيار أفضلها.

5- تنفيذ القرار.

3/ 6-الفكر الإسلامي واتخاذ القرار: اعتبر أغلب علماء الإدارة بأن عملية اتخاذ القرار هي عملية فكرية عقلية، يريد من ورائها متخذ القرار التوصل لاختيار البديل المناسب

من مجموعة من البدائل المتاحة، للوصول إلى حل مناسب للمشكلة التي تواجهه، وتختلف القرارات المتخذة باختلاف الوظائف التي يراد اتخاذ هذا القرار بصددها، كما يرى الاتجاه الوظيفي في المدرسة الكلاسيكية، أما المدرسة السلوكية عموما فكعادتها تركز على ما يتعلق بالعاملين، فترى أن القرار المتخذ لا بد أن يكون لعلاج ما يعانيه العامل من مشاكل تتعلق بالعمل وظروفه، كالتحفيز وإشباع حاجات العاملين، والتقليل من ضغوط العمل المادية منها والنفسية، أما الاتجاهات الاجتماعية الحديثة فقد ركزت على أثر اشتراك العاملين في صنع القرار.

ونظرا لأن المنهج الإسلامي بصفة عامة يقوم على النظرة المتكاملة للعملية الإدارية بما تحويه من تخطيط، وتنظيم، ورقابة، وتوجيه، لأنه نظام مفتوح يتفاعل مع جميع مؤثرات البيئة فإن فلسفته في اتخاذ القرار تركز على ما يلي:

1- ليست هناك قرارات صحيحة أو مؤكدة، نظرا لظروف عدم التأكد التي تحيط بعملية اتخاذ القرار.

2- ليست هناك قرارات ثابتة معيارية، يمكن تطبيقها نظرا لصلاحيتها في جميع الظروف والأحوال، لأن هذه الظروف متغيرة، والمواقف التي تواجه متخذ القرار متباينة.

3- يتحكم في اتخاذ القرار قدرات الإنسان العقلية، والفكرية المحدودة، فمحدودية مدارك الإنسان، ومعالجته للمشكلات غالبا ما تكون من زوايا محددة، ولضمان قرارات أقرب إلى الرشد وجب على متخذ القرار المسلم إشراك غيره في صنع هذا القرار، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما خاب من**

استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد)[811]، وورد في الأثر: **" من شاور الناس شاركهم عقولهم"**.

4- يراعى في اتخاذ القرار من وجهة النظر الإسلامية معالجة مشكلة مطروحة، وإيجاد أنسب الحلول لها، وبالوسائل المتاحة، لا مزيدا من المشكلات، أو تعميق مشكلات، أو حل مشكلة على حساب مشكلة أكبر منها، لقولهﷺ: **(لا ضرر ولا ضرار ومن ضر ضره الله ومن شق شق الله عليه)**[812].

5- إذا كان اتخاذ القرارات يعتمد بالدرجة الأولى على المعلومة المتعلقة بالمشكلة المراد اتخاذ هذا القرار بصددها، إلا أن العقول تختلف في تقدير قيمة المعلومة، وفي تقدير حقيقة الموقف، ولذلك هناك جوانب خفية يمتاز بها البعض عن البعض الآخر، كالإلهام الذي يعد كرامة إلهية لابن آدم لمن بلغ درجات عالية من الإيمان، يقول ﷺ: **(اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل)**[813].

6- إن متخذ القرار سواء كان فردا أو جماعة يدرك تمام الإدراك قبل اتخاذه لأي قرار أنه مسئول عن قراره، وعن النتائج المترتبة عليه أمام الله تعالى يوم القيامة، فضلا عن جانب مسئوليته الدنيوية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[814]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[815]، و قال ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام وقال بعضهم الأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته،

---

[811] ابن الهيثمي، مرجع سبق ذكره الجزء الثامن. ص:96.

[812] عبد الله بن يوسف الحنفي، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص:385.

[813] الإمام السمعاني، مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني.ص:349.

[814] سورة الأنعام، الآية:164.

[815] سورة المدثر، الآية:38.

والرجل راع عل أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عنه فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[816].

[816] الإمام أبي عوانة، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع.ص:384.

الفصل الثالث

اثر فاعلية القيم على السلوك الإداري:

المبحث الأول

القيم بين الفاعلية واللافاعلية.

المطلب الأول: مبادئ وأسس الفاعلية.

القيم أو الأفكار من حيث الفاعلية أو اللا فاعلية نوعان: أفكار أو قيم أصيلة وصحيحة وأفكار أو قيم غير أصيلة وغير صحيحة، فالأفكار الأصيلة أو أفكار صحيحة وهذا لا يعني بالضرورة أنها فعالة، أو الأفكار غير الأصيلة فهي أفكار غير صحيحة وهذا لا يعني أنها بالضرورة غير فعالة.

فالأفكار الصحيحة تحتفظ بأصالتها حتى آخر الزمان لكنها بالمقابل يمكن أن تفقد فعاليتها وهي في طريقها[817]، ولتأكيد فاعلية القيم ولا فاعليتها تناول الباحث عوامل أو مبادئ الفاعلية في القيم، وهي مبادئ أو عوامل ثلاثة: الإلزام – المسئولية – ثم الجزاء.

1/1- الإلزام:

بالنسبة للفكر الغربي هناك اتجاهين رئيسين يقرران مصدر الإلزام أحدهما قوة الضغط الاجتماعي، والآخر قوة الجذب ذي الرحابة الإنسانية المستمدة من العون الإلهي، ويرى الفيلسوف الفرنسي " هنري برجسون" مفسرا هذين الاتجاهين قائلا:

[817] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العلم الإسلامي، مرجع سبق ذكره. ص:103.

إننا نؤدي الدور الذي عينه لنا المجتمع، ونتبع الطريق الذي رسمها لنا، ثم نسلم قيادنا لهذه الطريق، نترسمها كل يوم بنوع من العادة لا يكاد يخالطه تفكير أشبه لشيء بغريزة النحلة أو النملة، وذلكم هو ما يسمى عادة بالوفاء بالواجب، ولو أننا قاومنا ذلك لحظة، أو حاولنا أن نعدل من مسيره فإننا لا نلبث أن نرتد إليه، شئنا أم أبينا بفضل تلك القوة القاهرة للحياة الجماعية، هذا الدور يختلف اختلافا كاملا في وجهة الآخر، فعلى حين أن أخلاق الكافة اثر ناشئ عن نوع من القهر الجماعي، نجد أن أخلاق الممتازين منهم هي طموح إلى المثل الأعلى، فهي نقلة على جناح الحب المبدع الذي ينزع لا إلى توجيه سلوك الفرد وجهة أفضل فحسب، بل إلى جذب المجتمع معه وقيادته بدلا من أن يكون مقودا له" [818].

تعليقا على نظرة الفيلسوف الفرنسي_ حسب رأي الدكتور محمد عبد الله دراز- أن هناك تناقض من حيث الربط بين مصطلحي الإلزام والأخلاق الوارد في التحليل السابق، فمتى كان الإلزام قهرا شبه غرزي فإنه يفقد صفة الأخلاقية، وعكس ذلك أن تلقائية الحب هي نقيض الإلزام، فالإنسان في هذا التحليل صور على أنه لعبة في يد قوة قاهرة، فهو تارة مدفوع بالغريزة وأخرى محمول بالعاطفة ولكن لم يكن في أي حال من الأحوال مستقلا في شخصيته قادرا على تحمل مسئولياته من خلال المقارنة والتقويم والاختيار.

أما النظرة الإسلامية فخلاف ذلك الذي يقف في وجه الأخلاق اللافاعلة كإتباع الهوى دون تفكير، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا

[818] محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن. (الطبعة الثامنة، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1412هـ-1991). ص:23.

أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾[819]، وقوله تعالى:﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[820].

ويرى المفكرون المسلمون أن الإلزام يرتبط بمصدرين أساسين هما الوحي و الوحي، ولقد أغفل علماء الغرب هذه القضية الأساسية مما جعل نتائج تحاليلهم مجانبة للصواب.

لقد جاءت نصوص القرآن الكريم تبين بما لا يدع مجالا للشك أن النفس الإنسانية فطرت على الإحساس بالخير والشر، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾[821]، وزودت ببصيرة معنوية على غرار الحواس الظاهرة،لقوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾[822]، ولقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[823].

وقد خير الإنسان بين إتباع طريق الخير، وبين إتباع طريق الشر، بما زود بالقدرة في التمييز بينهما، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[824]، إلا أن النفس كما جاء في سورة يوسف: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ

[819] سورة البقرة، الآية: 170.

[820] سورة الزخرف، الآيتان: 22-23.

[821] سورة الشمس، الآيتان: 7-8.

[822] سورة القيامة، الآية: 14.

[823] سورة الحج، الآية: 46.

[824] سورة البلد، الآيات: 8-9-10.

لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[825]، إلا أن الإنسان بما يملك من قدرة العقل قادرا على أن يتحكم، ويسيطر على أهوائه، ويوجهها الوجهة الصالحة أي إلى طريق الخير وليس الشر، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[826].

إذن فالإنسان يمتلك قدرة باطنية لا يقتصر دورها على نصحه، بل توجيهه الوجهة التي يرضاها، ولذلك ربط الرسول ﷺ بين القلب أو العقل، وبين صلاح الإنسان أو فساده، حيث قال ﷺ :(**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)**[827]، هذه اللطيفة الربانية التي تمثل نور فطري قذفه الله في قلب الإنسان، ومنحه من القدرات ما جعله مناط التكليف، وسبب الجزاء الدنيوي والأخروي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :(**لما خلق الله عز وجل العقل قال له: قم. فقام، فقال له: أدبر خلفك فأدبر، ثم قال له: أقعد فقعد.فقال له: وعزتي ما خلقت خلقا خيرا منك، ولا أكرم منك، ولا أفضل منك ولا أحسن، بك آخذ وبك أعطي، وبك أعرف، وبك الثواب وعليك العقاب)** [828]، هذا حال المؤمن في استعماله للعقل في طلب الخير والصلاح، وعكس ذلك حال الكافر وهو يتراوح بين أمرين: بين إتباع الهوى، وبين الجحود وإنكار حقيقة الخالق، وهذه نتيجة منطقية لما تتركه القيم المادية من آثار سالبة على مستوى الفرد والجماعة ثم

---

[825] سورة يوسف، الآية: 53.

[826] سورة النازعات، الآيتان: 40-41.

[827] ابن دقيق العيد، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص:181.

[828] ابن الهيثمي، مرجع سبق ذكره، الجزء الثامن. ص:28.

المجتمع عموما، قال تعالى:﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[829].

فالأمر إذن أمر اختيار دنيوي حر لا علوي، وهو يرجع إلى استخدامنا الحسن أو السيئ لملكاتنا العليا، وهي ملكات يزكي تثقيفها النفس، كما يدسيها ويطمسها إهمالها، قال تعالى:﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا *قَدْأَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْخَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[830].

ولتأكيد صفة الاختيار في ما يقوم به الإنسان بناء على مداركه العقلية الموجهة بالوحي، حتى لا يتحول العقل من أداة للبناء إلى أداة للهدم والضلال، قال رسول الله ﷺ:(**إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد إستبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه**)[831] وقوله ﷺ (**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**)[832]، وقال أيضا لما سأله أحد الصحابة عن معنى البر والإثم: ما رواه وابصة بن معبد الأسدي، أن رسول الله ﷺ قال لوابصة: (**ثم جئت تسأل عن البر والإثم**)، قلت نعم، قال: وجمع أصابعه فضرب بها صدره وقال: (**استفت نفسك، استفت قلبك يا وابصة ثلاثا: البر ما اطمأنت إليه**

[829] سورة الطور، الآيتان: 32-33.

[830] سورة الشمس، الآيات:7-10.

[831] ابن دقيق العيد، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص: 181.

[832] محمد بن علي البصري، المعتمد، الجزء الأول. (الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1403). ص:61.

النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك)[833].

ولما سئل عن الإيمان، قال رسول الله ﷺ :(**إذا سرتك حسناتك وساءتك سيئاتك فأنت مؤمن)**[834]، وينهى الدكتور محمد عبد الله دراز في معرض حديثه عن قوة الإلزام في القيم الإسلامية، مقارنة بغيرها من القيم المادية، ومدى تأثير هذا الإلزام على فاعلية هذه القيم، يقول: إننا لا نوجد قواعد الشريعة وإنما نتناولها جاهزة صراحة أو ضمنا من يدي مشرعنا، أما تحديد واجباتنا المادية فنحن نقوم به ابتداء من هذه المثل العليا بقدر وسعنا. ذلكم هو الوضع المعقول والميسر الذي يتخذه التكليف الأخلاقي في القرآن الكريم فهو يضع الإنسان في مكانه الصحيح وفي الظروف التي تناسبه على وجه التحديد ما بين الفطرة والعقل المحض[835].

2/1- المسئولية:

ترتبط فكرة الإلزام بمبدأين آخرين لا ينفكان عن بعضهما يستلزم أحدهما الآخر، وهما مبدئي المسئولية، والجزاء، وهذه المبادئ الثلاثة لا تقبل الانفصال عن بعضها البعض، فإذا ما وجدت الأولى تطلب الأمر ظهور الآخرين، وإذا ما فقدت أو اختفت ذهبتا أو اختفتا على الفور في أعقابها.

وتعتمد المسئولية في مجالها على صفتين أساسيتين وهما: "الإمكان" و "الضرورة"، كل على حدة، فالجانب الأول وهو الإمكان هو الذي رصد له الإنسان، فالأخلاق التي نلحظها في واقعنا لا يمكن تحديد مصدر إلزام الإنسان بالأخذ بها لا

---

[833] عبد الله الدارمي، مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني. ص: 320.

[834] ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين، الجزء الرابع، مرجع سبق ذكره. ص:276.

[835] محمد عبد الله دراز، مرجع سبق ذكره. ص: 133.

الالتزامات الفردية، ولا الالتزامات الاجتماعية بقادرة على أن تكون مصادرا للتكليف والمسئولية، إلا إذا كان هناك تفويض صادر من السلطة الإلهية، ولذلك حتى نبلغ بالأخلاق ما أمر به القرآن الكريم يجب أن تنتهي بالمسئولية إلى نوع من المسئولية الدينية أو على الأقل تابعة لها. فالصائم الذي يحرم نفسه طيلة اليوم من كل صنوف الطعام والشراب وملذات الدنيا بأنواعها وإمضاء ذلك طوعا دون إكراه أو بمحض إرادته فهو أمام تكليف ملزم، والتقي الذي يعزم على أداء نافلة وهو يشهد الله على إقراره يصبح أمام تكليف ملزم وبموجب هذا التكليف يصبح المرء مسئولا مسئولية صارمة، قال رسول الله ﷺ :(**لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له**)[836]، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**اضمنوا لي ستا أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**)،[837]وقال تعالى في سورة الإسراء:

﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا﴾[838]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[839].

---

[836] الإمام البيهقي، السنن الكبرى، الجزء الثامن، مرجع سبق ذكره. ص: 288.

[837] ابن حبان، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص:506.

[838] سورة الإسراء، الآية: 34.

[839] سورة التوبة، الآيات: 75-77.

وقد أوجب علينا الإسلام الوفاء بجميع الالتزامات التي نقضيها على أنفسنا تجاه إخواننا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[840]، والأمر في اللغة للوجوب فوجب الوفاء بكل العقود والالتزامات، ويقول رسول الله ﷺ: **(الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما، والمسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما)**[841]، وللمسئولية الأخلاقية الدينية شروط أهمها:

1- **الطابع الشخصي للمسئولية:** لقوله تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[842] وقوله تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[843]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ﴾[844]، وهكذا خلصت آيات القرآن الكريم ما كانت البشرية تعاني - حسب الزعم المسيحي - من خطيئة آدم عليه السلام وتحمل كل ذريته ونسله إلى يوم القيامة وزر هذه الخطيئة.

2- **الأساس الجزائي:** هو الشرط الثاني للمسئولية، فقد أكدت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة انه لا يمكن محاسبة الإنسان دون إعلامه مسبقا بالأحكام المترتبة على العمل الذي قام به، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[845]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا

---

[840] سورة المائدة، الآية: 01.

[841] الإمام الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سبق ذكره، الجزء الثالث. ص: 634.

[842] سورة الإسراء، الآية: 15.

[843] سورة النجم، الآية: 39.

[844] سورة لقمان، الآية: 33.

[845] سورة الإسراء، الآية: 15.

يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[846]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[847]، وقال رسول الله ﷺ: (**رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يكبر وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق**)[848].

3- **العمل والحرية:** الإنسان مسئول عما قام به فعلا من عمل، هذا العمل يشترط فيه توافر مبدأي المعرفة، والإرادة، أي المعرفة المسبقة بما يترتب عل القيام بهذا العمل، كالمتاجرة في المحرمات، أو القتل العمد، أو السرقة إلى غيرها من الأعمال، أما الإرادة هي أن يقوم الإنسان بهذا العمل وهو كامل الإرادة دون إكراه، أو قصر، قام بهذا العمل على علم وبصيرة، وليس عن جهل، لقوله تعالى:﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[849]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[850]، وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

[846] سورة التوبة، الآية: 115.

[847] سورة القصص، الآية: 59.

[848] الإمام أحمد بن سلمة، شرح معاني الآثار، الجزء الثاني. (الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1399هـ). ص: 74.

[849] سورة البقرة، الآية: 225.

[850] سورة التوبة، الآية: 91.

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[851].

3/1- الجزاء الأخلاقي:

الجزاء من جنس العمل، عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تعالى أنه قال: (**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه**)[852]، وعن النبي ﷺقال:(**إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على كلاهما**)[853]، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[854].

إن الندم اثر طبيعي للصراع، ولكنه ليس جزاء، أما التوبة فهي على العكس تماما إنها ليست أثرا طبيعيا بل هي جزاء وجزاء أخلاقي بالمعنى الحقيقي يفترض تدخل الجهد، إنها واجب جديد يفرضه الشرع علينا، على أثر تقصيرنا في الواجب الأول، لقوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[855]، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[856]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ

[851] سورة المائدة، الآية: 03.

[852] ابن حزم الظاهري، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص: 48.

[853] الإمام البخاري، مرجع سبق ذكره، الجزء الخامس. ص: 2324.

[854] سورة الزلزلة، الآية: 7-8.

[855] سورة النور، الآية: 31.

[856] سورة آل عمران، الآية: 135.

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[857]، وقد بين القرآن الكريم محاسن الفضيلة من خلال أداء الفرائض والعبادات، فجاء في الأثر الذي تتركه عبادة الصلاة في نفس المؤمن، ما يؤكده قوله تعالى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[858]، وأثر الصدقة كقيمة من قيم الإسلام لقوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[859]، إضافة إلى ذلك يوضح لنا القرآن الكريم في نصوص كثيرة قبح الرذيلة، وما تتركه من اثر قبيح في نفس الإنسان، قال تعالى محذرا من هذه الآثار المدمرة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[860]، فالنص يبين حقيقة الخمر بأنها رجس وإنها من عمل الشيطان، فالخمر كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها أم الخبائث، قال صلى الله عليه وسلم:(**اجتنبوا أم الخبائث**)[861]، وحذر من كذلك من الكذب وحث على الصدق مبينا جزاء كل قيمة من هاتين القيمتين، قال صلى الله عليه وسلم:(**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار**)[862].

---

[857] سورة التحريم، الآية: 8.

[858] سورة العنكبوت، الآية: 45.

[859] سورة التوبة، الآية: 103.

[860] سورة المائدة، الآية: 90.

[861] ابن الجوزي، العلل المتناهة، الجزء الثاني. (الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ). ص: 674.

[862] الإمام الدارمي، مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني. ص: 388.

وكذلك رذيلة الزنى وأن المؤمن الحق لا يقع في هذه الرذيلة إلا إذا ضعف إيمانه وضعفت علاقته وصلته بخالقه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، و لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**)[863]، فالمؤمن الحق هو من تجنب الوقوع في هذه الرذائل هذا بنص الحديث، فالوقوع في هذه الرذائل ينفي عن المسلم صفة الإيمان لحظة الوقوع في المحرم.

وخلاصة القول: إذا كان الإلزام يمثل الدعوة إلى سلوك بعينه فإن المسئولية هي الاستجابة لتلك الدعوة، والجزاء هو مردود تلك الاستجابة أو المحاسبة وإعطاء الأجر ثوابا أو عقابا.

المطلب الثاني: صور من فاعلية القيم.

للإنسان دوافع أو حاجات كثيرة تتزاحم لتوجيه سلوكه، وتتخذ أوضاعا متغيرة في حياته، تقوى أحيانا وتضعف أخرى، لو افترضنا أننا ألغينا واحد من هذه الطاقات أو الدوافع فإن جميع الإمكانات لحياة اجتماعية ما، سوف تلغى دفعة واحدة، وإذا افترضنا أن فعلنا العكس فحررنا الطاقة أو الدوافع من كل قيد، فإن النظام الاجتماعي سيجد نفسه قد أخلى موقعه لنظام طبيعي آخر، ولذلك فإلغاء الطاقة أو الدوافع يهدم المجتمع، وعند تحريرها تحريرا كاملا فإنها تهدم المجتمع لذلك يجب أن تعمل الدوافع أو الطاقات بالضرورة بين هذين الحدين عدم إلغائها إلغاء كاملا، و عدم تحريرها تحريرا كاملا.

---

[863] الإمام مسلم، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص: 76.

ولو تأملنا هذه القضية بين القيم الإسلامية والقيم الغربية لوجدنا أن القيم الإسلامية هي التي كانت لها القدرة والفاعلية في تطويع وتكييف المجتمع الجاهلي لضرورات مجتمع جديد متحضر، وفي المقابل نجد المجتمع الغربي المسيحي لم يستطع تكييف وتطويع هذه الطاقات لخدمة مصالحه، بل سعى على سبيل المثال إلى إلغاء الدافع الجنسي بدلا من أن يحتويه في الحدود العملية، إنه كما قال الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله يواجه نزعة الشهوة "Libido" بفكرة الرهبانية، هذا المثل الأعلى الذي يتسم بلا شك بالسمو والرفعة، رغم أنه لا يأتلف مع مختلف الغايات التاريخية يولد نماذج جميلة من الجنس البشري (القديسين) ويترك ما عداهم فريسة هلوسات الجنس[864]، ولتوضيح أكثر دقة يمكن ضرب مثال على قدرة القيم في تكييف وتطويع الطاقات أو الدوافع في مجتمعين مختلفين، المجتمع الإسلامي والمجتمع الأمريكي، لقد طرح المجتمع الإسلامي مشكلة الخمر وقد كانت تجري في نفوس أبنائه مجرى الدم في العروق وقد بلغت بهم مبلغ صاروا يمتدحون بشربها، ويتفننون في وصفها ووصف مجالسها وندمائها. وقد تضمن هيكل تشريعه في تحريمها ثلاثة نصوص[865]:

1- نص يختص بإدخال المشكلة في ضمير المجتمع الإسلامي، أو هو يمثل إلى حد ما المرحلة النفسية من الحل.

2- نص يختص بالحد من تناول أو تداول الخمر، وهو يوافق مرحلة تخليص الفرد من الإدمان.

---

[864] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سبق ذكره. ص:52.

[865] نفس المرجع. ص: 53 و مابعدها.

3- وأخيرا نص التحريم، الذي يكرس الحل من الناحية الشرعية.

وفي مقابل هذه الصورة يمكن أن نسجل صورة مشابهة لها تقريبا من حيث طريقة العلاج، وهي تشريع محاربة الإدمان (قانون التحريم) الأمريكي بعد الحرب العالمية الأولى، ويشمل تقريبا مراحل الصورة الأولى نفسها.

1- في عام 1919 أدخلت الصحافة الأمريكية المشكلة إلى الرأي العام.

2- في عام 19119 (أي نفس السنة) أدخلت المشكلة في الدستور الأمريكي تحت عنوان (التعديل الثامن عشر).

3- وفي العام نفسه سرى مفعول التحريم تحت عنوان - إجراء فولستد-.

فمن خلال إجراء مقارنة بين التشريعين نلاحظ الفرق بين قدرة التشريعين على التكيف مع معطيات الواقع الجديد، فمنذ أربعة عشر قرنا لم يثر تحريم الخمر أية صدمة في المجتمع الإسلامي الناشئ. عن أبي بريدة عن أبيه قال: بينما نحن قعود على شراب لنا، ونحن نشرب الخمر ملا إذ قمت حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وقد نزل تحريم الخمر ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[866]، فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم إلى قوله: ﴿... فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾، قال وبعض القوم شربته في يده قد شرب بعضا وبقي بعض في الإناء، فقال بالإناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجام، ثم صبوا ما في باطنهم فقالوا: (انتهينا ربنا انتهينا ربنا)[867]، أما المجتمع الأمريكي فكانت الموجة التي عاصرت إجراء "فولستد"

[866] سورة المائدة، الآيتان: 90-91.

[867] محمد بن جرير الطبري، مرجع سبق ذكره، الجزء العاشر. ص: 572.

من العنف بحيث حطمت كل الحواجز، وقلبت جميع السدود والعقبات، ونـتج عنهـا ردود فعل مرضية، كالتجارة الممنوعة، وتكوين عصـابات تهريـب الخمـور إلى درجـة تسمم الجمهور بخمور مغشوشة، مما أدى إلى إلغاء قانون التحـريم بموجـب التعـديل رقم (21) المصدق عليه في ديسمبر عام 1933.

لقد استؤصلت فكرة التحريم نهائيا من العالم الثقـافي في المجتمـع الأمريكـي، لأنه لم يكن لها جذور في هذا العالم، على عكس المجتمع الإسلامي ففكرة التحـريم قـد رسخت في العـالم الثقـافي للمجتمـع منـذ الوهلـة الأولى، وفعلـت فعلهـا في المجتمـع الإسلامي الوليد.

إن فاعلية أي فكرة أو قيمة في التكيف وتطويع السلوك البشري تختلـف مـن مجمع إلى آخر، لاختلاف ثقافتيهما، ففي مثالنا السابق في المجتمع الأمريكـي المتمحـور حول القيم المادية التقنية، والموجه نحو عالم الأشياء كما يقول مالـك بـن نبـي – تكـون قدرة الفكرة في التكيف والفاعلية أضعف منها في المجتمع الإسلامي المتمحـور حـول القيم الأخلاقية.

مثال آخر يوضح لنا فاعليـة الفكـرة أو القيمـة الإسـلامية في تطويـع الطاقـة الحيوية للإنسان، وتوجيهها الوجهة الإيجابية، قصة ذلك الرجل الذي قبل امرأة، فعلى الفور تنطلق قوى التذكير والتأنيب بالعالم الثقافي لهذا الرجل، وتنفجر المأساة والمشكلة في ضميره الحي اليقظ الذي يقوم بدور الحارس الذاتي أو الداخلي. وما يلبث أن يفضي هذا الرجل بمكنونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانـت النتيجـة قولـه تعـالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى

لِلذَّاكِرِينَ﴾[868]، وسأل الرجل النبي ﷺ : يا رسول الله:" إلي هذا "؟ (يعني هذه الآية) فيجيب الرسول ﷺ كما ورد في الأثر: (**إنها لجميع أمتي**).

وصورة أخرى من أروع الصور التي تبين بجلاء مدى فاعلية الأفكار والقيم الإسلامية في التأثير في معتنقها، وتوجيه سلوكه الوجهة الصواب والإيجابية، صورة المرأة التي اقترفت فاحشة الزنى فما لبثت أن وقعت تحت وطأة تأنيب الضمير الحي اليقظ، فوازنت بين فعل العقوبة على جسدها، وبين وطأة فعل الخطيئة في ضميرها، فرجحت فعل العقوبة باعتباره أخف من تأثير الذنب، يقول مالك بن نبي رحمه الله معلقا على هذه الحادثة، ومبينا أثر القيم الإسلامية على الضمير المسلم في لحظة من تاريخ هذه الأمة، يقول:[869]"وفي مرة أخرى تأتي امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعترف له بأنها اقترفت خطيئة الزنى ولم تكن لفظة "الزنى" آنذاك مجرد كلمة بسيطة على الشفاه، كما كانت من قبل، بل كان يتركز فيها كل ما يؤرق الضمير من فضاعة وقباحة، وكانت الشريعة قد وضعت لمنن يرتكب الزنى أقسى العقوبات، عقوبة الرجم، لكن فعل العقوبة في جسدها بدا لها أخف وطأة من فعل الخطيئة في ضميرها، فتتجه إلى الرسول ﷺ ساعية ثلاث مرات، ويؤجل الرسول ﷺ الحكم ثلاث مرات كذلك، أجله في المرة الأولى ليعطي المرأة فرصة التفكير، وفي المرة الثانية لكي تضع مولود ها، وفي المرة الثالثة حتى تنتهي من إرضاع طفلها، وفي الأخير طبق العقوبة التي ما فتئت تطالب بها منذ أن ارتكبت خطيئتها، وأحداث القصة يرويها لنا الإمام مسلم في صحيحه حيث يقول:" جاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني، و إنه ردها، فلما كان الغد قالت يا رسول الله: لم تردني لعلك أن تردني

---

[868] سورة هود، الآية: 114.

[869] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العلم الإسلامي، مرجع سبق ذكره.ص:72.

كما رددت ماعزا فو الله إني لحبلى، قال: (**أما لا فاذهبي حتى تلدي**)، فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدته، قال: (**اذهبي فارضعيه حتى تفطميه**)، فلما فطمته أتته بالصبي و في يده كسرة خبز، فقالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها حتى صدرها وأمر الناس فرجموها، فيقبل خالد ابن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها، فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها، فقال: (**مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تاب صاحب مكس لغفر له**)، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت[870]، والأحداث والأمثلة كثيرة لا يمكن حصرها، كقصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، هؤلاء الثلاثة تخلفوا عن غزوة تبوك فيمن تخلف، وكانوا صحيحي الإسلام، فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون من الغزوة كالعادة، بادر المنافقون بالاعتذار للنبي صلى الله عليه وسلم وحلفوا بالباطل، وقد فضحهم الله تعالى في سورة التوبة، وكشف عنهم غطاء النفاق حيث قال: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[871]، وقد أمر الله تعالى تمحيصا لهم -الثلاثة- وابتلاء لإيمانهم بهجرانهم من جميع أفراد المجتمع المسلم حتى أزواجهم قاطعنهن فأقاموا على هذا الحال نحو خمسين يوما حتى بلغوا مبلغا من المعاناة النفسية فوصفهم القرآن أدق وصف فقال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ

[870] الإمام مسلم، مرجع سبق ذكره، الجزء الثالث. ص: 1323.

[871] سورة التوبة، الآيتان: 95-96.

تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[872]، رغم الإغراءات التي قدمت لهم من طرف أعداء المجتمع المسلم الناشئ، إلا أن ما تركت هذه القيم الإسلامية في نفوسهم جعلتهم أكثر ثباتا على المبادئ، وأكثر تمسكا بها حتى جاء الفرج، ولم يكن هذا اليوم، يوم نزول الآية: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [873]، يوم بشر بالنسبة للرجال الثلاثة فقط، بل كان يوم بشر للأمة بأكملها.

ولايفوتنا في هذا المقام قصة سيدنا بلال رضي الله عنه في بداية الجهر بالدعوة، وهو في حالة تحد لقريش فلم تستطع قوة في الأرض، وما كان لها أن تستطيع أن تخفض أصبعه إذ أن روحه في اللحظة التي كانوا يصبون فيها العذاب على بدنه، كانت منغمرة في فيض نوراني لا يوصف، هو وعد الحق[874]، وعن عبد الله بن دينار قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة، فعرشنا في بعض الطريق فانحدر بنا راع من الجبل، فقال له عمر: بعني شاة من هذه الغنم، فقال الراعي: إني مملوك، فقال عمر اختبارا له: قل لسيدك أكلها الذئب، فقال الراعي: فأين الله ؟ فبكى عمر رضي الله عنه، ثم غدا مع المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال له: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك في الآخرة[875].

---

[872] سورة التوبة، الآية: 118.

[873] نفس السورة، الآية: 118.

[874] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع. (الطبعة الثالثة-إعادة- دمشق، دار الفكر، 1420هـ-2000). ص:25.

[875] عبد الفتاح أحمد الفاوي، الأخلاق. (الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة الجبلاوي، 1990). ص:64.

إن القيم والأفكار الإسلامية خلافا لغيرها من القيم المادية لم تبلغ هـذا المبلـغ من القوة والديناميكية والفاعلية إلا بفضل مصدرها والمنظومـة العقديـة التـي تنتمـي إليها، وبفضل الإسلام، النظام الشامل والعام لأن القرآن وبما يحويه من توجيهات قـد وضع الضمير المسلم حين صاغه الصياغة الأولى بين حدين هما - كما يقول مالـك بـن نبي- الوعد والوعيد ومعنى هذا أنه وضعه في أنسب الظروف التي يتسنى له أن يواجه فيها أي تحدي مهما كان، فالوعيد هو الحد الأدنى الـذي لا يوجـد دونـه جهـد مـؤثر، والوعد هو الحد الأعلى الذي يصبح الجهد من ورائه مستحيلا.

المبحث الثاني

أثر القيم في بناء الشخص و المجتمع.

المطلب الأول: أثر القيم الإسلامية في بناء الشخصية الإدارية الصالحة.

إن التصور الذي يحمله الإنسان بداخله، وإن منظومة القيم التي ارتبط بها وتشبعت بها روحه، لا شك أنها تترك الأثر العميق في سلوكه سلبا أو إيجابا وينعكس هذا الأثر بطبيعة الحال على سير المجتمع برمته، وعلى التوجه الحضاري للأمة، فأول ما تثمره القيم الإسلامية في بناء شخصية المسلم بصفة عامة، وشخصية الإداري المسلم بصفة خاصة، هو تقوية صلته بالله تعالى إلى درجة الإحساس و الشعور بمعيته، ورقابته له في السر والعلن، متمثلا في ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث طويل رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه - حديث جبريل – لما سأله عن الإسلام وحقيقته، ثم عن الإيمان وحقيقته، ثم عن الإحسان، فقال جبريل:" يا محمد ما الإحسان؟ قال ﷺ: (**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)، ثم بين عمل المحسنين فقال:(**الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة يوقنون**)"[876]، مراقبة لصيقة لا ينفك عنها العبد مهما كانت الظروف والأحوال، وشعر بها أم لم يشعر، فهو لا يقدم على فعل أي شيء وحتى مجرد النية في الإقدام على أي عمل إلا ويراعي حرمة الله تعالى، رجاء في ثوابه وخوفا من عقابه، ومعنى ذلك أن المؤمن في علاقته مع ربه وهو يستحضر معية الله الرقابية، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ

---

[876] الإمام الشوكاني، فتح القدير، الجزء الرابع، مرجع سبق ذكره. ص: 234.

الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[877]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[878]، مما يجعل المؤمن ينذر نفسه في طاعة الله وأداء الأعمال الصالحة التي تستغرق جميع وقته، ليس كما يفهمه الكثير من الناس والذي يمكن تحديده وحصره في مجال العبادات من صلاة، واستغفار، وأذكار، وتسابيح وغيرها، لأن هذا يعد جزءا من حقيقة الأعمال الصالحة، وقد لا يستغرق هذا الجزء نصف ساعة من الوقت، ويبقى الفرد في فراغ لعدم فهمه لحقيقة العمل الصالح، فالعمل الصالح ليس له حدود بل دائرته واسعة تشمل كل شيء يسبقه قصد لوجه الله، يستهدف إعلاء كلمته في الأرض[879]، فالمسلم بهذا الفقه للعبادة والعمل الصالح، يصير كما قال المولى تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[880]، قال أحد العلماء في تفسير هذه الآية: " فهي على معنيين: أحدهما أنه لا يملك حياتي ومماتي إلا الله، والثاني: أن حياتي لله في طاعته، ومماتي لله في رجوعي إلى جزائه، ومقصود الآية أنه أخبرهم أن أفعالي وأحوالي لله وحده لا لغيره كما تشركون أنتم به"[881]، ويقول آخر في تفسيره لهذه

[877] سورة المائدة، الآية: 12.

[878] سورة الحديد، الآية: 04.

[879] حوار مع الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، مجلة منار الإسلام، العدد الحادي عشر، السنة التاسعة عشرة، ذو القعدة 1414هـ، أفريل 1994. ص:26.

[880] سورة الأنعام، الآية: 162.

[881] ابن الجوزي، زاد المسير، الجزء الثالث، مرجع سبق ذكره. ص: 161.

الآية: أي أمرت بالتوحيد الكامل الشامل للإخلاص قولا واعتقادا[882]، فالمسلم المتشبع بقيم الإسلام يتحرر من الشعور بالخوف على الرزق، والخوف على المكانة، والخوف على المركز لأن الأمر كله بيد الله لقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[883]، فالملك لله تعالى يعطيه لمن يشاء، ومشيئته نافذة في العطاء لا معقب لها، ومشيئته في النزع نافذة لا معقب لها، وهو المحيي، وهو المميت فالأمر بيده، والعزة والإذلال بمشيئته وبيده، وهو الرزاق ذو القوة المتين، فكلما رسخت هذه القيم في نفس المسلم، وأخلص التوجه في العمل لله، ولم يخش في الله لومة لائم، كان ذلك تصديقا، لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[884]، وقوله ﷺ فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال:(**يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**)[885]، فإذا اقتنع المسلم في أي موقع من مواقع العمل، وأينما كان بأنه لا معبود سوى الله، وهو الرب الذي يحي ويميت، ويعطي ويمنع، وينفع

---

[882] أبو الطيب آبادي، عون المعبود، الجزء الثاني. (الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415). ص: 329.

[883] سورة آل عمران، الآيتان: 26-27.

[884] سورة التوبة، الآية: 51.

[885] الإمام الترمذي، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص: 667.

ويضر، وأنه بإيمانه وإخلاصه لله في العمل، وتحري الصواب والصلاح، لـن يضره أي شيء ولو اجتمعت الأمة للكيد والإضرار به، فالله ناصره لأنه حي قادر، جبار قاهر، لا يعتريه قصور ولا عجز، ولا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعارضه فناء ولا موت، وأنه ذو الملك والملكوت، والعزة والجبروت، له القدرة والسلطان والقهر والخلق والأمر[886]، فالذين يدعون أن القرآن الكريم في استعماله أسلوب الوعد والوعيد في زرع بذرة الخوف والخشية من الله واليوم الآخر، يتعارض مع بناء الشخصية الحرة المستقلة فهذا زعم باطل، فالخوف المقصود به في القرآن الكريم هو خوف المخلوق من الخالق، فهذا ادعاء مزعوم وخيال موهوم وإنكار لواقع الإنسان الذي خلقه الله يرجو ويخاف، ويأمل ويخشى، وإذا كان الخوف أمرا لا بد منه، فليكن من مالك الملك، وخالق الخلق، وصاحب الأمر كله ولنغلق منافذ الخوف جميعها بعد ذلك فلا خوف من مخلوق صغير أو كبير إلا ما اقتضته الجبلة - الفطرة - وذلك في الحق، هو منبع الشجاعة، ومصدر القوة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[887]، وقد كتب دينوفيسكي مبينا كيف أصبح الإنسان متلبسا بالشياطين حين هجر الله، وليس هذا ما يقرره المؤمنون بالدين فحسب بل هذا ما يعترف به المنصفون من المتدينين والمنكرين على السواء[888].

[886] الإمام الغزالي، الأربعين في أصول الدين. (بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1980). ص: 04.

[887] سورة المائدة، الآية: 44.

[888] يوسف القرضاوي، الإيمان و الحياة، مرجع سبق ذكره. ص: 227.

إن القيمة الإيمانية وما تتركه من آثار على عقل المسلم لدى اتصاله بالقرآن الكريم، باعتبارها أساس وأصل جميع القيم، وبفضل النسيج المحكم الذي جاء به القرآن الكريم من حقائق، وتشريعات، وأنماط سلوك، ذلك ما يبينه عماد الدين خليل في قوله: " إن نسيج القرآن الكريم نفسه ومعطياته المعجزة من بدئها إلى منتهاها في مجال العقيدة والتشريع، والسلوك، والحقائق العلمية، تمثل نسقا من المعطيات المعرفية كانت كفيلة بمجرد التعامل المخلص المتبصر معها. أن تهز عقل الإنسان وأن تفجر ينابيعه وطاقاته وأن تخلق في تركيبه خاصية التشوق المعرفي لكل ما يحيط به من مظاهر ووقائع وأشياء". [889]

إن تحلي المسلم بقيمة الإيمان تلك القيمة المتكاملة والتي تنبثق عنها جميع القيم الإسلامية التي يتحرك بها المسلم في جميع مجالات الحياة وهو كالغيث أينما وقع نفع، في أي موقع كان فيه، أوفى أي ثغر من الثغور التي طلب منه سده وحمايته، في الإدارة، في الصناعة في الزراعة في أي شأن من شئون الحياة عابدا لربه، مجاهدا في سبيله، وساعيا إلى الخيرات بإذنه، إيمان وثيق لا يتزعزع مهما كانت الظروف ومهما هبت عواصف الظلم والطغيان، طغيان البشر، طغيان المادة، طغيان الشهوات ومغريات الحياة، وثقة تامة في عدله تعالى وقضائه، وتصديق كامل وشامل بما أخبر به من جزاء وعقاب يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[890]، فإذا استقرت هذه القناعات في نفس الإنسان ووجدانه أحدثت فيه انقلابا شاملا، وغيرته تغييرا جذريا ودفعته إلى البذل والتضحية وأداء كل واجب يوكل إليه، أو يطلب منه أداؤه متمثلا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا

[889] عماد الدين خليل، حول تشكيل العقل المسلم، مرجع سبق ذكره. ص: 59.

[890] سورة الزلزلة، الآيتان: 7-8.

دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[891]، وبهذا تتحرك في المسلم جميع الحوافز الإيجابية كلما نادى المنادي حي على الصلاح، حي على الفلاح، صلاح الدنيا، وفلاح الآخرة، ومن ثم كان هذا النداء هو السبيل الأمثل لاستجابة جميع مكوناته من عاطفة وقلب وعقل ووجدان، فهذه هي الثمرات الأخلاقية للإيمان، وهذه صفات المؤمن التقي الذي آثر ما عند الله على شهوات الحياة، خشية من الله، وحرصا على رضاه ومغفرته، وصبر وصدق وقنوت وإنفاق بلا ادعاء ولا غرور بل شعور بالتقصير يجعله يستغفر الله على كل حال[892].

أجل إن الإنسان يساق من باطنه لا من ظاهره، و ليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات بكافيين وحدهما لإقامة مدينة فاضلة يحترم فيها القانون، وتؤدى فيها الواجبات على وجهها الأكمل، فإن الذي يؤدي واجبه رهبة من السوط أو السجن أو العقوبة مهما كان شكلها، لا يلبث أن يهمله من اطمأن إلى أنه سيفلت من طائلة القانون[893]، إن هذه القيم وعلى رأسها قيمة الإيمان، أعطت لنا تفسيرا واضحا ومقنعا، سر تلك الانطلاقة الحضارية التي حققها الجيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ الذين تشربوا هذه القيم من المدرسة النبوية فأحدثت فيهم فعلها، ظهر ذلك في تغيير وجه جزيرة العرب تغييرا لم يشهد له مثيلا في أي أمة من الأمم قديما وحديثا، أي قبل البعثة وبعدها، هذه القيم لا يختص أثرها على جانب من جوانب النفس الإنسانية إذا ما صدقت في التعامل معها، بل على عكس ذلك، فهي تهيمن على أدق دقائق النفس فتغرس فيها رهافة الإحساس، وتسعى في تنمية شفافية الضمير، هذه القوة الكاشفة

---

[891] سورة الأنفال، الآية: 24.

[892] يوسف القرضاوي، الإيمان و الحياة، مرجع سبق ذكره. ص: 192.

[893] نفس المرجع. ص: 187.

الهادية - بفضل القيم الآمرة الناهية، المحذرة المحرضة، الحاكمة المنفذة، والتي تباينت أسماؤها تباين القيم التي يعتنقها الإنسان، فسماه - البعض " الضمير"، وسماه البعض الآخر " الوجدان"، وسماه القرآن " القلب"، قال ﷺ حينما سئل عن البر والإثم: استفت قلبك، يا وابصة ثلاثا: البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك"[894].

والمجتمع أي مجتمع لا يرقى ولا ينتظم ولا يسعد بسن القوانين، وإصدار القرارات وتنظيم اللوائح، و يقظة رجال السلطة، وإن كان لا يستغنى عن ذلك كله- وإنما يرقى ويسعد بوجود القلوب الحية، وتوفر الضمائر اليقظة بين أبنائه، ومن الحكم المشهورة: " العدل ليس في نص القانون، وإنما هو في ضمير القاضي"[895]، قال ﷺ:

(إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[896]، وبين الإمام الغزالي رحمه الله دور القلب بالنسبة للجوارح وانه هو سبب الخير والشر والسعادة والشقاء، وأن كل ما يصدر من الجوارح من سلوك إنما هي إما أنوار القلب أو إظلامه، فقال:" فإن البصيرة الباطنة - ويقصد بها القلب - هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة، وهي كالفارس والبدن كالفرس، وعمى الفارس أضر على الفرس من عمى الفرس، بل لا نسبة لأحد الضررين إلى

[894] الإمام الترمذي، سنن الترمذي، الجزء الثاني، مرجع سبق ذكره. ص: 320.

[895] يوسف القرضاوي، الإيمان و الحياة، مرجع سبق ذكره. ص: 209.

[896] ابن دقيق العيد، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص: 181.

الآخر[897]"، ويقول في موضع آخر مبينا استعداد الإنسان لتلقي العلم وفضل القلب في ذلك فيقول: " إنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه. فالقلب هو العالم بالله، وهو المتقرب إلى الله، وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله، وهو المكاشف بما عند الله ولديه، وإنما الجوارح إتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد، واستخدام الراعي للرعية، والصانع للآلة، فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله، وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله، وهو المطالب، وهو المخاطب، وهو المعاتب، وهو ا لذي يسعد بالقرب من الله، فيفلح إذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه، وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى، وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات - بمفهومها الواسع- أنواره، وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره، وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه إذ كل إناء ينضح بما فيه، وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه وإذا جهله الانسان فقد جهل نفسه وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل قال ﷺ : (**أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب**)[898]، وإذا كان القلب معمورا بالتقوى، انجلت له الأمور، وانكشفت بخلاف القلب الخراب المظلم، قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:" إن في قلب المؤمن سراج يزهر فكلما قوي الإيمان في القلب قوي انكشاف الأمور له، وعرف حقائقها من بواطنها، وكلما ضعف الإيمان ضعف الكشف، وذلك مثل السراج القوي والسراج الضعيف في القلب المظلم"[899].

---

[897] الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، مرجع سبق ذكره. ص: 27.

[898] نفس المرجع. ص: 3-4.

[899] ابن تيمية، مرجع سبق ذكره، المجلد العشرون. ص: 45.

بهذه العقيدة في الله، وفي الجزاء و في اليوم الآخر يصبح المؤمن ويمسي مراقبا لربه محاسبا لنفسه، كما قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا"[900]، متيقظا لأمره، متدبرا في عاقبته، لا يظلم ولا يخون، ولا يتطاول ولا يستكبر، لا يجحد ما عليه، ولا يدعي ما ليس له، لا يفعل اليوم ما يخاف من حسابه غدا، ولا يعمل في السر ما يستحي منه في العلانية، ذو ضمير حي يقظ مرهف الحساسية، يحاسب صاحبه على العمل قبل أن يقوم به، ماذا تعمل؟ ولماذا تعمل؟ ولمن تعمل؟ ويحاسبه بعد العمل فهو بمثابة القاضي مستعجل إصدار حكمه سريعا بالمثوبة والعقوبة[901].

هذه بعض الآثار التي تتركها القيم الإسلامية في شخصية المسلم عموما والإداري خصوصا لكي تجعل منه شخصية صالحة مصلحة، صالحة في نفسها مصلحة لما حولها، وهذا ما عجزت كل الأنظمة العقائدية الأرضية وكل الأنظمة الفكرية للوصول إليه وتحقيقه في نفوس أتباعها.

المطلب الثاني: أثر القيم المادية في بناء الشخصية الإنسانية.

لقد تأكد مما سبق أن منظومة القيم الإسلامية تهدف في الأساس إلى جمع شتات الإنسان، وتوجيه طاقاته وقدراته، نحو هدف واحد كان الهدف الأساسي لخلقه، وهو توحيد الله تعالى والولاء المطلق له، وإخلاص النية والتوجه والقصد إليه سبحانه في كل صغيرة وكبيرة يقوم بها الإنسان المسلم، أو ينوي القيام بها، لأنه تعالى

---

[900] الإمام الترمذي، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص: 638.

[901] يوسف القرضاوي، الإيمان و الحياة، مرجع سبق ذكره. ص: 211.

مالك الملك وصاحب القوة والجبروت، والمطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فلا راد لقضائه، ولا معقب لأمره، على العكس من ذلك نجد أن منظومة القيم المادية تسعى بكل ما أوتيت من قوة إلى تشتيت قوى الإنسان، والذهاب بها مذاهب فكرية شتى، وإفشالها والذهاب بريحها، وألحقت بها تشوهات مريعة تحول معها الإنسان إلى كائن مستلب الإرادة، تتحكم فيه شهواته، مشتت الفكر، تائه لا يدري مصيره بعد هذه الحياة الدنيا، يعيش غربة ظلمات بعضها فوق بعض، غريب عن نفسه، غريب عن مجتمعه، وعن الكون الذي يعيش فيه، إن شخصية الإنسان في ظل القيم المادية فقدت صلتها بخالقها، واعتبرت نفسها في صراع دائم لا ينقطع مع الطبيعة، في تصادم مستمر مع الكون، لأن أداة الاختيار والتمييز لدى هذه الشخصية من عقل وضمير قد فلت زمامها من يد الإنسان الغربي، وفقد السيطرة على نفسه شأنه في ذلك شأن السائق المخمور الذي فقد السيطرة على القيادة.

إن الإنسان عندما يجد نفسه فارغ القلب من أي بذرة من بذور الإيمان، مبتور الأصل لا صلة له بخالقه، لا يؤمن بحياة أخرى هي امتداد للحياة الدنيا، ويرى أن تحصيل اللذة والتمتع بملذات الحياة الدنيا دون التمييز بين الطيب منها والخبيث، والعلو في الأرض، والإفساد فيها غايته العليا، ويعرف ذكر الله إلا عفوا ولا يرجو له وقارا، كيف يرجى منه أن يتضرع إلى الله ويجأر إليه بالدعاء كلما مسه الضر، أو يرجع إليه وينيب إذا داهمه الخطر، فهو كما وصف القرآن الكريم المشركين لما أحسوا بالخطر الداهم يتهددهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[902]، إلا أن الفرد في ظل القيم المادية وبإمعانه فيها، والتمسك بالأسباب الظاهرة لأنه لا يؤمن إلا

---

[902] سورة لقمان، الآية: 32.

بالحقائق المادية التي تقع في مجال الحس، والاحتجاج بها والاستغناء عن الله، وعدم التوجه إليه بالدعاء، وطلب المدد والعون منه، قد وصل إلى درجة لا تتحمل من القسوة والغفلة والخواء القاتل الذي يطحنه بدون رحمة، وقد وصف الشيخ عبد الرحمن الكواكبي الفرد الغربي الذي يخضع للقيم المادية أصدق وصف حين قال: " والغربي مادي الحياة، قوي النفس، شديد المعاملة، حريص على الاستئثار، حريص على الانتقام كأنه لم يبق عنده شيء من المبادئ العالية، والعواطف الشريفة التي نقلتها له مسيحية الشرف، فالجرماني مثلا: جاف الطبع يرى أن العضو ضعيف الحياة من البشر يستحق الموت، ويرى كل الفضيلة في القوة، وكل القوة في المال فهو يحب العلم ولكن لأجل المال، ويحب المجد ولكن لأجل المال، واللاتيني منه مطبوع على العجب والطيش، يرى العقل في الانطلاق، والحياة في خلع الحياء، والشرف في الزينة واللباس والعز في التغلب على النفس"[903].

إذا كانت النظرة القيمية الإسلامية للحياة هي نظرة مفادها أن الإنسان خلق لتعمير هذا الكون المسخر لصالحه، وأن العلاقة بين الإنسان والكون هي علاقة قائمة على الانسجام والتوافق، على نحو يحقق مراد الله تعالى، وهي خلافته في أرضه بالمعنى الواسع لمفهوم الخلافة، نجد أن الرؤية المادية لمفهوم القيم التي تعتبر اصل الفكر الغربي تبنى على النقيض من ذلك، فالفكر المادي فكر مبني على منطق الصراع بين الإنسان وقوى الكون، صراع بين الإنسان وأخيه الإنسان، صراع بين الإنسان ونفسه، وأصبحت المادة هي أصل هذا الصراع، فالماركسية مثلا- وهي وجه من وجوه المادية الغربية- تنكر الأخلاق والقيم جملة، وترى أن القيم هي ما أثمرته مقتضيات صراع

---

[903] أبو الحسن الندوي، مرجع سبق ذكره.ص: 150.

الطبقات الدائر في زعمهم حول الفلك الاقتصادي[904]، في خضم هذا التناقض الذي يعيشه الفرد الغربي، ورغم تفوقه المادي ينطبق عليه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً﴾[905]، لقد أصبحت فكرة الصراع هي الفكرة المسيطرة على وجدان الفرد الغربي لا ينفك عنها أبدا، وهذا يرجع إلى انحصاره بين جدران النظرة المادية.

وقد بين الأستاذ الألماني المسلم محمد أسد في كتابه: " الإسلام على مفترق الطرق"، حقيقة سيطرة الروح المادية على فكر رجل الغرب مهما كان مستواه العلمي، قال:" لا شك أنه لا يزال في الغرب أفراد يشعرون ويفكرون على أسلوب ديني، ويبذلون جهدهم في تطبيق عقائدهم بروح حضارتهم ولكنهم شواذ، إن الرجل المادي في أوروبا ديموقراطيا كان أم فاشيا، رأسماليا كان أم اشتراكيا، عاملا باليد أو رجلا فكريا، إنما يعرف دينا واحدا وهو عبادة الرقي المادي، والاعتقاد بأنه لا غالية في الحياة غير أن يجعلها الإنسان أسهل وبتعبير آخر " حرة مطلقة" من قيود الطبيعة، أما كنائس هذا الدين فهي المصانع الضخمة، ودور السينما، والمختبرات الكيماوية، ودور الرقص... والمثل الكامل عنده والفارق بين الخير والشر هو النجاح المادي لا غير"[906]، إن ذلك التفكك الذي يعانيه الإنسان الغربي على مستوى نفسه و الذي أدى به إلى تنكب الصراط المستقيم، والضياع في ظلمة الفلسفات الإلحادية المادية، انعكس ذلك على جهاز التنظيم الاجتماعي بالتفكك والتحلل، وتقطعت أوصال المجتمع فلا يعدو

---

[904] محمد سعيد رمضان البوطي، نقض أوهام المادية الجدلية. (الطبعة الثالثة، دمشق، دار الفكر، 1985). ص: 270.

[905]سورة النحل، الآية: 92.

[906]أبو الحسن الندوي، مرجع سبق ذكره. ص: 144.

أن يكون شتاتا من الناس تجمعهم مصالح مادية، وهذا كله نتيجة منطقية لتأثير النظريات الفلسفية التي تمثل الخلفية الفكرية التي تأسست على ضوئها المنظومة القيمية، التي يرجع إليها الإنسان الغربي، ومن ورائه المجتمع المادي عموما.

لقد ضربت النظرة المادية النفس الإنسانية في الغرب ومن دار في فلكه، وتركتها قاعا صفصفا خالية من أي أثر للقيم الأخلاقية، قيم الخير والاستقامة، وخربت من وراء ذلك المجتمع، وقوضت أركانه ودعائمه، وجففت منابع الخير والصلاح فيه، والدارس لما تركته الفلسفات الغربية شيوعية كانت أم رأسمالية، يلحظ ذلك بوضوح، فالأفكار الماركسية جردت الإنسان من شموليته وجعلته سلوكا متغيرا في ضوء تغير أدوات الإنتاج مجبرا على ذلك السلوك، مسلوب الإرادة، فحصرت شموليته الإنسانية في العامل الاقتصادي فقط.

والداروينية نظرت إلى الإنسان من زاوية حيوانية انطلاقا من التشابه الظاهري في القانون الواحد الذي خلق الله تعالى به الإنسان وسائر الحيوانات، ناسية مساحة الاختلاف والتنافر التي تجسدها شمولية شخصية الإنسان لجانبه الحيواني البحت، وجانبه الإنساني الفكري الشعوري، فأثرت وجهة نظرها الاحتمالية تأثيرا كبيرا في إنكار ثبات الصفات الخلقية والإنسانية القيمية وانتهت إلى اعتبار الإنسان حيوانا اجتماعيا متطورا لا ضوابط لتغييره إلا في إطار تكوينه الحيواني.

أما الفرويدية فقد نظرت إلى الإنسان في ضوء حيوانية الإنسان الداروينية وانتهت إلى أن الجنس هو أساس حركة الإنسان وسلوكه، فلا بد أن نطلق منهج التغيير في زعمه لهذا الدافع حتى يأخذ مجراه الطبيعي، وكان من نتائج الفرويدية تحطيم

الأسرة وضوابطها، من خلال الفوضى الجنسية العارمة التي نفذت إلى كل جزئية من جزئيات الحياة.

أما المذهب النفعي فقد شارك المذاهب الأخرى في التفسير الأحادي، ونظر إلى الإنسان من خلال غريزته الذاتية المصلحية التي تحقق له اكبر نفع ممكن، فقياس الحق مرهون عند " جون ديوي"، وأرباب هذه النظرية بمدى تحقيق المصلحة، وهي غير منضبطة بضوابط القيم الثابتة العادلة عندهم، وكانت خاتمة هذه النظرات الأحادية الجزئية لتفسير الكيان الإنساني، النظرة الوجودية " السارترية" التي أنكرت كسابقاتها وجود الإله لينصب الإنسان نفسه مكانه بدعوى إثبات وجوده وتحقيق حريته[907].

هذه النظريات التي أوغلت في المادية، وضربت بجميع القيم الأخلاقية والإنسانية عرض الحائط، ولم تعترف إلا بما هو ملموس يقع في مجال الحس، هذه الفلسفات أنشأت أجيالا ومجتمعات تعيش أزمات نفسية، واجتماعية، وأخلاقية حفرت أخاديدها في نفسية الفرد الغربي، ومن ثم المجتمع عموما، و لم تقف تداعياتها وآثارها عند مظهر واحد محدد، بل مظاهر متعددة، كظاهرة الانتحار المنتشرة في الدول الغربية، و المدهش في الأمر أن أعلى نسب الانتحار سجلت في أهم دولتين غربيتين تحققان أعلى معدلات الدخل الفردي وهما السويد والولايات المتحدة الأمريكية، ويزيد استغرابك حينما يبلغك أن أعلى نسب الانتحار تطال من تحوطهم مباهج الحياة ومفاتنها، وعكس ذلك ما نجده في الدول الإسلامية خاصة، كذلك الخمور بأنواعها العديدة، و المخدرات بسمومها القاتلة، و غيرها من مظاهر الفساد المنتشرة في كل بقعة

[907] محسن عبد الحميد، المذهبية الإسلامية و التغيير الحضاري، مرجع سبق ذكره. ص: 73.

من بقاع العالم الغربي، والتي عم بلاؤها تلك الديار و تم تصديرها إلى دول العالم الإسلامي خصوصا.

وقد أثبت الطب أن تناول الخمر وإدمانها يتسببان بما يقارب من خمسين مرضا وعارضا صحيا، وتقول إحصاءات منظمة الصحة العالمية أن 86٪ من حالات القتل، و50٪ من حالات العنف والاغتصاب وحوادث السير هي نتيجة شرب الكحول، وتقول الولايات المتحدة الأمريكية أنها تخسر سنويا 300 مليار دولار ثمن ساعات توقف عن العمل وطبابة بسبب إدمان الخمر، وأن فيها قرابة 10 ملايين مدمن خمر، وتقول الإحصاءات في فرنسا أنها تخسر سنويا 100 مليار فرنك ثمن ساعات توقف عن العمل وطبابة، من جراء إدمان الخمر، وأن فيها 4 ملايين مدمن خمر، على أنها تربح 20 مليار فرنك سنويا من بيع الخمور، وتقول الإحصاءات الواردة من روسيا – إحصاءات رسمية– أن 37٪ من اليد العاملة مدمنة للخمور، و67٪ من حوادث الطلاق والمآسي الاجتماعية هي نتيجة إدمان الكحول، و 91٪ من حوادث القتل والسرقة والاعتداء هي نتيجة لإدمان الكحول، و تقول الإحصاءات بصفة عامة أن 25٪ من الأسرة في مستشفيات الولايات المتحدة الأمريكية، و20٪ من الأسرة في إنجلترا، و30٪ من الأسرة في أستراليا يحتلها مرضى الإدمان الكحولي، كما أثبتت آخر المراجع الطبية أن العلاقات الجنسية الآثمة أي غير الشرعية كالزنى واللواط تسببت بما يقرب من سبعين مرضا أكثرها قاتل كمرض فقدان المناعة " السيدا"[908]، فضلا عن انتشار المخدرات في أوساط حتى طلبة المدارس، ولا نجد أي تفسير لهذه الظواهر المرضية التي تأذن بانهيار المجتمعات الغربية انهيارا مريعا كنتيجة حتمية للآثار المدمرة التي شكلت من خلالها القيم المادية شخصية الفرد وقيم المجتمع.

[908] عدنان الشريف، مرجع سبق ذكره. ص: 191-192.

ومن أطرف ما نشر من مفاسد المجتمعات الغربية خبر زواج المليارديرة الروسية البالغة من العمر ثلاثة وأربعون سنة من ابنها الوحيد البالغ من العمر سبعة عشر عاما.

المطلب الثالث: أثر فاعلية القيم الإسلامية في بناء المجتمع.

إن البناء الاجتماعي للمجتمع المسلم لا يقوم إلا على قيمة الإيمان، والذي يؤدي في النهاية إلى الالتزام بأحكام الإسلام، لأن الإيمان معيار الصحة والصواب بجميع مظاهره في الحياة الإسلامية، عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: (**الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان**)[909]، وقال الحسن البصري:" ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل"[910]، وقد بين الحديث الشريف قيمة الإيمان وما يتعلق به من أمور تابعة، قال ﷺ لما سئل عن الإيمان: (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت**)[911]، هذه القيمة الإسلامية الجامعة التي تنبثق منها جميع القيم الاجتماعية التي تحكم السلوك الاجتماعي وتوجهه على مستوى المجتمع الإسلامي، لا تستكمل إلا بأداء الفرائض كما نصت الأحاديث السابقة الذكر، و كذلك أداء الشرائع، وتطبيق الحدود، وتنفيذ السنن كما قال البخاري في صحيحه: " إن الإيمان فرائض وشرائع وحدود وسنن ومن استكملها فقد استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان"[912]، فهذه

---

[909] ابن قيم الجوزية، حاشية ابن القيم، الجزء الثاني عشر. (الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ-1995). ص: 294.

[910] الإمام القرطبي، مرجع سبق ذكره، الجزء العاشر. ص: 60.

[911] محمد بن محمد بن سليمان، مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني. ص:140.

[912] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، الجزء الأول. مرجع سبق ذكره. ص: 47.

الأسس الأربعة هي التي تبنى عليها القيمة الإيمانية، ودونها يكون الإيمان ناقصا غير مستكمل، وباكتمالها تظفي بظلالها على الحياة الاجتماعية في المجتمع المسلم، والدارس لنصوص الكتاب والسنة يجد حشدا من النصوص التي تكون فيما بينها نسيجا فريدا ومتكاملا، قل ما نجده في غيره من العقائد السابقة، والعقائد الفكرية الوضعية، هذا الحشد من القيم الاجتماعية يساعد في تفعيل الأداء الفردي والجماعي داخل المجتمع المسلم، ومن الآيات التي وردت في هذا الإطار قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[913]، وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[914]، وقوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[915] وقوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾[916].

أما الأحاديث فقوله ﷺ: (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**)، وقوله ﷺ: (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه**

[913] سورة البقرة، الآية: 177.

[914] سورة المائدة، الآية: 02.

[915] سورة آل عمران، الآية: 104.

[916] سورة النحل، الآية: 90.

عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[917]، وقوله ﷺ: (**عليكم بالسواد الأعظم عليكم بالجماعة يد الله مع الجماعة إياكم والشذوذ)**[918].

فالشريعة الإسلامية باعتبارها تمثل الجانب العملي في نظام الإسلام المتكامل تمثل القيم الاجتماعية فيها مكانا رحبا فسيحا، كما أنها وضحت معاني المثل العليا التي يجب الانقياد لها أشد التوضيح والتفصيل وقد أسست هذه الشريعة كما يرى علماء الإسلام على أسس ثلاثة:

العدالة: فهي ميزتها وخلاصتها، فإذا كان لكل دين شعار يعلن حقيقته، فشعار الإسلام العدالة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[919]، أي لا يحملكم بغضهم وعداوتهم لكم ولا بغضكم وعداوتكم لهم على ترك العدل، فالعدل والمساواة بين الناس أقرب إلى تقوى الله تعالى، ويقول تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[920].

الفضيلة الإنسانية: تقوم الشريعة الإسلامية على الفضيلة الإنسانية، فهي وإن كانت قانونا يطبقه القضاء، ومقياسا ضابطا يفصل بين الحقوق والواجبات العملية، فهي أيضا دينا يتدين به، والأخلاق الفاضلة والشرائع المحكمة صنوان يجتمعان.

المصلحة في الشريعة الإسلامية: إن الاستقراء أثبت أن الأحكام كلها في الشريعة الإسلامية تقوم على المصلحة الإنسانية، فما من أمر شرعه الإسلام بالكتاب والسنة إلا

---

[917] الإمام مسلم، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص: 1999.

[918] علي بن محمد الآمدي، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص: 296.

[919] سورة المائدة، الآية: 08.

[920] سورة الزلزلة، الآيتان: 7-8.

كانت المصلحة ثابتة، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: " ولا سبيل لتحقيق العدالة بمختلف معانيها إلا إذا سادت الفضيلة والمحبة، واعتبرت مصلحة كل فرد من مصلحة أخيه، وإن أجمع آية لمعاني الأحكام الإسلامية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[921]، ويقول ابن القيم رحمه الله: " إن الشريعة الإسلامية مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد"[922]، والمصالح التي قررها الإسلام وأرسى قواعدها كأساس للتشريع لا تنحصر قيمتها فيما تنطوي عليه من لذة مادية، كما آلت إلى ذلك المصلحة لدى علماء الأخلاق الغربيين، بل هي نابعة من حاجتي كل من الجسم والروح في الإنسان[923]، والشريعة الإسلامية استهدفت المحافظة على مقاصد الشارع في خلفه أي تحقيق مصالحهم، هذه المصالح تندرج ضمن مقصود الشارع في المحافظة على الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وهي ما عرفت بكليات الدين الخمس، فلا تقوم الحياة إلا بوجودها والمحافظة عليها، كما أن هذه الكليات الخمس تندرج هي الأخرى في مراتب ثلاث حسب أهميتها وخطورتها، وهذه المراتب هي: **المصالح الضرورية** والتي لا بد منها لقيام مصالح الدين والدنيا، ثم المصالح الحاجية، والمصالح التحسينية، ومن هذا تتبين لنا أهمية الشريعة الإسلامية في إرساء قواعد المجتمع السليم على أساس الإيمان، وضرورة ذلك حراسة للعقيدة.

إن القيم الاجتماعية في المجتمع الإسلامي مرتبطة أشد الارتباط بقيم الدين وخاصة قيمة الإيمان، وعلى ضوئها يتشكل أولى مجتمع إنساني مترابط جعل هدفه

[921] الإمام أبي زهرة، أصول الفقه. (بدون معلومات أخرى، 1956). ص: 366.

[922] ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين، الجزء الثلث، مرجع سبق ذكره. ص: 03.

[923] محمد سعيد رمضان البوطي، ضوابط المصلحة. (دمشق، المكتبة الأموية، 1967). ص: 31.

الأساسي إقامة حياة اجتماعية قائمة على قيم التكافل، والتضامن، والتعاون، والمساواة بين جميع أفراده، هذه الحياة التي تقوم عليها حياة الفرد وما يتمثله من قيم ومثل عليا، هي في النهاية أساس تكوين الضمير المسلم الذي يعمل كمراقب، ومحاسب ومنبه لصاحبه - كما سبق الإشارة إلى ذلك - ومن ثم تكوين ضمير الأمة جمعاء.

إن المتمعن في هذه القيم وما تتركه من أثر في نفس معتنقيها يتبين له أن استمراريتها، وقوة تأثيرها، وتأصلها في الضمير الفردي والضمير الجمعي، راجع بالدرجة الأولى إلى الالتزام بأداء العبادات والفرائض، من صلاة وصيام وزكاة وحج وسائر أعمال البر، التي حث الإسلام ورغب في أدائها، إن قوة وإلزامية هذه العبادات وهذه الفرائض أكسبت القيم الاجتماعية هذه الصفات والخصائص لأنها منبثقة من منهج واحد متكامل في جميع جزئياته تتفاعل مع بعضها البعض لتحقيق هدف واحد هو عبادة الله تعالى، وإخلاص القصد والتوجه إليه، وخلافته في أرضه تعميرا، وبهذا يتبين لنا الدور الهام والإيجابي والمحوري للعبادات في تكوين القيم الاجتماعية في المجتمع المسلم، إضافة إلى هذه القيم بروز عنصر الروح الجماعية التي غرستها هذه القيم في أفراد المجتمع، والتي تجسدت في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده، ثم العصور الزاهية لدولة الإسلام، وقد وردت العديد من النصوص القرآنية ومن سنة الرسول ﷺ تؤكد وتحث على تنمية الروح الجماعية حفاظا على الأمة من التشرذم، والتفتت، وحفاظا على الفرد في نفس الوقت، قال ﷺ: (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**)[924]، وقال أيضا: (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر**

---

[924] الإمام مسلم، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص: 1999.

والحمى)[925]، وقال في حديث آخر: (**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره)**[926]،

وفي قوله ﷺ: (**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا لم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن الشاه على أيديهم نجوا ونجوا جميعا)**[927]، كما وردت آيات كثيرة تؤكد مبدأ الروح الجماعية في أداء العبادات الإسلامية، كأداء الصلاة وأداء فريضة الصوم، وكذلك فريضة الحج، إضافة إلى أعمال البر الأخرى، كذلك القيام بفريضة الحسبة أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[928]، وهذه الروح الجماعية لا تقتصر على الفروض العينية بل تتعداها إلى الفروض الكفائية، فالفرض الكفائي يسقط على البعض إذا قام به البعض، أما إذا لم يقم به أي مكلف فالإثم يقع على الجميع، فالقيم الاجتماعية أو التي تقيم المجتمع قيم قابلة للتحقيق نظرا لتأثير العبادات فيها، كما أنها تحققت في عصر النبي ﷺ، و في عصر الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم، مما يجعلها قابلة للتحقيق في أي زمان وأي مكان إذا توفرت لها شروط التحقق كما توفرت في العصر الذهبي للمجتمع المسلم، ولا يمكن أن نتصور أنها عائق للتقدم والتحضر كما يزعم أنصار الحل الاستعماري وأنصار التبعية الغربية، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى جهلهم بحقيقة القيم الاجتماعية في

---

[925] نفس المرجع، نفس الصفحة.

[926] الإمام النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، الجزء السادس، مرجع سبق ذكره. ص: 120.

[927] الإمام البخاري، مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني. ص: 882.

[928] سورة آل عمران الآية: 110.

الإسلام، وكما تقول الحكمة " الناس أعداء ما جهلوا"، ويرى أحد المهتمين بالشأن الإسلامي من المسلمين أن قيم الدين الإسلامي ومثله العليا كلها أصبحت أهدافا اجتماعية ممكنة التحقيق في حياة البشر، بل أن هذه القيم والمثل التي ترسبت خلال القرون في نفوس الأفراد عن طريق الممارسة للشعائر والعبادات والمعاملات قد صاغت شخصيات الأفراد في المجتمع المسلم صياغة عملية[929]، و هذه الصياغة العملية حولت من معظم تعاليم الدين وقيمه بالنسبة للفرد والمجتمع إلى دستور المواطنة جاءت مواده لتحقيق:

- أعادت للمجتمع تماسكه و روحه الاجتماعية.
- صاغت شخصية الفرد صياغة يمتزج فيها الديني بالدنيوي.
- جعلت من القيم سلوكا منضبطا في حياة الفرد و الجماعة.
- جعلتها مسئولية اجتماعية في حياتهم العامة و الخاصة.
- التكافل والتضامن والتعاون أصبحت عادات راسخة في حياة المجتمع.
- ما زرعته هذه القيم من الروح الجماعية جعلت من كل فرد قيما على المجتمع الذي ينتمي إليه.
- العدالة والتسامح والرحمة والمحبة أصبحت جزءا في الكيان النفسي للأفراد والكيان الاجتماعي للجماعات.
- منح الدين المجتمع علاقاته الثقافية والاجتماعية.

[929] عون الشريف قاسم، أثر العبادات في الإسلام، مجلة المسلم المعاصر، بيروت، العدد العاشر، ربيع الثاني1397هـ-ابريل1977. ص: 15.

جعلت تعاليم الدين من الفرد حاملا لقيم المجتمع محافظا عليها بدافع من الضمير ومراقبة لله عز وجل.

- صاغ الدين حياة الأفراد صياغة اجتماعية بأن جعل الفرد دولة داخل الدولة.

كل هذه القيم الاجتماعية التي صاغها الدين في نفوس الأفراد والجماعات في البيئة الاجتماعية المسلمة، ما كان لها أن تتحقق وتصبح واقعا معاشا لولا فعالية العبادات وآثارها الاجتماعية.

المطلب الرابع: علاقة المبادئ الإدارية بالقيم الإسلامية.

إذا كانت فاعلية القيم الاجتماعية الإسلامية هي نتيجة طبيعية لفاعلية العبادات في الإسلام، كما أنها تحكم وتصوغ سلوك الأفراد والجماعات، فكل القيم الاجتماعية من تكافل، وتعاون، وتضامن، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، جميعها ناتجة عن وحدة الدين ووحدة الإيمان، إن تماسك وحدات المجتمع المسلم في بناء اجتماعي واحد، يجعل من الفرد المسلم قيما على الحياة الإسلامية، فالروح الاجتماعية التي يتمتع بها تفرض عليه إعلاء قيمة المصلحة العامة وتقديمها من حيث تحصيلها، على المصلحة الخاصة في حالة التعارض فيما بينهما، و أن العلاقة بين القيم الاجتماعية في المجتمع المسلم والمبادئ الإدارية علاقة وطيدة، علاقة الأصل بالفرع، علاقة الكل بالجزء، فالقيم الاجتماعية والتي تجد لها تطبيقات واسعة في الحياة الإسلامية، والتي تنبع من الشريعة الإسلامية ممثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، هي التي صاغت وشكلت المبادئ والأسس الإدارية التي تمت صياغتها في شكل نظم فرعية تندرج ضمن إطار نظام كامل، وشامل هو النظام الإسلامي، إن العلاقة الوطيدة بين القيم الاجتماعية الإسلامية والمبادئ الإدارية في الإسلام، هو تعبير عن الميزة الأساسية

لنظرية الإدارة في الإسلام، التي لا ترتكز على ربط سلوك الفرد بالمؤثرات الاجتماعية فحسب، وإنما ترتكز أيضا على جميع المتغيرات التي تؤثر في العملية الإدارية داخل المنظمة وخارجها، وهذا يعني أن نظرية الإدارة في الإسلام مرتبطة بالفلسفة الاجتماعية للمجتمع الإسلامي، ومرتبطة أيضا بأخلاقيات وقيم هذا المجتمع، ولذلك نجدها والمبادئ المتفرعة منها قد أدخلت بعدا اجتماعيا هاما ومؤثرا على السلوك الإداري داخل المنظمة وهو البعد الأخلاقي[930].

من هذا المنطلق العام يمكن التطرق إلى أربع مجالات إدارية ترتبط ارتباطا وثيقا بالقيم الإسلامية الاجتماعية، وبالفلسفة الاجتماعية للمجتمع الإسلامي، وبالمؤثرات الاجتماعية للبيئة الإسلامية، وأن هذه المجالات يمكن أن تمثل مبادئ إدارية هامة، سواء على مستوى الفكر الإداري الإسلامي، أو على مستوى الفكر الإداري الحديث، يبنى على أساسها السلوك الإداري الإسلامي بصفة عامة وهذه المجالات هي:[931]

1- العلاقات الإنسانية.

2- الرقابة.

3- الاختيار واليقين.

4- التنظيم.

---

[930] حسن صادق حسن عبد الله، القيم الاجتماعية الإسلامية و فاعلية السلوك الإداري في المؤسسة، مجلة المسلم المعاصر، بيروت، العدد التاسع و الأربعون، السنة الثالثة عشرة، محرم1408هـ- سبتمبر1987. ص:50.

[931] نفس المرجع، نفس الصفحة.

1- تأكد مبدأ العلاقات الإنسانية وبرز بشكل واضح في المجالات الرسمية داخل المنظمات، إذ يحرص الإسلام أن تسود الروح الإنسانية علاقة الرئيس بمرءوسيه، والتأكيد على أهمية إرساء هذه العلاقات على أساس إنساني يدعمه قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [932]، وتتجلى صفات القائد الرشيد الذي يراعي في تعامله مع مرءوسيه توطيد العلاقات الإنسانية بينه وبينهم، خدمة للمصالح العامة في قوله تعالى واصفا النبي ﷺ كأعظم شخصية في التاريخ البشري تحمل الصفات الإنسانية بأسمى معانيها: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[933]، كما أن الإسلام يحث على تنمية وإذكاء روح التعاون، والتضامن، والتكافل بين أفراد المجتمع المسلم، حتى أن النبي ﷺ رفع درجة الساعي في تحقيق مصالح المسلمين أفضل من درجة المعتكف في مسجده الشريف، حيث قال ﷺ: (**لئن يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين**)[934].

إن التأكيد على روح المحبة بين المسلمين بجميع مستوياتهم، من المبادئ التي يحث الإسلام على ترسيخها، والمحافظة على استمراريتها، فتنمية روح المحبة والأخوة والتفاهم بين أعضاء التنظيم من الأسباب المساعدة على زيادة الإنتاج، وتفعيل الأداء داخل المنظمة، أما انهيار هذه العلاقات بين الرئيس ومرءوسيه من الأسباب أيضا

---

[932] سورة آل عمران، الآية: 159.

[933] سورة التوبة، الآية: 128.

[934] الحاكم النيسابوري، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص: 300.

الداعية إلى فشل التنظيم في أداء مهامه أو التقليل من فاعليته، فعلى المدير الإداري إتباع روح المحبة، والتفاهم، والإحساس بمعاناة مرءوسيه والتخفيف عليهم قدر المستطاع، رد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما سئل عن أمر الرعية قال:" **كيف يعنيني أمر الرعية إذا لم يمسني ما يمسهم**"[935].

إن إتباع روح الاستبداد في العمل يقتل روح المحبة، وينمي روح الكراهية، والحقد والبغضاء بين أعضاء التنظيم، وقد حذر النبي ﷺ من تفشي هذه الظاهرة المرضية الخطيرة في الأمة التي قد تشل حركة الأمة أو المنظمة أو الإدارة إذا لم يتداركها القائمون على أمر المنظمة، عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :(**إن أشد الناس عذابا يوم القيامة أشدهم عذابا للناس في الدنيا**)[936]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :(**إن في جهنم واديا، في الوادي بئر يقال له هبهب حقا على الله أن يسكنه كل جبار عنيد**)[937]، والجبروت صفة ذميمة إذا اتصف بها الإنسان، وليست مقتصرة هذه الصفة الذميمة على مركز مسئولية معين، بل تنسحب على أي مركز كان توكل فيه مسئولية معينة لشخص معين، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: (**ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة، من تقدم قوما وهم له كارهون، ورجل أتى الصلاة دبارا ورجل اعتبد حرا**)[938].

---

[935] سليمان دنيا، التفكير الفلسفي الإسلامي. (الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة خانجي، 1387هـ-1967). ص: 169.

[936] علي بن الهيثمي، مرجع سبق ذكره، الجزء الخامس. ص: 234.

[937] نفس المرجع. ص: 197.

[938] الإمام الشوكاني، الدراري المضيئة، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره. ص: 135.

والإمامة لا يقصد بها الصلاة فقط، ولكن كل من تقدم الناس فهو إمامهم، سواء في الحكم أو الوزارة، أو الإدارة، أو الصلاة، وغيرها، و بهذا يتأكد أن مبدأ العلاقات الإنسانية مبدأ عام وليس مبدءا خاصا بالعمل الإداري فقط، لأنه ممارسة سلوكية يقوم بها الفرد يوميا في أي موقع من مواقع المسئولية التي تناط به.

2-أما مبدأ الرقابة فهي في أساسها تمثل نظاما متكاملا شاملا، وفي جميع الجوانب التي يخضع لها الفرد داخل المجتمع المسلم سواء على مستوى البيئة الاجتماعية، أو على مستوى المنظمة التي يعمل بها، فمن ميزات الإسلام على غيره أنه يعمل على غرس وتنمية وتنشيط الرقابة الاجتماعية من خلال اهتمامه بتماسك المجتمع المسلم، وهذا لا يتأتى إلا من خلال الرقابة على سلوك الأفراد، ومنع أي عامل من عوامل الهدم أن تتسرب إليها، لأن الفرد هو اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، وسواء كانت هذه الرقابة ممثلة في رقابة المجتمع أو رقابة التنظيم، إلا أن أصل هذه الرقابة هي ما بثه الإسلام من قيم في ضمير الفرد المسلم استشعارا لمعية الله تعالى ومراقبته، لأنه سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والحديث الشريف الذي سئل فيه النبي ﷺ عن معنى الإحسان فقال فيه: (**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)[939] يعطي صورة واضحة للمؤمن بضرورة استحضار رقابة الله تعالى عليه، لأن عدم الشعور بهذه الرقابة لا يعني فكاكه منها، بل على العكس، وبهذا يكون المسلم كما قال تعالى:" ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[940]"، وتسعى نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة في الكثير من الأحيان إلى ترسيخ مفهوم الرقابة الاجتماعية العامة والشاملة، التي يقوم بها المجتمع

[939] الإمام الشوكاني، فتح القدير، الجزء الرابع، مرجع سبق ذكره. ص: 234.

[940] سورة الأنعام، الآية: 162.

عموما على الفرد حفاظا على تماسكه، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (**ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته ومسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنه، ألا فكلكم مسئول عن رعيته**)[941]، هذه المسئولية الرقابية لا تخلوا من مظاهر الرحمة، والرأفة التي تشرب بها الضمير الفردي والضمير الجماعي في الأمة الإسلامية، لأن المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[942]، والمفهوم الشامل للرقابة في نظر الإسلام لا يقتصر على فئات دون أخرى، بل يشمل جميع فئات المجتمع من قمة هرم السلطة إلى السوقة، وهذا ما أشار إليه الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما ولي الخلافة، بين ذلك في أول خطبة له حيث قال:" أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني و إن أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم"[943]، و في هذا الصدد قال ﷺ: (**إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: لله وكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم**)[944]، إلا أن هذه الرقابة الاجتماعية الشاملة، وكذلك رقابة السلطة، لا تكون كافية مهما أحكمت حلقاتها، فتصرفات الفرد داخل المجتمع قد تخفى عن الأجهزة الرقابية الشعبية والرسمية، لكنها لا تخفى على الله الذي لا يسهى ولا ينام، مما

---

[941] الإمام مسلم، مرجع سبق ذكره، الجزء الثالث. ص: 1459.

[942] سورة التوبة، الآية: 71.

(943) معمر بن راشد الأزدي، مرجع سبق ذكره، الجزء الحادي عشر. ص: 336.

[944] الإمام أبي داود، مرجع سبق ذكره. ص: 286.

يبين أن عدم استشعار المسلم للرقابة الإلهية يفقد الرقابة الرسمية والشعبية فعاليتها، فالرقابة الذاتية هي التي تمكن المجتمع المسلم من أداء واجباته على أكمل وجه، وأحسن حال، كذلك الاستمرارية في هذا الأداء وبهذه الحال، وبهذا يتضح أن الرقابة الذاتية في تكاملها مع الرقابة الاجتماعية، والتي مردها ومرجعها إلى الرقابة الإلهية هي المصدر والأساس في جميع أنواع الرقابة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبة له:" حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم وتزينوا يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية"[945]

3-أما مبدأ الاختيار والتعيين، فقد حضي في نظر الإسلام باهتمام بالغ وهذا يعكس حرص الإسلام على هذا المبدأ من جميع النواحي، وعلى جميع المستويات، لأن الإسلام ينظر إلى الوظيفة أو المنصب على أنها أمانة ومسئولية شخصية يتحمل تبعاتها كل من خول له أمر القيام بها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[946]، ويرجع الإمام ابن تيمية معنى الأمانات إلى أمرين[947]:

أحدهما الولايات و هو كان سبب نزول الآية:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[948].

(945) ابن أبي شيبة، مرجع سبق ذكره الجزء السابع. ص: 96.

(946) سورة النساء، الآية: 58.

(947) شيخ الإسلام ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي و الرعية. (بيروت، دار الكتب العلمية، 1421هـ-2000). ص: 13.

(948) سورة النساء، الآية: 58.

وثانيهما الأموال[949]، كما قال تعالى في الديون:﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[950].

وفي سنن البيهقي الكبرى، عنه ﷺ: **(إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قالوا يا رسول الله، وما إضاعتها؟ قال إذا أسند الأمر أهله فانتظر الساعة)**[951]، وقد وضع القرآن الكريم أهم الأسس التي يتم عليها الاختيار، ذلك ما نصت عليه سورة القصص التي حكاها القرآن على لسان بنت سيدنا شعيب عليه السلام حين قالت: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[952]، فاشتراط القوة بمفهومها الواسع، قوة الدين، قوة الجسد، قوة المال وغيرها وكذلك الأمانة شرطان من شروط نجاح أداء المسئولية أو الأمانة، فالاختيار في نظر الإسلام يعتمد على مجموعة من العوامل تتضافر فيما بينها لتعطي النتيجة المرجوة كالصلاح، والكفاءة، والأمانة، والنزاهة، وغيرها، فما دون ذلك يعد خيانة لهذه الأمانة وكل من يرتبط بها، قال ﷺ: **(أيما رجل استعمل رجلا على عشرة أنفس وعلم أن في العشرة من هو أفضل منهم فقد غش الله تعالى ورسوله وجماعة المسلمين)**[953]، وقوله ﷺ: **(من ولى من أمر**

---

[949] ابن تيمية السياسة الشرعية، مرجع سبق ذكره. ص:37.

[950] سورة البقرة، الآية: 283.

[951] الإمام البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، الجزء العاشر، مرجع سبق ذكره. ص: 118.

[952] سورة القصص، الآية: 26.

[953] ابن حجر العسقلاني، الدراية في تخريج أحاديث الهداية، الجزء الثاني. (بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ). ص: 165.

المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم)[954]، ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية في فصل بعنوان استعمال الأصلح في كتاب السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، واختيار المثل فالأمثل فيقول: (إذا عرف هذا فليس عليه أن يستعمل الأصلح الموجود، وقد لا يكون في موجوده من هو صالح لتلك الولاية، فيختار الأمثل فالأمثل في كل منصب بحسبه، وإذا فعل ذلك بعد الاجتهاد التام، وأخذه للولاية بحقها فقد أدى الأمانة، وقام بالواجب في هذا، وصار في هذا الموضع من أئمة العدل المقسطين عند الله)[955].

وتتحدد سياسة الاختيار والتعيين من المنظور الإسلامي بتقدير الدور الذي يجب أن يقوم به العامل، أو الموظف المختار لهذه الوظيفة، على أساس الرجل المناسب في المكان المناسب، وهذا كله مرتبط أشد الارتباط بالبيئة الإسلامية بصفة عامة، وما نتيجته من قيم اجتماعية، وعلى رأسها، تقديم المصلحة العامة على جميع المصالح الخاصة، وكذلك دفع الضرر العام مقابل تحمل الضرر الخاص، تطبيقا للقاعدة الفقهية التي تنص على أن:" المصالح العامة مقدمة على المصالح الخاصة"[956]، و هذه القاعدة تستوجب وأن:" دفع الضرر العام واجب بإثبات الضرر الخاص"[957]، عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**لا ضرر ولا ضرار، من ضر ضره الله ومن شق**

---

[954] علي بن الهيثمي، مرجع سبق ذكره، الجزء الخامس. ص: 232.

[955] ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي و الرعية، مرجع سبق ذكره، طبعة دار الجيل. ص: 23.

(956) الإمام الشاطبي، الموافقات، الجزء الثاني، مرجع سبق ذكره. ص: 350.

(957) محمد بن محمد بن سليمان، مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني. ص: 269.

شق الله عليه)[958]، وقد اشترط عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عملية الاختيار والتعين عامل التجربة، والخبرة، والحنكة لتولي المناصب فقال: "لا يلي هذا الأمر إلا رجل فيه أربع خصال: اللين في غير ضعف، والشدة في غير عنف، والإمساك في غير بخل، والسماحة في غير سرف، فإن أسقطت واحدة منهن فسدت الثلاث"[959]، ولما اختار عمر بن أبي هبيرة مسلم بن سعيد واليا على خرسان قال له:" أوصيك بثلاث: حاجبك فإنه وجهك الذي به تلقى الناس، إن أحسن فأنت المحسن وإن أساء فأنت المسيء، وصاحب شرطتك فإنه سوطك وسيفك حيث وضعهما أنت وضعتهما، وعمال القدر، قال: وما عمال القدر؟ قال: أن تختار من كل كورة رجالا لعملك فإن أصابوا فهو الذي أردت، وإن اخطئوا فهم المخطئون وأنت المصيب"[960].

مما تقدم يتبين أن عملية الاختيار والتعيين أمر بالغ الأهمية ولذلك لا بد من التدقيق في عملية الاختيار، فحسن الاختيار لأي منصب من المناصب أمر ضروري حتى ينعكس ذلك على عملية الأداء تحقيقا لمصالح الجماعة المسلمة التي يعمل في نطاق بيئتها.

4-أما مبدأ التنظيم والذي يشكل بدوره مبدأ من المبادئ الإدارية الهامة، قد ركز هذا مبدأ على عنصرين هامين: هما القيادة، واتخاذ القرارات، لما لهذين العنصرين من أثر على تحقيق المصلحة العامة المتعلقة بالأمة والمجتمع، والمصلحة الخاصة المرتبطة بالتنظيم أو المنظمة وبالعاملين داخلها، أما ما يتعلق بعنصر القيادة فقد تطرق الباحث

(958) عبد الله بن يوسف الحنفي، نصب الراية، الجزء الرابع. (القاهرة، دار الحديث، 1375هـ). ص: 385.

(959) أحمد فرج، مرجع سبق ذكره. ص: 80.

(960) ابن عبد ربه الأندلسي، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص: 13-14.

إلى هذا الموضوع بالتفصيل عند تناوله لمحددات السلوك التنظيمي، والذي تم التطرق فيه إلى القيادة في الإسلام وأهميتها وما يترتب من مصالح عند إقامتها، وما يترتب من مفاسد عند تعطيلها، كما تناول الصفات الواجب توفرها في القائد المسلم حتى يحصل التفاعل بينه وبين مرءوسيه، سعيا إلى تحقيق أهداف المنظمة، وكذلك تلازم مبدأ القيادة مع مبدأ الشورى، مما يقلل إلى درجة كبيرة احتمال قيام تنازع بين الرئيس ومرءوسيه، إفشاء لروح المحبة والأخوة، ونزعا لروح الكراهية والبغضاء، كما أن مبدأ الشورى يفتح الباب أمام العاملين لإبداء رأيهم في أي قضية تهم مصالحهم ومصالح المنظمة التي ينتمون إليها، مما يجعل القرار المتخذ أقرب للصحة من غيره، فتلازم مبدئي القيادة والشورى في الفكر الإداري الإسلامي أمر ضروري لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تستغني القيادة على مبدأ الشورى، وإلا قلت فاعلية الأداء، وظهرت الأمراض النفسية فيما بين القيادة والعاملين كالبغض والكراهية والحسد وغيرها، عن بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**ألا أخبركم بخيار أمرائكم وشرارهم، خياركم الذين تحبونهم ويحبونكم وتدعون لهم ويدعون لكم، وشرار أمرائكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم**)[961]، إن فاعلية التنظيم كمبدأ من المبادئ الإدارية الهامة، والتي اهتم بها الإسلام عموما والشريعة باعتبارها الجانب العملي فيه خصوصا، مرتبط كغيره من المبادئ، ومحكوم بالقيم الاجتماعية في المجتمع المسلم، وبأحكام الشريعة الإسلامية، وبالبيئة الإسلامية عموما.

---

[961] الإمام الترمذي، سنن الترمذي، الجزء الرابع، مرجع سبق ذكره. ص: 528.

المبحث الثالث

أثر القيم في تفعيل السلوك التنظيمي

لقياس مدى فاعلية القيم في التأثير على السلوك الإنساني داخل التنظيم يجدر بالباحث إلقاء نظرة سريعة على بعض النظريات الحديثة، التي تتناول سلوك الأفراد داخل تنظيمات العمل، علما أن الفكر الإداري المعاصر يظم العديد من النماذج والنظريات التي تبحث في هذا الموضوع، مع التركيز على القواعد والأسس التي تبنى عليها، ثم مقارنة ذلك مع نظرية السلوك التنظيمي من منظور إسلامي، وحقيقة هذه النظريات جميعا تركز على سلوك الإنسان داخل منظمات العمل باعتباره:

1- عضوا في التنظيم لديه حاجات التي من خلالها يتفاعل مع بيئته التنظيمية.

2- مسئولا أو مشرفا مباشرا أو مديرا على جماعة من الموظفين.

3- عضوا في جماعة من الموظفين، لهذه الجماعة أهداف محددة ولها أيضا إدارة أو قيادة معينة.

المطلب الأول: القيم المادية و نظريات السلوك التنظيمي.

1- **نظرية سلم الحاجات : نموذج ماسلو:يقوم** نموذج ماسلو على أساس وجود مجموعة من الحاجات لدى الإنسان يسعى إلى إشباعها حيث يغير الإنسان أهدافه ويعيد توجيه أنشطته تبعا لتغيير حاجاته، وتعمل الحاجات غير المشبعة على جذب وتحريك الجهود لإشباعها.

2- **النظرية التقليدية: ونظرية المشاركة (نظريتا X و Y):** يرى مجريجور أنه يمكن معرفة أشياء كثيرة عن المدير إذا تم التعرف على مدى معرفة المدير للنفس البشرية عن

طريق فرضيتين: الأولى أطلق عليها اسم نظرية(x)، وأطلق على الثانية نظرية(y)وتمثل نظرية x وجهة النظر التقليدية في التوجيه الإداري والرقابة الإدارية، في حين تمثل نظرية y وجهة النظر الحديثة والتي تقضي بضرورة إشراك العاملين في صنع القرارات.

3-**نظرية الجماعات في التنظيمات:** هدف هذا النموذج إلى تصنيف الجماعات داخل التنظيمات الإدارية، ويعتمد في ذلك على بعدين أساسيين هما:

1- الوظائف التي تقوم بها الجماعات داخل التنظيمات.

2- درجة الترابط الاجتماعي داخل الجماعات.

ويرى أصحاب هذا النموذج أن توفر هذين البعدين يزيد من فعالية أداء المنظمة، وتحسينه، والعكس في حالة عدم الاهتمام بهما.

4-**نظرية الملاءمة:** ترى هذه النظرية أن الهيكل التنظيمي يجب أن يتناسب وطبيعة العمل الذي يقوم به التنظيم، وكذلك يتطلب لتفعيل الأداء داخل المنظمات الإدارية مراعاة الملاءمة بين مهام العمل، والتنظيم، وأعضاء التنظيم.

5-**نظرية المهارات الثلاث:** حدد" كاتز" ثلاث مهارات لا بد للمدير أن يكتسبها لتفعيل العمل داخل المنظمة، هذه المهارات الثلاث هي:

1- مهارات فنية، وترتبط بطرق وإجراءات تنفيذ الأعمال، وتكون على مستوى الإدارات الدنيا.

2 - مهارات سلوكية، و تتعلق بكيفية التعامل مع العاملين وغالبا ما تطلب في الإدارات الوسطى.

3 - مهارات فكرية، وترتبط عادة بالمستوى الإداري الأعلى الذي يتطلب فيه الرؤية الشاملة لأهداف التنظيم.

6- **نظرية نمو الشخصية:** يوضح "ارجريس" من خلال هذه النظرية أن هناك سمات أساسية للنمو الطبيعي للشخصية، ويرى أن القيادة في تعاملها مع العمال والموظفين، يجب أن تفترض فيهم عدم النضج (سلوك أطفال) وعلى الموظفين السمع والطاعة وسرعة الأنقياد، مما يؤدي إلى ظهور السلبية والاعتماد على الغير في تنفيذ الأعمال.

7- **نظرية الرضاء عن العمل:** يركز أصحاب هذه النظرية على دراسة العوامل المؤثرة في الرضاء عن العمل، وكذلك ظروف العمل التي ينشأ عنها عوامل عدم الرضاء عن العمل، وقد تم التوصل إلى مجموعتين مختلفتين من العوامل: تتعلق المجموعة الأولى بمحتويات الوظيفة ذاتها، بينما ترتبط المجموعة الثانية ببيئة العمل، وتتضمن المجموعة الأولى عوامل إيجابية تمثل دوافع مباشرة تؤدي إلى زيادة الرضا، مما ينتج عن ذلك زيادة فعالية العامل في أداء عمله، أما المجموعة الثانية، تتضمن عوامل سلبية تمثل دوافع مباشرة تؤدي إلى عرقلة العمل، وتنمي ظاهرة عدم الرضا عن العمل، مما يؤدي إلى إضعاف فاعلية العاملين في أداء أعمالهم، وعادة ما ترتبط هذه العوامل بما يتعلق بالظروف البيئية للوظيفة.

8- نظرية تدرج القيادة: يوضح نموذج: " تفنمجوم" و "شميدث" التسلسل المتدرج في تناقص القيادة، أي سلطة المدير، يقابلها زيادة منتظمة في مشاركة المساعدين في عملية اتخاذ القرارات، يبدأ النموذج بالسلطة المطلقة للمدير والتي تقل تدريجيا مع زيادة المشاركة في اتخاذ القرار حتى يصل إلى المشاركة الكاملة.

9- **نظرية شجرة القرارات للنمط القيادي المناسب.:** يركز هذا النموذج على درجة المشاركة التي يسمح بها المدير لمساعديه في المشاركة في اتخاذ القرارات، ويركز النموذج ايضاعلى خمسة أنماط من المديرين:

1- تفرد المدير في اتخاذ القرار معتمدا على معلوماته الخاصة دون إشراك مساعديه.

2- تفرد المدير في اتخاذ القرار مع الاعتماد على مساعديه في الحصول على المعلومة الضرورية.

3- حصول المدير على أفكار ومقترحات أصحاب المشكلة، ثم يتخذ القرار دون الرجوع إلى مساعديه.

4- إشراك المدير لمساعديه في مناقشة المشكلة، ثم يتخذ القرار بناء على نتائج المناقشات.

5- إشراك المدير مساعديه في إيجاد البدائل المناسبة لحل المشكلة.

10- **نظرية الفعالية القيادية:** اعتمد " فيدلر" في نظريته على الأبحاث التي أجراها لتحديد النمط القيادي الأكثر فعالية في ظروف معينة، وقد ركز في ذلك على بعدين يرى أنهما أساس الفعالية هما: الاهتمام بالعمل، والاهتمام بالناس، كما حدد ثلاثة عناصر هامة في نظره للموقف الذي يواجهه المدير:

1- قياس درجة قبول المجموعة للمدير.

2- قياس مدى وضوح الأهداف للمساعدة في تحقيقها، وكذلك إمكانية قياس الأداء، ووضوح كيفية الأداء، والبدائل المطروحة.

3- نطاق صلاحيات المدير في التوجيه، والتقييم، والمكافأة، والعقاب.

11- **نظرية الشبكة الإدارية:** توصل كل من "بليك" و "موتون" إلى إطار عام للأنماط القيادية، وتتميز هذه الأنماط على درجة اهتمامها بالعاملين والعمل، وقد أكد النموذج على خمسة أنماط باعتبارها الأكثر فعالية من حيث الأداء.

1- نمط المدير الذي يعطي كلا من العاملين والعمل اهتماما قليلا.

2- نمط المدير الذي يعطي العمل اهتماما أكبر من العاملين.

3- نمط المدير الذي يعطي العمال اهتماما أكبر من العمل.

4- نمط المدير الذي يعطي كلا من العمل والعاملين اهتماما متوسطا.

5- نمط المدير الذي يعطي كلا من العمل و العاملين اهتماما كبيرا.



9	9.1								9.9
8									
7									
6									
5					5.5				
4									
3									
2									
1	1.1								1.9
	1	2	3	4	5	6	7	8	9

الاهتمام بالعمل والعمال

1.1: يعني أن درجة الاهتمام بالعمل والعاملين ضعيفة جدا.

1.9: يعني أن درجة الاهتمام بالعمل عالية إلى أقصى حد بينما درجة الاهتمام بالعاملين ضعيفة جدا.

9.1: تعني أن درجة الاهتمام بالعاملين عالية إلى أقصى حد بينما درجة الاهتمام بالعمل على العكس من ذلك.

9.9: تعني أن درجة الاهتمام بالعمل والعاملين عالية إلى أقصى حد في آن وحد.

5.5: الاهتمام من قبل القيادة بالحل الوسط من حيث الاهتمام بالعمل والعاملين.

ملاحظة: تعد نسبة 9.9 هي أنسب نمط من أنماط القيادة لأنها تعطي كبر قدر من الاهتمام للعمل والعاملين قياسا بمثيلاتها داخل المنظمة في آن واحد.

12- نظرية " z" نموذج " أوتشي ": وضع هذا النموذج لترشيد المؤسسات الأمريكية وهذا بعد المنافسة القوية التي واجهتها من نظيراتها اليابانية في السوق العالمية، والسر في نجاح نظرية " z" يكمن في أمرين هامين هما:

1- اعتماد التنظيم على قيم يؤمن بها أعضاء التنظيم، وتمثل جوهر الثقافة السائدة بينهم.

2- من أهم القيم السائدة في التنظيمات اليابانية قيم المساواة، الثقة، الدقة، المودة، النظرة الشمولية والجماعية، الولاء، وغيرها، ومن النتائج المباشر لدى التنظيمات اليابانية:

1- سهولة اتخاذ القرارات نظرا لوجود قيم تحكم عملية صنع القرار.

2- اختفاء الصراعات الفردية داخل التنظيم، وتوجيه الطاقات الإنسانية لزيادة الإنتاجية.

3- سهولة توجيه السلوك وتغييره، وذلك بربط التوجيه، والتغيير المراد إحداثه بالقيم التي يؤمن بها أعضاء التنظيم.

إن ما يمكن قوله - في رأي الباحث-عن النظريات الغربية التي تهتم بدراسة السلوك الإنساني داخل التنظيم، أنه لا يرى أي أثر للجانب الروحي والعقائدي فيما تحمله هذه النظريات من مبادئ، وقواعد، وأسس، مما جعلها قاصرة عن فهم حقيقة الإنسان، والمؤثرات التي من شأنها تفعيل أدائه داخل المنظمات الإدارية، ورغم ما تحمله هذه النظريات من إيجابيات إلا أنها بهذه النظرة القاصرة قد ألغت جزءا هاما من تكوين الإنسان، وهو الجانب الروحي، لأن الإنسان نفخة من روح الله، وحفنة من تراب، ولا يمكن تغليب أي من العنصرين على الآخر، لأن الروح بدون المادة لا تساوي شيء، وكذلك المادة بدون روح لا تساوي شيء، واهتمت بشكل مبالغ فيه بالجانب المادي، واعتبرته يمثل حقيقة الإنسان، و بهذا الفهم فإن النظم الإدارية الغربية تنظر إلى الإنسان نظرة قاصرة مما يؤثر على عملية التفاعل فيما بينها وبين الكائن البشري.

أما ما يميز النموذج الياباني في التنظيم الإداري وجعله أكثر النظم كفاءة في العصر الحاضر، محققا بذلك أعلا مستويات الإنتاجية، مقارنة بالنظم الإدارية في الدول الغربية، هو اعتماده على قيم التزم بها أعضاؤه، واتخذوا منها معايير لسلوكهم، فحققوا بذلك نجاحا باهرا على مستوى الفاعلية الإنتاجية، مما جعل الأنظمة الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية تلجأ إلى نموذج " أوتشي " الياباني لكي يساعدها في رفع إنتاجية مؤسساتها، والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هو: ما هو السر في نجاح نظرية التنظيم أو السلوك التنظيمي اليابانية قياسا بغيرها من النظريات والنظم الغربية؟ والجواب كما يراه العديد من المهتمين: أن سر النجاح راجع بالدرجة الأولى إلى ما يؤمن أعضاء التنظيم من قيم يعتبرونها جوهر الثقافة السائدة بينهم.

وما يمكن للباحث أن يستنتجه مما طرح سابقا هو: أنه إذا كان التمسك بقيم وضعية لا تتسم بالثبات، ولها القابلية المطلقة للتغير والتبدل، إذا ما دعت المصلحة إلى ذلك، كما أنها تتسم بالنسبية، لا بالإطلاق على مستوى أي تنظيم إداري و مع هذا كله تحقق أعلا درجات الإنتاجية توافقا مع أعلا درجات الفاعلية، فكيف بقيم ميزتها الثبات الراسخ الذي لا تؤثر فيه التغيرات، والإطلاق الذي لا يعرف النسبية، والذي يرجع إلى مصدر هذه القيم، و هو خالق الخلق، الحي القادر، الجبار القاهر، الذي لا يعتريه قصور ولا عجز، ولا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعارضه فناء ولا موت، وإنه ذو الملك والملكوت، والعزة والجبروت، له القدرة والسلطان، والقهر والخلق والأمر، فكيف بها لاتحقق أقصى وليس أعلا درجات الإنتاجية، فالمشكلة إذن في حامل القيم و ليس في القيم.

فالنظريات الغربية التي تعنى بدراسة السلوك التنظيمي رغم إلقائها الضوء على بعض جوانب المشكلة، إلا أنها فشلت في الإحاطة بها من جميع الجوانب، وإيجاد حل شامل لها، وكذلك فشلت في تحديد أساليب العلاج الناجع لها، والسبب في ذلك راجع إلى أن المشكلة بشمولها وعمومها، تتعدى حدود الطاقة البشرية من حيث الزمان والمكان، فلا بد من حل شامل ونظرية كلية جامعة، ولا يتأتى هذا إلا بالرجوع والعودة الصادقة إلى الخالق سبحانه وتعالى، هو الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وهو العالم بمصالح عباده، والعالم بما يفسدهم ويكدرصفو حياتهم سبحانه وتعالى، القائل في محكم تنزيله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾[962].

---

[962] سورة طه، الآيات: 124-126.

المطلب الثاني: نظرية السلوك التنظيمي في الفكر الإسلامي.

2/ 1- نظرية السلوك التنظيمي الإسلامية وحقيقة النفس البشرية. إذا كانت نظريات السلوك التنظيمي الغربية قد فشلت جزئيا في إيجاد حل شامل لمشكلة سلوك العاملين داخل منظمات العمل سعيا لرفع إنتاجيتهم، ومن ثم رفع إنتاجية المنظمات عموما، فهذا راجع في أساسه- كما ذكر الباحث فيما تقدم- إلى الآثار التي تركتها القيم المادية على المستوى الفردي والاجتماعي في المجتمع الغربي، وأن المشكلة المطروحة للبحث لا تتوقف عند حدود العوامل المادية بصفة خاصة، وبعض الإشارات إلى العوامل النفسية، والإنسانية بشكل سطحي غير عميق وغير متجذر، كذلك أن هذا الفشل راجع إلى عدم أخذ هذه النظريات في اعتبارها عنصر ازدواجية تركيبة النفس البشرية " مادة - روح"، وأن تغليب أي من الجانبين على الآخر يؤثر تأثيرا سلبيا قد يؤدي إلى تعطيل كامل لفاعلية الإنسان في التأثير الإيجابي في الحياة، بل التأثير السلبي فيها، فالإمعان في المادية يشكل شخصية روبوتية "Robot" آلية تؤدي الأعمال التي توكل إليها في ظروف معينة مثلها مثل الآلة المبرمجة لا تحس في أداء العمل بأي نبض للحياة بمفهومها الحقيقي، وعلى النقيض من ذلك فكلما كان الإمعان في الحياة الروحية أكثر فأكثر كلما تشكلت شخصية إنطوائية، انعزالية، تواكلية، تؤمن بالخرافة، ولا مجال للعلمية في تفكيرها، تمثل كما مهملا بالحساب الزمني الراهن، ولذلك فلا بد من الموازنة بين عاملين هامين يشكلان النفس الإنسانية: عامل الروح، وعامل المادة، هذا التوازن هو الذي يعطي للنفس الإنسانية حقيقتها، ومفهومها، كما خلقها الله عز وجل، وكما أراد لها أن تكون، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْمُفْسِدِينَ﴾[963] ، ورد في الأثر عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)[964].

فالموازنة بين متطلبات الحاضر، والمستقبل القريب ضمن حدود الدنيا، ومتطلبات المستقبل البعيد، ضمن حدود الآخرة، في التعامل مع النفس الإنسانية من أهم العوامل المؤدية إلى تفعيل الأداء داخل منظمات العمل، فرسوخ هذه المفاهيم والقيم لدى أفراد التنظيم قيادة وجماعة، رؤساء ومرؤوسين، ينمي فيهم روح المسئولية، والرقابة الذاتية التي يقوم بها الضمير الفردي والجماعي لدى الأمة، وهذا ما يكاد ينعدم على مستوى النظريات الغربية، وقد وضع الإسلام من القواعد والضوابط، أمرا ونهيا، ما يجعل الفرد المسلم في أي موقع من المواقع في غنى عن الضوابط القانونية، رغم أهميتها وقد تناول الباحث هذه القضية بإسهاب من خلال ما تم طرحه ضمن محددات ومرتكزات المفهوم الإسلامي للقيم، ودرجة تأثيرها على محددات السلوك التنظيمي، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة، ولبلوغ الغاية المرجوة، وتحقيق الهدف المرسوم، فإن النظرية الإسلامية للسلوك التنظيمي تسعى إلى فهم النفس الإنسانية فهما دقيقا وشاملا، حتى يسهل التعامل معها وصولا بها إلى ما تم رسمه والتخطيط له، فلا بد إذن من مراعاة خطوط، أو ما يعبر عنها- الأستاذ محمد قطب- بالثنائيات المتقابلة في النفس البشرية، تمشيا مع الأسلوب القرآني في التربية، باتباع أسلوب الوعد والوعيد، هذه الثنائيات تم ترتيبها بالشكل التالي:[965]

---

[963] سورة القصص، الآية: 77.

[964] الإمام القرطبي، مرجع سبق ذكره، الجزء الثالث عشر. ص: 314.

[965] محمد قطب، مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني. ص: 127 و ما بعدها.

1- الخوف والرجاء: فالإنسان مفطور على الخوف والرجاء، الخوف من الموت، ورجاء الاستقرار والأمن والطمأنينة، خوف من عذاب الله ووعيده، ورجاء في رحمته ومغفرته (وعده).

2- الحب والكره: تتدرج مراتب الحب مع نمو شخصية الإنسان إلى أن يصل إلى قمة هذا الحب، وهو حب الله تعالى، وحب رسوله ﷺ، وحب المؤمنين عامة، وكذلك البغض يتدرج هو الآخر إلى أن يصل إلى قمته وهي البغض في الله تعالى.

3- الواقع والخيال: تشمل طاقة الواقع الطاقات الأربع السابقة الحسية والمعنوية، الإيمان بالمحسوسات، والإيمان بالغيبيات، أما طاقة الخيال فتعتمد على إنشاء صور لا وجود لها في عالم الواقع، ومع ذلك هناك تشابك وتداخل بينها وبين الطاقات الأربع السابقة، لأن الخيال لا ينشأ من العدم ولو أنه خيال.

4- الطاقات الحسية والطاقات المعنوية[966]: فالإنسان مزود من قبل الخالق جل وعلا بطاقات حسية مركبة في جسده متعلقة بالحواس المختلفة، يحس بها المحسوسات من الأشياء، وطاقات معنوية تتعلق بقوة التفكير، والتفكر، والتدبر، والتأمل، يدرك بها الكليات المعنوية المجردة.

5- ما تدركه الحواس ومالا تدركه: الإيمان بالمحسوس، والإيمان بالغيب اللا محسوس، ثنائية ذات حدين متقابلين في النفس البشرية لايمكن إنكارها و تجاهلها.

---

[966] نفس المرجع. ص: 151 وما بعدها.

6- الفردية والجماعية: في النفس السوية ميل للشعور بالفردية المتميزة فحب الذات والاستمتاع بها ينطوي على نوعين من الحاجات، حاجة حفظ الذات، وحاجة حفظ النوع، وما يتفرع عن هذين النوعين من حاجات فرعية.

7- الالتزام والتحرر: في الإنسان ميل فطري لأن يلتزم بأشياء معينة، ولو وجد نفسه طليقا من كل التزام خارجي، كذلك الفوضى المطلقة لا وجود لها في نفس الإنسان، مع ذلك فإن في الإنسان ميلا للإحسان بأنه غير ملتزم وأنه يؤدي الأشياء رغبة منه لا لأنها مفروضة عليه، كلا الخطين يؤدي دوره في الحياة البشرية.

8- السلبية والإيجابية: السلبية بمعنى ما تؤديه الطاعة من دور في حياة الصغار والكبار، أما الإيجابية فتتمثل في الإرادة، والقدرة، والفعالية، التي تؤدي دورها في الحياة للموازنة بينها وبين السلبية، ومقاومة الشر وإبداع النظم الجديدة.

2/ 1- الضوابط الأخلاقية للسلوك التنظيمي. يعرف السلوك التنظيمي على أنه محصلة السلوك الإنساني الفردي، والسلوك الإنساني الجماعي، الرسمي وغير الرسمي داخل النظم الإدارية.

أما الخلق فهو حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية [967].
ويمكن أن تشتمل الضوابط الأخلاقية للسلوك التنظيمي على الضوابط الأخلاقية للسلوك الفردي، والضوابط الأخلاقية للسلوك الجماعي، وأخيرا الضوابط الأخلاقية لسلوك المديرين أو المسئولين.

أولا: الضوابط الأخلاقية للسلوك الفردي في المنظمات الإدارية.

---

[967] أحمد بن مسكويه، تهذيب الأخلاق. (بيروت، مكتبة الحياة، بدون تاريخ). ص: 36.

تتمثل هذه الضوابط في القواعد الأخلاقية التي تحكم سلوك الأفراد داخل منظمات العمل الإداري، وزيادة تفعيلها لتحقيق أهداف المنظمة، وأهداف العاملين بها، أي تحقيق الأهداف العامة أو المصالح العامة التي ينجر عنها بالضرورة تحقيق الأهداف الخاصة، أو المصالح الخاصة، وتظم هذه القواعد، الأخلاقيات التي تحكم علاقة الإنسان بخالقه عز وجل والأخلاقيات الآمرة، والأخلاقيات الناهية:

I- قواعد سلوك الإنسان مع ربه سبحانه: إن سلوك الإنسان مع ربه يجب أن يتقرر بمقتضى إقرار هذا الإنسان بربوبية الله سبحانه وتعالى، امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[968]، فمقتضى الربوبية تحدد واجبات الإنسان نحو خالقه، و أصل هذه الأخلاق هي الإيمان، فلا أخلاق بلا إيمان، ويمكن تحديد عشر قواعد ضابطة لسلوك الإنسان مع ربه سبحانه وتعالى:

1- الإيمان بالله، وما يقتضيه هذا الإيمان لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[969].

2- تدبر آيات الله في الكون وفي الأنفس، لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[970]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى

---

[968] سورة الأعراف، الآية: 172.

[969] سورة البقرة، الآية: 177.

[970] سورة ص، الآية: 29.

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[971]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ *وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ* وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[972].

3- النظر والتدبر في صنع الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[973].

4- شكر الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، لقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[974]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[975]، وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾[976].

5- الرضاء بقضاء الله وقدره، لقوله تعالى: (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)[977]، وقوله تعالى: ﴿الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[978].

6- عدم اليأس والقنوط من رحمة الله، لقوله تعالى: ﴿ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾[979]، وقوله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا

[971] سورة محمد، الآية: 24.

[972] سورة الغاشية، الآيات: 17-20.

[973] سورة الذاريات، الآيتان: 20-21.

[974] سورة النحل، الآية: 53.

[975] سورة إبراهيم، الآية: 34.

[976] سورة البقرة، الآية: 152.

[977] سورة التوبة، الآية: 51.

[978] سورة العنكبوت، الآيات: 1 - 3.

[979] سورة يوسف، الآية: 87.

عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)[980].

7- التوكل على الله، لقوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[981]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾[982].

8- الوفاء بعهد الله، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[983]، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾[984]، وقد مدح الله نبيه إسماعيل وأثنى عليه لوفائه بما يقطعه على نفسه من عهود و ما يلتزم به من وعود، فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾[985].

9- التوبة إلى الله، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[986]، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾[987].

---

[980] سورة الزمر، الآية: 53.

[981] سورة آل عمران، الآية: 160.

[982] سورة الطلاق، الآية: 03.

[983] سورة النحل، الآية: 91.

[984] سورة الإسراء، الآية: 34.

[985] سورةمريم، الآية: 54.

[986] سورة النور، الآية: 31.

[987] سورة التحريم، الآية: 08.

10- حب الله فوق كل حب، لقوله سبحانه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾[988]، و قوله ﷺ :(**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة**)[989].

II: القواعد الآمرة للسلوك الإنساني داخل منظمات العمل.

تتضمن هذه المجموعة القواعد التي تأمر السلوك الإنساني بالانضباط داخل منظمات العمل، فمنها ما هو متصل بالعمل مباشرة، ومنها ما هو مرتبط بفضائل النفس التي تعين على أداء العمل بإتقان.

1- إتقان العمل: يقول سبحانه وتعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[990]، وقوله سبحانه وتعالى:

(إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)[991].

2- مجاهدة النفس: قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)[992].

---

[988] سورة البقرة، الآية: 165.

[989] الإمام النووي، رياض الصالحين، مرجع سبق ذكره. ص: 11.

[990] سورة التوبة، الآية: 105.

[991] سورة الكهف، الآية: 07.

[992] سورة العنكبوت، الآية: 69.

3- التسابق في الخيرات: قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[993]، وقوله تعالى: ﴿فمنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن ربه﴾[994].

4- الإخلاص في العمل لوجه الله: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾[995]، و قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾[996].

5- الاعتدال والتوسط: قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[997]، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾[998]، وقوله أيضا: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾[999].

6- القدوة الحسنة: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[1000].

---

[993] سورة البقرة، الآية: 148.

[994] سورة فاطر، الآية: 32.

[995] سورة الإنسان، الآية: 09.

[996] سورة البقرة، الآية: 272.

[997] سورة الأعراف، الآية: 31.

[998] سورة الإسراء، الآية: 29.

[999] سورة الفرقان، الآية: 67.

[1000] سورة الأحزاب، الآية: 21.

7- الصبر: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1001]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[1002].

8- كظم الغيظ: قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1003].

9- التواضع: قال تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ)[1004].

10- الصدق: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1005] وقال أيضا: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[1006].

[1001] سورة آل عمران، الآية: 200.

[1002] سورة البقرة، الآية: 45.

[1003] سورة آل عمران، الآيتان: 133-134.

[1004] سورة الأعراف، الآية: 146.

[1005] سورة التوبة، الآية: 119.

[1006] سورة الزمر، الآية: 33.

III: القواعد الناهية للسلوك الإنساني داخل منظمات العمل.

تتضمن هذه المجموعة أهم القواعد الناهية عن الآفات والأمراض السلوكية، التي تفتت شبكة العلاقات داخل مكان العمل، مما يضعف أو يحد من فاعلية العمل، ويؤدي إلى انخفاض إنتاجيته، هذه الآفات هي:

1- الكذب: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[1007].

2- النفاق: قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ* وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ولبأس الْمِهَادُ﴾[1008]، وقوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا﴾[1009].

3- الرياء: قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُون * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[1010]، وقال أيضا: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾[1011]،

[1007] سورة النحل، الآية: 105.

[1008] سورة البقرة، الآيات: 204-205-206.

[1009] سورة النساء، الآية: 145.

[1010] سورة الماعون، الآيات: 4 – 7.

[1011] سورة النساء، الآية: 38.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1012].

4- السرقة: قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1013].

5- الرشوة: قال تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1014].

6- الغش: قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ *أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1015].

7- الإسراف والتبذير: قال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً *إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾[1016]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾[1017].

8- الحسد: قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾[1018]، عن النبي صلى الله عليه و سلم

[1012] سورة البقرة، الآية: 264.

[1013] سورة المائدة، الآية: 38.

[1014] سورة البقرة، الآية: 188.

[1015] سورة المطففين، الآيات:من 1 حتى 5.

[1016] سورة الإسراء، الآيتان: 26-27.

[1017] سورة الفرقان، الآية: 67.

أنه قال:(**دب إليكم داء الأمم الحسد و البغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر و لكن تحلق الدين و الذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا و لا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بما يثبت ذلكم لكم افشوا السلام بينكم**)[1019].

9- الكسب الخبيث: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[1020].

10- تزكية النفس بغير هدى: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[1021]، و قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[1022].

ثانيا: السلوك الجماعي داخل المنظمات الإدارية.

إن العمل الجماعي هو في حقيقته تكامل وتظافر جهود فردية في أداء وإنجاز العمل، وعليه فإن القواعد الضابطة للسلوك الجماعي تتضمن القواعد الضابطة

[1018] سورة النساء، الآية: 54.

[1019] الإمام الترمذي، سنن الترمذي، الجزء الرابع، مرجع سبق ذكره. ص: 664.

[1020] سورة البقرة، الآيتان: 275-276.

[1021] سورة النساء، الآية: 49.

[1022] سورة النجم، الآية: 32.

للسلوك الفردي أولا، ثم القواعد الضابطة لسلوك الجماعة، ونجد ضمن هـذا الإطـار مجموعتين من القواعد:

I: القواعد الآمرة للسلوك الجماعي. وتشمل ما يلي:

1- التعاون على البر والتقوى: قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1023].

2- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لقوله تعـالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1024].

3- إصلاح ذات البين: لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1025]، قـال عليه الصلاة و السلام: (**ألا أخـبركم بأفضـل مـن درجـة الصـيام و الصـلاة و الصدقة، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إصـلاح ذات البـين و فسـاد ذات البـين الحالقة**)[1026].

4- التراحم بين أفراد الجماعة: لقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[1027].

(1023) سورة المائدة، الآية: 2.

(1024) سورة آل عمران، الآية: 104.

(1025) سورة الأنفال، الآية: 01.

(1026) أبو بكر الجصاص، مرجع سبق ذكره، الجزء الثالث. ص: 268.

(1027) سورة الفتح، الآية: 29.

5- وحدة الصف: لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾[1028]، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1029].

6- القول الطيب منعا للفرقة: قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً﴾[1030].

7- دفع السيئة بالحسنة: لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[1031]، وقال تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[1032].

8- الطاعة في غير معصية: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[1033]، وقال ﷺ: **(الطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فمن أمر بمعصية فلا سمع له ولا طاعة)**[1034].

[1028] سورة آل عمران، الآية: 103.

[1029] سورة الأنفال، الآية: 46.

[1030] سورة الإسراء، الآية: 53.

[1031] سورة الرعد، الآية: 22.

[1032] سورة فصلت، الآية: 34.

[1033] سورة النساء، الآية: 59.

[1034] ابن أبي شيبة، مرجع سبق ذكره، الجزء السادس. ص: 543.

9- التشاور في الأمر: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[1035]، ولما سئل النبي ﷺ عن الأمر المستجد الذي لم ينزل أي نص فيه كيف السبيل إلى الحكم عليه قال: **(اجمعوا له العابد من أمتي واجعلوه بينكم شورى ولا تقضوا فيه برأي واحد)**[1036].

10- الشفاعة: قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾[1037]، وورد في الأثر في أمر المرأة المخزومية لما سرقت وتوسط أسامة بن زيد رصي الله عنه لها عند النبي ﷺ يشفع لها، فغضب النبي ﷺ وقال لأسامة معنفا إياه: **(أتشفع في حد من حدود الله تعالى ثم قام فاختطب)** فقال: **(إنما هلك الذين من قبلكم إنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)**[1038].

II: القواعد الناهية للسلوك الجماعي:

1- **المراء والجدل:** قالﷺ :**(ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا آتوا الجدل)**[1039]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تمار أخاك ولاتمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه)**[1040].

[1035] سورة الشورى، الآية: 38.

[1036] توفيق الشاوي، مرجع سبق ذكره. ص: 75.

[1037] سورة النساء، الآية: 85.

[1038] ابن دقيق العيد، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص: 131.

[1039] ابن قيم الجوزية، حاشية ابن القيم، الجزء الثاني عشر، مرجع سبق ذكره. ص: 230.

[1040] الأمير الصنعاني، سبل السلام، الجزء الرابع. (الطبعة الرابعة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1379هـ). ص: 196.

الطبراني أن جماعة من الصحابة قالوا: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين فغضب غضبا شديدا لم يغضب مثله ثم انتهرنا وقال:

(أبهذا يا أمة محمد أمرتم إنما أهلك من كان قبلكم بمثل هذا، ذروا المراء لقلة خيره، ذروا المراء فإن المؤمن لا يماري، ذروا المراء فإن المماري قد تمت خسارته، ذروا المراء كفى إثما أن لا تزال مماريا، ذروا المراء فإن المماري لا أشفع له يوم القيامة، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات في الجنة في رياضها وأسفلها، وأوسطها، وأعلاها، لمن ترك المراء وهو صادق، ذروا المراء فإن أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان...) [1041].

2- السخرية: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1042].

3- التجسس: قال تعالى: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾[1043].

4- الغيبة: قال تعالى: ﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[1044]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺقال: (**هل تدرون ما الغيبة؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **ذكرك أخاك بما ليس فيه،** قالوا أريت إن كان في أخي ما أقوله: **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما**

[1041] نفس المرجع. ص: 196.

[1042] سورة الحجرات، الآية: 11.

[1043] سورة الحجرات، الآية: 12.

[1044] نس السورة، نفس الآية.

تقول فقد بهته)[1045]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:**(كل المسلم على المسلم حـــــرام ماله، وعرضه، ودمه، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)**[1046].

5-النميمة: قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[1047]، وقال أيضا: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[1048]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال: (**إنهما ليعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول)**[1049].

6- عدم المبالاة بالفساد العام: قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1050].

7- كتمان الحق: قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[1051]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[1052].

[1045] الإمام الطبري، مرجع سبق ذكره، الجزء السادس و العشرون. ص: 135.

[1046] الإمام أبو داود، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص: 270.

[1047] سورة الهمزة، الآية: 01.

[1048] سورة القلم، الآيتان: 10-11.

[1049] البيهقي، السنن الصغرى، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره. ص: 55.

[1050] سورة المائدة، الآيتان: 78-79.

[1051] سورة البقرة، الآية: 283.

[1052] سورة البقرة، الآية: 159.

8- شهادة الزور: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾[1053]، قال أيضا: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)﴾[1054]، وقال ﷺ: (**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الشرك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فاحتفز قال والزور**)[1055].

9- فضول الكلام: لقوله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[1056]، وقال ﷺ:(**إياكم والقيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**)[1057].

10- الغضب: قال ﷺ : (**ليس الشديد بالصرعة، قالوا فمن الشديد يا رسول الله؟ قال: الذي يملك نفسه عند الغضب**)[1058]، ورد في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي بكرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**لا يقضين الحاكم بين اثنين وهو غضبان**)[1059]، لأن الذهول مانع من البحث عن مستندات الحكم و لأنه في تلك الحالة قد استغرق عقله بما طرأ عليه من الأمور التي اقتضت ذهوله، وليس له أن يعرض نفسه للحكم في دماء العباد، وأموالهم، وأعراضهم، ولا يجوز له ذلك بوجه من الوجوه لأنه لم يؤمر

[1053] سورة الفرقان، الآية: 72.

[1054] سورة الحج، الآية: 30.

[1055] ابن الجوزي، زاد المسير، الجزء الثاني، مرجع سبق ذكره. ص: 65.

[1056] سورة النساء، الآية: 114.

[1057] ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره. ص: 70.

[1058] البيهقي، السنن الكبرى، الجزء العاشر، مرجع سبق ذكره. ص:235.

[1059] الإمام الشوكاني، السيل الجرار، الجزء الرابع. (الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405هـ). ص: 288.

بالحكم كيفما اتفق وعلى أية صفة وقع بل أمر بأن يحكم بالحق والعدل وأنى له الوقوف على ذلك وهو ذاهل العقل مستغرق الفكر مشوش الفهم مبلبل البال.

ثالثا: سلوك المديرين والمسئولين. تتضمن الأخلاق الإسلامية التي يجب أن يتمسك بها المدير أو المسئول كل ما سبق ذكره من أخلاق ضابطة خاصة بالأفراد، وقواعد أخلاقية ضابطة لسلوك الجماعات، إضافة إلى مجموعتين نذكرهما فيما يلي:

I: القواعد الآمرة لسلوك العاملين.

1- العدل: قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[1060]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[1061].

2- الشورى: لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1062].

3- التوكل على الله: قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين﴾[1063]، و قوله ﷺ (**لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا**)[1064].

[1060] سورة الجاثية، الآية: 15.

[1061] سورة النساء، الآية: 58.

(1062) سورة آل عمران، الآية: 159.

[1063] نفس السورة، نفس الآية.

[1064] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، الجزء الحادي عشر، مرجع سبق ذكره. ص: 306.

4- اختيار البطانة الصالحة: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله)**[1065].

5- تجنب الفساد: قال تعالى: ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1066]، وقال أيضا: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[1067].

6- الوفاء بالعقود: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[1068]. **7- الأخوة الإنسانية:** قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[1069]، وعن زيد بن الأرقم أن النبي ﷺ كان يقول دبر كل صلاة **(اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أن العباد كلهم أخوة)**[1070].

8- الإقناع أو المجادلة بالحسنى: قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[1071].

[1065] الإمام النووي، رياض الصالحين، مرجع سبق ذكره. ص: 289.

[1066] سورة الأعراف، الآية: 56.

[1067] سورة البقرة، الآية: 205.

[1068] سورة المائدة، الآية: 01.

[1069] سورة النساء، الآية: 01.

[1070] الإمام النسائي، السنن الكبرى، الجزء السادس، مرجع سبق ذكره. ص: 30.

[1071] سورة النحل، الآية: 125.

9- تحري مصلحة المرؤوسين وإسداء النصح لهم: قال ﷺ: (**إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: لله وكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم**)[1072]، و قال:ﷺ (**من ولي من أمر المسلمين شيئا فغشهم فهو في النار**)[1073].

10- الحلم: قال رسول الله ﷺ: ما رواه الإمام علي كرم الله وجهه قال: (**ألا أدلكم على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة، تعفوا عمن ظلمك وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك**)[1074].

وقالﷺ لأشج عبد قيس: (**يا أشيخ إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة، قال: يا رسول الله: أتخلقتهما أو جبلني الله عليهما؟ قال: بل جبلك الله عليهما، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله**)[1075].

II: الأوامر الناهية لسلوك المديرين أو المسئولين.

1- الحرص على الولاية: قال رسول الله ﷺ لما سأله الصحابي الجليل عبد الرحمان بن سمرة الإمارة، قال: (**يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها من غير مسألة اعنت عليها**)[1076]، و قالﷺ أيضا: (**والله إنا لا نولي هذا الأمر أحدا سأله ولا أحدا حرص عليه**)[1077].

[1072] الإمام أبو داود، مرجع سبق ذكره. ص: 286.

[1073] علي بن الهيثمي، مرجع سبق ذكره، الجزء الخامس. ص: 213.

[1074] الإمام البيهقي، السنن الكبرى، الجزء العاشر، مرجع سبق ذكره. ص:235.

[1075] علي بن الهيثمي، مرجع سبق ذكره، الجزء الخامس. ص: 213.

[1076] الإمام الصنعاني، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص: 117.

[1077] نفس المرجع. ص: 117.

2- عدم التعامل بالربا: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَ ُوا اَّقُ وا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُ ُتْمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ َفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ ُبْ ُتمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا َظْلِمُونَ وَ لا ُظْلَمُونَ﴾[1078].

3- خيانة الأمانة: قال تعالى: ﴿ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَ ُنوا لا تَخ ُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُ ُونُوا أَمَ َلاتِكُمْ وَأَ ُتمْ َعْلَمُونَ﴾[1079]، و قال ﷺ: **(من استعمل رجلا على عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين)**[1080].

4- الإيذاء دون سبب: قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِ َاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْ َتَمَلُوا بهُ ْتاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾[1081].

5- الظلم: قال تعالى: ﴿عَ َتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَ ْدخَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾[1082]، وقال أيضا: ﴿قَ ْدكَذَّبُوكُمْ بِمَا َقُولُونَ فَمَا َسْ َطِيعُونَ صَرْفاً وَ لا َصْراً وَمَنْ يَظْلِمْ مِ ْكُمْ ُذِقْهُ عَذَاباً َبِيراً﴾[1083].

6- الكبر: قال تعالى: ﴿لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ َعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِ ُونَ إِ َّنهُ لا يُحِبُّ الْمُسْ َكْبِرِينَ﴾[1084].

[1078] سورة البقرة، الآيتان: 278-279.

[1079] سورة الأنفال، الآية: 27.

[1080] الحاكم النيسابوري، مرجع سبق ذكره. ص: 104.

[1081] سورة الأحزاب، الآية: 58.

[1082] سورة طه، الآية: 111.

[1083] سورة الفرقان، الآية: 19.

[1084] سورة النحل، الآية: 23.

7- الغدر والخداع: قال تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾[1085].

8- الطمع : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى إليهما ثالثا ولا يملأ جوف بن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)**[1086].

9- الشهرة وانتشار الصيت: عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(حسب امرئ من الشر إلا من عصم الله إن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه وإن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم)**[1087].

من خلال ما تقدم توصل الباحث إلى حقيقة مفادها، أن النظرية الإدارية الإسلامية بصفة عامة ونظرية السلوك الإداري أو التنظيمي بصفة خاصة، نظرية تركز على عملية ربط سلوك الفرد، وسلوك الجماعة بالمؤثرات الاجتماعية في البيئة الإسلامية سواء كانت هذه المؤثرات ذات تأثير مباشر أو غير مباشر على العملية الإدارية عموما، وأن النظرية الإدارية في الإسلام مرتبطة أيضا ارتباطا وثيقا بالفلسفة الاجتماعية السائدة في المجتمع الإسلامي، ومرتبطة بأخلاقيات وقيم هذا المجتمع، مما يجعل السلوك الفردي والجماعي تسوده صفة التوحد سواء على مستوى بيئة العمل، أو على مستوى البيئة الاجتماعية للمجتمع المسلم.

[1085] سورة النساء، الآيتان: 107-108.

[1086] عبد الله الدارمي، مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني. ص: 410.

[1087] ابن كثير، تفسير ابن كثير، الجزء الثالث، مرجع سبق ذكره. ص: 449.

إن المبادئ الإدارية الإسلامية التي تم الإشارة إليها، ليست حديثة النشـأة، ولم يسبق تمثلها في الواقع، بل سبق تطبيقها، والتأكد من نجاحها، وأنها لم تفقد فاعليتها إذا ما أعيد تطبيقها مرة أخرى، لأنها مبادئ تنبع من قيم المجتمع المسـلم ومـن معتقداتـه، وتزداد فاعليتها بمقدار درجة تشرـب وتشـبع أفـراد المجتمـع الإسـلامي بهـذه القـيم الاجتماعية النابعة من ديننـا الحنيـف، كـما أن الأفـراد العـاملين عـلى مسـتوى العمـل الإداري والمؤسسات التنظيمية في المجتمع الإسلامي لا يواجهون أي نـوع مـن أنـواع التناقض، أو التنافر، أو الازدواجية في سلوكهم داخـل المؤسسـات الإداريـة، ووسـط مجتمعهم، إذا كانت هـذه المبـادئ التـي تحكـم سـلوكهم هـي نتـاج بيئـتهم، وقـيمهم الاجتماعية، هـذا الانسـجام التـام بـين قـيم العامـل المسـتمدة مـن بيئتـه الاجتماعيـة الإسلامية، وبين المبادئ والقوانين التي تحكم سـير المؤسسـات، والتـي هـي الأخـرى تستمد قوانينها ومبادئها من قيم البيئة التي تعمل في نطاقها، يزيد من فاعليـة السـلوك الإداري الإسلامي، لأن المنظمة الإدارية ليست بمعزل عن محيطهـا الـذي تعمـل فيـه فهي في حالة تفاعل دائم ومستمر بينها وبين المجتمع تأثرا وتأثيرا.

من خلال الطرح السابق توصل الباحث إلى قضية على درجة بالغة من الأهمية و التي مفادها: " إذا نظرنـا إلى نظريـة "z" اليابانيـة لـلإدارة أو التنظـيم الإداري ومـا وصلت إليه، وبلغته من إنتاجية، وأن السر في ذلـك راجـع إلى إيـمان أعضـاء التنظـيم بمبادئ أصبحت تمثل موجهات لسلوكهم، هذه المبادئ والقيم الوضعية القابلة للتغير والتبدل كلما دعت الضرورة، وهذا راجع إلى قدرة العقل الإنساني المحدودة والقاصرة على إدراك كنه الأشياء، فجعل من هذه النظرية محـط أنظـار كـل المهتمـين بـالتنظيمات الإدارية على المستوى العالمي، لرفع إنتاجية مؤسساتهم، فكيف إذا قورنت هذه النظرية وقيمها، ومبادئها، بنظرية تحكمها قيم ثابتة لا يعتريها أي تغير أو تبدل لثبات مصدرها،

نظرية تحكمها قيم تتسم بالرحمة، والمحبة، والتضامن، والتكافل، هذه القيم التي تمثل في مجموعها رقابة اجتماعية تتصف بكل صفات الخير و الصلاح، من رحمة، وتضامن، وتكافل، قيم تمثل الرقابة الذاتية ممثلة في رقابة الضمير المسلم الحي اليقظ، قيم تحكم جميع أفراد المجتمع، وعلى مستوى جميع المؤسسات الإدارية، رؤساء ومرؤوسين، مدراء وموظفين، برقابة إلهية، ربانية، تنفي عنهم الخيانة، خيانة الله ورسوله وسائر أفراد المجتمع الإسلامي، قيم توجب اختيار الأصلح فالأصلح، قيم توجب عدم إسناد الأمر إلى غير أهله، قيم تسود من خلالها روح المحبة والأخوة بين القيادة والقاعدة، تعتمد من خلالها القيادة على الاستشارة الواسعة، والمشاركة في اتخاذ القرار الصائب، قيم هي بمثابة ضوابط وقواعد شرعية تستمد قوتها، وشرعيتها، والزاميتها، من مصدرها الإلهي المتمثل في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

إن الفرق بين القيم التي تستند وتعتمد عليها النظرية اليابانية في الإدارة والتنظيم " نظرية Z"، والتي أصبحت محط أنظار المهتمين بالشأن الإداري على مستوى المؤسسات الغربية الكبرى، وبين القيم التي ترتكز عليها النظرية الإدارية الإسلامية، ونظرية السلوك التنظيمي، يمكن استنتاجه في نص الآيات التالية من سورة إبراهيم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[1088].

[1088] سورة إبراهيم، الآيات: 24 حتى 27.

إن أي مؤسسة، أو إدارة، أو منظمة، تتمثل كل هذه المبادئ، وتحكمها جميع هذه الضوابط الاجتماعية، وهذه القيم الأخلاقية، لا بد أن تؤدي دورها، وتحقق أهدافها، مهما كانت ندرة مواردها، ولا يمكن للإنسان أن يتصور أن هناك فاعلية في السلوك الإداري على جميع المستويات الإدارية وعلى مستوى العالم المعاصر أن تقوم بأداء مهامها بهذه الروح الجماعية التي تحكمها المبادئ الإدارية الإسلامية، والمنبثقة من القيم الاجتماعية للمجتمع المسلم، محققة نسيجا محكم الترابط، بين جميع وحداته، من الفرد إلى المؤسسة إلى المجتمع، لأنها تمثل وحدة متكاملة تتفاعل جزئياتها لتحقق الهدف الأسمى، وهو خلافة الله في الأرض، هذه الخلافة التي لا تستقيم إلا بوجود القيمة الإيمانية، لأن الجميع ينتظمه قانون موحد لا تناقض فيه، وهو الشريعة الإسلامية التي لم تترك أحكامها أي جانب من جوانب الحياة الإنسانية إلا ضبطته بمبادئ وقواعد شرعية تراعي العدالة في أحكامها، وتدعو إلى الفضيلة الإنسانية، وتسعى إلى تحقيق المصلحة العامة، قال تعالى:﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[1089].

[1089] سورة الأنعام، الآية: 38.

المبحث الرابع

القيم الإسلامية و إشكالية التخلف الإداري.

المطلب الأول: الأمة الإسلامية و إشكالية التخلف،

إن مفهوم التخلف يفترض وجود نموذجين: أحدهما يمثل التقدم والآخر يمثل التخلف. إلا أن الحضارة الغربية الضاغطة بأفكارها، وأشيائها، وأشخاصها، أي بعوالمها الثلاث، هيئت المجتمعات المضغوطة لتقبل مقياسها لقياس التقدم والتخلف، وأصبحت نظرتهم للمقياس المفروض هو اعتبار نموذج الغرب ممثلا للتقدم، واعتبار نماذج بلدان آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية نماذج للتخلف، ولم يقتصر ذلك على الجوانب التقنية والعلمية والصناعية ومستويات المعيشة، وإنما مدها إلى القيم والأخلاق مكونات الشخصية، فاعتبر نموذجه معيار التقدم، وأخذ يقيس عليه النماذج الأخرى التي تعتبر متخلفة بالضرورة ما دامت وحدة القياس هي النموذج الغربي.[1090]

والواقع أننا عندما نتأمل دولة الإسلام الأولى والمجتمع المسلم، منذ دولة المدينة المنورة وما تلاها من العصور الذهبية للأمة الإسلامية نتوصل إلى حقيقة لا يختلف عليها عاقلان و هي: أن الأسباب التي أدت إلى ظهور دولة الإسلام الأولى، و ازدهارها، و تقدمها، على غيرها من الدول التي كانت تمثل القوى العظمى في ذلك الزمان، هي نفسها الأسباب التي أدت إلى انحطاطنا، وتخلفنا، وانهيارنا على المستوى

[1090] منير شفيق، الإسلام في معركة الحضارة. (الطبعة الأولى، تونس، بدون دار النشر، 1403هـ-1983). ص: 178.

المادي خصوصا، هذه الأسباب تتمثل بالنسبة للسلف الصالح في درجة تمسكهم بقيمهم و تمثلها على مستوى الفرد و المجتمع، كذلك التزامهم بما جاء به الإسلام من قيم و مباديء و مثل سامية، فوصلوا إلى ما وصلوا إليه، أما بالنسبة إلينا فقد صدق قول الله تعالى فينا حيث قال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾، و هل هناك غي أكثر مما تعيشه الأمة الإسلامية اليوم، صحيحا إن مقياس التقدم و التخلف ليس ما يطرحه الغرب و يحاول الترويج له بالوسائل السلمية أو فرضه على الأمم الأخرى بالقوة، مادية كانت أم معنوية، مما أدى بالبعض إلى التصديق بهذه الأغلوطة.

وحتى لاتقع الأمة في نفس الخطأ الذي أوقعها فيه الغير لا بد أن نفرق من حيث التقدم والتخلف بين المنهج الإسلامي المتكامل ومن خلال نموذجه الذي تجسد على أرض الواقع ردحا من الزمن، وأشع بنوره على البشرية جمعاء، ولا يزال إلى الآن وإلى الأبد هو المثال الذي ترنوا إليه العقول التي تدرك المعنى الحقيقي للحضارة، وليس بمعنى المادية اوالمدنية، وبين حال الأمة الإسلامية اليوم وما تعانيه من مشكلات ومعضلات لا تحصى ولا تعد، فإن الأزمة التي تعاني منها الأمة الإسلامية ليست وليدة الأمس القريب، بل ما ذلك إلا حلقة من حلقاتها المتواصلة، وهذا ما نلاحظه بوضوح تام في المسيرة التي قادت المجتمع الإسلامي بعد العام الثامن و الثلاثون للهجرة التي حولت وجهة المجتمع الإسلامي من الشورى وروح الديموقراطية، إلى الدكتاتورية وعقلية الاستبداد السياسي، عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

(إن هذا الأمر بدأ رحمة ونبوة، ثم رحمة وخلافة، ثم كائن ملكا عضوضا، ثم كائن عتوا وجبرية وفسادا في الأرض، يستحلون الحرير، والفروج والخمور، ويرزقون على ذلك وينصرون حتى يلقوا الله عز وجل)[1091]، و ما يسجل أعراض هذا التحول، ذلك الفتور الذي فصم روح التراحم في قلوب المسلمين، وظهور ملامح انفصام الشخصية المسلمة بين: "ما لله لله، وما لقيصر لقيصر" كما تعتقد الكنيسة، نلحظ ذلك في شخصية عقيل ابن أبي طالب رضي الله عنه أثناء الصراع الدائر بين أخيه علي كرم الله وجهه وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وقد فسر سلوكه الغريب نحو أخيه بطريقة أغرب منه حينما قال: "إن صلاتي خلف علي لأفضل وطعامي عند معاوية أكثر لذة"[1092]، ويظهر هذا الانفصام أكثر وضوحا بعد مرور عشرين سنة من وقعة صفين، عندما رضخ الحسين بن علي رضي الله عنهما لإلحاح أهل الكوفة مناصري والده القدامى، فخرج من المدينة المنورة متجها صوب الكوفة، وحاول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ابن عمه الذي رافقه شطرا من الطريق، أن يثنيه عن عزمه بقوله: "هؤلاء الناس سيخذلونك كما خذلوا أباك، لا تصدقهم فإن قلوبهم معك وسيوفهم مع يزيد"، – يقصد يزيد بن معاوية– من هذا المنطلق ومن هاتين الحالتين يكون قد بدأ المسلمون في الابتعاد عن المبدأ الذي أقره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[1093].

[1091] ابن كثير، البداية و النهاية، الجزء الثامن. (القاهرة، مطبعة السعادة، بدون تاريخ). ص: 20.

[1092] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العلم الإسلامي، مرجع سبق ذكره. ص: 157.

[1093] سورة الأنعام، الآية: 162.

إن ما أصاب المسلمين اليوم، وما يعانون منه من هوان، وذلة وخزي، وانحلال، وتفكك، وضعف، إنما هو حصيلة قرون طويلة من التخلي التدريجي و المستمر عن حقيقة الإسلام، ونتيجة فساد لا ينحصر في السلوك وحده، وإنما تعداه إلى المفاهيم والتصورات، وذلك أخطر بكثير مما لو كان الفساد في السلوك وحده مع صحة التصور وسلامة المفهوم.[1094]

إن ما أصاب العقل المسلم من خمول غيبه عن مجريات الأحداث العالمية والإقليمية و أدى به إلى الخروج من دوائر الصراع، وجعله يكتفي بالمشاهدة فأسقط على نفسه واجب التكليف الذي فرضه الله عليه، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[1095]، والشهادة على الناس تستوجب الحضور معهم، فكيف بمن تطلب منه الشهادة على حادثة لم يحضرها أصلا، بل سمع بها في أحسن الظروف، فالمجتمعات الإسلامية اليوم غائبة مغيبة:غائبة على من كلفت بالشهادة عليهم، مغيبة على نفسها، تعيش بالحد الأدنى من التفكير، والتنظيم، وأن أفرادها في مجموعهم يتعايشون مع واقعهم بشيء من اللامبالاة، وبقدر من عدم الاهتمام، إلى جانب الأنانية الفردية التي عادة ما تقود الشخص إلى التمسك بما يملك من فكر أو رأي أو خبرة، أو حتى متاع الحياة الدنيا، ويحرص على الاكتفاء بأدنى ما يستطيع من مشاركة في إنتاجية مجتمعه.[1096]

وبالرجوع إلى النموذج الغربي الذي طرح ويطرح كبديل للمشروع والنموذج الإسلامي، لإخراج الأمة من دائرة التخلف الذي تعاني منها على جميع المستويات بما

[1094] محمد قطب، مرجع سبق ذكره. ص: 8.

[1095] سورة البقرة، الآية: 143.

[1096] محمد محمود سفر، مرجع سبق ذكره. ص: 49.

فيها العمل التنظيمي و منذ ردح من الزمن طرح عقيم، بل ضرره اكبر من نفعه، وأصحاب هذا الطرح ينطبق عليهم حديث الرسول ﷺ الذي يصف فيه عدم التمييز بين الخير والشر، لأن الخير المادي ليس بالخير المحض، بل يحمل تحت طياته أمراض فتاكة التي تنخر أوصال تلك المجتمعات حيث قال ﷺ :(**إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطا ويلم**)[1097]، أي يقارب من الهلاك، فالقاعدة الفقهية تقول "ما بني على باطل فهو باطل".

إن ما اعتمد عليه المشروع الغربي من قيم مادية صرفة، وعلى رؤية قاصرة عن إدراك حقيقة الإنسان، وحقيقة الكون والحياة، رؤية مجافية ومعادية للدين والأخلاق، لا تؤمن إلا بما هو محسوس، وليس فيها مكان للقيم الأخلاقية، والفضائل الإنسانية، إلا ما يخدم نظرته المادية، فالشخصية الغربية وفي ظل طغيان المادة فقد فقدت صلتها بخالقها، وانجرفت في تيار التطور والتغير المادي، دون أدنى ضوابط وقيود، مما جعلها كالكلب المسعور يلهث وراء إرواء ظمئه، وعطشه الروحي، والشواهد أكثر من أن تعد أو تحصى، من انتحار، ومخدرات وأمراض وغيرها، فهل مع هذا كله نجد في مجتمعاتنا من ينادي بالارتماء في أحضان الحضارة الغربية، كما يرى المستلبون حضاريا وثقافيا.

إن تطبيق النموذج الغربي في البلاد الإسلامية خاصة نظرا لخصوصيتها وميزتها على البلدان المتخلفة الأخرى، سواء في إفريقيا أوآسيا أو أمريكا اللاتينية، نتائجه معروفة مسبقا ودون أي عناء أو جهد، فالمشروع أي مشروع الذي يعد طبقا لأفكار البعض ونقوم بتنفيذه طبقا لوسائل البعض الآخر لا يفضي إلى شيء، لأن هدف التخطيط في أي مجال من المجالات كما يقرر الأستاذ مالك بن نبي هو أولا خلق

[1097] الإمام مسلم، مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني. ص: 727.

الشروط الدينامية الاجتماعية وبعد ذلك تحديد الوسائل التي ستتولى تسيير تلك الدينامية الاجتماعية[1098] ثانيا، ويرى مالك بن نبي أن أصل المشكلة في العالم الإسلامي عامة والعربي خاصة ليست نقص الإمكانيات مع توفرها، إنما تكمن المشكلة في مدى تمسك المسلمين بأفكارهم وقيمهم، التي سبق لها وأن حققت أعظم حضارة عرفها التاريخ، وما زالت صورتها عالقة في أذهان الناس، العدو منهم والصديق، وأعطى مثالا بألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية والتي وصلت إمكانياتها الاقتصادية إلى الصفر و كيف أنها استطاعت بما تملكه من رصيد فكري أن تقفز بالاقتصاد الألماني من اقتصاد منهار بعد الحرب العالمية الثانية إلى اقتصاد متطور رغم قلة الإمكانيات، يقول: " لقد بدأت ألمانيا في التحرك عام 1948 بخمسة وأربعين ماركا وهذا مبلغ تافه في الاستثمار، أما الاستثمار الحقيقي فقد كان في رأسمال الأفكار التي هي في رأس كل ألماني، في تصميم الشعب الألماني وفي الأرض الألمانية"[1099]، ويرى أن سبب فشل النهوض الاقتصادي والاجتماعي الذي سعت إليه إندونيسيا على سبيل المثال مع الوفرة في الإمكانيات المادية والبشرية، وإشراف الدكتور الألماني شاخت Schacht الذي كان سببا في انتعاش الاقتصاد الألماني بعد الحرب لتحقق الشروط الفضلى لإقلاعها حتى فكرة التخطيط التي أثبتت نجاحها بصورة مروية في العديد من البلدان الأخرى كالصين مثلا، تفقد معناها في إندونيسيا، إن السبب يرجع بالدرجة الأولى إلى المناهج والأفكار التي تحملها هذه المشاريع، و التي لا تنسجم والمنظومة الفكرية التي يحملها الفرد الاندونيسي.

إن استمرار التخلف، والركود، والتراجع الذي تعيشه الأمة إنما هو بسبب معايرة الواقع الذي نعيشه، بقيم حضارية أخرى غريبة عن أصوله وقيمه الحضارية،

[1098] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سبق ذكره. ص: 115.

[1099] نفس المرجع. ص: 116.

بعيـدة عـن ماضـيه، وإن الأمـة الإسـلامية في تاريخهـا الطويـل حافظـت عـلى القـيم الإسلامية وكان انحيازها للقرآن الكريم كلما انفصل السلطان عن القـرآن الـذي كـان يشكل لها خميرة النهوض، ويمنحها الإمكان الحضاري إذا توفرت شروطـه وظروفـه، ويحول دون موتها وانقراض حضارتها.[1100]

إن أي مشروع للنهوض بالأمـة مـن كبوتهـا، يتجاهـل أحـد هـذه العنـاصر الثلاثة:منظومة القـيم أو عـالم الأفكـار، والتـاريخ الـذي يمثـل الوعـاء والاسـتجابة والتجسيد لهذه القيم في الظروف المختلفة، والحاضر كحلقـة مـن هـذا التـاريخ – لأن الحاضر هو مستقبل الماضي– كعناصر تتركب منها المعادلة الاجتماعية للأمة سوف يبوء بالفشل والعجز عن تحقيق أي نهوض، على الرغم من توفر الإمكان المادي و المعنـوي، حيث أننا في هذه الحالة قد نمتلك القدرة، لكننا نفتقد الإرادة التي تتحقق مـن خـلال الرؤية الشاملة، التي لا بد منها في أية عملية للنهوض، وتجنب الإرتكاس، والإحباط، وانطفاء الفاعلية.[1101]

لقد أثبتت الوقائع والأحداث أن الأرضـية الفكريـة الغربيـة التـي سـادت في البلاد الإسلامية تحت شعار " الحداثة" أو "العصرنة" وغيرهـا مـن المفـاهيم، لم يكـن الغرض منها تحقيق نهضة علميـة فكريـة لا عـلى المستوى المـادي، ولا عـلى المسـتوى الثقافي، فكانت النتيجة أن دمـرت عوامـل تقـدمنا وتطورنـا، حـين حطمـت مصـادر

[1100] أكرم ضياء العمري، قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي، الجزء الأول. (الطبعة الأولى، الدوحة، 1414هـ). ص: 34.

[1101] نفس المرجع. ص: 36.

استقلاليتنا وحولت الـوطن الواحـد إلى أوصـال مقطعـة، وأشـلاء ممزقـة تابعـة غـير متبوعة.

إن "الحداثة" بالنسبة للمسلم لا تعني تقليد الغـرب بـل العكـس، إن مأسـاة المسلمين اليوم هي في الخلط بين ما يظـن أنـه مصـدر قوتـه ونهضـته، وبـين التمسـك بأصالته وذاتيتـه، كـما أن الرجـوع والتمسـك بالأصـالة لا يعنـي الرجـوع إلى الـوراء والتقوقع في الماضي، ومعاودته، والدخول في المستقبل بخطا نحو الوراء، فحين ينسـى الإنسان خالقه وما أنزل من أحكـام لتسـديد خطـاه في الحيـاة الـدنيا، يفقـد المجتمـع إنسانيته، وتتحول حياته إلى مواجهات ومعارك بين نوازع المتعة والقوة، وتفقـد الحيـاة معناها، والدليل على ذلك ما نراه، إن أغنى دولتين في العـالم وهـي الولايـات المتحـدة الأمريكية سيدة العالم، والسـويد يمـثلان الـرقم القيـاسي لعـدد المـراهقين المنحـرفين والمنتحرين.[1102]

إن حرص المسلم على ذاتيتـه والتمسـك بخصوصـيته كحامـل لآخـر رسـالة خاتمة الرسائل، وشاهد على الإنسانية في الدنيا والآخرة، يتمثل في المحافظة عـلى قيمـه ومبادئه، والأسس النابعة من عقيدته. عقيدة التوحيـد التـي يجـب أن يـدين بهـا، وأن يلتزم بتطبيق تعاليمها، ويصوغ حياته على نهجهـا، لأنـه إن هـو فـرط فيهـا فقـد تميـزه وافتقد ذاتيته، وعاد كأي إنسان في هذه الدنيا ذهب يبحث عن حل أو مخرج من تخلفـه فلم يجد إلا طريق الحضارة الغربية المعاصرة، وما تفرضه مـن نظـم، وقـيم، ومبـادئ، وسلوك، ومعاملات، فاعتنقها وأصبح سجين دوامتها بكل ما لها وما عليهـا، لا يقـدر

[1102] حلمي عبد المجيد، مختارات إسلامية. (الطبعة الأولى، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، 1409هـ-1989). ص: 13.

على الفكاك منها فأصبح ترسا في آلتها، لا يستطيع الفكاك منها. فتلونه بلونها، وتشكله بشكلها، تطبعه بطابعها، وقد تدعوه إلى التفسخ من قيمه فلا يتردد، وتدفع به إلى التحلل فلا يقاوم، كما هو واضح عند بعض أفراد المجتمعات النامية التي عرفت طريقها إلى الحضارة الغربية دون ضوابط، ودون انضباط فاعتنقتها، فاستبدلت تلك الحضارة من سلوك، وأفكار، ومعتقدات اجتماعية لدى هؤلاء بما تدين به من قيم، وفلسفة، ومبادئ، وأصالة، فأصبح إنسان تلك المجتمعات كغراب يقلد مشية الحمامة، فلا هو نسخة كاملة من إنسان الغرب، ولا هو بقي على حاله محافظا على كيانه، ومؤكدا انتماءه، ومعتزا بشخصيته، إذن فمعاناة الإنسان المسلم الحقيقية مع حضارة عصره، بدأت يوم تخلى أو فقد ذاكرته الحضارية، وتخلى عن ذاته، وقطع صلته بقيمه الفاعلة، والصالح من تراث أمته فزالت مقاومته، وقلت مناعته، وارتمى في أحضان السيئ من السلوك، والمعوج من المبادئ والقيم، باسم التقدم والتطور.[1103]

إن النتيجة الحتمية التي كان لا بد من الوصول إليها من جراء الارتماء في أحضان الحضارة الغربية، وما تحمله من أفكار، وقيم ومبادئ مادية، هو التأرجح والمراوحة في مكاننا دون تقدم، مع أننا نملك إمكان التقدم الفكري، والمادي أكثر من غيرنا من الأمم، التي تقدمت كاليابان والصين وكوريا الجنوبية وغيرها من الدول. فلا نحن حافظنا على ترابطنا مع ماضينا تحت مظلة السنن الكونية للتطور التي بينها كتاب الله وحثنا على التمسك بها، ولا نحن حققنا ولو النزر القليل مما وعدتنا به هذه الحضارة.

إن مشكلة الأمة الإسلامية ليست مشكلة إمكانيات مادية بل بالعكس كما يقول الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله، بل هي مشكلة المناخ الثقافي الذي تعيشه الأمة

[1103] محمود محمد سفر، مرجع سبق ذكره. ص: 45-46.

والذي لا يساعد على تفتح الطاقات الفكرية إلا في ظله، ولا تنبت ثمرة الحضارة وتنمو وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها بدونه، فيؤكد الكاتب على ضرورة إيجاد الجو الثقافي المساعد على قيام حضارة بمفهومها المادي والروحي، " إن عناصر الثقافة تذوب في كيان كل من المجتمع والفرد، لتطبع أسلوب حياة الأول وسلوك الثاني، الذين يجري التفاعل فيما بينهما بحيث لا يسمح المجتمع للفرد بالنشوز، ولا الفرد للمجتمع بالانحراف، وهو ما يسمى بعملية النقد الذاتي، التي يعبر عنها الإسلام بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا الوضع عندما يزول نصح أمام أزمة ثقافية تعبر عن نفسها في تعذر تركيب العناصر الثقافية في منهج تربوي"[1104]، إن هذا التعذر في تركيب العناصر الثقافية في منهج تربوي واحد لا شك أنها تقع في المرحلة الثالثة من المراحل التي يمر بها أي مجتمع وهي مرحلة تفكك الغرائز فلا تعود تعمل بشكل منسجم متوافق ولكن يغلب عليها طابع الفردية، في هذه المرحلة تسود الفردية تبعا لتحرر الغرائز، وتتفسخ شبكة العلاقات الاجتماعية نهائيا، وهو ما يطلق عليه في التاريخ، عصر الانحطاط. وكذلك العصر الذي هيأ في المجتمع الإسلامي ظروف القابلية للاستعمار والاستعمار[1105]، إن الداء العضال الذي تعاني منه الأمة الإسلامية هو من داخلها، فابتعاد الأمة عن سبيل الهدى والرشاد، ابتعادها عن دينها وما يحمله من قيم هو سبب انهيارها، وانهزامها، أمام ضربات الأعداء، وقد وصف النبي ﷺ هذا الداء الذي إذا تمكن من الأمة، - وقد تمكن- يجعلها كما مهملا أمام الأمم، لأنها لا تقدم أي شيء لهذه الأمم ولا تأخر أي شيء عنها، حيث قال ﷺ فيما رواه ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :(**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**، فقال قائل: أومن قلة نحن يومئذ؟ قال: **بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء**

[1104] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سبق ذكره. ص: 139-140.

[1105] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سبق ذكره. ص: 78.

كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: **حب الدنيا وكراهية الموت)**[1106]، إن تنكر المسلمين لقيمهم ومبادئهم وأخلاقهم وكذلك مثلهم العليا، جعلت هذه القيم وهذه المبادئ والأفكار كما قال مالك بن نبي تنتقم منهم لخيانتهم لها، وما أشد انتقامها فالمجتمع الإسلامي يدفع، اليوم ضريبة خيانته لنماذجه الأساسية، فالأفكار حتى تلك التي نستوردها ترتد على من يخونها وتنتقم منه[1107].

من خلال الوقائع التي تم الاستدلال بها على أسباب أزمة التخلف التي تعاني ولا زالت الأمة تعاني منها، فقد رسخت في ذهن الباحث أن الأسباب الجوهرية لهذه الأزمة هي أسباب داخلية ذاتية بدأت من وقعة صفين كما يصف الأستاذ مالك بن نبي، وما نتج من تحولات على المستوى السياسي، حيث تحول الملك من شوري ديموقراطي، إلى ملك عضوض، ثم إلى جبرية دكتاتورية، أما على المستوى الاجتماعي فظهرت ملامح انفصام الشخصية المسلمة في التفريق بين الدنيا والآخرة من خلال مقولة عقيل بن أبي طالب: " صلاتي مع علي أقوم وطعامي مع معاوية أدسم"، إلا أن أصالة القيم الإسلامي النافذة استمرت في كسب الأتباع، وضمهم إلى الصف الإسلامي ليس على مستوى الأفراد بل على مستوى شعوب بأكملها، إلا أن فاعلية هذه الأفكار ذهبت تخمد شيئا فشيئا إلى اللحظة التي دقت فيها ساعة الاستعمار في العالم الإسلامي، أما الاستعمار كما رأينا فهو نتيجة حتمية و منطقية لما آلت إليه أوضاعنا، فما كان دور الاستعمار إلا أنه ساعد في توسيع الهوة التي نشأت بيننا وبين قيمنا، وأفكارنا، و مبادئنا فكان انتقام هذه الأفكار وهذه القيم بشكل لم يكن في

[1106] الإمام أبي داود، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع. ص: 111.

[1107] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العلم الإسلامي، مرجع سبق ذكره. ص: 75.

الحسبان، مما أدى إلى تفكك شبكة علاقات المجتمع المسلم التي سرعت إلى انهياره، والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو، ما السبيل إلى الخروج من هذه الزجاجة التي خنقت أنفاس الأمة منذ ردح من الزمن ليس باليسير، هذا ما سيحاول الباحث التطرق إليه فيما يلي:

المطلب الثاني: شروط خروج الأمة من الأزمة.

يرى الباحث أن هناك عوامل ثلاثة إذا ما تمت مراعاتها فإن الأمة ستتحرك في سبيل الخروج من محنتها، هذه العوامل الثلاثة هي:-

1- الإنسان: باعتباره هو الركيزة الأساسية لعملية التطور والنهوض والتنمية، و بدونه لا يعطي أي تحرك في هذا الشأن نتيجة تشجع على المضي قدما، وهذا ما يقرره القرآن الكريم في سورة الرعد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1108]، لأن التخلف الذي تعاني منه الأمة الإسلامية هو نتيجة أو محصلة ضرب اللافاعلية الفردية، مما أدى إلى فقدان اللا فاعلية على مستوى المجتمع بأكمله، وأن لا فاعلية الفرد لا يمكن التخفيض والتخفيف منها بواسطة تكوين يقتصر على جانب دون الآخر، ولذلك لا بد من مناخ ثقافي متكامل كمفجر ملائم للبلاد الإسلامية بعيدا عن النظريات المستوردة، فالمسلم يعيش انفصاما شبه تام بين ما هو روحي، وما هو اجتماعي، بين المبادئ والواقع، هذا الانفصام الذي يمزق شخصيته شطرين: شطر ينظم سلوكه في المسجد، وشطر ينظم سلوكه في الشارع. إن مسلم اليوم كما يقول مالك بن نبي يخضع لنظام يشبه إلى حد كبير (الدش أو المرش الاسكتلندي)، فهو

[1108] سورة الرعد، الآية: 11.

يتعرض لأشد التأثيرات النفسية تعارضا، فإذا ما تخطى عتبة المسجد يوم الجمعة فإنه يشعر بدفء في قلبه، ودفء في نفسه، ولكنه بمجرد أن يضع قدمه في الشارع يعاوده البرد فيحتل قلبه ونفسه.[1109]

كما أن المسلم لا ينقصه منطق الفكرة، ولكن ينقصه منطق العمل والحركة، فهو لا يفكر ليعمل، بل ليقول كلاما مجردا[1110]، والنطق العملي الذي لا بد من غرسه في نفسية المسلم هو الذي يتناول كيفية ارتباط العمل بوسائله ومعانيه، ذلك حتى لا نستسهل أو نستصعب شيئا بغير مقياس يستمد معاييره من واقع الوسط الاجتماعي، وما يشتمل عليه من إمكانيات.

وخلاصة القول فإن جوهر التنمية الاجتماعية والخروج من دائرة التخلف والتبعية هو الإنسان، هذا ملحوظ من تتبع دعوات الأنبياء والرسل وعظماء التاريخ الذين أحدثوا تغييرات وتركوا بصمات منها ما هو شاهد عليهم إلى اليوم.

2-تحقيق ذاتية الأمة: لأن أي تنمية لا يمكن نجاحها وتحقيق أهدافها ما لم تنبع من ذاتية الأمة، وهذا ما أدى إلى فشل جميع الحلول التي تم استيرادها دون مراعاة واعتبار لذاتية الأمة وخصوصياتها، ولذلك فالواقع الإنساني لا يمكن تفسيره على أساس معادلة واحدة وإنما على أساس معادلتين:

المعادلة الأولى: معادلة بيولوجية تسوي بين الإنسان وأخيه الإنسان في كل مكان، بحيث يستطيع هذا أن يفعل كل ما يفعله الثاني.

[1109] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سبق ذكره. ص: 105.

[1110] مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره. ص: 103.

المعادلة الثانية: هي المعادلة الاجتماعية التي تختلف من مجتمع إلى مجتمع، وفي مجتمع واحد تختلف من عنصر إلى آخر حسب الاختلاف في درجات النمو أو التخلف، وهذه المعادلة هي هبة المجتمع إلى كافة أفراده كقاسم مشترك يطبع سلوكهم، ويحدد درجة فاعليتهم أمام المشكلات بصورة تميزهم عن أفراد مجتمع آخر[1111].

إن فشل خطة الدكتور "شاخت" في إندونيسيا كانت نتيجة لعدم أخذه بالاعتبار الطبيعة الخاصة لمفجر الطاقة الضرورية في خطته، فاختلط عليه الأمر، إذ ساوى حالة إندونيسيا بحالة ألمانيا، فعدم اعتبار ذاتية الأمة وخصوصياتها أفشل مشروع أشرف عليه أحد أبرز علماء التخطيط الاقتصادي، ومن المؤسف أن يضع رجل العلم كالفرس على جانبي عينيه كمامة ثقافته الأصلية[1112]، في التعامل مع مجتمعات تختلف عن مجتمعه اختلافا جذريا إذا ما نظرنا إلى المنظومتين الفكريتين اللتين تنتميان إليهما كل دولة.

3- شحذ الفعالية الروحية في الفرد والأمة: إن قدرة أمتنا وهي ترنوا إلى حاضرها الماثل أمامها مقارنة بماضيها المجيد على شحذ فاعليتها الروحية، وتحريك دوافعها، وبواعث النهوض فيها، وما أكثرها - نحو تحقيق المقاصد والغايات النبيلة، إن روح الخمول التي أصابت الأمة قرونا متواصلة لا قيمة لها أبدا في محيط الحضارة الغربية المادية الضاغطة التي زحفت على كل مقدراتنا، ومقوماتنا الحضارية التي صارت خرابا بلقعا، وقد تم هذا مع الأسى والحسرة لما بين يدي الأمة الإسلامية من رصيد ضخم، وميراث عظيم المتمثل فيما يحويه القرآن الكريم والسنة المطهرة، إن الروحية التي تحرك الأمة وتفعل أداءها، إنما مرتبطة ارتباطا كليا بعمق إيمانها، ومقدار إخلاصها لعقيدتها، وقوة الاستمساك بقيمها ومبادئها، وقد وصف طبيب الإنسانية الرسول ﷺ الدواء لهذه

[1111] مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، بدون معلومات أخرى. ص:116.

[1112] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سبق ذكره. ص: 117.

الأمة فيما إذا تعرضت لأي مرض قد يفتك بها فقال كما ورد في الأثر: (**لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها**)، ولذلك يمكن القول أن عوامل تقدم وازدهار أسلافنا، هي نفسها العوامل التي كانت سببا مباشرا في تخلفنا، إن خيانة الأمة لمبادئها، وقيمها، ومثلها بعدم تمثلها كما كان في العصور الذهبية، هي التي انتقمت لنفسها فكان انتقامها أشد فضاعة، إن روح الإسلام هي التي خلقت من عناصر متفرقة كالأنصار والمهاجرين أول مجتمع، حتى كان الرجل في هذا المجتمع الجديد يعرض على أخيه أن ينكحه من يختار من أزواجه بعد أن يطلقها له، لكي يبني بذلك أسرة، إن قوة تماسك المجتمع الإسلامي موجودة بكل وضوح في الإسلام، ولكن أي إسلام؟ الإسلام المتحرك في عقولنا وسلوكنا، في واقعنا إسلام القرن الخامس عشر للهجرة، أم إسلام القرن الأول للهجرة، وقد بين الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه نتيجة تخلينا عن ديننا والتنكر لقيمه ومبادئه حيث قال: إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله"[1113]، وهل هناك ذل ينتظر الأمة أكبر من هذا الذل؟!

الخاتمة:

هذه هي حقيقة القيم الإسلامية و ما تتركه من آثار فعالة في توجيه السلوك الإنساني الوجهة الصحيحة، التي تخدم الغرض الذي خلق من أجله هذا الإنسان، كما أن تأثيرها لا يقتصر على جانب من جوانب الحياة، بل يطال الحياة بجميع جوانبها الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والإدارية، و غيرها، هذه القيم التي لم تركز في تصورها على الجانب النظري، بل دعمت ذلك بصور من الجانب العملي، والتي أثبتت بما لا يدع مجالا للشك صلاحيتها لكل زمان و مكان، و أن فاعليتها لا تقتصر على مكان دون آخر، ولا زمان دون آخر، عكس ما أثبتته القيم المادية المنبثقة من الفكر

[1113] الحاكم النيسابوري، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول. ص: 130.

المادي الغربي، هذا الفكر الذي عرى القيم من كل ما يتعلق بعالم الغيب، و حصر دورها في حدود عالم الشهادة، مما جعلها تفقد جزءا مهما من خصائصها، فبدت عرجاء لا تستقيم في مشيتها و في توجيه السلوك الإنساني، و بكماء لا تخاطب إلا ما كان مادي محسوس و لا مكان فيها للقضايا الغيبية، عمياء لا ترى إلا في حدود الحياة الفانية، ولا علاقة لها بالحياة الباقية، وقد حاول الباحث جاهدا توضيح ذلك من خلال ما تم طرحه مدعما وجهة نظره بالأدلة العملية الواقعية، من خلال حشد من النماذج على المستويين الإسلامي و الغربي، ولتغطية وجهة نظره قام الباحث بتقسيم البحث إلى ثلاثة أبواب:

تناول الباب الأول دراسة نظرية مستفيضة حول مفهوم القيم و الآثار المترتبة على تبنيها بهذا المفهوم سواء على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع، أو منظمات العمل الإداري، و ذلك من خلال إجراء عملية مقارنة بين ما يطرحه الفكر الإسلامي و ما يطرحه الفكر الغربي.

تضمن الباب الثاني محاولة لتوضيح المنهجية المنبثقة من كلي الفكرين و درجة تأثير هذه المنهجية في تشكيل الفرد خصوصا و المجتمع عموما، كذلك درجة حث كل فكر لمعتنقيه بالتزام قيم الصلاح لتحقيق الغرض الذي خلق من أجله الإنسان، ثم محاولة معرفة مدى تأثير ذلك على الأفراد داخل منظمات العمل.

أما الباب الثالث فقد تناول فيه الباحث ثلاثة عناصر هامة، تتطرق في مجملها إلى مدى قدرة القيم في تفعيل أداء العاملين داخل منظمات العمل من خلال إجراء مقارنة بين القيم في الفكرين الإسلامي و الغربي.

بدأ هذا الباب بإعطاء فكرة موجزة عن الإدارة و ما يتعلق بها، وهو العنصر الأول، أما العنصر الثاني تم فيه تناول السلوك الإداري من خلال تناول محدداته الفردية و الجماعية مع توضيح وجهتي النظر الإسلامية و الغربية في ذلك، و توصل

الباحث في هذه النقطة إلى حقيقة مفادها أن هذه المحددات قد تعامل بها علماء الإسلام الذين تناولوا موضوع السلوك التنظيمي ولكن بصياغة تعبيرية تتناسب و مصطلحات ذلك العصر، إلا أن المضمون أو المحتوى هو نفسه، لأن لكل عصر و زمان مصطلحات العلمية الخاصة به وهذا ينفي ما تعارف عنه بأن هذه المصطلحات وليدة هذا العصر، و الواضح أن الفكر المعاصر قد أضفى على المضمون السابق مسحة من مسوحه لتتعدى ذلك.

أما العنصر الثالث فقد تم فيه تناول درجة فاعلية القيم أو لا فاعليتها في الفكرين الإسلامي و الغربي، وصولا إلى ما تعاني منه الأمة الإسلامية من تخلف، و ضعف، و تبعية إلى الغرب في جميع مجالات الحياة المختلفة، خاصة الإدارية رغم ما تمتلكه من إمكانيات حضارية قادرة على النهوض بها إذا مآتم التعامل معها بصدق و إخلاص، ثم استغلالها أفضل استغلال، للخروج من هذه الأزمة الحادة في أقرب الآجال، مع طرح جملة من الأسباب و العوامل التي تساعد على الخروج من الأزمة.

النتائج والتوصيات

النتائج

من خلال الدراسة السابقة توصل الباحث إلى النتائج التالية:

1- أن الإنسانية في عمومها محكوم عليها بالخسران المبين ما لم تتشبع بروح و قيم الدين و على رأسها قيمة الإيمان، و هذا نصت عليه آي القرآن الكريم و أكدته سورة العصر.

2- أن منهج الإسلام الشامل في التغيير قوامه القيم، فلا يمكن لهذا المنهج أن يحدث النقلة التغييرية المرجوة، و بالصورة المطلوبة دون الاعتماد على القيم فهما و تطبيقا.

3- إن علاقة القيم بثقافة المجتمع علاقة وطيدة، فلا يمكن لهذه القيم أن تثمر النتائج المرجوة ألا إذا كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بثقافة هذه الأمة أو هذا المجتمع.

4- إن محاولة تمثل القيم الإسلامية في جو ثقافي لا يمت بأي صلة لثقافة الأمة، قد يعطي نتائج عكسية لما هو متوقع، لأن انتقام الأفكار في حالة خذلانها قد يكون انتقاما مريعا وهو ما يدل عليه حال الأمة الإسلامية اليوم.

5- إن فصل القيم عن مناخها الثقافي يقلل من فاعليتها شيئا فشيئا إلى درجة الركود و السكون، و هذا راجع إلى ما يتركه هذا الفصل من انفصام في الشخصية.

6- إن من أسباب فاعلية القيم الإسلامية هي نظرتها الشاملة و المتكاملة للإنسان، و لعلاقته بالكون المحيط به، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقته بخالقه، عكس ما تقره القيم المادية.

7- إن نسق القيم الإسلامية يمتاز بخصائص تجعله قادرا على النهوض بالأمة كما حدث في العصور الأولى لدولة الإسلام، و ما زال يتمتع بهذه الخاصية إذا ما توفرت له الشروط اللازمة.

8- إن مصدر القيم وهو مصدر الهي- عكس مصدر القيم المادية- غرس فيها من الفاعلية ما جعلت الأمة تتصدى لجميع محاولات مسخها، و إفقادها ذاتيتها، و هويتها.

9- إن ارتباط القيم الإسلامية بالدين أمر قائم لايمكن إنكاره أو تجاهله، توافقا مع الفطرة البشرية، وملاءمة معها.

10- ثبات القيم الإسلامية و عدم تغيرها أمر راجع إلى ثبات مصدرها، عكس القيم المادية التي تخضع لظروف الزمان، و المكان، و المصالح.

11- إن التمسك بالقيم الإسلامية، و التشبع بها، و تمثلها في الواقع العملي، يؤدي إلى بناء شخصية متكاملة تفهم سر وجودها، ولها القدرة على فهم ما يحيط بها، ترقى بالحياة، و تسلك فيها مسلكا رشيدا، _عكس القيم المادية _ و لا يتوقف هذا الأثر على الفرد بل يتعداه إلى المجتمع.

التوصيات:

من خلال ما تم طرحه من أفكار و حقائق تتعلق بفاعلية القيم الإسلامية مقارنة بالقيم المادية في التأثير الإيجابي على أداء المنظمات الإدارية، داخل المجتمع، و كذلك تفعيل أداء العاملين بها، توصل الباحث إلى حقيقة مفادها، أن السبيل الوحيد للخروج من الأزمة لابد من الرجوع بالأمة إلى الأخذ من منابعها الأصلية.

و تحقيقا لذلك يوصي الباحث بما يلي:

1- إعادة صياغة المناهج التربوية صياغة تضع في قمة أولياتها تدريس القرآن الكريم و ما يرتبط به، لأنه المصدر الأصل للقيم الإسلامية. 2- التركيز على تـدريس اللغـة العربية باعتبارها الوعاء الذي يمثل هوية الأمة و يحافظ على ذاتيتها و قيمها.

3- و يأتي في المرتبة الثالثة و الأخيرة الاهتمام ببقية العلـوم الأخـرى باعتبارهـا علـوم وسائل لا علوم غايات.

و هذا المنهج التربوي الذي يرى الباحث أنه قـادر قياسـا بغـيره مـن المنـاهج المطروحة على الساحة على النهوض بالأمة و إقالتهـا مـن عثرتهـا مسـتنتجا ذلـك مـن الآيـات الأولى مـن سـورة الرحمـان في قولـه تعـالى: ﴿الرَّحْمَنُ*عَلَّمَ الْقُرْآنَ*خَلَقَ الْإِنسَانَ*عَلَّمَهُ الْبَيَانَ* الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ *وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[1114].

4- ضرورة مواصلة البحث في هذا الموضوع للوصول إلى تسـاعد في إحـداث النقلـة التغييرية المطلوبة لقصور هذه الدراسة من تحقيق النتيجة المرجوة.

[1114] سورة الرحمان، الآيات:1_6.

المراجع المعتمدة في البحث

1 - القرآن الكريم.
2 - ابن الحاج، المدخل، الطبعة الأولى، القاهرة، المطبعة المصرية بالأزهر، 1348هـ_1929م.
3 - ابن أبي شيبة. مصنف ابن أبي شيبة. تحقيق: كمال يوسف الحوت. الطبعة الأولى. الرياض. مكتبة الرشيد. 1409هـ.
4 - ابن بدران، عبد القادر. المدخل لابن بدران. الطبعة الثانية. بيروت. مؤسسة الرسالة. 1410هـ.
5 - ابن الأشعث. أبو داوود سليمان. سنن أبي داوود.تحقيق محي الدين عبد الحميد. بيروت. دار الفكر العربي. بدون تاريخ.
6 - ابن تيمية.السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية. الطبعة الأولى. بيروت. دار الجيل. 1413هـ_1993م.
7 - ابن تيمية. الفتاوي. تصوير الطبعة الأولى. 1398هـ.
8 - ابن حبان، أبو حاتم التميمي محمد. صحيح ابن حبان. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. الطبعة الثانية. بيروت. مؤسسة الرسالة.1414هـ_1993م.
9 - ابن حميد، صالح بن عبد الله، وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن.موسوعة نظرة النعيم. الطبعة الأولى. جدة. دار الوسيلة.1418هـ_1998م.
10 - ابن خلدون، عبد الرحمن. مقدمة تاريخ ابن خلدون. الطبعة الثالثة. بيروت. دار الفكر.1988م.
11 - ابن سعد. الطبقات الكبرى. تحقيق محمد عبد القادر عطا. الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية. 1990م.
12 - ابن سلمة، أحمد بن محمد بن سلامة. شرح معاني الآثار.تحقيق محمد زهري النجار. الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية. 1399هـ.

13 - ابن عاشور، محمد الطاهر. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. تونس. الشركة القومية للنشر.1964م.

14 - ابن عباس، علي البعلي الحنبلي. القواعد والفوائد الأصولية. القاهرة. مطبعة السنة المحمدية. بدون تاريخ.

15 - ابن عمر، محمد بن حسن بن علي. التقرير والتحبير. تحقيق: مكتب البحوث والدراسات. الطبعة الأولى. بيروت. دار الفكر. 1996م.

16 - ابن قيم الجوزية. مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق محمد حامد الفقي. القاهرة. دار الرشاد الحديثة. بدون تاريخ.

17 - ابن قيم الجوزية. الفوائد. الطبعة الثالثة. بيروت. دار الكتب العلمية.1403هـ_1983م.

18 - ابن قيم الجوزية. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. تحقيق محمود حسن ربيع. الطبعة الثانية. القاهرة. 1358هـ_1939م.

19 - ابن قيم الجوزية. حاشية ابن القيم. الطبعة الثانية. بيروت. دار الكتب العلمية.1415هـ_1995م.

20 - ابن قيم الجوزية. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية. القاهرة. مطبعة مدني. 1381هـ_1961م.

21 - ابن قيم الجوزية.أعلام الموقعين عن رب العالمين. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. بيروت. دار الجيل. 1973م.

22 - ابن كثير. تفسير ابن كثير. تحقيق سامي بن محمد السلامة. بيروت . دار الفكر. 1401هـ.

23 - ابن كثير.السيرة النبوية. بيروت. دار المعرفة. 1402هـ_1982م.

24 - ابن كثير. البداية والنهاية. القاهرة. مطبعة السعادة. بدون تاريخ.

25 - ابن مسعود، عبد المجيد. القيم الإسلامية التربوية و المجتمع المعاصر. الطبعة الأولى. الدوحة. 1419هـ_1999.

26 - ابن مسكويه، احمد. تهذيب الأخلاق. بيروت. مكتبة الحياة. بدون تاريخ.

27 - ابن منظور. لسان العرب. الطبعة السادسة. بيروت. دار الفكر. 1997م.

28 - ابن منصور، سعيد. سنن سعيد بن منصور. الطبعة الأولى. الرياض. دار العصيمي. 1414هـ.

29 - ابن نبي، مالك. مشكلة الأفكار في العلم الإسلامي. الطبعة الأولى._ إعادة _دمشق.دار الفكر. 2000.

30 - ابن نبي، مالك. القضايا الكبرى. الطبعة الأولى_إعادة_دمشق. دار الفكر. 1991.

31 - ابن نبي، مالك. مشكلة الثقافة. ترجمة عبد الصابور شاهين. الطبعة الرابعة. دمشق. دار الفكر. 1404هـ_1984.

32 - ابن نبي، مالك. شروط النهضة. الطبعة الرابعة_إعادة_دمشق. دار الفكر. 1420هـ2000.

33 - ابن نبي، مالك. ميلاد مجتمع.الطبعة الثالثة_إعادة_دمشق. دار الفكر. 1422هـ2002.

34 - ابن نبي، مالك. المسلم في عالم الاقتصاد. دون معلومات أخرى.

35 - أبو الحسن، الماوردي. أدب الدنيا والدين. تحقيق مصطفى السقا. الطبعة الثالثة. بيروت. المكتبة الثقافية.1375هـ_1955م.

36 - أبو الحسن، الماوردي. الأحكام السلطانية والولايات الدينية. بيروت. دار الكتب العلمية. بدون تاريخ.

37 - أبو الحسن، الماوردي. نصيحة الملوك. الإسكندرية. مؤسسة شباب الجامعة. 1988.

38 - أبو الحسن، علي بن محمد الآمدي. الأحكام. تحقيق: سيد الجميلي. الطبعة الأولى. بيروت.دار الكتاب العربي.1404هـ.
39 - أبو الطيب،محمد شمس الحق العظيم الأبادي. عون المعبود. الطبعة الثالثة. بيروت. دار الكتب العلمية. 1415هـ.
40 - أبو الفتوح، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي. زاد المسير. الطبعة الثالثة. بيروت. المكتب الإسلامي. 1404هـ.
41 - أبو الفتوح، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي. العلل المتناهية. تحقيق خليل الميس. الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية. 1403هـ.
42 - أبو الفتوح، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي. سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز. الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية. 1414هـ-
43 - أبو بكر، أحمد بن علي الجصاص. أحكام القرآن. تحقيق محمد الصادق قمحاوي. بيروت.دار إحياء التراث العربي. 1405هـ.
44 - أبو حويج، مروان وآخرون. مدخل إلى علم النفس التربوي. الطبعة الأولى. عمان. دار اليازوري العلمية. 2002.
45 - أبو زهرة، محمد. العلاقات الدولية في الإسلام. القاهرة. دار الفكر العربي. بدون تاريخ.
46 - أبو زهرة، محمد. التكافل الاجتماعي في الإسلام. بيروت. دار الفكر العربي. بدون تاريخ.
47 - أبو زهرة، محمد. أصول الفقه. بدون معلومات أخرى.1956م.
48 - أبو سن، إبراهيم. الإدارة في الإسلام. الطبعة الخامسة. الخرطوم. دار الثقافة للطباعة والنشر.1993م.
49 - احمد، أبو جعفر المشهور بالمحب الطبري. الرياض النضرة في مناقب العشرة. الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية. 1405هـ-1984.

50 - أسد، محمد. الإسلام على مفترق الطرق. الطبعة السادسة. بيروت. دار العلم للملايين. 1965م.
51 - الأزدي، معمر بن راشد. الجامع. تحقيق حبيب الأعظمي. الطبعة الثانية. بيروت. المكتب الإسلامي. 1403هـ.
52 - الأزهري، محي الدين. الإدارة ودور المديرين. القاهرة. دار الفكر العربي. 1993م.
53 - الأسفرائيني، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق. مسند أبي عوانة. تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي. الطبعة الأولى. بيروت. دار المعرفة.1998م.
54 - الأصبهاني، ابن نعيم أحمد بن عبد الله. حلية الأولياء وطلقات الأصفياء. القاهرة. مطبعة السعادة. 1394هـ_1974م.
55 - الأصفهاني، الراغب. المفردات في غريب القرآن. تحقيق: محمد سيد كيلاني. الطبعة الأخيرة. القاهرة. مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده. 1381هـ_1961م.
56 - الأصفهاني، الراغب. الذريعة إلى مكارم الشريعة. الطبعة الأولى. بيروت.دار الكتب العلمية. 1400هـ_1980م.
57 - الألباني، ناصر الدين. مختصر صحيح البخاري. الطبعة الأولى.بيروت. المكتب الإسلامي. 1399هـ.
58 - الألوسي البغدادي. روح المعاني. القاهرة. مكتبة دار التراث. بدون تاريخ.
59 - الأمير، محمد بن إسماعيل الصنعاني. سبل السلام. تحقيق: عبد العزيز الخولي. الطبعة الرابعة. بيروت. دار إحياء التراث العربي. 1379هـ.
60 - الأندلسي، ابن عطية. المحرر الوجيز. الطبعة الأولى. الدوحة. 1982م.
61 - الأندلسي، ابن الأزرق.بدائع السلك في طبائع الملك. طرابلس. الدار العربية للكتاب. بدون تاريخ.

62 - الأندلسي، عمر بن علي بن أحمد الوادياشي. تحفة المحتاج. تحقيق عبد الله بن عساف اللحياني. الطبعة الأولى. مكة المكرمة. دار حراء. 1406هـ.
63 - الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه. العقد الفريد. تحقيق: محمد سعيد العريان. بيروت. دار الفكر. بدون تاريخ.
64 - الأهواني، أحمد فؤاد. التربية في الإسلام. القاهرة. دار المعارف. 1980م.
65 - الباجي، محمود. مثل عليا من خلق الإسلام. تونس. الشركة التونسية للتوزيع والنشر. بدون تاريخ.
66 - البخاري. صحيح البخاري. بيروت. دار الفكر. 1401هـ_1981م.
67 - البصري، محمد علي. المعتمد. تحقيق خليل الميس. الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية.1403هـ.
68 - البعلبكي، روحي. قاموس المورد. بيروت. دار العلم للملايين.1987م.
69 - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. مصابيح السنة. بيروت. دار القلم. بدون تاريخ.
70 - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. معالم التنزيل. تحقيق: محمد عبد الله النمر. الطبعة الأولى. الرياض. دار طيبة. 1409هـ_1989م.
71 - البكري، عبد الرحمن. معجم ما أستعجم. تحقيق: مصطفى السقا. الطبعة الثالثة. بيروت. عالم الكتب. 1403هـ.
72 - البهي، محمد. الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر. الطبعة الثالثة. القاهرة. مكتبة وهبة. 1402هـ_1982م.
73 - البوطي، محمد سعيد رمضان. نقض أوهام المادية الجدلية. الطبعة الثالثة .دمشق. دار الفكر.1985م.
74 - البوطي، محمد سعيد رمضان. ضوابط المصلحة. دمشق. المكتبة الأموية. 1967م.

75 - البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر.السنن الصغرى. تحقيق: محمد بن عبد القادر عطا. الطبعة الأولى. المدينة المنورة.مكتبة الدار. 1410هـ_1989م.
76 - البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر. السنن الكبرى.تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكة المكرمة. مكتبة دار الباز.1414هـ_1994م.
77 - الترابي، حسن عبد الله. النظم السلطانية وسنن الواقع. الطبعة الأولى. بيروت.دار الساقي.2003م.
78 - التل، سعيد. المرجع في مبادئ التربية. مراجعة: دموس جبريل. الطبعة الأولى. عمان. دار الشروق.1939م.
79 - الترمذي، محمد بن عيسى. سنن الترمذي. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. بيروت. دار إحياء التراث العربي. بدون تاريخ.
80 - الترمذي، محمد بن عيسى. السنن الكبرى. الطبعة الأولى. القاهرة. مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده. 1382هـ_1962م.
81 - التوحيدي. أبو حيان. المقايسات. الطبعة الأولى. القاهرة. المكتبة التجارية الكبرى. 1347هـ-1929.
82 - الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر. البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. الطبعة الخامسة. القاهرة. مكتبة الخانجي. 1405هـ_1958م.
83 - الجرجاني. التعريفات. تحقيق إبراهيم الابياري. الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتاب العربي.1405هـ.
84 - الجزائري، أبو بكر جابر.أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. الطبعة الثانية. جدة. دار راسم للدعاية و الإعلان.1407هـ_1987م.
85 - الجزائري، أبو بكر جابر. منهاج المسلم. القاهرة. مكتبة أسامة الإسلامية. بدون تاريخ.

86 - الجمبلاطي، علي وأبو الفتوح التوانسي. الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية. القاهرة. دار النهضة. 1971م.
87 - الجوهري، إسماعيل ابن حماد. الصحاح. تحقيق: عبد الغفار عطار. 1982م.
88 - الخازن، منير وهبة. معجم مصطلحات علم النفس. القاهرة. دار النشر للجامعيين. بدون تاريخ.
89 - الخراساني، أبو عثمان. كتاب السنن. الطبعة الأولى. الهند. الدار السلفية. 1982م.
90 - الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت. الفقيه والمتفقه. بيروت. دار الكتب العلمية. بدون تاريخ.
91 - الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد. سنن الدارمي. تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي. الطبعة الأولى. بيروت. دارا لكتاب العربي. 1407هـ.
92 - الدر، إبراهيم فريد. الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان. الطبعة الأولى. بيروت. دار الأفاق الجديدة.1983م.
93 - الدسوقي، محمد عرفة. حاشية الدسوقي. تحقيق: محمد عليش. بيروت. دار الفكر. بدون تاريخ.
94 - الدسوقي، فاروق. مقومات المجتمع الإسلامي. الطبعة الثانية. بيروت. المكتب الإسلامي.1986م.
95 - الرازي، محمد فخر الدين. التفسير الكبير. بيروت. دار الفكر.1414هـ_1994م.
96 - الرازي، محمد فخر الدين. المحصول. تحقيق: طه جابر العلواني. الطبعة الأولى. الرياض. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.1400هـ.
97 - الزبيدي. تاج العروس. الطبعة الأولى. القاهرة. المطبعة الخيرية. 1303هـ.

98 - ألزرعي، محمد بن أبي بكر. الصلاة وحكم تاركها. الطبعة الأولى. بـيروت. دار ابن حزم. 1416هـ_1996م.

99 - الزركشي، محمد بن بهارد. المنثور في القواعـد. الطبعـة الثانيـة. الكويـت. وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية. 1405هـ.

100 - الزلبـاني، محمـد محمـد. القـيم الاجتماعيـة. القـاهرة. مطبعـة الاسـتقلال الكبرى.1972م_1973م.

101 - الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. الكشاف. بـيروت. دار الفكـر. بدون تاريخ.

102 - الزيعلي، عبد الله بن يوسـف. نصـب الرايـة. تحقيـق محمـد يوسـف البنـوري. القاهرة. دار الحديث. 1357هـ.

103 - السبع، توفيق. قيم حضارية في القرآن الكريم. الطبعة الثانية. القاهرة. دار المنار للنشر والتوزيع.1404هـ_1984م.

104 - ألسبكي، علي بن عبد الكافي. الإبهاج. تحقيق مجموعة من العلماء. الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية.1404هـ.

105 - السر خسي، أبو بكر. المبسوط. بيروت. دار المعرفة.1406هـ.

106 - السـلمي، عـلي. مقدمـة في العلـوم السـلوكية. الطبعـة الثانيـة. القـاهرة. دار المعارف.1969م.

107 - السـلمي، عـلي. العلـوم السـلوكية والتطبيـق الإداري. القـاهرة.دار المعارف.1971م.

108 - السلمي، علي.تحليل النظم السلوكية. القاهرة. مكتبة غريب. 1975م.

109 - السلمي، علي. و.ل.بهرت. سياسات وإستراتيجيات الإدارة في الدول الناميـة. القاهرة. مكتبة غريب. بدون تاريخ.

110 - السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد. قواطع الأدلة في الأصول.تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي. الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية.1997م.

111 - السنهوري، أحمد عبد الحكيم. أصول خدمة الفرد. الطبعة الرابعة. القاهرة. المكتب المصري الحديث.1970م.

112 - السنهوري، عبد الرزاق. مصادر الحق في الفقه الإسلامي. القاهرة. دار الهنا للطباعة والنشر.1954م.

113 - السويدي، وضاحة. تنمية القيم الخاصة. الطبعة الأولى. الدوحة. دارالثقافة.1409هـ_1989م.

114 - الشاطبي. الموافقات في أصول الشريعة. بيروت. دار المعرفة. بدون تاريخ.

115 - الشاطبي. الاعتصام. الطبعة الأولى. القاهرة. دار المنار.1408هـ_1988م.

116 - الشاعر، أحمد عبد الحميد. الإسلام والفكر المادي. الطبعة الثانية. القاهرة. دار الطباعة المحمدية.1406هـ_1986م.

117 - الشافعي، محمد بن إدريس. الأم. تحقيق: محمد زهري النجار. الطبعة الثانية. بيروت. دار المعرفة.1339هـ_1973م.

118 - الشاوي، توفيق. فقه الشورى والاستشارة. المنصورة. دار الوفاء. 1992م.

119 - الشريف، عدنان. علم النفس القرآني. الطبعة الأولى_إعادة_بيروت.دار العلم للملايين. 1993م.

120 - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. فتح القدير. بيروت. دار الفكر. بدون تاريخ.

121 - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد.نيل الأوطار. بيروت. دار الجيل. 1973.

122 - الشوكاني،محمد بن علي بن محمد. الدراري المضيئة. بيروت. دار الجيل.1407هـ_1987م.

123 - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. إرشاد الفحول. تحقيق: محمد سعيد البدري. الطبعة الأولى. بيروت. دار الفكر.1412هـ_1992م.

124 - الشوكاني،محمد بن علي بن محمد. السيل الجرار. تحقيق: محمود إبراهيم زايد. الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية.1405هـ.

125 - الشيزري، عبد الرحمن بن عبد الله. المنهج المسلوك في سياسة الملوك. تحقيق: علي عبد الله موسى. الطبعة الأولى. الزرقاء، الأردن.مطبعة المنار.1407هـ_1987م.

126 - الصدر، محمد باقر. فلسفتنا. الطبعة الخامسة عشرة. بيروت.دار المعارف للمطبوعات.1989م.

127 - الطبرسي. مجمع البيان. بيروت. دار مكتبة الحياة. بدون تاريخ.

128 - الطبري. جامع البيان. بيروت. دار الفكر.1405هـ.

129 - الطماوي، سليمان. مبادئ علم الإدارة العامة. القاهرة. مكتبة عين شمس.1987م.

130 - الطويل، محمد علي أحمد. الإدارة المعاصرة. طرابلس. دار القرجابي. 1997م.

131 - الظاهري، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. المحلى. تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي. بيروت. دار الأفاق الجديدة . بدون تاريخ.

132 - العبيدي، حمادي. الشاطبي ومقاصد الشريعة. الطبعة الأولى. منشورات كلية الدعوة. طرابلس.1992.

133 - العسقلاني، ابن حجر. فتح الباري في شرح صحيح البخاري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، و محب الدين الخطيب. بيروت. دار المعرفة. 1379هـ.

134 - العسقلاني، ابن حجر. المطالب العالية. بيروت. دار المعرفة. 1414هـ-1993.

135 - العسقلاني، ابن حجر. الدراية في تخريج أحاديث الهداية. تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني. بيروت. دار المعرفة. بدون تاريخ.

136 - العقاد، عباس محمود. عقائد المفكرين في القرن العشرين. القاهرة. مكتبة غريب. بدون تاريخ.

137 - العمري، اكرم ضياء. قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي. الطبعة الأولى. الدوحة. 1414هـ.

138 - العمري، نادية شريف. اجتهاد الرسول. الطبعة الرابعة. بيروت. مؤسسة الرسالة. 1408هـ-1987.

139 - العيد، تقي الدين أبي الفتح بن دقيق. عمدة الأحكام. بيروت. دار الكتب العلمية. بدون الريخ.

140 - العيني، بدر الدين محمود بن احمد. عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري. بيروت. دار الفكر. بدون تاريخ.

141 - الغزالي، أبو حامد. معيار العلم. تحقيق سليمان دنيا. القاهرة. دار المعارف. 1961.

142 - الغزالي، أبو حامد. إحياء علوم الدين. تحقيق سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران. القاهرة. دار الحديث. 1414هـ-1994.

143 - الغزالي، أبو حامد. الأربعين في أصول الدين. بيروت. دار الأفاق. 1980.

144 - الغزالي، محمد. هذا ديننا. الدوحة. دار إحياء التراث الإسلامي. 1403هـ.

145 - الغزالي، محمد. الإسلام و الاستبداد السياسي. الطبعة الثالثة. القاهرة. نهضة مصر للطباعة. 2000.

146 - ألغمري، إبراهيم. السلوك الإنساني و الإدارة الحديثة. الإسكندرية. دار الجامعات المصرية. بدون تاريخ.

147 - الفارابي، أبو نصر محمد. فصول من آراء أهل المدينة الفاضلة. تحقيق: علي عبد الواحد وافي. الطبعة الثانية-منقحة-القاهرة. لجنة البيان العربي. 1381هـ_1961.

148 - الفاوي، عبد الفتاح أحمد. الأخلاق. الطبعة الأولى. القاهرة. مطبعة الجبلابي. 1990.

149 - الفراهيدي، الخليل بن أحمد. معجم العين. تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم ألسامرائي. القاهرة. دار مكتبة الهلال. بدون تاريخ.

150 - الفنجري، محمد شوقي. الإسلام و المشكلة الاقتصادية. الطبعة الثالثة. الرياض. دار الوطن للأعلام. 1408هـ_1987.

151 - الفيروز أبادي. القاموس المحيط. الطبعة الثالثة. القاهرة. المطبعة الأميرية. 1302هـ.

152 - القاسم، جمال مثقال. علم النفس التربوي. الطبعة الأولى. عمان. دار الصفاء للنشر و التوزيع.2000.

153 - القاعود، إبراهيم. الدراسات الاجتماعية مناهجها،أساليبها،تطبيقاتها. الطبعة الأولى. أربد_عمان_دار وائل للنشر و التوزيع. 1991.

154 - القرضاوي، يوسف. مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. القاهرة. مكتبة وهبة. 1990.

155 - القرضاوي، يوسف. الخصائص العامة للإسلام. الطبعة السادسة. بيروت مؤسسة الرسالة. 1409هـ_1988.

156 - القرضاوي، يوسف. الإيمان و الحياة. الطبعة الثامنة. القاهرة. مكتبة وهبة. 1407ه_1987.

157 - القرضاوي، يوسف. ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده. الطبعة الأولى. القاهرة. مكتبة وهبة. 1993.

158 - القرضاوي، يوسف. الحل الإسلامي فريضة و ضرورة. الطبعة الثالثة عشر. بيروت. مؤسسة الرسالة. 1409هـ_1988.

159 - القرضاوي، يوسف. فقه الزكاة. الطبعة السادسة.القاهرة. مؤسسة الرسالة.1981م.

160 - القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني. الطبعة الثانية. القاهرة. دار الشعب .1372هـ.

161 - القصير، عبد اللطيف. الإدارة العامة المنظور السياسي.بغداد. جامعة بغداد. 1980م.

162 - الكاندهلوي، يوسف. حياة الصحابة. بيروت. دار الفكر.1992م.

163 - الكبيسي، وهيب مجيد، وصالح حسن أحمد الداهري. المدخل في علم النفس التربوي. الطبعة الأولى. أربد_عمان_.دار الكندي للنشر والتوزيع .2002.

164 - الكرمي، حسن سعيد. قاموس المغني الكبير. بيروت. مكتبة لبنان. 1987م.

165 - الكيناني، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل. مصباح الزجاجة. تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي. الطبعة الثانية. بيروت. الدار العربية. بدون تاريخ.

166 - الكيلاني، ماجد عرسان. مقومات الشخصية المسلمة. الطبعة الأولى. الدوحة. 1411هـ.

167 - الكيلاني، ماجد عرسان. تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية. الطبعة الثالثة. المدينة المنورة. دار التراث. 1407هـ_1987م.

168 - الكيلاني، ماجد عرسان. الأمة المسلمة. عمان. المكتبة لوطنية.1992م.

169 - الكيلاني، ماجد عرسان. أهداف التربية الإسلامية. الطبعة الثالثة. فرجينيا. المعهد العالمي للفكر الإسلامي.1417هـ_1997م.

170 - اللوزي، موسى. التطوير التنظيمي، الطبعة الأولى. عمان. دار وائل للنشر.1999م.

171 - المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن. تحفة الأحوذي. بيروت. دار الكتب العلمية. بدون تاريخ.

172 - المجددي، محمد عميم الإحسان. قواعد الفقه. الطبعة الأولى. كرا تشي. الصدق ببلشرز. 1407هـ_1986م.

173 - المحمصاني، صبحي. في دروب العدالة. الطبعة الأولى. بيروت. دار العلم للملايين. 1982م.

174 - المصري، سعيد محمد. أساسيات في دراسة الإدارة العامة. الطبعة الثالثة. الرياض. دار المريخ. 1403هـ-1983م.

175 - المغربي، محمد بن عبد الرحمن. مواهب الجليل . الطبعة الثانية. بيروت. دار الكتب العلمية. 1415هـ.

176 - المقدسي، إبن قدامة. مختصر منهاج القاصدين. القاهرة . مكتبة الهدى الإسلامية. بدون تاريخ.

177 - المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم. مختصر المؤمل. تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد. الكويت. مكتبة الصحوة. 1403هـ.

178 - المناوي، محمد عبد الرءوف. التعاريف. تحقيق: رضوان الداية. الطبعة الأولى. بيروت. دار الفكر المعاصر .1410هـ.

179 - المنتقي، علاء الدين علي. كنز العمال. الطبعة الخامسة. بيروت. مؤسسة الرسالة.1401هـ_1981م.

180 - المنذري،زكي الدين. الترغيب والترهيب. الطبعة الثالثة. بيروت. دار إحياء التراث العربي.1388هـ_1968م.

181 - المنفلوطي، أحمد عبد العظيم. نحو منهج إسلامي في الفكر الإداري. القاهرة. المؤسسة العربية الحديثة. بدون تاريخ.

182 - الموسوعة الفلسفية العربية. القاهرة. معهد الإنماء العربي.1986م.

183 - الموسوي، المنعم زمزير. اتخاذ القرارات الإدارية. الطبعة الأولى . عمان. دار اليازوري. 1418هـ_1998م.

184 - الندوي، أبو الحسن. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. الطبعة السادسة. بيروت. دار الكتاب العربي.1965م.

185 - النسائي، أحمد بن شعيب. كتاب العلم. الطبعة الثانية. الرياض. الدار العالمية للكتاب الإسلامي. 1415هـ_1994مم.

186 - النسائي، أحمد بن شعيب. السنن الكبرى. تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن. الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية. 1411هـ_1991م.

187 - النفراوي، أحمد بن غنيم. الفواكه الدواني. بيروت. دار الفكر. 1415هـ.

188 - النمر، سعود بن محمد. السلوك الإداري. الطبعة الأولى. الرياض. مطابع جامعة الملك سعود. 1410هـ_1990.

189 - النووي، شرف الدين بن يحي. رياض الصالحين. بيروت. دار الكتاب العربي. 1973.

190 - النووي، شرف الدين بن يحي. المجموع على شرح المهذب. بيروت. دار الفكر. بدون تاريخ.

191 - النووي، شرف الدين بن يحي. شرح النووي على صحيح مسلم. الطبعة الثانية. بيروت. دار إحياء التراث العربي. 1392هـ.

192 - النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم. المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطى. بيروت. دار الكتب العلمية. 1411هـ_1990م.

193 - النيسابوري، علي بن أحمد الواقدي. أسباب النزول. بيروت. دار المعرفة. بدون تاريخ.

194 - النيسابوري، عبد الله بن علي بن الجارود. المنتقى. تحقيق عبد الله عمر البارودي. الطبعة الأولى. بيروت. مؤسسة الكتاب الثقافية. 1408هـ_1988م.

195 - النيسابوري، مسلم بن حجاج القشيري. صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت. دار إحياء التراث العربي. بدون تاريخ.

196 - الهنداوي، علي فالح، وعماد عبد الرحيم زغول. مبادئ أساسية في علم النفس. الطبعة الأولى. عمان. دار حسنين للنشر والتوزيع.1423هـ_2002م.

197 - الهواري، سيد. الإدارة الأصول والأسس العلمية. القاهرة. مكتبة عين شمس.1994م.

198 - الهواري، سيد. المدير الفعال. الطبعة السادسة. القاهرة. مكتبة عين شمس.1995م.

199 - الهيثمي، علي بن أبي بكر. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. بيروت. دار الكتاب العري.1403هـ_1982م.

200 - أيوب، حسن. السلوك الاجتماعي في الإسلام. الطبعة الثانية. القاهرة. دار البحوث العلمية.1399هـ_1979م.

201 - بدر، حامد أحمد. السلوك التنظيمي. الطبعة الثالثة. الكويت. دار العلم. 1410هـ_1990م.

202 - بدوي، عبد الرحمن. الأخلاق النظرية. الكويت. وكالة المطبوعات الجامعية. 1975م.

203 - براون. أ. علم النفس الاجتماعي في الصناعة. ترجمة: السيد محمد خبري وسمير نعيم الغول و محمود الزيادي. القاهرة. دار المعارف . 1960م.

204 - بركة، عبد المنعم احمد. الإسلام و المساواة بين المسلمين وغير المسلمين. الطبعة الأولى. الإسكندرية. مؤسسة شباب الجامعة. 1410هـ_1990م.

205 - بكر، عبد الجواد السيد. فلسفة التربية في الشريف الحديث. القاهرة. دار الفكر العربي. بدون تاريخ.

206 - جابر، جابر عبد الحميد. مدخل لدراسة السلوك الإنساني. الطبعة الرابعة. القاهرة. دار النهضة العربية. 1986.

207 - جاد المولى،محمد احمد. الخلق الكامل. الطبعة الأولى. القاهرة. مطبعة حجازي. 1351هـ_1932.

208 - جعفر، محمد كمال إبراهيم. في الفلسفة الإسلامية. الطبعة الأولى. الكويت. مكتبة الفلاح. 1406هـ_1986.

209 - حردان، طاهر حيدر. الاقتصاد الإسلامي. الطبعة الأولى. عمان. دار وائل للنشر و التوزيع. 1999.

210 - حريم، حسين. السلوك التنظيمي. عمان. دار زهران للنشر و التوزيع. بدون تاريخ.

211 - حسان، شفيق فلاح. أساسيات علم النفس التطوري. الطبعة الأولى. عمان. مكتبة الرائد العلمية. 1409هـ_1989.

212 - حسنين، عبد المنعم. الإنسان والمال في الإسلام. الطبعة الأولى. المنصورة. دار الوفاء للطباعة والنشر. 1986.

213 - حميداتو، مصطفى محمد. عبد الحميد بن باديس و جهوده التربوية. الطبعة الأولى. الدوحة. 1418هـ_1997.

214 - خطاب، محمد شيت. قادة فتح بلاد فارس. الطبعة الأولى. بيروت. دار الفكر.1974.

215 - خلاف، عبد الوهاب. علم أصول الفقه. الطبعة الثامنة. بدون معلومات أخرى.

216 - خليل، عماد الدين. حول تشكيل العقل المسلم. الطبعة الخامسة. فرجينيا. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. 1992.

217 - خليل، عماد الدين. رؤية إسلامية في قضايا معاصرة. الطبعة الأولى. الدوحة. 1995.

218 - دباس، أحمد عبد السلام. آراء و نظريات في الإدارة. دمشق. منشورات الجامعة.1983.

219 - دراز، محمد عبد الله. دستور الأخلاق في القرآن. تعريب وتحقيق عبد الصابور شاهين. مراجعة السيد محمد بدري. الطبعة الثامنة. بيروت. مؤسسة الرسالة. 1412هـ_1991.

220 - دنكان، و،جاك. أفكار عظيمة في الإدارة. ترجمة: محمد الحديدي. القاهرة. الدار الدولية للنشر و التوزيع. 1991.

221 - دنيا، سليمان. التفكير الفلسفي الإسلامي. الطبعة الأولى. القاهرة. مكتبة خانجي. 1387هـ_1967.

222 - رشيد، احمد. نظرية الإدارة العامة. القاهرة. دار المعارف. 1981.

223 - رضا، محمد رشيد. تفسير المنار. الطبعة الثالثة. بيروت. دار الفكر. 1393هـ_1973.

224 - رضا، محمد رشيد. الوحي المحمدي. الطبعة الثانية. القاهرة. مطبعة المنار. 1352هـ.

225 - زقزوق، محمود حمدي. مقدمة في علم الأخلاق. الطبعة الرابعة. القاهرة. دار الفكر العربي. 1993.

226 - زكريا، إبراهيم. المشكلة الأخلاقية. عمان. دار مصر للطباعة. 1966.

227 - زهران، حامد عبد السلام. علم النفس الاجتماعي. الطبعة الرابعة. القاهرة. عالم الكتب. 1977.

228 - سابق، سيد. عناصر القوة في الإسلام. الطبعة الأولى. القاهرة. مكتبة وهبة. 1382هـ_1963.

229 - سابق، سيد. فقه السنة. القاهرة. دار الفتح للإعلام. 1990.

230 - سعيد، حسن. الإسلام و الغرب. الطبعة الأولى. عمان. التوحيد للنشر. 1417هـ_1997.

231 - سفر، محمود محمد. دراسات في البناء الحضاري. الطبعة الأولى. الدوحة. 1408هـ.

232 - سلامة، احمد عبد العزيز و عبد السلام عبد الغفار.علم النفس الاجتماعي. القاهرة. دار النهضة العربية. بدون تاريخ.

233 - سويف، مصطفى. مقدمة لعلم النفس الاجتماعي. الطبعة الثالثة. القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية. 1966.

234 - شرف، محمد جلال، و عبد الرحمان العيسوي. سيكولوجيا الحياة الروحية في الإسلام و المسيحية. الإسكندرية. منشأة المعارف. 1972.

235 - شعبان، زكي الدين. الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية. الطبعة السادسة. بنغازي. جامعة قار يونس. 1993.

236 - شفيق، منير. الإسلام في معركة الحضارة. الطبعة الأولى. تونس.بدون دار النشر. 1403هـ_1983.

237 - شلتوت، محمود. من توجيهات الإسلام. الطبعة الثالثة. القاهرة. دار القلم. 1966.

238 - شلتوت، علي محمد. المدخل في العلوم التربوية و السلوكية. الإسكندرية. مطنعة الشاعر. 1971.

239 - شهيب، محمد علي. السلوك الإنساني في التنظيم. الطبعة الثالثة. القاهرة. بدون دار النشر. 1978.

240 - صافي، لؤي. العقيدة و السياسة. الطبعة الثانية. فرجينيا. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. 1419هـ_1998.

241 - صالح، أحمد زكي. التعلم لأسسه و مناهجه و نظرياته. القاهرة. دار النهضة العربية. بدون تاريخ.

242 - طبارة، عفيف عبد الفتاح. روح الدين الإسلامي. الطبعة التاسعة. بيروت. دار العلم للملايين. 1392هـ_1972.

243 - عادل،حسن و آخرون. تنظيم و إدارة الأعمال. بيروت. دار النهضة. 1988.

244 - عبد الباقي،زيدان. علم الاجتماع الديني. القاهرة. دار غريب. 1981.

245 - عبد الحميد، محسن. تجديد الفكر الإسلامي. الطبعة الأولى. فرجينيا. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. 1996.

246 - عبد الحميد، محسن. الإسلام و التنمية الاجتماعية. الطبعة الثالثة. الرياض. الدار العالمية للكتاب الإسلامي.1416هـ_1995.

247 - عبد الحميد، محسن. المذهبية الإسلامية و التغيير الحضاري. الطبعة الثانية. الدوحة. 1404هـ.

248 - عبد الخالق، أحمد محمد. من استخبارات الشخصية. القاهرة. دار المعارف. 1980.

249 - عبد الرحمان، سعد. السلوك الإنساني. الطبعة الأولى. القاهرة. مكتبة القاهرة الحديثة. 1971.

250 - عبد الرحيم، محمد عبد الله. أساسيات الإدارة و التنظيم. القاهرة. دار التأليف. 1977.

251 - عبد الصمد، الهادي. الإنسان و التنظيم. رأس الخيمة. المكتب العربي للعلاقات الثقافية.1411هـ_1991.

252 - عبد الغفار، سيد. تنظيم و إدارة الأعمال. بيروت. دار النهضة. 1988.

253 - عبد المجيد، حلمي. مختارات إسلامية. الطبعة الأولى. القاهرة. الزهراء للإعلام العربي. 1409هـ_1989.

254 - عبد الله، عبد الغني بسيوني. أصول الإدارة العامة. بيروت. الدار الجامعية. 1993.

255 - عبد الهادي، حمدي أمين. الفكر الإداري الإسلامي و المقارن. الطبعة الثالثة. القاهرة. دار الفكر العربي. بدون تاريخ.

256 - عبده، مصطفى. مدخل إلى فلسفة الجمال. الطبعة الأولى. الخرطوم. مطبعة جامعة النيلين. 1995.

257 - عبود، عبد الغني. في التربية الإسلامية. الطبعة الثالثة. القاهرة. دار الفكر العربي. 1414هـ_1994.

258 - عساف، عبد المعطي. مبادئ الإدارة العامة. الرياض. مطابع الفرزدق.1983.

259 - عسكر، سمير أحمد. المدخل إلى إدارة الأعمال. القاهرة. دار النهضة. 1987.

260 - عقيلي، عمر وصفي. الإدارة أصول و أسس و مفاهيم. عمان. دار زهران للنشر و التوزيع. 1997.

261 - علي، علي أحمد. سلوك الإنسان. القاهرة. مكتبة عين شمس. 1971.

262 - عليان، مصطفى. بناء الشخصية في القصة القرآنية. الطبعة الأولى. عمان. دار البشير للنشر و التوزيع. 1413هـ_1992.

263 - عمر، ماهر محمود. سيكولوجية العلاقات الاجتماعية. القاهرة. دار المعرفة. 2001.

264 - عوض، عباس محمود. القيادة و الشخصية. بيروت. دار النهضة العربية. 1986.

265 - عيسوي، عبد الرحمان محمد. دراسات سيكولوجية. الإسكندرية. منشأة المعارف. بدون تاريخ.

266 - غالب، مصطفى. الإدراك. القاهرة. دار مكتبة الهلال. 1979.

267 - فرج، سمير. الولاء بين علم النفس والقرآن. القاهرة. المتحدة للطباعة والنشر، 1989م.

268 - فراج، عثمان لبيب. أضواء على الشخصية و الصحة العقلية. الطبعة الأولى. القاهرة. مكتبة النهضة المصرية. 1970.

269 - فرج، السيد أحمد. السلطة الإدارية و السياسة الشرعية في الدولة الإسلامية. المنصورة. دار الوفاء. 1993.

270 - فهمي، سامية. الإدارة في المؤسسات الاجتماعية. الإسكندرية. المكتب الجامعي. 1985.

271 - قطب، سيد. في ظلال القرآن. الطبعة الخامسة عشرة. بيروت. دار الشروق. 1408هـ_1988.

272 - قطب، سيد. المستقبل لهذا الدين. القاهرة. دار الشروق. 1415هـ_1995.

273 - قطب، سيد. العدالة الاجتماعية في الإسلام. الطبعة السابعة. 1386هـ_1967.

274 - قطب، محمد. منهج التربية الإسلامية. الجزء الثالث. الطبعة الرابعة. بيروت. دار الشروق. 1983.

275 - كاظم، محمد إبراهيم. تطورات في قيم الطلبة. القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية. 1962.

276 - كنعان، نواف. القيادة الإدارية. الطبعة الأولى. الرياض. دار العلوم. 1400_1980.

277 - كونتز، هارولد و سيريل اودونيل. مبادئ الإدارة، تحليل الوظائف و المهمات الإدارية. ترجمة: بشير ألعريضي.بيروت. مكتبة لبنان. 1966.

278 - لاشين، محمد كمال. أصول الإدارة السليمة. بدون معلومات أخرى.

279 - مارك جي، أندرو دي. السلوك التنظيمي و الأداء. الرياض. معهد الإدارة العامة.1412هـ_1991.

280 - مخلوف، إقبال إبراهيم. العمل الاجتماعي في مجالات الرعاية الطبية. القاهرة. دارا لمعرفة الجامعية. 1991.

281 - مرسي، محمد منير. أصول التربية الثقافية و الفلسفية. القاهرة. عالم الكتب.1979.

282 - مرسي، محمد منير. فلسفة التربية اتجاهاتها و مدارسها. القاهرة. عالم الكتب. 1992.

283 - مرسي، سيد عبد الحميد. العلوم السلوكية في مجال إدارة الإنتاج. الطبعة الثانية. القاهرة. مكتبة وهبة. 1984.

284 - مسعود، جبران. الرائد_معجم لغوي_الطبعة الخامسة. بيروت. دار العلم للملايين. 1986.

285 - مليكة، لويس كامل. قراءات في علم النفس الاجتماعي في الوطن العربي. القاهرة. الهيئة المصرية للكتاب. 1979.

286 - موراي، ادواردج. الدافعية و الانفعال. الطبعة الأولى. القاهرة. دار الشروق. 1408هـ_1988.

287 - موسى، محمد يوسف. الإسلام و حاجة الإنسانية إليه. القاهرة. بدون دار الطبع. 1416هـ_1995.

288 - نايل، كمال الدين عبد الحليم. الغرضية في السلوك الإنساني. القاهرة. دار المعارف. 1955.

289 - نجاتي، محمد عثمان. الإدراك الحسي عند ابن سينا. الطبعة الثانية._منقحة_القاهرة. دار المعارف. 1961.

290 - نجاتي، محمد عثمان. القرآن و علم النفس. الطبعة الرابعة. القاهرة. دار الشروق. 1409هـ_1989.

291 - نصار، عبد الستار. دراسات في فلسفة الأخلاق. الطبعة الأولى. الكويت. دار العلم. 1982.

292 - نوح، السيد محمد. من أخلاق النصر في جيل الصحابة. الطبعة الأولى. طنطا. دار البشير للثقافة. 1995.

293 - هاشم، عبد المنعم و عدلي سليمان. المجتمعات بين التنشئة و التنمية. الطبعة الأولى. القاهرة. مكتبة القاهرة الحديثة. 1973.

294 - هولس، ستيوارت هـ، و آخرون. سيكولوجية التعلم. الطبعة الثانية. القاهرة.الدار الدولية للنشر و التوزيع. 1993.

295 - وهلين، توماس، و دافيد هنجر، الإدارة الإستراتيجية. الرياض. معهد الإدارة العامة. 1411هـ_1980.

296 - يونس، انتصار، السلوك الإنساني. القاهرة. دار المعارف. 1978.

297 - السيد، خالد سر الختم. الإدارة في الإسلام منهج سلوكي. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية. 1997.

298 - الشاعر، جمال محمود. القيم والإتجاهات كأساس المنهج. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة أم درمان الإسلامية. 1997.

299 - جعفر، أحمد إسماعيل مقبل. مدى توفر القيم الخلقية في التربية الإسلامية. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة أم درمان الإسلامية. 1420هـ-1999.

300 - الفاروقي، إسماعيل راجي. التحرك الفلسفي الإسلامي الحديث. مجلة المسلم المعاصر. بيروت. العدد39.

301 - بدر، حامد رمضان. القيادة الإدارية اتجاه إسلامي. مجلة المسلم المعاصر، بيروت. العدد31. رجب 1402هـ-مايو1982.

302 - قاسم، عون الشريف. أثر العبادات في الإسلام. مجلة المسلم المعاصر. بيروت. العدد10. ربيع الثاني1397هـ-ابريل1977.

303 - حسن، حسن صادق. القيم الاجتماعية الإسلامية وفاعلية السلوك الإداري في المؤسسة. مجلة المسلم المعاصر. بيروت. العدد49. السنة الثالثة عشرة. محرم1408هـ-سبتمبر1987.

304 - محمود، أبو السعود. المنهجية للعلوم السلوكية الإسلامية. بحث مقدم لندوة المنهجية الإسلامية. المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلام. الطبعة الثانية. فرجينيا. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. 1415هـ-1994.

305 - حوار مع الشيخ محمد الغزالي. مجلة منار الإسلام. أبو ضبي. العدد11. السنة التاسعة عشرة. ذو القعدة1414هـ، افريل1994.

306 - الهاشمي، عبد الحميد ، وفاروق عبد السلام. البناء القيمي للشخصية كما ورد في القرآن الكريم. ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية. مكة المكرمة. 11-6/ 6/ 1400هـ.

307 - أثر تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي في المجتمع. من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي. الرياض. إدارة الثقافة والنشر. 1404هـ-1984.